فهرست الجزء الاول من كتاب المواقف

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت فهرست الجزء الاول

كتاب المواقف

في الوعظ والارشاد

للسيد عبد القادر الجزائري

رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به آمين

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني   أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني   وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان بهذين البيتين الإمام الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى، وهذان البيتان لسان حال كل عارف ومحقق، جوابا لكل جاهل منكر متعنت:

هذا كتاب لو يباع بوزنه   ذهبا لكان البائع المغبونا
واحذر وقاك من إعارة مثله   حذرا ولو وضعوا لديك رهونا
إن الكريم كتابه كبحر عنده   في الصون يشبه جوهراً مكنونا

وقد طبع هذا الكتاب الوحيد في موضوعه المفيد في مجموعه على نفقة حضرة صاحبة العصمة الجليلة السيدة ... حضرتي صاحبي السعادة احمد فؤاد عزت باشا ... وعزيز عزت باشا سفير المملكة المصرية ووزيرها المفوض لدى الدولة ... المغفور له العالم النبيل محمود باشا الارناؤودي تنفيذا لوصيته واحياء لعاطر ذكره، واهدائه مجانا لحضرات العلماء والمعاهد الدينية الاسلامية

الجزء الأول

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وحده

قال سيدنا وأستاذنا، وعمدتنا وملاذنا، العارف المحقق، والمكاشف المدقق، مولانا الأمير السيد عبد القادر، ابن مولانا السيد محي الدين رحمه الله: أماتنا الله بفضله على محبته، وحشرنا بكرمه في زمرته، تحت لواء سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين آمين. الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده. اللهم صل وسلم على رحمة العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، هذه نفثات روحية، وإلقاءات سبوحية، بعلوم وهبية، وأسرار غيبية، من وراء طور العقول، وظواهر النقول، خارجة عن أنواع الاكتساب، والنظر في كتاب، فهي لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا، إذا لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها، تركوها في زوايا أكمامها، إلى أن يبلغوا أشدهم، ويستخرجوا كنزهم، وما قصدنا بها من يقول هذا إفك قديم، وأساطير الأولين، ويحجر على الله تعالى، ويقول أهؤلاء من الله عليهم من بيننا من علماء الرسم، القاعدين من العلم بالاسم، فإنا نتركهم، وما قسم الله تعالى لهم، فإذا أطالوا الملاما وخصاما، تلونا «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ونصيرهم أذنا صماء، وعينا عمياء، ونقول لهم آمنا، بالذي أنزل إلينا، وأنزل

الهكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون، ولا نجادلهم بل نرحمهم ونستغفر لهم، ونقيم لهم العذر من أنفسنا في إنكارهم علينا إذ يشافههم بأمر مخالف لما تلقوه من مشايخهم المتقدمين، وما سمعوه من آبائهم الأولين، فالأمر عظيم، والخطب جسيم، والعقل عقال، والعلماء وبال على علمهم إلا من رحم ربي، وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلمين، ولا الحكماء [illegible]، ولكن طريقة توحيد الكتب المنزلة، وسنة الرسل المرسلة، وهي التي كانت عليها بواطن الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، والسادات العارفين، وإن لم يصدقوا الجمهور والعموم، فعند الله تجتمع الخصوم، ومما أشير به إلى بعض ما ذكرت، في شبه مقامة لي وهي قولي: حدثت بعض طرائفه من محاضرات الشرفاء، ومسامرة من مسامرات الظرفاء، في ناد من أندية العرفاء، فجاءوا في سمرهم بكل طرفة غريبة، ومستطرفة عجيبة، وكان الحديث شجونا، وألوانا وفنونا، إلى أن تكلم سيد الجماعة، ومقدم أهل البراعة فقال: أحدثكم بحديث هو أغرب من حديث عنقاء مغرب، فاشرأبوا لسماعه، ومدوا أعناقهم، وفرغوا أفئدتهم، وحدقوا أحداقهم، فقال: إن في الوجود معشوقة غير مرموقة، إلا أنه هوى الألباب، والقلوب بحبها طافحة، والأبصار إلى رؤيتها طامحة، يطلبها الناس في كل قطر، ويرتكبون الأخطار، ويستعذبون دونها الموت الأحمر، [illegible] الكثيب الأحمر، ولا يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد، في الزمان البعيد، فإذا قدر لأحد مشارفة حماها، ومقاربة مرماها، [illegible] مادة، ولا مدة، ولا هو عن مقتله، [illegible] الأعيان في عينه، إلى عين هذه المعشوقة، التي هي غير مرموقة، المألوفة المجهولة،

المعروفة المأولة، الباطنة الظاهرة، المستورة السافرة، الجامعة للتضاد، بل والمجمع أنواع التنافيات والعناد. ولا تقدر أن تعبر عنها بعبارة، ولا تشير إليها بإشارة، أكثر من قوله إني وجدتها وحصلتها، وبعد التعب والعناء ومعاناة الشدائد، وجدت هذه المشوقة أنا، وتبين لي أني الطالب والمطلوب، والعاشق والمعشوق، فما كانت هجرتي للذاتي، إلا في طلب ذاتي، ولا كانت رحلتي، إلا لمكاني، ولا وصولي إلا إليّ، ولا تفتيشي إلا عليّ، ولا كان تفريقي الأمني في الحيّ. فيقال له هل رأيت حبيبها. وشممت رباها، حتى قلت أنا إياها، فيقول رأيت وما رأيت، وما رميت إذ رميت، ويأتي بأوصافها عما تنبو عنه العقول، ولا تحتمله ظواهر النقول، ما طرق الأسماع، ولا طمعت في فهمه الأطماع، برفع الضدين تارة وتارة يجمعهما، ويجمع النقيضين ويضعهما، فيقال له هذا الذي تقوله ثبت عندك بدليل أو برهان فيقول لا دليل بعد عيان

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فيراجع فلا يرجع، ويغالط فلا يسمع، وحينئذ يحكم الناس عليه بالجنون والعته والسفه والبله، ويجهلونه ولو كان أعلمهم، ويسفهونه ولو كان أحلمهم، ويستحيون منه المرض في الطول والعرض، ويجعلونه مرمى غمزهم ولمزهم، ونبزهم ووكزهم، يهجره الحميم العاطف، ويقليه الصديق الملاطف، وهو مع هذا ناعم البال بما لديه، قرير العين بما حصل بين يديه، لا يلتفت إلى عذلهم وهجرهم، ولا يبالي بلومهم فيه وهجرهم، فلما تمت العروس، واجتلينا عروسها على المنصة، وما كاد أن ينقضي إعجابنا منها، واستقر إلينا طيبها، فانثالت لهم يا قوم السمر يعلمون إلى طلاع الثنايا، وسباق الكتيبة

الى معترك المنايا ؛ فانا آتيكم بحقيقتها ومجازها ، وأفك لكم المعنى من ألغازها أو أموت فاعذر ، ولا على إن لم أخبر ، فقال لى بعض الحاضرين من الحاضرين ، وكان ممن جرب هذا الأمر ، وعرف تجربة الدهر : ان صدقت لهجتك ، وهانت عليك مهجتك ، وأردت الوصول الى ذلك الجناب ، وقطع تلك الجبال والبحار والهضاب ، فاركب بسرا او غرابا ، وانه لا ينال ما قصدت الا من كان على الهمة قوى العزمة .

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

لا تصرفه صارف ، ولا تحركه العواصف ، جالس من الكلل الخليل مله النهار والليل ، أسد فى شجاعته ، خنزير فى حماقته ، كلب فى وقاحته ، اذنه صما عن العاذل ، وعينه عميا عن الهاجر والواصل ، فطريقى مطلوبات طامسة ، واعلامها دارسة ، بحرها تيار ، وهواؤها نار ، وأرضها مفاوز قفار ، أسدها كواسر ، وأغوالها عن أنيابها كواشر ، ماؤه مر ، جاهل العارف فيها جاهل ، والدليل الخريت بها ذاهل ، والنبيه فيها الخامل ، فقلت له : جهة أى الجهات ، فقال لى هيهات هيهات . لا تسل عنها عن ولا أين ، ولا يرشد اليها أثر ولا عين . فاعتمدت على الواحد الأحد ، لا ألوى على احد ، فررت فى طريقى على فرق من فرقى ، فرأيت منهم من هو باهت ، لا هو بالحاصل ولا الفائت ، وبين حائر واقف بالساحل من تلك المواقف ، وبين غريق فى لجج تلك البحار ، وتائه فى تلك المفاوز القفار ، وبين من نفقت راحلته ، وآخر دبرت زاملته ، وبين من يمشى على الرمل ، حافيا بلا نعل ، مررت على جماعة منهم فى بعض المعاهد فاذ تلوا الى وقصدوا

فبينا نحو المشعرين بنا، رجعت إلى الحسن ببيت واحد منها، وهو «أيا من نحن في أهب الجبال، وهو يخوضها ولا يبالي» ومازلت ممتطيا صهوتي السير والقرار، مقاسيا لنفسي كل مكروه، ومستعذبا لأنواع العذاب، لا اطمأن بي دار، ولا استقر بي قرار، إلى أن ظهرت لي الأعلام، التي ظهرت لمن قبلي من الوافدين الأعلام، ونادى المنادي، وحدا الحادي،

ابشر بوصلي فهذه العلامات   كم ذا البين ودون الوصل قد ماتوا

وأتى علي ما أتى عليهم، وثاب لدي ما ثاب لديهم، ولما وصلت حيث وصلوا، ووقفت على ما عليه حصلوا، طلبت الإباحة والجواز، إلى التقدم والجواز، وقد عرفت الحقيقة والمجاز، فقيل لي لا تتخطى رقاب الصديقين ارجع فما وراءه موقفات إلا القدم الخصوص، لا إثبات ولا ركض، وحين رجعت إلى الأصحاب، قالوا ما وراءك يا عصام، فقلت القول ما قالت حذام، ولكن يا قوم لا تعجلوا بالعتب واللوم، أرأيتم لو جاءكم عنين عديم حاسة الذوق، وقال عرفوني لذة الجماع ثم كنتم تعرفونه، هل ذلك تعلمونه، فقالوا لا سبيل إلا الذوق لنا هنالك، فقلت لهم وهذا من ذاك، فمنهم من سلم واعترف، ومنهم من لج وانصرف، وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلا، وأقوم قيلا، وعندما ينجلي الغبار، يبين راكب الفرس من الحمار

فلو رأيت الذي شاهدته عيانا   لكنت تعذرنا إذن أعاذلنا
وكنت تعلم كيف الأمر متضح   وكيف فانا الذي فانا وقيل لنا
وكنت تبكي دما تنول وأسفا   وتبذل الروح منك كي تواصلنا
تزول ما بي له شغل بفاقته   ترى أبا الفضل حيث الله فضلنا
وتوم نكراك يا مشؤوم حاول بكم   ما راعنا أبدا وفنا وهو تائبا

فنحن فى غبطة صفا الزمان لنا　　منعمون بما الآله خولنا
جمالنا بعلوم أنت تجهلها　　بها حبانا الذى أهدى وجملنا
عرفنا كل الذى وصفتمونا به　　ونحن أعرف منكم بانفسنا
بل نحن أعرف منكم بأنفسكم　　عرفنا منزلكم لم تدروا منزلنا
فأنتم عندنا أرواح طاهرة　　ونحن عندكم رجس أبالسا

يا صاح انك لو حضرت سماءنا　　وقت اشتغالها من لانتهائك
وشهدت ارضا زلزلت زلزالها　　الفت ما فيها والجبال دكادك
ونظرت ارضا بدلت وسماءنا　　وبرزخنا حللنا وكل هالك
وشهدت صعقتنا والآله (١) قائل　　الملك لى اليوم مالى مشارك
ثم الافاقه والمهيمن يلقى من　　آياته ونقول أنت مبارك
اشهدت شيأ لا يطاق شهوده　　وسمعت مالا منه تارك دارك
وعلمت أن القوم ماتوا حقيقة　　فلما أباح لهم حمام الهلاك

امطنا الحجاب فانمحا غيهب السوى　　وزال أنا وأنت فهو ولا لبس
ولم يبق غيرنا وما كان غيرنا　　انا الساقى والمسقى والخمر والكاس
تجمعت الاضداد فىّ واننى　　انا الواحد الاكبر والنوع والجنس
ولا تحتجب عما ترى متكثرا　　فما هو الا شخصنا الذات القدس
فما كنت ناظرا بنا أنت ناظر　　إلينا وإلا أنت أعمى به طمس
هو الدين توحيدى فلا تحسبن غيرى　　توحدنى تبرئنى هو الشرك الرجس
فما دمت غيرنا فأنت شريكنا　　وهل ثم سر ما أبانا به همس
وما دمت موجودا فشركك ظاهر　　فان لم تكن ورعا رحلى الحس

(١) وفى نسخة سرور بك

فغارق وجود النفس تظفر بالمنا ... وزايل ضلال العقل اذ أنه الحبس
وما توحيدي المعول قولا وإنه ... افعل فلا يغررك جن ولا إنس
وما هو الا أن نصير الى الفنا ... ونصعق لباس ثم روح ولاحس
نشاهد أحوال القيامة جهرة ... تهيالك الأكفان والغسل والرمس
هنالك نصبر موقنا وموحدا ... ونعرف ماهي الذنابة والرأس
وننفي الذي قد كان من قبل فانيا ... ويبقى الذى لازال قبل هو الأس
فان كنت ذا فأنت ذا الملك الذى ... له عنت الوجوه أصواتها همس

تجلى لي المحبوب من حيث لا ارى ... فاعجب به أراه من حيث لا أرى
ونمتى به فغاب رقيبنا ... وزال حجاب البين والجسم المرا
فصرت أراه كل حين ولحظة ... وقد كان غايبا وقد كان حاضرا
وما عرف الخلاق إلا بجمعه ... اضدين من كل الوجوه تنافرا
وواصلني فلا تناكر بعد ذا ... وقربني فكان سمعا وباصرا
أسر الىّ حيث لا ابين بسما ... بسر حكى لطف النسيم إذا سرا
ولاطفني بقوله الحق معلنا ... انى قد اخترتك قد اصطفيت بلا امترا
وباسطني بأما الله قائلا ... تمتع وكحّل بالجمال نواظرا
فقد طالما قد كنت تصبو الى اللقا ... وكان جمالي بالحجاب مسترا
وكم من شهيد مات بالشوق والفنا ... محب لذاك الحسن لو كان قدّرا
وكم من شهيد للغرام مشاهد ... لبعض الذي شاهدت مات فأقبرا
وذا قيس عامر تخبل نورنا ... في ليلى فصار والها متحيرا
لقد سمعت بالغزل منا عناية ... اليك تحدث عن عطاى مخبرا
وغني ودندن لاتمل لعهده ... وكن فرحا بالوصل لله شاكرا

غـلّ وقر عينـا وأنعم بوصلنـا ... أيحنـا لك الذى ترا حلّ مانرا
وتيه وتدلل أنت أهـل لـكل دا ... فمن له مثـل ذا يكن بذا أجـدرا
وقد شرب الحلاج كأس مدامـه ... فكان الذى قد كان منـه مسطرا
وإنى شربت الكاس والكاس بعده ... وكأسا وكأسا شيا ما انا حاضرا
ومازال يسقينى وما زلت قائلا ... له زدنى مابقلك قلبى مسعرا
وفى الحال حال السكر والمحو والفنا ... وصلت الى لا أين حقا ولا مرا
أنا الموسوي الاحمدي وراثه ... [illegible] وذلك طورنا [illegible] ماجرا

أوقات وصلكم عيد وأفراح ... يامن هم الروح لى والروح والراح
يامن اذا ا كتحلت عينى بطلعتهم ... وخدمت فى [illegible] الحسن [illegible]
دبت فى كل جوهره حبهم ... عقل ونفس وأعضا وأرواح
فما نظرت أبدا الى شىء بدا ... الا وأحبابى فى دونه لاحوا
نظرت حسن الذى لا حسن يشبهه ... ولا يروق القلب بعده ملاح
وليس طاقه الرؤيه لغيرهم ... [illegible]
عرفت فى حبهم دهرا وها أنا دا ... فى [illegible]
ما دا على من رأى يوما جمالهم ... ان [illegible] وأشباح
أجبـال مـكة لو رأت محبتهم ... [illegible]
شهب الدرارى مدى الازمان [illegible] ... [illegible]
لو كنت أعجب من شىء لاشى ... [illegible]
أريد كتم الهوى عينا وعنهم ... [illegible]
لاشىء يثنى عنانى عن [illegible] ... ولا [illegible] فى [illegible] وأرماح
قال المدول بكم سحر فقلت له نعم ... ودا [illegible] والسلاح

لازال يربو مع الآنات بي أبدا ولي به بين أهل العشق أمداح
ياعاذلي كن عذيري في محبتهم فان ولي بما تهواه مشحاح
إن الملام لأغراء وتقوية مهلا فانك مكثار وملحاح
إني لأهجر خلا لايحدثني عنهم وماله من تورانى الواح
شرع المحبة ماض في حكومته بصرم خل غدا من شجوني مرتاح
مسكين ماذاق طعم العشق مذ بدا وذاق من جملة الانعام سراح
مابات يرعى النجوم ساهرا قلقا اساويد الشوق في احشائه طاحوا
مادب في عظمه خمر الهوى أبدا ولا تشجيه من سعاد أرواح
فما نديمي ولا سميري غير فتى له لأخبارهم نشر وافصاح
لاكسب لي ولا شغل ولا عمل ففي حديثهم تجر وأرباح
ماجنة الخلد إلا في مجالسهم فيها ثمار وأطيار وأدواح
هوى المحب لدى المحبوب أين ثوى يرتاح مهما تهب منه أرواح
أود طول الليالي ان خلوت بهم وقد أدرت أباريق وأقداح
يروعني الصبح ان بدت طلايعه ياليته لم يكن ضوء وإصباح
لله بدا مشرق من حسن طلعتهم والدهر كله أنوار وأفراح
أسكن فؤادي وفز انعما شاكرا بالعفو ما زمت فر الناس أوساحوا
واطلب الملك في المزيد أن له خزاينا مالها قفل ومفتاح

أرى الذي افناني سعقانى امد يقوم برسمنا فيشمله الحد
لذلك أرى اسمه يماثل رسمنا يجيب اذا دعي لارد ولاجحد
فما بالهم يدعونه عبد قادر ولم يبق الا قادر ماله عبد
لقد باد من قد كان من قبل بأبدا وزال خيال الظل وارتفع البعد

وزال عن العقل المصون حجابه | فصار ضلالا مابراه له رشد
فلست أنا ذاك الذي تعرفونه | الا فاطلبوا من ذا تكلمكم قصد
ولستم أنتم الذين عرفتهم | فما عمروكم عمرو ولا زيدكم زيد
لقد ضاق صدري بالذي أنا واجد | وتعبيري مابقى فيبدو ولا يبدو
الا فاعذروا من ذاق أن ضاق صدره | كما أن من قد ذاق عاذركم نفد

لقد حرت في أمري وحرت في حيرتي | فأي الأمور ثابت هو لي أي
فهل أنا موجود وهل أنا معدوم | وهل أنا ثابت وهل أنا منفي
وهل أنا ممكن وهل أنا واجب | وهل أنا محجوب وهل انا مرئي
وهل أنا في قيد وهل أنا مطلق | ولست سماويا ولا أنا أرضي
وهل أنا في حيز وهل عنه نازح | وهل أنا ذا شيء وهل أنا لاشي
وهل أنا ذا حق وهل أنا ذا خلق | وهل عالمي غيب أو انى شاهدي
وهل أنا جوهر وهل أنا ذا كيف | وهل أنا جسماني او انى روحاني
وهل أدري من أنا في هذا تحيري | وهل أنا ذا ميت وهل انا ذا حي
وهل أنا مجبور وهل لي خبره | وهل أنا عالم وهل جاهل غي
وهل فاعل أنا وهل غير فاعل | وهل قدرتي تقال أو انا كسبي
وكنت أراني فاعلا ثم بعد ذا | رأيتني فاعلا به وذا بادي
ومن بعد ذا رأيته بي فاعلا | بعكس الذي قد كان والأمر ماوي
ولم يبق ذا وذا ولا ذاك باقيا | فلم يبق الا الله ما له ثاني
فان شئت فاثبت لي النواقص كلها | وان شئت فادفعها فأمرك لي علي
وأني حال السحق والمحو والفنا | رجعت لاطلاق لارشد ولا غي
وصرت الى حق وربي وغيبي | فلا خلق لاعبد ولا شي كوني

تجردت من ... ى ومن نفسى راويا ومن روحى حتى قبل أنى قدسى

أيا حيرتى وما الذى أصنع لقد ضقت ذرعا فما ينفع
أكاد ترابي منفطرا جواهرى مبثوثه أجمع
وطورا أذوب كثلج بما فآل الى أصله أنقع
وكلما واب هذا مخرج بسد عليّ فما أطلع
فان كنت غيرا أنا مشرك وان كنت عينا فهذا أفظع
وان كنت لاذا ولاذا أنا فكل النقيضان لا يرفع
وان كنت ذاك وذاك أنا فكل النقيضان لا يجمع
وأين تسميه لى طاهرا اذا لم يكن يرفه بالمع
وأين تسميه لى باطنا اذا كان هذا هو الدفع
وان كان لى طاهرا باطنا فقد جمع الضد لى مجمع
وكل العوالم طورا أنا أنا العالم الأكبر الأجمع
وطورا لا شيء يقال له فقير دعاه فلا يسمع
انادى مغيثا فلا منجد ولا من يجير ولا يدفع
فهل من دوا بهذا المضال وهيهات هيهات لامطمع
وكل طبيب شكوت له يقول فدا الداء لى الموجع
وأهرب من حيرتى كلما نوالت وكان لها المرجع
تحيرنى ما كنت كائنه وحتى القيامة لاتقلع
فاشكو الى سيرتى حيرتى فليس الى غيرها مفزع
وكم من كائن بهذا ابتلى وكل لقد ضم ذا المصرع
وباخيبة العقل فى سعيه على البين يسرى فلا يقشع

فأين الذى فوق عرش على ومن هو فى أسفل الأرض عو
ومن أينما نتولى فهو له ثم وجه له يرفع
ومن أينما كنا معنا لكن ومن تتحول فى صور فاسمعوا
فما بين هذا وذه وته عقول الورا انالها سمع
وتاهت فى بيداء مظلمة تجاهل أرواحها زعزع
سكارى وشتى مذاهبهم وكل يقول الىّ اهرعوا
فعندى النجاة وعندى الهدى وعندى السبيل وذا المهيع

أنا مطلق لا تطلبوا الدهر لى قيدا ومالى من حد فلا تبغوا لى حدا
ومالي من كيف فيضبطني الكم ولا صورة لا اعدو منها ولا بدا
ومالي شأن يبقى آنين ثابتا وان شؤنى لا انحلال بها عدا
ومالي من مثل ومالي من ضد فلا تطلبوا مثلا ولا تبغوا لى ضدا
ولا تنظروا غيرى من كل صورة فلا تنظروا غيرا ولا تنظروا زندا
ولا تطلبوا غيرى فما هو كائن سوى خيالات تسمون لها وجدا
وما هى الا سترة قد نصبتها لأنه عقل صور [illegible]
الا فانظروا الى الحبيب وفكروا فهل غيره ما صار صورته زيدا
فلا كائن الا أنا به ظاهر ولا كائن يكون لى أبدا وبدا
ولا باطن الا أنا ذلك باطن ولا ظاهر غيرى فلا أقبل الجحدا
فقل عالم وقل آله وقل أنا وقل أنت وهو اسم نعنى به ردا
تعددت الأسما وأنى لواحد ألا فاعبدونى مطلقا ربها فردا
أنا قيس عامر وليلى بعينها [illegible] وشوقا وبينهما ودا
أنا العابد المعبود فى كل صورة وحسبى أنا ربا ولكن أنا عبدا

فطورا ترانى مسلما أى مسلم   زهودا نسوكا خاضعا طالبا مددا
وطورا ترانى للكنائس مسرعا   وفى وسطى الزنار أحكمته شدا
أقول باسم الابن والأب قبله   وبالروح روح القدس قصدا ولا كبدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا   اقرر توراه وأبدي لهم رشدا
فما عبد العزير غيري عابد   ولا أظهر التثليث غيرى ولا أبدا
ولا أورى نار الفرس غير موري   وما قال بالاثنين الا أنا لحدا
انا عين كل شيء فى الحس والمعنى   ولاشيء غيرى فاحذر العكس والطردا

يامن غدا عابدا الفكره فقف   فأنت ياغافلا على شفا جرف
جعلت عقلك هاديا ونور هدى   أضلك العقل أبقى أنت فى تلف
نحت ربا كما تهوى وقلت به   ظلت تعبد ما خلقت فى شغف
صورته صوره بالوهم باطله   حكمت جورا عليه جور منعسف
حكمت عقلك فى الرب العظيم فما   تنفك تحكم فيه حكم ذى سرف
تقول انى كذا وليس هو كذا   الحق فى طرف وأنت فى طرف
قيدتم مطلقا لاقيد يحصره   القيد حد وليس الله كالهدف
وكذبت تذكر وصفه حقيقته   نفيت ماأثبت القرآن فى صحف
اولا توهم ان النقص يلحقه   لما نفيت فان النفى بعد بنى
الحق فى مشرق والعقل فى مغرب   شتان ما بين ذا وذا ولا تخف
عليك بالشرع فالزم دار بعثته   تحيشا سار سر وان يقف وقف
ان قال ليس كمثلي شيء قل هو ذا   أو قال لى أستوى فقل بذا كافى
سبحه نزهه فى التشبيه حتى ترى   منزها اخا تشبيه بلا جنف
لاشك آتيك يوم الطور تنكره   إذا تجلى بجمع الخلف والسلف

وتستعيذ عياذا منه جهلا فيا … خسارة العقل ياو بلاه من صدف
عندي من العلم لبه وجوهره … والناس أعينهم ترنو الى الصدف
قد قيدتهم عوائد وثبطهم … تقليد من يمشي نحو الظلمة السدف
فلو وجدت له أهلا لبحت به … مستخرجا كنزه المحفوف بالطرف
لكن أهله قد مضوا فلا طالب … تلقاه يسمو الى العلياء والشرف

أراني كلما توهمت سلوانا … أجد حشوا حشاي من الشوق نيرانا
نيرانا فلو أن البحار جميعها … بها صبت كان حرها ضعف ما كانا
يؤججها نسيم نجد إذا سرى … وتذكيها أرواح تناوح ألوانا
فلو أن ماء الأرض طرا شربته … لما نالني ري ولا زلت ظمآنا
وكلما قلت قد تدانت ديارنا … لاسلو عنهم زادني القرب أشجانا
فما القرب هو لى شفا ولا البعد … نافع ففى قربنا عشق يخلى هيمانا
وفى بعدنا شوق يقطع مهجتى … ولا تقطيع الخليل للشعر ميزانا
فيزداد شوقى كلما زدت قربه … ويزداد كلما بهم زدت عرفانا
فيا قلبي المجروح بالبعد والدنا … دواؤك عزّ لست تلقاه ههانا
ويا كبدى ذوبى أسى وتحرقا … ويا ناظري لازلت بالدمع غرقانا
أسائل عن نفسى فانى ضللتها … وكان الجنون مثل ما قالوا أوانا
أسائل من لاقيت عنى وانما … ولا [illegible] رحمانا ولا سكرانا
أقول لهم من ذا الذى هو جامعى … عليّ أ[illegible] له مدى الدهر أوانا
وأسأل عن نجد وفيه شعبى … وأطلال روض الرقمتين ونعمانا
منازل هن مرابعى ومصيفى … وما كنت الى أن [illegible] شدانا
ومن عجب ماهمت الا بمهجتى … ولا عشقت نفسى سواها وما كانا

انا الحب والمحب والحب جمله ... انا العاشق المعشوق سرا واعلانا
أقول انا وهل هنا غير من أنا ... فما زلت في أنا ولوها وحيرانا
ففي انا كل ماتؤمله الورى ... فمن شاء فرآنا ومن شاء فرقانا
ومن شاء توراة ومن شاء انجيلا ... ومن شاء مزمارا زبورا وتبيانا
ومن شاء مسجدا يناجيه ربه ... ومن شاء بيعة ناقوسا وصلبانا
ومن شاء كعبة يقبل ركنها ... ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا
ومن شاء خلوة يسكن بها خاليا ... ومن شاء حانة يغازل غزلانا
ففي أنا ماقد كان او هو كائن ... لقد صح عندنا دليلا وبرهانا

باحاديا قد تجلى ... كل مجلى له مجلي
انت مبدى كل باد ... انت ابدي انت أجلى
كل من في الكون أنتم ... أنت مولى كل مولى
جل ملك البارى تعالى ... ان نرى عنده مثلا
كل حسن مستعار ... من جمال قد تدلى
أي حسن أي حسن ... غير حسن قد تعلى
كنت قبل اليوم صبا ... اسأل المحبوب مبلا
فازال الستر عنى ... فبدالى الفصل وصلا
زادنى القرب احتراقا ... فانا بالوصل أصلى
عجبي من عشق نفسي ... ماأحبت غيرى أصلا
انس نفسي وغزلي ... وغرامى الا الا
انا معنى انا سامى ... انا هند انا ليلى
انا بدر انا شمس ... انا صبح قد تجلى

أنا نور أنا نار   أنا برق ضياء ليلا
انا كأس أنا خمر   أنا اسقي أنا أملي
كتب العشق زبورا   في فؤادي فهو تلا
كل يوم كل حين   كل آن فهو يملي
ما سباني الدهر وقتا   قد تقضى بالمعلا
من أنيس تهواه   وغزال قد تجلا
وحسنات غانيات   كحيلات ولا كحلا
وأسود ضاريات   تصرع الأبطال قتلا
كل نعماكم لذيذ   ونعيم الوصل أحلى
كل بلواي حقير   حيث كنتم بي اولى

يقولون لا تنظر سعاد ولا تلوا   وعد عن الآثار واقصد لمن يهوى
فإنك مكلوم الفؤاد متيم   اخو صبوة بل منها داؤك دا ادوا
ومن ملك الامل اليهم تصرفا   كأنك مملوك وفي الأمال ذا أسوا
فقلت أراني ما أرى غير من سبا   فؤادي ومن ما تعطف الغصن والالوا
نظرت اليه والمهجة تشتكي   نظرت اليها لا معتد بالاسوا
ولكن جمال من أحب بدا لي   وما أنا ذا أبدي اليه به الشكوى
يكلمني بالرمز من خلف ستار   وما كل ما أملت يبدو الذي يروى
فلا متكلم سواه مخاطب   ولا سامع الا له السر والنجوى
أخادعني أيامي ومنه تمنعا   فما عمري الا له في ولا عدوا
فيا ويح ما أمال النفس في الهوى   ولا أرتجي وصلا ولا أرتجي سلوا
فقل للذي ما ذاق طعم شرابنا   ولا حادي تحرنا مقيدا ولا دعوا

إليك فيما إنا ما خضنا أبحرا وتلك البحار بعدنا تركت رهوا

لا تحسبوا من حديثي حال عن عجب حديث قولي لا لغو ولا كذب
ولست جداتي وجداته وبعدها أنى تولد عن أمي وأي أب
وبعد ذا فالوجى بعد كوني أنا هو والذي البر وهو في صلب
وكنت من قبل في الديجور ترضعني بطاب الطهها الأمات لاترب
وأين بارزني الذي أقول خبروني ما جاوز الكون من عين ومن رتب

فيا نورا بلا شمس ويا شمسا بلا نور
ويا بحرا بلا ساحل وساحلا بلا بحر
ويا نكرا بلا عرف ويا عرف بلا نكر
ويا غيرا ولا عين ويا عينا بلا غير
ويا سترا بلا كشف ويا كشفا بلا ستر
ويا حجرا بلا أسل ويا أسلا بلا حجر
يا حيرتي يا دهشتي يا حرف ماله مقر
أقمت حيرتي حتى في حيرتي وفي أمري
وحار كل ذي كشف وذي عقل وذي فكر
وغاية الذي يبغي عرفناكم الى حسر

وما غير ان حققت بالغير والسوى هويته سمعي هويته البصر
هويته سلمي هويته قلبي هويته كلي لاتبقي ولاتذر
هويته رجلي هويته يدي هويته نفسي واني ماذكر
وما حلني ولا حللت انابه وكأنني مذ كنت فاسمع لي واعتبر
بما ذكر الالباب والعين واحد فما ثم الا الله لاعين الغير

فشيئان لفظ نحن والعين واحد　　فانت هو الانا وهو أنت فاذكر
يجيب اذا دعوت فهو الذي دعا　　كرجع الصدأ الثاني في الحس والأثر

ايا انا من اكون ان لم أكن انت　　وياأنت من تكون ان لم تكن انا
ما بالكم قلتم آله وعابد　　فكثرتم لذاك طاشت عقولنا
اذا رفعت من بيننا العين والانا　　فقد رفع الستر المفرق بيننا
وذلك حين لاأنا لك عابد　　ولاأنت معبود فزال حجابنا

أنا حق أنا خلق أنا عبد أنا رب　　أنا عرش أنا فرش أنا نار أنا خلد
أنا ماء أنا نار وهو أنا صلد　　أنا كم أنا كيف أنا فقد انا وجد
أنا وصل أنا فضل أنا قرب أنا بعد　　أنا ذات أنا وصف انا قبل انا بعد

أنا كون ذاك كوني انا وحدي أنا فرد　　لاشك أني مجبور وجابرني مجبور
بالعلم منه قيده لا تبديل لا تغيير　　والعلم ايضا تابع لمتبوع ومقصور
وكانا في قبضته مقيد ومحصور　　وان لوشئنا ولو أردنا فيه تخيير
ياحيرة العقل وياظلمة مالها نور　　والجبر لاعذر به لجاهل بالمغرور
سوى الذي عرفه كشفا فذاك مبرور　　فهو الامر الذي بعلم عندي ماسخور
وتنجو مثل من نجى　　والذنب منك مغفور

تنبيه

لا يخفى على الخبير بصناعة الشعر العربي ما خالف القواعد الشعرية التي أثبتناها آنفا من عدم انطباق كثير منها تمام الانطباق على اللغة العربية والصرفية وأثبتناها كما هي صدورها من المؤلف على أسلوب الجذب في الحالات وقد أثبتناها على علاتها بشكلها ووزنها بلا تصرف احتراما للمؤلف رضي الله عنه وسنجري على هذا المنوال في كل ما يأتي نظما من قبيلها في بقية الكتاب

لما انفتح الباب وارتفع الحجاب ، واجتمعت الأحباب ، على الشراب اللذيذ المستطاب ، رتب الأفراح ، حيث مادبت الراح ، وبعد أن طار السكر والمحو ونزل الحضور والصحو ، رأيت شمسنا طالعة ، مشرقة ساطعة والناس فى ظلمة وليل ، ومرج وويل ، فقلت مابال الناس ؛ فقيل انهم فى عمى وإفلاس ، وما لكم ولهم إنهم عالم وأنتم عالم ؛ والله غالب على أمره الحاكم العزيز العالم ، انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله وحده)

(الموقف الاول)

قال الله تعالى : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، هذه الآية الكريمة تلقيتها تلقيا غيبيا روحانيا ؛ فان الله تعالى قد عودني ، أنه مهما اراد أن يأمرني ، أو ينهاني ، أو يبشرني ، أو يحذرني ، أو يعلمني علما ، أو يفتيني فى أمر استفتيته فيه ، الا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ، ثم يلقي الي ما أراد باشارة آية كريمة من القرآن ، ثم يردني الى فارجع بالآية قرير العين ، ملآن اليدين ، ثم يلهمني ما أراد بالآية ، وأتلقى الآية من غير حرف ولا صوت ولا جهة ، وقد تلقيت والمنة لله تعالى ؛ نحو النصف من القرآن بهذا الطريق وأرجو من كرم الله تعالى ان لا أموت حتى استظهر القرآن كله (١) فانا

(١) أخبر سيدنا المؤلف حفظه الله تعالى ومتعنا بطول حياته بعد السؤال من الله سبحانه وتعالى فاستجاب دعاءه فاستظهر القرآن كله

بفضل الله محفوظ الوارد ، في المصادر والموارد ، ليس للشيطان على سلطان ، اذ كلام الله تعالى لا يأتي به شيطان ، ما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ؛ وكل آية تكلمت عليها انما تلقيتها بهذا الطريق الا ما ندر ، وأهل طريقنا رضي الله عنهم ما أدعوا الاتيان بشيء في الدين جديد وانما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد ، وساعدهم الخبر المروي ، انه لا يكمل فقه الرجل حتى يري للقرآن وجوها كثيرة ، والخبر الآخر إن للقرآن ظهرا وبطنا ، وحدا ومطلعا ، رواه بن حبان في صحيحه ، والاثر الوارد عن ابن عباس ، رضي الله عنهما أنه قال : ما حرك طائر جناحيه في السماء الا وجدنا ذلك في كتاب الله ، ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ؛ وفي الصحيح عن علي كرم الله وجهه ، انه قيل له هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل البيت بشيء دون الناس يعني من العلم ، فقال لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة الا أن يكون فهما أعطيه رجل في كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة ، وما في هذه المواقف من هذا القبيل ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ومن أراد نيلها وصدقهم ، فليسلك طريقهم ، وان القوم رضي الله عنهم ، ما أبطلوا الظواهر ، ولا قالوا ليس المراد من الآية الا ما فهمنا بل أقروا الظواهر على ما يعطيه ظاهرها وقالوا فهمنا شيئا زائدا على ما يعطيه ظاهرها ، ومن المعلوم أن كلام الحق تعالى على وفق علمه ، وعلمه تعالى محيط ومتعلق بالواجب والممكن والمستحيل ، فغير بعيد ان يكون مراد الحق تعالى من الآية ، كل ما فهمه أهل الظاهر وأهل الباطن وما لم يفهموه ولهذا نرى كلما جاء أحد ممن فتح الله بصيرته ، ونور سريرته ، يستخرج من الآية والحديث معنى ما اهتدى اليه من قبله ، وهكذا الى قيام الساعة وما ذلك الا لاتساع علم الحق تعالى ، فانه سبحانه

ومرشدهم ، فنقول فى هذه الآية مع قلة حروفها من الاعجاز مالا يعبر عنه بحقيقة ولا مجاز فهى بحر زاخر ، ماله أول ولا آخر ، فكل ماألفه المؤلفون من احكام الدين والدنيا داخل تحت إشارتها بالاثنينا ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملة الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فانه اعطاه ومنعه ، ونصره وخذله ، وسلط الاعداء عليه ، وجعل الحرب دولا تارة له وتارة عليه ، وقربه وبعده أخرى ، وأجاب دعاءه ورده أخرى ، تارة يقول له ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ، فان قوة الكلام تعطى ان المراد ماأنت اذ أنت ، ولكن انت الله ، ومرة يقول له انك لا تهدي من أحببت ، ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم ، انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ، اذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم ، أفأنت تنقذ من فى النار ، وما أنت عليهم بجبار ، فانزله تارة منزله نفسه العلية ، وتارة منزله العبد الحقير ، ويدخل تحت هذا القسم من العلم بالله تعالى وصفاته وغناه عن مخلوقاته وافتقارهم اليه ، ومن العلم بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما يجب لهم ويجوز ، ويستحيل فى حقهم وحكمة الله فى مخلوقاته وترتب الآخرة على الدنيا مالا يحصى ولا يستقصى من العلوم ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملته صلى الله عليه وسلم لربه ، من تحقيق العبودية والقيام بحقوق الربوبية ، والفقر اليه ، وتوكله فى كل اموره عليه ، والاستسلام لقهره والرضى بقضائه ، والشكر لنعمائه ، والصبر على بلائه ، ويدخل تحت هذا القسم جميع العلوم الشرعية ، عبادات ، وعادات ، ومنجيات ، ومهلكات ،

وهي علوم لا يبلغها عد، ولا تحد بحد، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، أي بالنظر الى معاملة الخلق له صلى الله عليه وسلم، فانهم بين مصدق ومكذب، ومحب، ومبغض، وآذوه صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل وباشروه بكل مكروه دون القتل، شجوا وجهه الشريف، وكسرت رباعيته وتحزبت عليه الاحزاب، واسلمه الحميم، وما زاده ذلك الا بصيرة في امره، وشدة في حاله، ويدخل تحت هذا القسم من شمائله صلى الله عليه وسلم واخباره، واخبار الانبياء عليهم السلام واخبار العارفين بالله، وماذا لقوا من المكذبين لهم، مالا يدركه ضبط، ولا يبلغه ربط، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، أي بالنظر الى معاملته صلى الله عليه وسلم للخلق، من محبتهم، وارادة الخير لهم، حتى قال له ربه لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين، والصبر عليهم، ورؤية وجه الحق تعالى فيهم، ظلموه فعفا، وحرموه فاعطى، وجهلوا عليه فاحتمل، وقطعوه فوصل، وقال اللهم اغفر لقومي، فانهم لا يعلمون، دفع السيئة بالحسنة، وقابل كل مكروه بالاضداد المستحسنة، تخلقا بالاخلاق الالهية وتحققا بالاسماء الرحمانية، فانه لا أحد اصبر على اذى سمعه من الله، ويدخل تحت هذا القسم من مكارم الاخلاق وحسن الشمائل، وعلوم سياسة الدين والدنيا، التي بها نظام العالم وعمارته، وسعادة السعد أما لا تضبطه الاقلام، وتكل دونه الاوهام، فيجب علي المريد، بل والعارف ان يجعل هذه الآية قبلته في كل مكان، ومشهده في كل زمان، فان أحواله لا تخرج عن هذه الاربع حالات، ولعلها هي الصراط المستقيم الذي قعد عليه الشيطان لابن آدم، والاربع الجهات فانه حلف لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم

لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم ، وعن ايمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين فمن قام بما دلت عليه الآية الكريمة فهو من الشاكرين وليس عليه سلطان للشياطين

(الموقف الثاني)

قال الله تعالى ، وإياك نستعين ، ظاهره يعطى ان العبد قادر على بعض الفعل ، وعاجز عن بعضه ، لان لكل من المتعاونين نسبة فى الفعل ، أي الحاصل بالمصدر ، فاعلم ان مخاطبة الحق تعالى لعباده فى كتبه المنزلة ، وعلى السنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، انما جاءت على حسب مبلغ علم عامة العباد ، ومنتهى عقولهم وما أدت اليه بديهتهم ، ولما كان عامة العباد يتوهمون ان لهم وجودا مستقلا مباينا لوجود الحق ، حادثا أو قديما ، تركهم الحق على وهمهم لان حالتهم التى هم عليها لا تحتمل اكثر من ذلك ، ولحكم هو يعلمها ، وخاطبهم على أن لهم وجودا كما زعموا ، واضاف لهم الافعال والتروك ، والقدرة ، والمشيئة ، وغير ذلك على حسب دعواهم فقال لهم افعلوا واتركوا . اقيموا الصلاة ، لاتقربوا الزنا ، سيرى الله عملكم ، ورسوله ، ان يترك اعمالكم ، من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ونحو ذلك ، ومن المعلوم البين ان القدرة على الفعل والترك والمشيئة وسائر الادراكات تابعة للوجود ، فما لا وجود له ، لا فعل ولا ترك ولا ادراك له ، والانسان وكل ممكن لا وجود له ، مستقلا لا قديما ولا حادثا برهانا وكشفا ، أما الكشف فالعارفون مجمعون على هذا ، واما البرهان فلأنه لو كان لممكن ، أى ممكن كان وجود مستقل مباين لوجود الحق تعالى ، فوجوده عارض لماهيته ، والفطرة السليمة قاضية بديهة بان ثبوت كل صفة لموصوف ، فرع

ثبوت الموصوف فى نفسه ، فالممكن على هـذا ممتنع الوجود اذ لو وجد لـكان وجوده عارضا لماهيتـه ، وعروض الوجود له متفرع على وجوده اولا ، فهذا الوجود السابق اما أن يكون عين اللاحق ، أو غيره ، والاول مستحيل ضرورة تقدم الشىء على نفسـه ، والثانى مستحيل ايضـا لانـا نحول الـكلام الى الوجود السـابق ، فيلزم الدور او التسلسل وكلاهما محال ، ولما كان خطاب الحق عباده انما هو على حسب تخيلهم ، وغشية لدعواهم ، وكان الأمر دائرا بين ماتوهمته عامة الخلق و بين ماهو الأمر عليه فى نفسه ، جاءت نسبـة الافعال الصادره من العبـاد فى بادىء الرأى ونظر العقل ، متنوعة مختلفة فى الـكتاب والسنة ، فمرة جاءت منسوبة الى الله بالانسان ، كما فى قوله تعالى ، قاتلوهم يعذبهم الله بايديـكم ونحوه ، ومرة منسوبة الى الانسان بالله ، كما فى قوله تعالى ، كم من فئـة قليلة غلبت فئـة كثيرة بأذن الله ونحوه ، وتاره منسوبة الى الانسان وحده ، كما فى قوله تعالى ، اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه ، تارة نفاها عن الانسان صراحة ، كما فى قوله تعالى ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا فلم تقتلوهم ، ولـكن الله قتلهم ونحوه وقوله تعالى ، واياك نستعين ، جاء أمرا وخطابا على ما توهمته العامة ، لأنه لولا توهم العبـد ان له قدرة على بعض الفعـل ، ما طلب العون على البعض المعجوز عنـه ، فان قلت قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، وظاهر هـذا ينافى ما قلت من أن علة التكليف هى الدعوى ، قلت العبادة التى خلق لها الجن والانس ، هى العباده الذاتية كسائر المخلوقات ولا شك ان للجن والانس عبادة ذاتية ، والعبادة التى قلنا سببها الدعوى ، هى العبادة التكليفية التى نشأت من اجتماع النفس الناطقة بالجسم العنصرى .

(الموقف الثالث)

قال تعالى ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره من أمته ، اياك أعني واسمعي يا جارة ، ومثله في القرآن كثير ، وهو أمر لمن كان من المؤمنين من وراء الحجاب ، وفى الحالة العامية أن يسبح الحق تعالى أي نزهه بتنزيه العقول ، ويعتقد عقيدة العموم وأن يسجد له تعالى ويعبد ربه وهو الوجه الذي تعرف الحق تعالى به للعبد ، فان لكل مخلوق اسماء من أسماء الحق تعالى ، هو الواسطة بين الحق تعالى والعبد ، ولا يعرف العبد الحق تعالى الا من طريقه ، ولا يعبد العبد من الحق تعالى الا ذلك الاسم ، ولو تجلى الحق تعالى للعبد بغير مقتضى ذلك الاسم ما عرفه ، بل ينكره ، ويقول له لست ربي ويتعوذ منه ، لان العامي لا يقدر أن يعبد الحق مطلقا ولا يعرفه في جميع تجلياته ، فامر الحق تعالى أن يعبد ربه بأنواع العبادات الشرعية ، والوظائف السنية ، ويتقرب اليه بنوافل الخيرات والحكمة في الامر بملازمة التسبيح والتنزيه والسجود والعبادة ، هو أنه ربما سمع العامي المحجوب أحوال العارفين بالله وكلامهم ، وما منّ الله تعالى عليهم به من العلوم الوهبية ، والاسرار الربانية ، فيتعلق بذلك على غير وجهه ، وطريقه الموصل اليه ، ويترك ما بيده من الاعمال والوظائف الشرعية ، فيهلك ويبقى لاهو بالغائب ولا بالحاصل ويتشبه بهم في أحوالهم الباطنة الخاصة بالكاملين ، ويتكلم بكلماتهم في وحدة الوجود ، ومثلها من المسائل المشكلة من غير سلوك طريقهم ، على وجهه المعروف عندهم فنصح الحق عباده وأمرهم بالتمسك بما عندهم ، والعمل به

والخير يجر بعضه الى بعضه ، كالغيث يكون قطرة ثم ينهمل ، فاذا عمل العبد على أمر الحق له ، وواظب على أنواع النوافل أحبه الله ، فاذا احبه كان سمعه وبصره ولسانه ويده وجميع قواه ، وهو المراد باتيان اليقين بمعنى الكشف ، وزوال الغطا عن حقيقة الأمر ، وباطنه ، وان الحق هو قوى العبد جميعها ، وحينئذ يعرف العبد من هو المسبح والساجد ، والعابد ، وما فائدة السجود والعبادة ، وما علتها الغائية ، وانه ليس المقصود من التكاليف الشرعية الا انها اسباب وأدوية لرفع الحجاب عن وجه الأمر ، وبعد فتح الباب ، ورفع الحجاب ، يزيد العبد تعظيما للأوامر الشرعية ، والتزاما لها لانه ماراء كمن سمع ويكون إتيانه بالعبادات بعد رفع الحجاب على طريق أعلى وأفضل ، وعلى وجه أعدل وأكمل ، لامناسبة بينه وبين إتيان العبادات الأول ، وكل من ادعى أنه شم رائحة من طريق أهل الله تعالي ، ولم يزدد للشرع تعظيما ، وللسنة اتباعا ، فهو مفتر كذاب .

(الموقف الرابع)

قال تعالى ، بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ، كنت ليلة بالمسجد الحرام قرب المطاف ، متوجها للذكر وقد نامت العيون ، وهدأت الاصوات ، جلس بالقرب مني يمينا وشمالا ، أناس ، وجعلوا يذكرون الله تعالي فخطر في قلبي أننا أهدى سبيلا الى الحق تعالي ، فبعد الخاطر بقريب آخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي ، ثم القى الي قوله ، بل كانوا يعبدون الجن ، فعلمت أن عبادتهم كانت مشوبة بأغراض نفسية ، وحظوظ شهوانية ، وأقول تبعا للمحققين من أهل الله تعالى أن كل من عبد الله تعالى خوفا من النار ، أوطلبا للجنة ، أو ذكر الله تعالى لتوسعة رزق

مثلا ، أو لصرف الوجوه اليه ، وهو الجاه ، أو لدفع شر ظالم ، أو سمع فى الحديث من فعل . العبادة الفلانية أو ذكر الذكر الفلانى ، أعطاه الله تعالى كذا وكذا من الأجر فهذه كلها عبادة معلولة ، ليست عند الله مقبولة ، إلا بالفضل والمنه ، الا أن تكون هذه الأشياء المذكورة ، غير مقصوده ، بأن كان خطورها تابعا لا حاملا ، فلا بأس ، قال تعالى ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، وهذه الأشياء المذكورة كلها أحاد فهى شركاء ، والحق تعالى أغنى الشركاء عن الشرك ، فالحق تعالى أمر عباده أن يعبدوه ، مخلصين له الدين ، أى العبادة والجزء بأن لا يطلبوا جزاء الا وجهه ، وهو يهبهم الأجور والدرجات ، ويقيهم جميع السيئات والمكروهات ، وأن كل ما سوى الحق اذا قصد مع الحق فى العبادة فهو شريك ، والشريك معدوم مستور ، اسم بلا مسمى ، واليه يشير قوله ، بل كانوا يعبدون الجن فان الجن من الاجتنان وهو الاستتار ، وكل ما سوى الله تعالى فهو مستور بستر العدم وان ظهر المحجوبين موجودا ، والعاقل لا يراعى العدم ، ولا يقصده بالعمل كما أنى أقول ، والله تعالى القائل على لسانى ، أن كل من لم يسلك طريق القوم ، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاص ، ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق ، واختفاء ، وأكثرهم تدقيقا وبحثا عن دسائس النفوس ، وخفايا العيوب ، فاذا رحمه الله تعالى عرفه نفسه صح له الاخلاص ، وتصير الجنة والنار والأجور والدرجات وجميع المخلوقات كأن الله ما خلقها فلا يعظمها ولا يعتبرها الا من حيث اعتبرها الحق تعالي شرعا وحكمه لأنه حينئذ يعرف الفاعل من هو فليس

العبد فاعلا ، خالقا لأفعاله الاختيارية كما ينسب الي المعتزلي ولا ان العبد فاعل مجبور ، كما يقوله الجبرى ولا ان له جزأ اختياريا، به يسمى العبد فاعلا كما يقوله الماتريدى ، ولا ان العبد له كسب بمعنى وقوع الفعل بارادته واختياره ، لا خلق ولا جبر ، ولكن أمر بين أمرين كما يقوله الأشعرى ، ولأن تأثير الحق تعالى في عين الفعل ، وتأثير العبد في صفته من كونه طاعة أو معصية كما يقوله امام الحرمين ، ولا كما يقول جميع الطوائف من الحكماء والمتكلمين ، وأما نسبة الفعل الي العبد شرعا وترتيب الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية، فمن وجه آخر ذكرناه في بعض هذه المواقف.

(الموقف الخامس)

قال تعالى ، انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون ، اعلم ان للحق تعالى ارادة واحدة لها نوعان من التعلق ، نوع مطلق غير مقيد ، ولا واسطة بينه وبين المراد ، وامر كذلك ، وهذان نافذان ولا بد ، اعنى الارادة المطلقة ، والامر المطلق ، يريد تعالى الشيء المعدوم ، فيأمره بالكون فيكون ، ذلك الشيء المأمور بالكون ، سواء كان مما ينسب لمخلوق أم لا ، وللحق تعالي اراده مقيدة بواسطة وأمر ، كذلك كأن يريد الحق تعالى من مخلوق فعلا يفعله ذلك المخلوق ، او يأمره بشيء يفعله فهذه الارادة والامر لا ينفذان ، لانه اراد المخلوق يفعل ، وأمر المخلوق يفعل ، وما أمر الشيء بالكون في ذلك المخلوق ، ومن البين المعلوم ان مراد الحق تعالي من عباده جميعا الايمان والطاعة ، وأمرهم بذلك فلو تعلقت ارادته المطلقة وأمره المطلق ، بوجود الايمان والطاعة في الجميع ، لكان ذلك موجودا لانه قال ، انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، ولما كان الامر ، والارادة

متوجهين للجميع . وما حصل متعلق الارادة والامر من الجميع ، بل من البعض علمنا أن بين الارادتين والامرين فرقانا ، وان ماأراد كونه فينا من الافعال والايمان والطاعة ، وأمره بالكون فينا كان ، شئنا أو أبينا وما اراد كونه منا ، اوامرنا نحن نفعله وكله الينا لاغير ، فهذا لايكون مثل لإيمان أبي بكر رضي الله عنه ، أراد الحق تعالى كونه في أبي بكر ، وامر الايمان بالكون في أبي بكر ولذلك ما تخلف ، وإيمان ابي جهل أراد الحق تعالى في ابي جهل تكوينه ، وأمر أبا جهل بتكوينه ، فلم يكن ، فبين اراد به ، وأراد منه ، وأمر به وأمره فرقان ، والحاصل ان الامر امران أمر الشيء المطلوب كونه بالكون فهذا لابد ان يكون ، وامر المكلف بتكوين الفعل منه ، فهذا لايكون ، كما ان الارادة نوعان ارادة متعلقة بالفعل نفسه ، فهذه نافذة الوقوع ، وارادة متعلقة بالفاعل ان يفعل ، فهذه غير نافذة التعلق الااذا جامعتها الارادة الاخري ، ولما غفل المنزله عن هذا الامر ، وما انكشف لهم هذا السر ، جعلوا للارادة تعلقا واحدا ، وللامر كذلك ، وقالوا لا يأمر الحق تعالى الا بما يريد كونه وايجاده ، وقالوا ايمان ابي جهل مأمور به مراد الله تعالى ، فلزمهم تخلف مراد الله تعالى ، بل وقوع مالايريده تعالي في ملكه ، واما رد الاشاعره على المنزلة بان الانسان في الشاهد قد يأمر بما لا يريد وقوعه ، فهو أعلى ماوصلت عقولهم اليه ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله على أن المحققين من الأشاعره ضعفوا قياس الغايب على الشاهد

(الموقف السادس)

كان الحق تعالى لحقيقته يقول انا ، والعبد لجهله يقول انا ، والعبد يقول

هو لشهوده من ربه البعد ، والرب يقول هو لكون ذلك مشهود العبد ؛ فلما تنفس صبح العناية ، وجعل منادي الهدايه ، وأشرقت الست (١) والخمس (٢)، باشراق الشمس، زال الهو من البين، والتبس انا بانا عينا بعين من غير امتزاج ولا اتحاد ولا حلول، اذ الكل في طريقنا وتوحيدنا معزول، فليس عندنا الا وجود واحد ، هو عين وشرط الثلاثه عند الثلاثه تعدد الوجود والعين ، فلا يكدرون صفو فنا بجعجعتهم ، ولا يروعوننا بعمعمتهم .

(الموقف السابع)

اخذني الحق عني، وقربني مني، فزالت السماء بزوال الارض ،وامتزج الكل بالبعض ، وانعدم الطول والعرض ، وصار النفل الى الفرض ، والانصباغ الي المحض ، وانتهى السير، فانتفى الغير ،وصح النسب ، باسقاط الاضافات والاعتبارات، والنسب، اليوم اضع انسابكم وارفع نسبي (٣) ، ثم قيل لي مثل قولة الحلاج ، غير ان الحلاج قالها وانا قيلت لى ، ولا أقولها ، وهذا الكلام يعرفه ، ويسلمه اهله ، ويجهله وينكره ، من غاب جهله

(الموقف الثامن)

قال تعالى ، وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون ، أى ليعرفون باجماع المحققين ، من أهل الله تعالى ويؤيده الخبر الوارد ان في بعض الكتب المنزلة كنت كنزا مخفيا لم أعرف ، فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق خلقا وتعرفت اليهم، في عرفوني ، وقال ، وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه، أى حكم فما خلقهم الا ليعرفوه فلابد ان يعرفوه المعرفه الفطريه التي فطر الله الناس عليها فالحق ما جهله أحد من هذا الوجه ، وحكم ان

---

(١) أسماء الجهات (٢) الحواس (٣) وفى نسخة : أرفع أسابكم وأضع نسبي

لا يعبدوا الا إياه ، فلا يعبدون ابدا سواه لان حكمه نافذ لا يرد. ولا بغالب وانما تفاوتت معرفتهم ، لتفاوت عقولهم ، وانما تفاوتت عقولهم ، لتفاوت استعداداتهم ، والاستعدادات لا تعالى لانها قديمة غير مجعولة ، فهي فيض اقدسي ذاتي ، ما تخللته صفة من الصفات ؛ ولما تعددت ظهورات المقصود بالعبادة تعددت الملل والنحل ، لان المقصود بالعبادة التعظيم ، والذلة والخضوع من كل عابد ليس الا من يملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والرزق والخفض والرفع ، وهذه الصفات في نفس الامر ليست الا لفرد واحد وهو الحق تعالى ، وهو غيب مطلق ، فكل عابد صورة من شمس وكوكب ، ونار ونور ، وظلمة وطبيعة ، وصنم وصورة خياليه وجن ، وغير ذلك ، يقول في الصورة التي عبدها انها صورة المقصود بالعبادة ، ويصفها بصفات الآله ، من الضر والنفع ، ونحو ذلك ؛ وهو محق من وجه ، لولا أنه حصره وقيده ، فما قصد عابد بعبادته للصورة التى عبدها الا الحقيقة المستحقة للعبادة ، وهو الله تعالى ، وهو الذى قضى به الله وحكم ، ولكنهم جهلوا ظهورها المطلق الذي لا يشوبه تقييد ولا حصر ، فجهلوها على التحقيق ، وعرفوها في الجملة ، وهي المعرفة الفطرية ، فكل من عبد الحق تعالى ما عدا الطائفة المرحومة طائفة العارفين ، انما عبده مقيدا محصورا محكوما عليه لانه عرفه هكذا ؛ حتى طوائفة المتكلمين ، فانهم حكموا عليه بانه على كذا ، ولا يصح ان يكون على كذا ، وينبغي ان يكون على كذا ، وليس هو على كذا ، حكموا عقولهم في الحق والعقل ليس عنده الا التنزيه الصرف ، والتوحيد الشرع الذى جاءت به الكتب والرسل عليهم الصلاة والسلام ، تنزيه وتشبيه ؛ ولا شك ان المتكلمين من سني ومعتزلي ، ما حكموا

على الحق تعالى بما حكموا من اثبات وسلب ، الا بعد تصوره بصورة عقلية خيالية ، فان الحكم فرع التصور ضرورة وان قال المتكلم، ليس للحق تعالى في عقلي صورة، فهو إما جاهل بالتصور ماهو، واما مغالط مباهت، ولذلك تجدهم بعد حكمهم بما حكموا به يقولون كل مايخطر ببالك، فالله تعالي مخالف لذلك؛ مقصودهم بهذا الكلام تبرؤهم مما قالوا وقولهم هذا أيضا حكم تلزمهم التبرئة منه ، فكل طائفة من الطوائف تحصر الحق تعالى في معتقدها ، وتنفي ان يكون للحق تعالى تجلي وظهور علي خلاف عقيدتها فيه ، وهذا هو سبب انكار المنكرين للحق تعالي ، وتعوذهم منه يوم القيامة ، فقد ورد في الصحيح ان الله تعالى يأمر ان تتبع كل أمة ما كانت تعبد وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة لايعرفونها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتي يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيتحول لهم في صورة أخري يعرفونها فيقولون أنت ربنا الحديث بمعناه، والصور المذكورة في الحديث والتحول انما هي ظهورها آت للحق تعالى بما يريد ان يظهر به وهي اعدام لاحقيقة لها ولا وجود الا في ادراك الناظر ، والحق تعالى على ماهو عليه قبل الظهور والتجلي لايلحقه تغيير عما هو عليه كسائر تجلياته في الدنيا والآخرة ، ولقد صدقوا في انكارهم له اولا وفي اقرارهم به ثانيا والمتجلي واحد اولا وثانيا ، ولكن تجلى لهم أولا في صورة ما كانوا عرفوه عليها في الدنيا، ولا اعتقدوها ولا تخيلوه فيها وما عرفه كل واحد من المنكرين الا محصورا مقيدا بالصورة التي تخيله عليها في الدنيا ، وحكم عليه بانه لابد أن يكون كذا، ولا يكون كذا وماعرفه أحد منهم مطلقا غير محصور في معتقد ولا مقيد بصوره لا يتجلى بغيرها ،

فلما تجلى بالصورة أي الصورة التي كانوا تخيلوه عليها ، في الدنيا ، اقروا به انه ربهم وهو تعالى المتجلي أولا وثانيا ، فما عرف أحد من المنكرين المتعوذين الحق تعالى من حيث الاطلاق وانما عرفه من حيث تقييده بصورة معتقده صور تلك الصوره بعقله واعتكف عليها يعبدها ولولا اذن الشارع في تخيل المعبود وقت العبادة لقلنا لافرق بين من ينحت بيده ويصوره وبين من يصوره بعقله ، لكن الشارع اذن في الصورة الخياليه ، ومنع الصورة الحسية ، وهو الصادق الأمين ، قال في حديث الاحسان ، ان تعبد الله كأنك تراه أي تتخيله كأنه في قبلتك مثلا ، وأنت بين يديه حتى تتأدب في عبادته ، ويحضر قلبك فيها فالأمر ورد بهذا التخيل ربطا للقلوب في الباطن ، عن الخوض والتشتيت ، كما ربط الاجسام باستقبال القبلة في الظاهر ربطا للأجسام عن الالتفات والحركات ، وما أمر هذا المتخيل للحق تعالى ان يقيده عنده ولا يكون عند غيره ، وانه محصور في قبلته ، ولا يكون في قبلة غيره ولا أن يحصره في ذلك المتخيل دون غيره ، من الصور المتخيلات ، فانه تعالى مطلق في حالة التخيل عن التخيل ، فهو المطلق المقيد لانه عين المطلق والمقيد ، فهو عين الضدين والعارفون رضوان الله تعالى عليهم عند هذا التجلي والتحول في الصور في الآخرة ساكتون لا ينكرون ولا يعرفونه لاحد كما هم اليوم في الدنيا ، لأنهم عرفوه في الدنيا بالاطلاق الحقيقي ، حتى عن الاطلاق لانه الاطلاق قيد وعلموا أنه تعالى المتجلي الظاهر بكل صورة حسية ، أو عقلية ، أو روحانية ، أو خيالية ، وأنه الظاهر ، الباطن ، الأول ، الآخر ، فما انكروه في الدنيا ، ولا ينكرونه في الآخرة ، في أي تجل ظهر ولهذا قال بعضهم في العارفين هم غدا كما هم

اليوم ان شاء الله

(الموقف التاسع)

ورد فى صحيح مسلم ان الله تعالى يتجلى لأهل الموقف ويقول لهم أنا ربكم فيقولون له نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاءنا ربنا عرفناه ، سأل وارد الوقت عن التجلى الذى يكون أولا لأهل المحشر ويستعيذون منه المنزه والمشبه الا العارفين بالله تعالى ماهو فانه لوكان تجلي تنزيه لاقرت به المنزهة ولو كان تجلي تشبيه لاقرت به المشبهة وليس المعروف الا هاتين المرتبتين فكان الجواب أنه تعالى يتجلى فى ذلك اليوم بتجل جامع للتنزيه والتشبيه، على وجه لاتهتدى اليه العقول، ولا الكشف الآن وما عرف الحق تعالى الا بجمعه بين الاضداد ، بل هو عين الاضداد لا ان هناك عينا جامعة الاضداد ولذا كان لا تعرف للحق تعالي فى ذلك التجلى ويقربه الا الطايفة العارفة به الجامعة بين اعتقاد التنزيه والتشبيه فى الدار الدنيا ، وكل ماعداها من الطوايف فانه يستعيذ عن الحق تعالى ثم يتجلى لهم فى معتقداتهم فيه وتخيلاتهم له فى الدنيا فيقرون به ، ويعترفون له ، بالربوبية ، وهو هو المنكور أولا المعروف ثانيا فسبحان الواسع الحكيم

(الموقف العاشر)

قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ،هذا توقيف على كمال قدرته وبديع حكمته، وأنه تعالى يخرج الاشياء من اضدادها ، ويخفى الأمور فى اضدادها ، حتي لايعرج معرج الا عليه ، ولا يتوجه متوجه الا اليه ،فانه اخرج النار الحارة اليابسة ،من الخضرة الباردة الرطبة ، ولذا قيل

في معنى اسمه اللطيف انه الذى يخفى الاشياء فى اضدادها ، ولما اخفى يوسف الملك فى الرق ، قال ان ربى لطيف لما يشاء ، نبه بهذا عباده حتى لا يقفوا مع ظواهر الاشياء وما تدل عليه طباعها وصورها ، وحتى لا يقفوا مع علم ولا عمل ولا حال فان هذه كلها كسائر الاكوان ، يجب عدم الوثوق بها ، والاعتماد عليها ، فان الحق تعالى قد يخرج منها ضد ما تعطيه صورها عادة ، وحتى يعرفوا انفراده تعالى بالخلق والتدبير . وان فعله تعالى لا يتوقف على الاسباب العادية ولا العقلية ، وانما يفعل مع الاسباب اذا أراد لحكمته ويفعل مع فقدها اذ أراد لقدرته فهو الفعال لما يريد يخرج الخير مما صورته شر ، ويخرج الشر مما صورته خير ، كما هو مشاهد لكم ، فكم أخرج منة من محنة ، ومحنة من منة ، لا إله الا هو الواسع الحكيم

(الموقف الحادى عشر)

قال تعالى ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين ، وقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ما رفع شيئا فى الدنيا الا وضعه ، ونحو هذا من الآى والاخبار الدالة على وجوب اشياء على الحق تعالى فلا نفهم من هذا الحقيقة المعروفة فى العرف ، والوجوب ، الذى يستحق فاعله المدح وتاركه الذم ، حتى يكون الحق تعالى داخلا تحت الحجر والحصر ، تعالى عن ذلك ، وانما الحق تعالى أخبرنا ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن هذه الاشياء وأمثالها اقتضتها مرتبة الالوهية اقتضاء ذاتيا لها لا مقتضى لها غيرها ، اذ لا يصدر من الحق تعالى شيء الا ولذلك الشيء اسم الهى اقتضى صدور ذلك الشيء كائنا ما كان ، فالألوهية نسبة ومرتبة لها أحكام وخصوصيات لا بد منها لتحقيق المرتبة ، والحق تعالى

مختار فى كل فعل وترك لا مكره له ولا مقتضى ، الألوهية من ألوهيته ، أعني مرتبته كأن يفعل الملك مثلا أشياء من لوازم المملكة ومقتضياتها ، فيرى السوقة أن الملك تكلفها وألزم نفسه ما ليس بلازم عليه ، وما يدرى السوقة أن رتبة المملكة أقتضت ذلك الفعل لذاتها ، لا لمقتض آخر خارج عنها ، ولو ترك الملك ذلك الفعل الذي اقتضته رتبة المملكة لما أكرهه غيره عليه ، ولكن ما تصح له رتبة المملكة بالحقيقة فان المرتبة تعزله فى نفس الأمر لنقص شيء من مقتضياتها ، وخصوصيتها ، ورتبة الألوهية ثابتة لله تعالي عقلا ونقلا ، ظاهراً وباطنا ، فهو يفعل ما تقتضيه ألوهيته من غير اعتبار شيء زايد على ذلك ؛ وقد تكلم أمامنا محي الدين على هذه المسئلة بغير هذا ، والكل من عند الله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا

(الموقف الثانى عشر)

قال تعالى ، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، انما خص الرجال بالذكر دون النساء لأنه تعالى ذكر الغدو والآصال ، وهو كناية عن ملازمة المساجد فى هذين الوقتين ، وهذا لا يكون من النساء غالبا ، والنادر لا اعتبار به ، ولا حكم له ، وقوله لا تلهيهم تجارة والتجارة أعم من البيع والشراء ، يقال فلان يتجر فى كذا وهو جالس فى بيته مثلا ممن أن بيعه وشراءه اذا باع واشترى يكون فيه ، وقد يكون فى دكانه أو سوقه يقصد البيع والشراء ، وما حصل منه بيع ولا شراء بالفعل فهو فى هذه الحالة وفى حالة ملابسة البيع والشراء ، غير ملهي عن ذكر الله ، وليس

المراد خصوص ذكر اللسان وانما المراد ان حركاتهم وسكناتهم كانت لله ، وفى الله وبالله . فكان لهم حضور مع الله تعالى ومراقبة ونية صالحة فى حالة بيعهم وشرائهم وتجارتهم وجميع تصرفاتهم وهو المراد بقوله تعالى ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، أى يكونون فى جميع أحوالهم وتصرفاتهم ، حاضرين مع الله تعالى مراقبين له كحضورهم معه ، ومراقبتهم له ، فى حال كونهم فى صلاتهم اذ من المعلوم أنهم كانت لهم ضروريات ، لا بد لهم من التصرف فيها ، ولذا قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ، وما قال لا يتجرون ولا يبيعون ، وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، أى حالاته وأوقاته والمراد أنه كان دائم الحضور والمراقبة لله اذ من البين أنه عليه الصلاة والسلام ، كان يأكل ويشرب وينام ويتصرف فى مصالح بيته ومصالح غيرهم من أصناف الخلق

(الموقف الثالث عشر)

قال تعالى ، سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ، الآية ، كنت مغرما بمطالعة كتب القوم رضى الله عنهم منذ الصبا ، غير سالك طريقهم ، فكنت فى أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم ، يقف أى يقوم منها شعرى ، وتنقبض منها نفسى ، مع ايمانى بكلامهم ، على مرادهم ، لانى على يقين من آدابهم الكاملة ، وأخلاقهم الفاضلة ، وذلك كقول عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، معاشر الانبياء ، أوتيتم اللقب ، وأتينا مالم تؤتوه ، وقول أبى الغيث بن جميل رضى الله عنه ، خضنا بحرا وقفت الانبياء بساحله وقول الشبلى رضى الله عنه

التلميذه ، اشهد أني محمد رسول الله ، فقال له التلميذ ، أشهد أنك محمد رسول الله ، ومثل هذا كثير عنهم وكل ما قاله القائلون المأولون لكلامهم ، لم تسكن اليه النفس ، الى أن منّ الله تعالى علي بالمجاورة بطيبة المباركة فكنت يوما في الخلوة متوجها ، اذكر الله تعالي ، فأخذ في الحق تعالي عن العالم ، وعن نفسي ، ثم ردني وأنا أقول ، لو كان موسى بن عمران حيا ، ما وسعه الا اتباعي على طريق الانشاء ، لا على طريق الحكاية ، فعلمت ان هذه القولة من بقايا تلك الأخذة ، واني كنت فانيا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أكن في ذلك الوقت فلانا ، وانما كنت محمدا والا لما صحح لي قول ماقلت ، الا على وجه الحكاية عنه صلى الله عليه وسلم ، وكذا وقع لى مرة أخري في قوله صلى الله عليه وسلم ، أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وحينئذ تبين لي وجه ماقال هؤلاء السادة ، أعني ان هذا انموذج ومثال لأنى أشبه حالي بحالهم : حاشاهم ، ثم حاشاهم ، ثم حاشاهم ، فان مقامهم أعلى وأجل ، وحالهم أتم وأكمل ، وكذا قال الشيخ عبد الكريم الجيلي ، كل من اجتمع هو وآخر في مقام من المقامات الكمالية ، كان كل منهما عين الآخر ، في ذلك المقام ومن عرف ماقلناه علم معنى قول الحلاج وغيره ، انتهى كلام الجيلي رضى الله عنه ، وقبل أن تصدر منى هذه المقالة كنت ثالث ليلة من رمضان متوجها للروضة الشريفة فحصل لي حال وبكاء فألقى الله تعالي في قلبي انه عليه الصلاة والسلام ، يقول لى أبشر بفتح ، فبعد ليلتين كنت اذكر الله تعالي فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتي وصارتا ذاتا واحدة انظر الى ذاتي فأرى ذاته الشريفة ذاتي فقمت فزعا مرعوبا فرحا فتوضأت ودخلت المسجد للسلام عليه صلى

الله عليه وسلم ثم رجعت الى الخلوة وجعلت اذكر الله تعالى فأخذني الحق تعالى عن نفسي وعن العالم ثم ردني بعد ان ألقى الي قوله ، الآن جئت بالحق ، الآية، فعلمت ان الالقاء تصديق للرؤيا ثم بعد يوم أخذني الحق تعالي عن نفسي كالعادة فسمعت قائلا يقول لي ، انظر ما أدركته حتى كتبته، بهذه السجعة الجناسية المباركة فعلمت ان هذه القولة تصديق للرؤيا السابقة والحمد لله تعالى ، وقد أمرني الحق تعالي بالتحدث بالنعم بالأمر العام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله، وأما بنعمة ربك فحدث، لأن الأمر له صلى الله عليه وسلم أمر لأمته ، الا ما ثبت اختصاصه به ، وأمرني بالخصوص مرارا باشارة هذه الآية الشريفة ، وأما بنعمة ربك فحدث

(الموقف الرابع عشر)

قال تعالى ، اهدنا الصراط المستقيم . ألقى عليّ وأنا في صلاة الصبح ان الهداية الى الصراط المستقيم جنس لا نهاية لأفراده ، لان الحق تعالى أمر عباده بطلب الهداية الي الصراط المستقيم في كل ركعة من ركعات الصلاة الفرضية والنافلة ، وفي غير الصلاة والهداية هي الدلالة على المقصود والصراط المستقيم هو صراط أهل معرفته تعالى ، ومعرفته تعالى لانهاية لها لأن معرفته هي معرفة كمالاته وكمالاته تعالى لانهاية لها ولذا قال بعض العارفين : السير الى الله تعالي له نهاية والسير في الله لانهاية له ، يشير الي هذا ، فالهداية المأمور بطلبها لا نهاية لها ، اذ من المحال انه تعالى ما أجاب أحدا من الطالبين للهداية بشيء من الهداية ومحال أنه أجابهم بجميع الهداية ، لأن الأمر بطلب تحصيل الحاصل محال ، فتبين أنه تعالي أجاب بعض الطالبين للهداية ببعض افراد الهداية وأمرهم بطلب الزيادة

منها على الدوام ، ولذا قيل لاهدى الخلق ، وقل رب زدني علما ، والمنعم عليهم هم الذين أراهم الحق تعالى حقائق الاشياء كما هي ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام فى دعائه ، اللهم أرني الأشياء كما هي ، فانكشف عنهم الغطاء ، وانقشع سحاب الجهل ، بطلوع شمس المعرفة لقلوبهم ، فعرفوا الحق والخلق ، معرفة يقين ، لايدخلها شك ، ولا تتطرق اليها شبهة ، حتي صار الغيب عندهم شهادة وهي الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وورثتهم السالكون طريقهم ، والمغضوب عليهم هم الطوائف الذين ماعرفوا معبودهم ولا تصوروه الا بصور محسوسة من نور ، وشمس وكوكب ، ووثن وصنم ، والضالين بمعني الحائرين ، لأن كل ضال حائر ، فهم الناظرون فى ذات الله بعقولهم من حكيم فيلسوفي ومتكلم ، فانهم ضالون حائرون ، فى كل يوم بل فى كل ساعة يبرمون ، وينقضون ويبنون ، ويهدمون ويجزمون بالأمر بعد البحث الشديد والجهد الجهيد ثم يشكون فى جزمهم ثم يجزمون بشكهم ثم يشكون فى شكهم وهكذا حالهم دائما بين أقبال وأدبار ، وهذه حالة الحائر الضال ، وقد نقل عن إمام الحرمين زعيم المتكلمين رضي الله عنه انه قال ، قرأت خمسين الفا فى خمسين الف وخليت أهل الاسلام وإسلامهم وعلومهم وخضت فى الذي نهى الشرع عنه وركبت البحر الخضم كل هذا فى طلب الحق وهروبا من التقليد والآن رجعت الى كلمة عليكم بدين العجائز فالويل لابن الجويني ان لم يدركه الله بلطفه ، ونقل عن فخر الدين الرازي امام المتكلمين انه قال عند الموت ، اللهم ايمانا كايمان العجائز ، ومن شعره يتأسف على ما فاته

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

الى آخر ما قال ، وأنشد محمد الشهرستاني في كتابه نهاية العقول وهو كتاب ما ألف مثله متكلم

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر الا واضعا كف حائر على ذقنه أو قارعا سن نادم

فهؤلاء فحول المتكلمين انظر الى حيرتهم وضلالهم فكيف تكون حالة من دونهم ولهذا ترى طوائف المتكلمين يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا بخلاف أهل الله تعالى العارفين به فان كلمتهم واحده فى توحيد الحق وأمرهم جميع كما قال تعالى «ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» وأما الحيرة الحاصلة للعارفين فما هى الحيرة الحاصلة للمتكلمين وانما هى حيرة أخرى حاصلة من اختلاف التجليات وسرعتها وتنوعاتها وتناقضها فلا يهتدون اليها ولا يعرفون بما يحكمون عليها فهى حيرة علم لا حيرة جهل ، فلا تقاس الملايكة بالحدادين وفى قوله المغضوب عليهم ولا الضالين ، تعريف لهم بأنه انما أتى عليهم منهم حيث حول الاسناد الى بناء المجهول ، وما قال الذين غضبت عليهم ولا قال الذين أضللتهم ، كما قال أنعمت عليهم ، فأصل النعمة منه تعالى وهو سببها ، وأصل الغضب من المغضوب عليه وهو سببه ، فما كان أصله وسببه القديم تعالى فانه لا يزول ، وما كان أصله وسببه الحادث فانه يزول ، فافهم ما أومأنا اليه ففى الآية جبر لكسرهم

(الموقف الخامس عشر)

قال تعالى ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، المحجوب حال حجابه يعتقد أن له وجودا مستقلا منفصلا من الوجود الحق، اما حادثا كما

هو معتقد المتكلمين ، وأما قديما كما هو معتقد بعض الحكماء كما يعتقد أنه هو الظاهر بالصورة المحسوسة المنسوبة اليه المسماة بزيد أو عمر ، وكما يعتقد أن له صفات مغايرة لصفات الحق تعالى من قدرة وارادة وعلم ونحوها كما يعتقد أن له أفعالا صادرة عنه هو فاعلها أما خالقا أو اكتسابا

ولو كان الأمر على هذا الزعم والتوهم لما بقى للتوحيد أثر ولا للأحدية خبر ولظهر الشرك واستقر ، فاذا رحمه الله تعالى وأزال حجاب الجهل عن عين قلبه ، علم انه لا وجود لعينه لا قديما ولا حادثا وأنه باق فى عدمه وامكانه اذ الممكن من حيث هو لا عين له قائمة وانما هو أمر معقول لانه برزخ بين الواجب الذي لا يقبل الانتفاء وبين المستحيل الذى لا يقبل الثبوت وكل برزخ لا صورة له قائمة ولا يكون محسوسا أبدا والصورة المحسوسة لهذا المحجوب وأمثاله ليست له لأنها لو كانت له لكان هو الظاهر اذ صورة الشيء هى التى يكون بها ظهوره ، ولا ظهور لحقيقة الممكن وعينه لأنها معدومة أزلا وأبدا ، وانما الحق تعالي هو الظاهر بأحكام استعدادات الممكنات والاحكام هى نسب واعتبارات لا عين لها فى الوجود ، فكل ظاهر فهو الحق تعالى من اسمه الظاهر بحكم قوله تعالى ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ،تحقق تعالى بهذه الآية كما قال الشاذلى رضى الله عنه ، الاغيار كلها لأن كل ما يصح أن تعلم ويخبر عنه وهو الذى يصح أن يعبر عنه بالشيئية لايخرج عن هذه المراتب الأربع فلا أول الا هو ، ولا آخر الا هو ، ولا ظاهر الا هو ، ولا باطن الا هو ، اذ من المعلوم أن تعريف الجزأين يفيد الحصر وكذا صفاته التى يعتقدها مغايرة لصفات الحق تعالي ليست كذلك وانما هى صفات الحق قائمة بالحق اسكنها

لما ظهرت في مرتبة التقييد تقيدت آثارها اذ المقيد لا تكون آثاره الا مقيدة وبقدر ما ينفك هذا المقيد عن أحكام التقييد تنفك صفاته عن التقييد وتظهر الاطلاق في آثاره اطلاقا نسبيا وأول مراتب الاطلاق النسبي قوله تعالى فاذا أحببته كنت سمعه وبصره الحديث بطوله ومحال ان يكون الحق تعالى سمع غيره وبصره وسائر قواه لأنه تعالى ذات الذات لا تقوم بغيرها ومحال أن تقوم صفاته بغير ذاته تعالى فافهم اشارة الحق فانه السامع والسمع والمسموع والبصير والمبصر والبصر وكذا أفعال المحجوب التي يعتقدها أفعاله ليست كما توهم وانما هي افعاله تعالى بلا واسطة ولا للعبد فيها في نفس الأمر من حيث صورته العبدية بوجه ولا حال أنها لا تعمى الأبصار ولكنها تعمى القلوب التي في الصدور

(الموقف السادس عشر)

قال تعالى : قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والأبصار ، الآية قل للذين صرفوا عقولهم لغير الله تعالى ، وقصروا نظرهم عليه وتعلقوا بالوسائط والأسباب ، وأعرضوا عن مسببها ، وجعلوها عمدتهم وركنهم الذي اليه يأوون ، من يرزقكم يعطيكم ما تنتفعون به من السماء ، يريد ما تنتفع به العقول من العلوم والأسرار والأمور التي لا يهتدي اليها العقل الا بالفيض الآلهي ، والأرض ما تنتفع به الأجسام والنفوس الحيوانية كما قال في الآية الأخرى ، ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ، يريد رزق العقول والارواح العلوية ، ومن تحت ارجلهم رزق النفوس الحيوانية ،

ام من يملك السمع والأبصار يتصرف فيهما تصرف المالك لهما ، فتسمع
وتبصر الشيء على حقيقته وعلى ماهو عليه اذا شاء إسماعها وإبصارها
ويصرفها ويعميها اذا شاء عدم أسماعها وابصارها ، فلا تسمع ولا تبصر
الشيء على حقيقته ، وعلى ماهو عليه وهي موجودة من غير آفة ظاهرة ،
الا ترى المحجوبين الجاهلين كيف يسمعون كلام الحق تعالى ولا يسمعونه
أعني لا يعرفونه واذا انتفت فائدة السمع فقد انتفى السمع لانتفاء المقصود
منه ، فقد ملك الحق تعالى سمعه وصرفه عن معرفة المسموع كلام من
هو وكذلك يبصرون الحق تعالى ولا يعرفونه ، فانتفى البصر لانتفاء
فائدته فقد ملك الحق ابصارهم وصرفها عن معرفة المبصر من هو فتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون

وأي الارض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون اليك جهرا وهم لا يبصرون من العماء

بل يتحققون بجهلهم ان المسموع غير كلام الله تعالى ، وما أبصروه
غير الحق تعالى ، فسبحان مقلب الافئدة والابصار ومن يخرج الحي من
الميت يخرج العارف بالله تعالى من الجاهل الغافل عنه ، والمؤمن من الكافر
أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في
الظلمات فلا نور الا العلم بالله تعالى ولا حياة الا به ولا موت ولا ظلمة
الا الجهل بالله تعالى والغفلة عنه ، ومن يدبر يصرف امر الله تعالي الذي
هو كلمح بالبصر والعوالم العلويه والسفليه كلها موجودة بأيجاده قائمة به
وهو المقوّم لها والواسطة بين الحق تعالي والخلق يستمد من الحق ويمد
الخلق فالحق يدبر الأمر والأمر يدبر الخلق ، فسيقولون الله يعني أنك اذا

أوقفتهم على هذه الأمور المتقدمة ومنها ما لا يعلم له سبب ظاهر ومنها ما فيه السبب موجود ولا توجد عنه كسماع المسموع على غير حقيقته وإبصار المبصر على غير وجهه بل قد ينتج الشيء ضد ما كانت العادة تقضي به كاخراج الحي من الميت والعكس فسيقولون الله فيعترفون بان الله تعالى هو الفاعل المؤثر فقل افلا تتقون اي أفلا تجعلون الله تعالى وقاية بينكم وبين ملاحظة هذه الاسباب والوسائط التي أضلتكم وأصمتكم وأعمتكم وتنظرون مسببها من ورائها وتعلمون أنه لا فاعل ولا مؤثر الا هو تعالى وأنه الفاعل بالأسباب وعند الأسباب وعند فقد الأسباب فذلكم الله ربكم الحق أي الذي رأيتموه مؤثرا من الأسباب ليس هو غير الله تعالى ولا له استقلال بنفسه بل هو الله تعالى من جهة وجوده وفعله اذ ليس الوجود والفعل الا لله تعالى وحده لاشريك له فلو نسبتم الفعل والأثر الى الأسباب على جهة انها وجوه الحق تعالى وذاته ظاهرة فيها من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج لكنتم مصيبين فالله هو الحق الثابت ، وما ذا بعد الحق إلا الضلال أي إلا صور وتقادير وخيالات وأوهام وظلالات لاثبات لها بل تفني وتتجدد في كل آن لكونها ليست حقا فأنى تصرفون استفهام انكاري وتعجب من عمايتهم كيف صرف الله عقولهم عن رؤية الحق حقا والباطل باطلا وكيف شركوا العدم الصرف مع وجود الحق والخيال الزايل مع الحق الثابت فانه تعالى يصرف البصائر والأبصار

(الموقف السابع عشر)

سئل سيد الطائفتين الجنيد رضي الله عنه عن العارف والمعرفة فقال : لون الماء لون إنائه وسكت يريد أن الماء لا لون له وإنما تظهر ملونا بلون

الاناء وكذلك الحق تعالى لاصورة له وإنما يظهر بصورة العارف له فالعارف الكامل هو الذى تظهر فيه صورة الحق تعالى على الكمال لأنه مرآة الحق يرى الحق فيه أسماءه وأوصافه ، فالعارف صورة الحق أعنى صورة العارف الباطنة فظاهر العارف خلق وباطنه حق فصورة باطنه هى صورة الحق تعالى لانه متخلق بأخلاقه متحقق بأسمائه فكل من رأيناه تظهر منه أخلاق الحق تعالى وأوصافه وأسماؤه عرفنا أنه عارف بالله وأن المعرفة وصفه فالعارف بمثابة الاناء والحق تعالى بمثابة الماء ولما كان الماء لالون له وإنما يتلوّن ويظهر بلون الاناء فكذلك الحق تعالى لا صورة له مخصوصة وإنما يتصور ويظهر بصورة العارف له . فهو هو وكل صور العالم آنية لظهور ماء الحق تعالى ولكن ليس كالانسان فانه الآنية الوحيدة فى قبول هذا الظهور وليس المراد من نسبة الصورة الى الحق تعالى إلا أسماؤه لا أن له شكلا مصوراً محدودا تعالى الله عن ذلك وفى الخبر أن الله خلق آدم على صورته فالعارف خليفة الله والخليفة لابد أن يكون ظاهرا بصورة مستخلفه وهى أسماؤه وصفاته واذا نقصه شيء من الصفات فقد نقصه من الخلافة بقدرها والعارفون متفاوتون فى هذا والظاهر بالصفات والأسماء على الكمال هو الخليفة الكامل ولا يكون الا واحدا فى كل زمان وهو الانسان الكامل والآنية الفريدة بالنسبة لجميع المخلوقات . فأشار الجنيد رضى الله عنه الا أن العارف لا يعرف أنه عارف وأن المعرفة نعته إلا اذا ظهر متخلقا متحققا بالأسماء والصفات الالهية أعنى الصفات والأسماء التى يمكن الظهور بها فى دار الدنيا وأما صفات الربوبية فان أدب الوطن وهى الدار الدنيا يقضى بعدم الظهور بذلك من أجل حكم الحصر والقيد على صورة العارف الظاهرة المسماة عبدا لمقتضياته

الذاتية اللازمة لصورته الناقصة لئلا يلزم التناقض بين حاله ومقاله وذلك ليس من الكمال فكتمه لأوصاف الربوبية هو الكمال

(الموقف الثامن عشر)

قال تعالى «ولقد آتيناك سبعا من المثاني الخ» كل من رحمه الله تعالى وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم كله علوه وسفله . وجعل يشتاق الى رؤية عالم الغيب والخيال المطلق وما غاب عن الابصار والحسية من الصور المقدرية والنسب العدمية التي لا حقيقة لها الا الوجود الحق وهي ظهوراته واعتباراته ونسبه العدمية فهو مخطيء غير مصيب سيء الادب وكثير مما رحمه الله تعالى وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم على طريقة الجذبة لا على طريق السلوك فان السالك أول ما يحصل له الكشف عن عالم الحس ثم عن عالم الخيال المطلق ثم ترقى بروحه الى السماء الدنيا ثم الى الثانية ثم الى الثالثة ثم الى العرش وهو في كل هذا من جملة العوام المحجوبين الى أن يرحمه الله تعالى بمعرفته ويرفع عنه الحجاب فيرجع على طريقه فيرى الأشياء حينئذ بعين غير الأولى ويعرفها معرفة حق . وهذه الطريقة وإن كانت أعلى وأكمل ففيها طول على السالك وخطرها عظيم فان هذه الكشوفات كلها ابتلاء هل يقف السالك عندها أولا فربما وقف السالك عند أول كشف أو عند الثاني الى آخر ابتلاء واختبار فان كان السالك ممن سبقت له العناية ودام مصمما على طلبه . ماضيا على عزمه ، معرضا عن كل ما سوى مطلوبه : فاز ونجا ، وإلا طرد عند ما وقف ، ورجع من حيث جاء ، وخسر الدنيا والآخرة ، ولذا قال في الحكم ما ترجت ظواهر المكونات لسالك إلا ونادته هواتف الحقيقة ما تطلب أمامك إنما نحن فتنة فلا تكفر وقال بعض القوم :

٤ ـ ١ ـ ٧

ومهما ترى كل المراتب تجتلى　　عليك فحل عنها فمن مثلها حلنا

فاذا حصلوا على المعرفة المطلوبة حجبوا عند نهايتهم عن هذه المكشوفات وأما طريق الجذبة فهى أقصر وأسلم والعاقل لا يعدل بالسلامة شيأ . والى هذين النوعين يشير قوله تعالى فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى أى ينكشف لكم من هم المهتدون بالوصول الى معرفته تعالى بسلوكهم على الطريق السوى المعتدل الذى لا عوج فيه وهو صراط الله تعالى وصراط رسوله صلى الله عليه وسلم ومن اهتدى أى وصل الى معرفة الله تعالى من غير سلوك ولا شيء على المقامات بل بجذبة الهية وعناية رحمانية ، وهو المراد الذى عرفوه بأنه المجذوب عن إرادته مع تهيء الأمور له فجاز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة والمقابل لهما محذوف وهو الذى ما وصل الى معرفة الله تعالى لا بسلوك ولا بجذبة وقد خطر لى فى بعض الأيام لو أن الله تعالى كشف لى عن عالم الخيال المطلق ودام على هذا الخاطر يومين وحصل لى قبض فكنت أذكر الله فأخذني الحق تعالى عن نفسى ثم القى علي قوله ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، الآية ، ففهمت أن الحق أشفق مما حصل لي وفى حالة القبض دعوت فى بعض الصلوات وقلت اللهم حققني بحقائق أهل القرب واسلك بى مسالك أهل الجذب فسمعت فى سرى وقد قمت فتنبهت من غفلتي وعرفت أن ما طلبته إما لم تحضر وقته وإما الحكمة اقتضت عدم حصوله وأنى غالط فى هذا وأن مثلي مثل من دعاه الملك الى حضرته والجلوس معه للمحادثة والمباسطة وهو مع ذلك يتمنى أن لو خرج لمشاهدة دولاب الملك وسواسه وخدامه والتفرج فى الأسواق فرجعت الى الله

وسألته أن يحققني بما خلقني لاجله من معرفته وعبودته وكان مثل هذا الخاطر خطر لي وأنا بطيبة المباركة وتوجهت للذكر فأخذني الحق عن نفسي ثم ألقى علي الي فواه ، ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ، لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، الآية ، فلما رجعت الى حسي وات حسي حسي وغاب عني هذا وما تذكرته الا بعد

(الموقف التاسع عشر)

قال تعالى ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم . من الحكايات المتواترة عند القوم أن عارفا رأى مريدا حزينا ، فسأله عن سبب حزنه ، فقال له المريد : مات استاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت : ففي هذه الحكاية أدب عظيم وإرشاد جسيم الى طريق مستقيم . وأكثر المريدين عن هذا في غفلة يأتي المريد الشيخ وقد تقرر في أذنه أنه يجب على المريد أن يعتقد في شيخه الكمال وأنه أكمل أهل عصره وأنه صاحب الهمة الفعالة والبصيرة النافذة وأنه كذا وأنه كذا ، فاذا حضر عند الشيخ وقال له جئت أطلب الطريق الى الله تعالى ، فالشيخ لا يرد من كان هذا قوله كائنا من كان ولو اطلعه الله تعالى على باطن المريد ، بالكشف او الفراسة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل أقوال المنافقين مع اطلاعه على بواطنهم ، وقد يكون المريد كاذبا في دعواه الطريق الى الله ، أو تكون همته باردة أو يكون الحق تعالى لم يقسم له شيئا في طريق المعرفة أو تكون له قسمة زمانها بعيد ، أو تكون له قسمة لكن على يد شيخ آخر فيخرج هذا المريد من طريق الشيخ الذي كان دخل تحت عهده ، ويصير يتكلم في الشيخ ويقول ما هو الا

كذاب ، ما هو الا نصاب يأكل أموال الناس بالباطل ، ولو كان شيخا صادقا لحصل لي منه ماقصدته ونحو هذا فيهلك هلاكا أبديا ان لم يتداركه الله تعالى بالتوبة فلو حضر المريد عند الشيخ وقد عرف واعتقد أن الشيخ إنما هو داع الى معرفة الله تعالى وان الحق تعالى قد قسم الحظوظ والأرزاق المعنوية والحسية فى الأزل وقال « ما يبدل القول لدى » فلا يزاد لاحد فى قسمته ولا ينقص له منها وانه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع ، وان الشيخ باب الله تعالى ، فما تفضل به الله تعالى على المريد وصله على يد الشيخ وخرج له على الباب ومالم يتفضل به الله تعالى لا يقدر الشيخ على اعطائه وان الشيخ طبيب يعرف الخلط الفاسد ، والركن الغالب ، فيأمر المريد بما يصلح الفاسد ويعدل الغالب ويقول له استعمل الدواء الفلاني واترك الغذاء الفلاني وهذه أسباب ان سبق القدر بنجاحها ونفعها نفعت والا فلا ، كسائر الأسباب لا ان الشيخ يعطى من لم تسبق له قسمة فى الأزل ، او يقدم ما تأخر أو يؤخر ما تقدم فان هذا شيء لم يجعله الله تعالى لأحب خلقه ، وأفضل رسله ، وأكرمهم لديه . فقال له « انك لا تهدى من أحببت » . وليس لك من الأمر شيء . أفأنت تنقذ من فى النار ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم . الى أمثال هذا ، وانما الواجب على المريد الكامل أن يكون مع الشيخ الكامل ، كما كان الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه كان يراه باب الله الأعظم والداعي الى الطريق الأقوم وأنه افضل العالمين ، وسيد المرسلين ، وما كان يعتقد بيده ضرا ولا نفعا ، ولا عطاء ولا منعا ، ولا هداية ولا ضلالة ، ولهذا ثبت يوم موته صلى الله عليه وسلم وخطب خطبته المشهورة فقال « من كان يعبد محمدا

فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت ، وتلا ، وما محمد الا رسول الآية ، فكل رسول ووارث داع انما دعوا الى الله والله لا يزول ولا يحول بل كل الدعاة انما هم ظهورات الحق تعالى وصوره وهو الداعي نفسه لنفسه بنفسه ، فهو الداعي من حيث ظهوره وتعينه بصور الرسل والمشايخ والمدعو من حيث ظهوره وتعينه بصور المريدين ودعوته لنفسه من حيث رتبة الألوهية لا رتبة الأطلاق

(الموقف العشرون)

طلبت من الحق تعالى يجعل لى نورا أكشف به حتى أعرف ما آتى وما أذر فقال لي فى الحين هاهو ذا فى الكتاب والسنة فانتبهت حينئذ لقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم. فعرفت أنه لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة لانه تعالى ضمن النجاة فى العمل بهما وما ضمنهما فى العمل بالكشف ولذا قال استاذنا أبو الحسن الشاذلي أنه يرد على الوارد فلا أقبله الا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنه او كما قال وان طوق الشريعة لا يزول عن رقبة عارف ولا مكاشف مادام بدار التكليف

(الموقف الواحد والعشرون)

قال تعالى فى سحرة فرعون ، قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، وقال حكاية عن فرعون ، آمنت أنه لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين انما زاد السحرة ذكر موسى وهارون وما اقتصروا على قولهم رب العالمين لأنهم مأمورون بتصديق موسى وهارون فيما جاء به من

الأوامر والنواهي الزائدة على التوحيد وكل من كان داخلا تحت رسالة رسول أي رسول فلا ينفعه توحيده دون ايمانه بذلك الرسول وانقياده له فانه مأمور أن يوحد لقول الرسول له وحد لا مطلق التوحيد ، ففي ذكر السحرة لموسى وهارون اقرار برسالتهما وان توحيدهم هذا اتباع لهما واذعان لما جاء به من التوحيد وغيره كأنهم قالوا في ضمن ذكر موسى وهارون صدقنا برب العالمين لأمر موسى وهارون وفي ذلك نجاتهم لان التوحيد المجرد عن الايمان برسول انما ينفع من لم يكن داخلا تحت رسالة رسول كقس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأضرابهما وكذا قول فرعون آمنت انه لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، مراده ببني اسرائيل موسى وهارون وأتباعهما فهو توحيد واقرار برسالة موسى وهارون واذعان لهما ، ولما جاء به وماهو بايمان يأس فانه شاهد كرامة الله تعالى لموسى ، وعاين قدرته تعالى ؛ كيف جعلت البحر يبسا فلم ييأس من حصول هذه الكرامة له بايمانه بموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ، وقد نص الله تعالى على أن فرعون آمن ايمانا كاملا بقوله : الآن وقد عصيت قبل فما نعى عليه الا تأخير الايمان فقط لان عصيان فرعون ما كان عن جهل بصحة رسالة موسى وصدقه وانما جحوده استكبارا مع معرفته في الباطن قال تعالى في حقه وحق قومه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وأقوى حجة للمخالف في عدم قبول ايمانه قوله تعالى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى والله أعلمني الحق تعالى أن معناها انه جمع لفرعون في الغرق نكال الآخرة والدنيا ، فلم يبق عليه بعد الغرق نكال في الآخرة هكذا ألقي الي وقد ذكر أستاذنا محي الدين الآية وجها غير هذا وما كان فرعون مغترا حتى لا يقبل

ايمانه فان الغرغرة نفس واحد يخرج ولا يرجع ،وفرعون تكلم بعد الايمان كلمات كثيرة حكاها الله عنه وخاطبه الحق بكلمات كثيره وكون ايمان اليأس غير مقبول انما هو فى دفع العذاب الدنيوي سنة الله التى قد خلت فى عباده الا قوم يونس لما آمنوا كشف الله عنهم العذاب فى الدنيا ولذلك قال فى آخر الآية وخسر هنالك الكافرون ، الاشارة للعيد وهو يوم القيامة أى الذين ماتوا وهم كفار ، لا الذين ماتوا وهم مؤمنون ، وانما لم ينفعهم ايمانهم فى كشف العذاب الدنياوى لانه تعالى جعله لهم تطهيرا لما سلف من الكفر والعناد كالحد فى الدنيا فانها لا ترفعها التوبة وقد شهد عليه السلام لما عز بانه تاب توبة لو قسمت على أهل الارض لوسعتهم ومع هذا رجمه عليه السلام وكيف لا يكون ايمان اليأس مقبولا وقد ورى صلى الله عليه وسلم القوم الذين قتلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان خالد صبحهم فجعلوا يقولون صبانا صبانا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، وقال عليه السلام لأسامة رضى الله عنه ، أقتلته بعد أن قالها ، قال أسامة فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ، وقال عليه السلام للذي سأله ، أرأيت لو لقينى مشرك وضربنى وقطع احدى يدي ثم لاذ منى بشجرة وقال لا اله الا الله أسلمت ، وقال له عليه السلام ، ان قتلته كنت بمنزلته قبل أن يقولها وكل هذا فى الصحيح فمن قال بعدم قبول ايمان اليأس ما أمعن النظر ومن عرف الحق عرف أهله ومن عرف الحق بالرجال تاه فى مهامه الضلال وربما يقول الواقف ان هذه المسأله مما لا يعنى وانما ذكرتها ليعلم الواقف سعة رحمة الله فلا ييأس ولا يقنط ويظن خيرا فيكون الحق عند ظنه

(الموقف الثاني والعشرون)

ورد في الصحيح عنه تعالى ، قال أنا جليس من ذكرني الحديث بكماله ولفظة انا وني يقتضيان أن المراد المجالسة بالذات ومجالسة الحق تعالى الذاتية انما هي اذا ذكره باسماء الذات كالله والهو والحق والاحد وأسماء الضمائر وأما اذا ذكره الذاكر بأسماء الصفات أو اسماء الأفعال وكان قصد الذاكر المعنى الذي دلت عليه لفظة الاسم فلا يكون الحق جليسه الا من حيث ذلك المعنى خاصة لا بالذات وكذلك اذا ذكره بالاسم ، الله ، وكان قصد الذاكر معنى من المعاني التي دل عليها الاسم ، الله ، من حيث أنه جامع لجميع معاني الاسماء كما اذا قال يا ألله ارزقني او يا ألله عافني مثلا فان مقصوده من لفظه الله مادل عليه من معنى الرازق والمعافي وكل اسم من اسماء الصفات والأفعال له اعتباران اعتبار من حيث دلالته على الذات واعتبار من حيث المعنى الذي دلت عليه لفظة الاسم ، فأما من حيث الاعتبار الأول فهو عين الذات وعين جميع الأسماء فيصح نعته بجميع الأسماء وأما من حيث الاعتبار الثاني فهو غير الذات وغير جميع الأسماء ومن هذا المعنى الذي أسلفناه قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فحيث لم يكن المتقي جليسا للرحمن في الدنيا وانما كان جليسا لاسم من أسماء الجلال كالمنتقم والجبار وشديد العقاب ونحوها وشغلته مجالسة اسماء الجلال عن من اسماء مجالسة الجمال كالرحمن ونحوه وهي التي حملته على التقوى جزاه الله تعالى بحشره الى الرحمن وفدا حتى يرحمه الرحمن ويكرمه وينعمه وقد عقل عن هذا المعنى العارف الكبير أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه فانه سمع قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فقال ياعجبا كيف

يحشر اليه جليسه ولذا قال امام العارفين محي الدين ليس العجب من قول الله هذا وانما العجب من قول أبي يزيد والكمال لله فلهذا نقول: الذي يحشر الى الرحمن متطوع بمجانبه بخلاف الذي يحشر الى الله كما في قوله، واتقوا الله الذي اليه تحشرون، فانه بين خوف ورجاء من حيث الأسم، الله، جامع لمعاني أسماء الجلال والجمال فيمكن أن يقابل المحشور اليه بأسماء الجمال ويمكن أن يقابله بأسماء الانتقام لا يقال أن الأسم، الرحمن، كذلك له الأسماء كلها كما قال تعالى، قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، لأنا نقول الاسم الرحمن ولو كانت له الاسماء كلها كما هي منه فانها حين تكون تحت حيطته وفي قبضته لا تخرج الا بنفسه، وهو الرحمة لأن الاولية والحكم له وأما قوله تعالى، وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم، الآية، فكذلك خافوا من الحشر الى الحضرة الجامعة لأسماء الربوبية كلها، لا يعرفون ما يقابلهم منها من الأسماء ولو عرف كل واحد أنه يحشر الى ربه الخاص ما خاف لأنه كان معه في الدنيا وكل واحد من المربوبين مرضي ربه لأن المربوب شأنه طاعة ربه الخاص، فلذلك هو ربه راض عنه كيفما كان ربه مضل أو هاد أو جبار أو عفوا أو غير ذلك وهذا الخبر الرباني ما جاء على مقتضى خطاب العموم حتى تقبله العقول المحجوبة من غير تأويل وما قبلته الا بضرب من التأويل ولا جاء على ما هو الأمر عليه في نفسه وحقيقته فانه لو جاء على هذا القال لا بدان ذاكري أنه غيري فأنا الذاكر والذاكر والمذكور والحكمة في وروده بالانفعال الذي ورد به هو قبوله لتأويل المتأول لئن بخلاف مالو صدمهم بصريح الحق ونفس الأمر فانهم يعجزون عن تأويله فلا يقبلونه وكم من حديث رده

علماء الرسوم لعجزهم عن تأويله وعندهم من علامة وضع الحديث وروده بصفة تخالف العقل ولا يقبل التأويل حتى يجمع بين مقتضى العقل ومقتضى الحديث ، وهؤلاء جعلوا عقولهم أصلا يرجع اليه الكتاب والسنة ، وهذا آخر شيء على المتكلمين في المتشابهات من الآيات وأحاديث الصفات نعوذ بالله من الجهل الذي صورته صورة علم ولو كان من هذه سبيله عاميا يؤمن بالمتشابهات على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم كالسلف لكان خيرا له ، وأول من وسع باب التأويل أبو الحسن الأشعري رضى الله عنه ولكنه ما اتخذه دينا معتقدا وإنما ألجأه الى ذلك أهل الأهواء والبدع فانهم يستدلون لبدعتهم من الكتاب والسنة فكلمهم بلسانهم ورد عليهم بسهامهم ولذا قال في كتابه الإبانة وهو آخر مؤلفاته أن مذهبه في المتشابهات مذهب امام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه

(الموقف الثالث والعشرون)

قال تعالى ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، اعلم أن الحق تعالى ، هو الظاهر بهذه الصور المتكثرة المحدودة التي هي خيالات لا وجود ولا حقيقة لها الا في الناظر الانسان ، كما اذا أخذت عودا في طرفه نار وأدرته بسرعة فانك ترى دائرة نار لا تشك فيها وكذا ان حركته مستقيما فانك ترى خطا من نار لا تشك فيه فحسك متخيل ومحكوم بمحال ، وعلمت أنه ليس ثمة الا الجمرة التي على رأس العود فهكذا جميع ما ترى في الأرض والسماء ليس الا أمر الله الذي هو مجموع صفات الله الظاهر بكل صورة وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وهذه الصور المتكثرة المعددة في الأرض والسماء هي أحكام الأسماء الالهية الممكنة الثابتة في العلم الالهي ما شمت رائحة الوجود ولا

تسمى أبدا المسماة بالأعيان الثابته وبالحقائق عند الصوفيه وبالماهيات عند المتكلمين والحق الذى هو الأمر الظاهر بها على ما هو عليه من الاطلاق وعدم التقيد بهذه المظاهر والوجود الحق المسمى بالأمر لا يظهر الا بما يقتضيه استعداد كل عين ثابتة وما هي طالبه له من الأحوال ومتأهله من الأزل والقدم من ايمان وكفر وطاعه ومعصية وعلم وجهل وصلاح وفساد وحسن وقبيح ونحو ذلك من الأقوال والأفعال والاعتقادات والصفات فصاحب هذا الشهود اذا بدا له قول أو فعل يسوءه من صورة لا يقول هذا حق وأنا مستحق لهذا الأمر الصادر من هذه الصوره وانما يرجع الى نفسه ويفتشها والانسان على نفسه بصيرة لأن الفاعل والمتكلم وان كان هو الحق حقيقة من خلف أستار الصور فهو لا يفعل ولا يقول الا ما هو مقتضى العين الثابته التى تلك الصورة حكاية عنها كحكاية الصور الظاهرة فى المرايا مما قابلها من الأشخاص فأمر الله الذى هو الوجود الفائض على المكونات هو الظاهر وهو الشهادة وهو المحيط بكل شيء والمخلوقات هى الباطنه وهي الغيب والمكن الحكم دائما للباطن فى الظاهر وللغيب فى الشهاده وحكمت أحكام الاعيان على الوجود الحق الظاهر بما تقتضيه حقائقها فلا يظهر الا بأحكامها كائنة ما كانت من نقص أو كمال وهى اعدام لأنها نسب وأعراض وهو تعالى فى هذا الظهور على ما هو عليه من الكمال لا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ومن هنا كانت الحجة البالغه للحق تعالى على الخلق ولا يظلم ربك أحدا لأنهم يطلب استعداداتهم طالبون منه تعالى أن يظهر بأحكام كل عين وما تقتضيه وهذا الاستعداد الكلي غير مجعول فما هو مخلوق ولا هو من فعله فيكون الحجة للخلق وهنا مزلات مدحضات تقصر دونها الخطا

وتضل فيها القطا

(الموقف الرابع والعشرون)

قال تعالى : فاعلم أنه لا إله الا الله المعني أنه لا يستحق العبادة والخضوع والاتصاف بصفات الآله وجه من وجوه الحق تعالى الظاهرة بالمظاهر التي هي أي المظاهر اعدام عند التحقق الا الذات المسمى بالله وذلك أن الحقيقة المسماة بالله واحدة من كل وجه ومع وحدتها فهي ظاهرة وتظهر بما لا نهاية له من الصور ولها في كل صورة وجه خاص بتلك الصورة فهي واحدة كثيرة واحدة بحقيقتها كثيرة بتعيناتها ومظاهرها لحقيقة الله وان ظهرت بكمالها في مظاهرها التي لا تتناهى فهي لا تتجزىء ولا تتبعض ولها في كل مظهر وجه خاص أي ذات ولا يستحق العبادة وجه من تلك الوجوه الظاهرة بالمظاهر الا الذات المسمى بالله لأن غيرها وان كان هو هي فانه لا يسمى الله فانه تعالى لما ظهر بهذه الصور سماها غيرا أو سوى وانسانا وملكا وعرشا وفلكا وشمسا وكوكبا ونحو ذلك قال تعالى ، موبخا لعبدة الأصنام قل سموهم يعني الأصنام التي عبدوها فلو سموهم ما سموهم الا حجرا أو شجرا أو نحو ذلك وما سموا معبوداتهم الله أبدا فكل من عبد شيئا غير مسمى الله فهو كافر وان كانت حقيقة ذلك المعبود هي الحقيقة المسماة بالله وما أصاب الحق الا من عبد الذات المسمى بالله الغيب المطلق الذي لا صورة له ولا يعرف منه الا وجوده لا غيره من حيث اتصافها بالألوهية وما سوى ذلك مما يعتقده المتكلمون في الذات من علماء الرسوم معرفة وهو الى الجهل أقرب منه الى المعرفة ، على هذا التفسير يكون الاستثناء ظاهرا وهو كقولنا لا رجل الا زيد نفينا صفة الرجولية عن كل رجل وان كانت ثابتة له وأثبتناها للذات المسماه بزيد

فقط وأما التفسير المشهود فالاستثناء فيه مشكل ولذا كثر فيه اللغط والاختلاف حتى قال بعض العلماء ينبغي أن يكون الاستثناء في الكلمة المشرفة فيما برأسه ليس من أقسام الاستثناء المعروفة والذين عبدوا ماعبدوا من دون الله ماقصدوا بعبادتهم الا المظاهر التي حصروا الحق فيها وهي الصور المشهورة لهم وما عرفوا الحق الظاهر بتلك الصور وبغيرها فضلوا وأضلوا

(الموقف الخامس والعشرون)

قال في الحكم « لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين » ومعناه لولا ما يكون فيه سير معنوي ويحصل فيه تردد وصعود وهبوط وهي صفات النفس المعبر عنها بالميادين أي المجالات المتسعة والسير فيها بقطع وصفتها وتبديل صفاتها ومحو آثارها وعاداتها والنفس حقيقة واحدة ولكن تعددت باعتبار تعدد صفاتها وتباين مقتضياتها فيقال أمارة لوامة ملهمة مطمئنة ماتحقق سير السائرين أي ماثبت ونسب سير لسائر لأنه ليس هنالك شيء محسوس يسير فيه السالك حتى يقطعه وانما هو سير معنوي في مجالات معنوية وهي النفوس التي يكون سير السالك فيها وقطعها كناية عن تبديل صفاتها البهيمية بالصفات الآلهية بمعنى أنه علكها حتى يضع كل وصف في محله اللايق به ويصرف كل وصف مصرفه وأما محو الصفات بمعنى زوالها بالكلية فهو غير واقع لأنها لو محيت لمحيت النفس رأسا وانعدمت ولا يتوهم متوهم أن السالك سائر الى الله في مسافة محسوسة وأن الوصول الى الله وصول محسوس فان هذا وهم باطل وجهل عاطل ؛ لأن من هو أقرب للانسان من حبل الوريد ومن الجليس كيف يتوهم السير والوصول اليه لا مسافة بينك وبينه تقطعها

رحالتك، وتطويها وصالتك، فلا يصح اطلاق السير الى الله تعالى الا بنوع من المجاز وهو أنه لما كان السالك السائر فى ميادين النفوس اذا قطع تلك العقبات المعنوية يصل الى العلم بالله تعالى، صح أن يقال سار الى الله والا جل ربنا ان يسير اليه أحدا ويصل اليه فانه أقرب اليك من نفسك التى تتخيل مغايرتها لله تعالى وانها سائرة اليه وواصلة

(الموقف السادس والعشرون)

قال تعالى، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، الحكمة فى تحجير الأمر باستقبال القبلة فى الصلاة مع قوله فأينما تولوا فثم وجه الله أى ذاته ومع كون التحجير فيه نوع تقييد المعبود انه ماظاهر بغيرها ومع مافى ذلك من التشبه بعبدة الأوثان والأصنام فى الظاهر اذ التوجه فى الصلاة والطواف بها لايقع فى ظاهر الأمر وبادى الرأى الا الى الكعبة وأحجارها هو أنه تعالى لو أطلق الأمر وما حجره وجعل التخيير للمصلين لأدى ذلك الى التفرقة والحيرة فرعا يريد وصل جهة ويريد الآخر أخرى وآخر أخرى فينحل النظام وتخل الجماعة وأساس الدين هو الاجتماع والاتفاق وأيضا تكون حيرة العارفين فى الاطلاق وعدم التحجير أعظم لأنهم عارفون ظهور الحق تعالى فى كل مظهر وصورة بوجه خاص والمظاهر متفاضلة بلا تنحصر فى قبول الظهور والعارف أكثر مشاهدته وتوجهه الى المظهر الذى خواص الوجود فيه أكثر ظهورا وخواص الوجود الحق ماظهرت فى مظهر مثل الانسان الكامل فى كل عصر فلو أطلق الأمر الى العارف ماتوجه الا اليه وهو مجهول المكان فتعظم حيرة العارف،

(الموقف السابع العشرون)

قال تعالى «انه هو أضحك وأبكى» كنت متوجها أذكر الله في خلوتي فأخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي فسمعت قائلا يقول ان الله تعالى ما أضحكنا وأبكانا في الدنيا الا ليضحك لنا الآخرة فلما رجعت الى نفسي علمت أن هذا بشارة وبشارة ، فان السالك السائر تتلون أحواله دائما فتارة قبض وتارة بسط وتارة ضحك وتارة بكا والموجب لذلك مشاهدتان الأولى مشاهدة ما من الله تعالى اليه من الستر عليه والاحسان اليه وأنه عبد الله تعالى وأنه سائر اليه ولحضرة قربه ولحسن ظنه بربه بأنه سيرحمه ويرفع حجبه ويعرفه بنفسه ويجلسه مجالس الرضى مع الأحباب المخصوصين بالقرب والكرامة فهذه مشاهدة توجب الفرح والضحك والانبساط والثانية مشاهدة ما منه الى الله تعالى من سوى الأدب والتقصير في الأوامر وعدم شكر النعم مع التفكر في حالته الراهنة وبعده من حضرة الاحباب وتراكم الحجب وغلبة النفس والهوى واستيلاء حب الدنيا والشهوات على قلبه فمشاهدة هذه الأمور توجب القبض والحزن والبكا بل توجب ازهاق الروح لمن كانت له همة سنية ، ونفس انسانية ، فالسالك لا يخلو من هاتين الحالتين أبدا ولا تظهر له من الحق تعالى علامة الرضى وهو الضحك الخالص مادام في هاتين المشاهدتين فاذا أراد الله تعالى رحمته أظهر له علامة الرضى برفع الحجاب وأدناه من حضرة الأحباب وعرفه بنفسه وخلع عليه من خلع الكرامة ، وأنعم عليه بأنواع النعم لأن من عادة الملك اذا ضحك لأحد فعل به أنواعا من الكرامة ويكون المراد بقوله في الدنيا الحالة الدنيا من السالك وهي بدايته في السلوك والسير اذ الدنيا مأخوذة من الدنو وهو القرب .

لكونها أقرب الينا من الآخرة ويكون المراد بالآخرة حالة السالك المتوجه حين يرحمه الله تعالى بحلول رضوانه عليه وكشف حجابه لأنها آخرة بالنسبة الى حالته الأولي وما سميت الآخرة آخرة الا لتأخرها بالنسبة الي الدنيا

(الموقف الثامن والعشرون)

قال تعالي، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ،قال عامة المفسرين الكلمات هى المقدورات، لان القدرة تتعلق بكل ممكن ولا نهاية للممكنات وعندى من باب الاشارة أن المراد بالكلمات الكلمات الحقيقية جمع كلمة وذلك أن الحق تعالى هو المتكلم من وراء جدار كل صورة ينسب الكلام اليها لأنه لسان كل متكلم وسمعه وبصره كما ورد فى الصحيح ولأنه وجود كل متكلم والكلام تابع الوجود كسائر الصفات فالكلام له تعالى حقيقة ولغيره مجاز والمتكلمون مجازا لانهاية لكلامهم لأنهم بعد دار الدنيا يصيرون الى الدار الأبدية التى لانهاية لها فلا نهاية لكلامهم وليس كلامهم الا كلام الله وانما كان لانهاية له لأنه لم يدخل جميعه فى الوجود فيلزمه التناهى فهو غير محصور بخلاف البحر فانه محصور دخل فى الوجود وكل مادخل فى الوجود فهو متناه فلو كان البحر المتناهى مددا لكلمات ربى الغير المتناهية لنفد البحر وانقضى قبل أن تنفد كلمات ربى لأنها غير متناهية ولو جئنا بمثله مددا أي ولو جئنا ببحر آخر مثله أى مماثل له فى صفاته التى من جملتها دخوله فى الوجود والتناهى مددا أى تقوية له وزيادة فيه لنفد قبل أن تنفد كلمات ربي الغير المتناهية وأيضا كلامه تعالى تابع لعلمه أو هو العلم نفسه تعددت أسماؤه لتنوع ظهوراته فاذا أضيف علمه تعالى الى اسماع دعوة

المضطر قيل سميع، واذا أضيف علمه الى رؤية كل شيء قيل بصير، واذا أفاض علما على قلب عبد من عبيده قيل متكلم، ونحو هذا ومعلوماته لانهاية لها فكذلك كلامه لانهاية له

(الموقف التاسع والعشرون)

كنت بين النائم واليقظان فقيل لى ان الناس يظنون أنهم فى حالة النوم فى خيال وعدم، وفى حالة اليقظة فى وجود حق، وما يدرون أنهم فى الحالتين فى خيال لا حقيقة له، فانهم فى حالة النوم فى خيال متصل، وفى حالة اليقظة فى خيال منفصل، وحقيقة الخيال فيهما واحدة اذ الخيال المتصل شعبة من الخيال المنفصل والخيال لاموجود ولا معدوم، ولا منفي ولا مثبت وجميع ما يدرك بأي آلة من آلات الادراك كانت فهو فى هاتين المرتبتين وليس فى الوجود الحق الثابت الا الله تعالى عز وجل والأرواح والأجسام خيال كلها

(الموقف الثلاثون)

قال لي الحق تعالى: تدرى من أنت؟ فقلت نعم أنا العدل الظاهر بظهورك، والظلمة المشرقة بنورك، فقال لي عرفت فالزم واياك أن تدعي ما ليس لك فان الأمانة مؤداة، والعارية مردودة، واسم الممكن منسحب عليك أبدا كما هو منسحب عليك أزلا ثم قال لي أتدري من أنت؟ فقلت نعم أنا الحق حقيقة والخلق مجازا وطريقة أنا الممكن صورة الواجب صيرورة اسم الحق لي هو الأصل واسم الخلق على العارية والفصل فقال لى أعم هذا الرمز، ودع الجدار ينقض على الكنز، حتى لا يستخرجه الا من أتعب نفسه، وعاين رمسه، ثم قال لي الحق تعالى ما أنت فقلت ان لي حقيقتين من حيثيتين أما من حيث أنت

فأنا القديم الأزلي الواجب الوجود الجلي أما الوجوب فمن اقتضاء ذاتك ، وأما القدم فمن قدم علمك وصفاتك ، وأما من حيث أنا ، فانا العدم الذي ماشم رائحة الوجود والحادث الذي في حال حدوثه مفقود فما كنت حاضرا بك لك فانا وجود ، وما كنت غايبا بنفسي عنك فانا مفقود موجود ، ثم قال لي ومن أنا ؛ فقلت أنت الواجب الوجود بالذات المنفرد بكمال الذات والصفات بل تنزهت عن كمال الصفات بكمال الذات فأنت الكامل في كل حال ، المنزه عن كل ما يخطر بالبال ، فقال ما عرفتني فقلت من غير خوف عقوق ، وأنت المشبه بكل حادث مخلوق ، فأنت الرب والعبد ، والقرب والبعد ، وأنت الواحد الكثير ، والجليل الحقير ، الغنى الفقير ، العابد المعبود ، الشاهد المشهود ، فانت الجامع للمتضادات ولجميع أنواع المنافاة فانك الظاهر الباطن ، المسافر القاطن ، الزارع الحارث ، المستهزىء الماكر الناكث ، فانت الحق ، وأنا الحق ، وأنت الخلق ، وأنا الخلق ، ولا أنت حق ، ولا أنا حق ، ولا أنت خلق ، ولا أنا خلق ، فقال حسبك عرفتني فاسترني عمن لا يعرفني فان للربوبية سرا لو ظهرت ابطلت الربوبية ، وللعبودية سرا لو ظهرت ابطلت العبودية ، وأحمدنا على أن عرفناك بنا فانك لا تعرفنا بغيرنا ، اذ لا دليل غيرنا علينا

(الموقف الواحد والثلاثون)

قال الله تعالى ، لا نزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، الحديث القدسي بطوله أخرجه البخارى ومسلم ، هذه رتبة عليا وصاحبها غير كامل لأنه يرى له ذاتا ونفسا قائمة موجودة والحق صفاتها من سمع وبصر ويد ورجل

فنفسه عنده مقرره وأفعاله بالحق تعالى وأعلى منه وأكمل عكسه ، وهو الذي يرى نفسه صفات الحق،فيكون سمع الحق وبصره،وكلامه الى آخره، وهذا وان كان أكمل ممن قبله ففيه بقية نقص فانه ما انعدمت عينه جملة واحدة وأعلى منهما معا من يحصل على الفناء والمحق فانه رجع الى الاطلاق بعد التقييد،ولم يبق له اسم،ولا عين ولا رسم،ونودي عليه لمن الملك اليوم هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؛ وفي هذا الفناء تحصل الرؤية الحقيقية فانه ما غاب عن العالم وعن نفسه الا برؤية الحق تعالى ؛ وفي نفس الأمر الرائي والمرئي واحد والتعدد اعتباري وما عدا هذا مما يقال فيه رؤية فهو مجاز ومن السالكين من يحصل على الفناء والمحو قبل قرب النوافل والفرائض وهو السالك المجذوب بالعناية وقوله : كنت سمعه الى آخر الحديث فيه إيماء الى ما هو الأمر عليه في حقيقته بأن الحق تعالى هو السامع والسمع والمتكلم والكلام اذ لا يصح أن يكون الحق تعالى صفة يقوم بذات العبد الحادث لأنه تعالى ذات ما هو صفة والذات لا تقوم بذات أخرى فمنطوق الحديث غير مفهومه لأن منطوقه اثبات عين العبد وتقررها ومفهومه نفي عين العبد ومحوها وانه ليس هنالك الا الحق تعالى هو العين والصفة وهو الظاهر بأحكام عين العبد الثابتة في العلم والعدم،اذ العبد معدوم أبدا كما هو معدوم أزلا وانما هو عبارة عن الأحكام العدمية التي ظهر الوجود الحق بها لا غير ولا حلول،ولا اتحاد كما يفهمه العميان،ولا تأويل كما يقوله أصحاب الدليل والبرهان، وسمى الحق تعالى نفسه في هذا الظهور وهذه المرتبة عبدا وهو العزيز الحكيم ولا يسأل عما يفعل ، ويدل قوله تعالى كنت سمعه انه تعالى سميع بذاته بصير بذاته الى آخر الصفات ولا يفهم من قوله كنت

سمعه الى آخره انه لم يكن كذلك ثم كان وانما المراد رفع الحجب عن هـذا المتقرب بالنوافل حتى يشاهد الأمر على ما هو عليه في هذه المرتبة وهذا الظهور لا أنه حدث ذلك بعد أن لم يكن فوقها مراتب كما ذكرنا فهـو المتكلم منك لأنه لسانك ، وهو السامع لأنه سمع مخاطبك ، فهو المتكلم والسامع من كل متكلم وسامع ، فتحت اشارة هـذا الحديث الرباني بحور زاخرة ، ترجع العقول عنها حائرة، كأنها حمر مستنفرة ، فرت من قسورة

(الموقف الثاني والثلاثون)

قال تعالى، واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان ، اعلم أن الحق تعالى لا يعطي احدا مايطلبه بلسان مقاله الا اذا وافق طلب لسانه طلب استعداده ، فاذا خالف طلب الاستعداد طلب اللسان فلا يعطي تعالى الا ماطلبه الاستعداد كائنا ما كان ذلك الطالب وذلك المطلوب فلو طلب القصار تبييض وجهه ما أجابه الحق لأن استعداده يطلب خلافه وهو تسويد وجهه ، ولو طلبت شقة الكتان مثلا تسويدها ما أجاب الحق سؤالها لأن استعدادها يطلب خلاف ذلك وهو تبييضها، والانسان قد يكون له استعداد الطلب باللسان وما يكون له استعداد قبول المطلوب فاذا سأل أحد من الحق تعالى شيئا ولم يعطه إياه، فانما ذلك لكون استعداده طلب خلافه وليس له استعداد لقبول ذلك المطلوب والا فتعالى الحق أن يمنع أحدا عن بخل فالآية الكريمة وان كانت مطلقة في ظاهر اللفظ فهي مقيدة بطلب الاستعداد وسؤاله فان مدار الأمر كله على الاستعداد للقبول سواء طلب أو لم يطلب والاستعدادات الكلية قديمة لم يتعلق بها جعل ، وانما حصلت بالفيض الأقدس الذاتي فالحق تعالى حكيم لا يعطي أحدا شيئا هو غير طالب

له باستعداده فيكون مستعداً لقبوله فلو عمد الملك مثلاً الى خزاين السلاح فأعطاها العلماء لطلبهم اياها منه، وعمد الى خزاين الكتب ففرقها على الجند لطلبهم اياها منه، ما كان حكيماً لأن العالم غير مستعد لاستعمال السلاح والحرب ولو طلب السلاح بلسانه، والجندي غير مستعد لفهم الكتب ولو طلبها بلسانه، والله عليم حكيم.

(الموقف الثالث والثلاثون)

سمعت المؤذن في المسجد الحرام يتلو على المنارة قوله تعالى: ان الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعجبت من هذا الاخبار لرسوله صلى الله عليه وسلم مع تأكيده بان. ثم ألقى الحق اليّ ان المقصود بهذا الخطاب والاخبار العامة الجاهلون بالحق؛ وأما العارفون فانهم عرفوه تعالى عين كل شيء في الأرض والسماء فكيف يخفى عليه شيء في الأرض والسماء وهل يخفى عليه عينه فهذا الخطاب بمنزلة قوله انا عالم بذاتي ولا يخفى عليّ شيء من ذاتي وهذا غير مفيد للعارفين شيئاً لم يكن عندهم، وجل الحق تعالى عن الخطاب بغير فائدة فتعين أن المقصود بهذا الاخبار العوام لأن تأكيد الخبر لا يكون الا لمنكر أو متردد؛ والرسول صلى الله عليه وسلم وورثته ماوقع منهم تردد فضلاً عن الانكار

(الموقف الرابع والثلاثون)

قال تعالى: «ولّ وجهك شطر المسجد الحرام» الآية، اعلم أنه لا وجود الا الوجود الواحد الحق تعالى والمسمى عالماً ومخلوقات مظاهره من أول مخلوق الى آخر مخلوق، فحق بلا خلق لايظهر، وخلق بلا حق لا يوصف بالوجود، والوجود الحق واحد لايتعدد ولا يتغير ولا ينحصر

ولا يحد ولا تقيده الأكوان والمظاهر ومظاهره متعددة متغيرة منحصرة مقيدة فيظهر فى مظهر بالعلم لأنه حكم استعداد ذلك المظهر فيسمى المظهر عالما ، ويظهر فى مظهر بالجهل فيسمى ذلك المظهر جاهلا ، ويظهر فى مظهر بالقهر فيسمى ذلك المظهر قاهرا ، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ويظهر في مظهر بالذل فيسمى ذلك المظهر ذليلا مقهورا ، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ويظهر فى مظهر بالمعبود فيسمى المظهر معبودا ، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ، ويظهر فى مظهر بصورة العابد فيسمى المظهر عابد الكون ، ذلك حكم استعداد ذلك المظهر والحق ماعرف الا بجمعه الأضداد ، فكل المتضادات فى العالم هو جامع لهـا بل هو عين الأضداد كلها وانما يظهر فى كل صورة بحكم استعدادها وبما هو من أحوال عينها الثابتة فى العلم والعدم وعليه فالحق تعالي ظهر فى الصورة المسماة بالكعبة بصورة المعبودية ، وهو المعبود وان وقعت العبادة للكعبة فى الحس ، كما أنه ظهر في الصورة المسماة بمحمد بصفة العابدية وهو العابد وان ظهرت العبادة من الصورة المحمدية ، فى الحس والعقل ، فسمى نفسه عابدا فى مظاهر لظهوره فيه بصفة العابد ، وسمى نفسه فى مظاهر معبودا لظهوره فيه بصفة المعبود إذ المسمى مخلوقا ليس هو الا أسماؤه تعالى ظهرت بذلك الشكل وتلك الصورة والأسماء أمور عدميه فظهورها فى التحقيق ظهور ذاته السارية فى كل مخلوق من غير سريان ولكن الذات باطنة هنا لظهور التعدد فى الأسماء ومقتضى الوحدة بظهور الأسماء فهي باطنة حال ظهورها وقد نقل عن الشيخ الأكبر أنه قال مظهرية الكعبة أفضل من مظهرية محمد صلى الله عليه وسلم ، فان صح النقل عنه فوجهه ماذكرناه من مظهرية العابدية والمعبودية لاغير ولايلزم

منه فضل الكمية ولا هو مذهب الشيخ ولا غيره من العارفين

(الموقف الخامس والثلاثون)

قال تعالى « فاعلم أنه لا إله الا الله » فالحق تعالى انما أمر عباده بمعرفة مرتبته ذاته وهي الألوهية وما أمرهم بمعرفة ذاته التي هي الغيب المطلق والوجود البحت بل نهاهم عن طلب ذلك ، قال تعالى « ويحذركم الله نفسه وقال صلى الله عليه وسلم تفكروا في الآء الله ولا تتفكروا في ذاته فما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة الألوهية التي هي مرتبة الذات وظهور الصفات لأن الأثر ليس الا للصفات وان كانت لا عين لها وانما هي مراتب للذات ومعرفة الأثر توصل الى معرفة المؤثر كما قيل « البعرة تدل على البعير » فالذات من حيث هو هو لا يدرك حسا ولا عقلا ولا كشفا ، بخلافها من مرتبة الألوهية فانها تدرك حسا وعقلا وكشفا ، والمتكلمون في التوحيد العقلي خلطوا الأمر ، وحيروا الفكر ، وخبطوا خبط عشواء في ليلة ظلماء ، فكلامهم ان كان في الذات البحت فالذات لا كلام فيها بنفي ولا اثبات ، وان كان في مرتبة الذات وهي الألوهية فهي لا حجر عليها ولا حصر ولا تقييد لها فالذات البحت لا خبر عنها ولا وصف ولا اسم ولا حكم ولا رسم المخبر عنها صامت ، والناظر اليها باهت ، فان المطلق بالاطلاق الحقيقي لا يصح الحكم عليه بشيء والا انقلبت حقيقته وصار مقيدا ، وقلب الحقائق محال ومرتبة الألوهية مطلقة مقيدة فهي جامعة للضدين مطلقة من حيث أنها لا حصر ولا حد لظهوراتها فلا نفي عنها للتعيين والظهور بشيء من الصور الحسية أو العقلية أو الخيالية ولا التحول في الصور ولا النزول والمجيء والهرولة والجوع والعطش

والمرض ولا الجمع بين الضدين كالأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، وكونه فى الأرض السابعة ومستو على العرش وموجود فى كل مكان ومع كل مخلوق وقائم على كل نفس، ونحو هذا مما ورد فى الكتاب والسنة وأما كونها مقيدة فمن كونها هى الظاهرة بكل مظاهر المتعينة بكل تعين، وما ظهر شيء من الأشياء ولا تعين الا منها وهى فى حال تعينها وتقييدها بالمظاهر مطلقة فتقييدها عين اطلاقها ولولا اطلاقها ما ظهرت بالمظاهر التى لا نهاية لها مع وحدتها وعدم تجزئها فمرتبة الاطلاق لا تحكم عليها بشيء ومرتبة التقييد والظهور لا ينفي عنها شيء، جاء فى الكتب أو على السنة الرسل عليهم السلام أو أتوا فيه أو فى مثله وكل من حصر الحق فى معتقد ونفاه عما عداه فهو جاهل بالله، كائنا من كان وبالخصوص اذا ظن التقييد اطلاقا كالمتكلمين فلا ضد للحق تعالى فينافيه ويناويه، ولا مثل له فيشبهه ويدانيه، من حيث الذات، فمن نظر فى قول المتكلمين الحق تعالى، لا يكون كذا وليس هو كذا فلا يدري كلامهم أهو فى مرتبة الذات البحت الغيب المطلق الذي لا يعلم منه سوى وجوده لأننا لما عرفنا مرتبة الألوهية علمنا أن وراءها شيئا لا يدرك وتعلق الحكم بالنفي والاثبات فى هذه المرتبة محال، لأن ما لا يدرك بشيء من آلات الادراك ولا يتصور، لا يصح الحكم عليه اذ المطلق لا يعلم منه الا نسبه واعتباراته أو كلامهم فى مرتبة الذات المطلق وهى الألوهيه التى جاءت الكتب المنزلة، والرسل المرسلة، فى أوصافها بالمتضادات وبحملتها بأنواع المحاكاة، وبتعينها بكل التعينات، وتشبيهها بأنواع التشبيهات. فاذا أردنا ما وصف الحق به نفسه على ما يليق بكبريائه وما قبلناه وأجريناه على ما يوافق عقولنا وأوثاننا وخصصنا.

بافكارنا فيها وصفه برسله الذين هم أعرف الخلق به تعالى؛ كنا جاهلين بل كنا غير مؤمنين بكلام الله وكلام رسله بل مؤمنين بما حسنته عقولنا وأدت اليه أفكارنا نعوذ بالله أن نكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

(الموقف السادس والثلاثون)

قال تعالى . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، هذا اخبار منه تعالى انه ما أرسل رسولا من رسله الا ليطاع أي الا ليطيعه كل من أرسل اليهم المصدق والمكذب . والمهتدي به والضال ، وذلك أما طاعة الأمر الظاهر . وأما طاعة المشيئة الباطنة ؛ واذا أرسل الحق تعالى رسله ليطاعوا فلا يكون غير الطاعة أبدا بل لا يتصور خلاف الطاعة وكل رسول لابد أن يهتدي به بعض من أرسل اليهم ، ويضل به بعض ، فانه أرسل لبيان الطاعتين معا ، قال تعالى ؛ في حق القرآن العظيم ؛ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، وما أطيع رسول الطاعة الظاهرة بحيث اهتدى به كل من أرسل اليهم ولا عصى بحيث ما اهتدى به أحد ولا بد لكل رسول من هذين الأمرين . ولمن أرسل اليهم من الطاعة بهذين الحكمين ، وظهور الضلالة والهداية فيهم فالمهتدي أطاع الأمر الظاهر والضال أطاع الأمر الباطن وكلا الأمرين أرسل الرسول بهما لأن رسالته لتبيين الرشد من الغي فحيث كان ضلال الضال مستورا وتبين بارسال الرسول كان ظهور ضلالة طاعة للرسول من هذا الوجه لأنه لا بد من ظهور الهداية والضلالة بالرسول فكان الرسول أرسل بذلك وظهور الضلالة طاعة له . وقوله باذن الله أي بعلمه يعني أن الواقع من طاعة كل رسول بهذين الأمرين وظهور أثر هذين الاسمين ، الهادي ، والمضل ، واقع

بعلمه وارادته تعالى، وجل ربنا أن يقع في ملكه مالا يعلمه ولا يريده أو معنى باذن الله باعلامه أي لابد من طاعته كل رسول باظهار الهدى والضلالة وهذا باعلام الله وأخباره وخبره على وفق علمه والخبر على وفق العلم لا يكون الا صادقا. وأما كون اللام في ليطاع، لام العلة أو لام العاقبة والصيرورة وكون الطاعة طاعة الأمر الظاهر فقط فمما يأباه التحقيق

(الموقف السابع والثلاثون)

قال تعالى ، وانه لذكر لك ولقومك ، وانه أي القرآن لذكر لك تذكر ربك بتلاوته وتتعبد بترديده، ولقومك، أمتك، مجازا ولا شك أن تلاوة القرآن ذكر لله بل هو أجل الاذكار عند العارفين بالله تعالى فقط في كل الأوقات خلافا لمن قال أنه أفضل الأذكار الا في الأمكنة والأزمنة التي ورد الأمر فيها باذكار مخصوصة وخلافا لمن قال انه أفضل الأذكار الا فيما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وفيما بين صلاة العصر والمغرب الثاني وانه لذكر لك ولقومك بمعنى مذكر يذكرك ويذكر قومك أمتك مجازا العهد القديم الذي أخذه الله على الأرواح يوم ألست بربكم فان القرآن وسائر الكتب المنزلة انما نزلت لتذكر العباد بذلك العهد القديم الذي أخذ عليهم بالاقرار بالربوبية والتوحيد الثالث، انه لذكر لك ولقومك، بمعنى تذكر أنت بالقرآن ويذكر به قومك أي العرب على ظاهر اللفظ مادام ذلك فيذكر به الرسول لأنه معجزته الدائمة الباقية بعد بقائه ويذكر به العرب لأنه نزل بلسانها ولغتها. الرابع وانه لذكر لك بمعنى مذكر ولقومك أمتك مجازا أي وعظ وواعظ ولا تخفى أن القرآن الكريم أعظم واعظ وأفضل وعظ لما اشتمل عليه من الوعد والزجر والتخويف والتحذير بل ما ثم واعظ وعظا

الا منه ولا تسكلم ملك الا بلسانه الخامس وانه لذكر لك ولقومك العرب خاصة بمعنى شرف لك ولقومك أما شرفه صلى الله عليه وسلم بالقرآن فلكونه معجزته لاعجاز الخلق عن أن يأتوا باقصر سورة من مثله ولما فيه من الأخبار بالمغيبات والأنباء عن الامم البائدة، والقرون الخالية، واما شرف العرب بالقرآن وهم قومه صلى الله عليه وسلم فلكونه نزل بلسانهم الذى به يتكلمون ولغتهم التي بها يتحاورون، وألزم الخلق جميعهم من انس وجان أن يتلوه بهذا اللسان فى كل زمان ومكان

(الموقف الثامن والثلاثون)

قال تعالى، فى الحديث الربانى، انا عند ظن عبدي بي، الى آخر الحديث هذا الحديث تلقيته تلقيا روحانيا غيبيا بزيادة لفظة المؤمن بعد لفظة عبدي والرواية المعروفة فى الصحيح اسقاط لفظة المؤمن وما أدري هل وردت رواية به أم لا، والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم كما فى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم لأن الظن القوي كالعلم والمعنى انه تعالى عند اعتقاد كل معتقد بل هو عين الاعتقاد لجميع عقائد الخلق على اختلافها الحق عندها أي عينها فهو على ما اعتقده فيه، سواء كان حقا فى ظاهر الشرائع أو باطلا غير أن من وافقت عقيدته ظاهر الشرع فعقده صحيح ظاهراً وباطنا، ومن خالف عقده ظاهر الشرع فالحق عند عقده باطنا لا ظاهرا، وهو مبطل آثم وانما كان الحق تعالى عند ظن كل معتقد لأنه ليس هناك غير له، فهو المعتقد والمعتقد فيه والعقد وجه آخر فى المعنى من ظن واعتقد جازما أن كل محسوس ومعقول ومتخيل هو الحق الظاهر فى هذه المحسوسات والمعقولات والمتخيلات فالحق عند ظنه أي هو كذلك تعالى وهو عين الاشياء بحقيقته المتعينة والاشياء كلها

اعـدام باطلة ، وخيالات عاطلة ، وان جزم وظن أن الحق تعالى مغاير لـكل محسوس ومعقول ومتوهم ومتخيل فالحق عنـد ظنه أي هو كذلك بحقيقته المطلقـة وان ظن جازما ان الحق تعالي محسوس ، غير محسوس ، معقول غير معقول ، متخيل غير متخيل ؛ فهو كذلك جامع للتنافي والتضاد ، بل هو عين التنافي والتضادد ، قابل لصفات الوجوب والامـكان ، ولما يتجلى الحق تعالي لأهل الحشر بعد ما ينكرونه ويتعوذون منـه ، كما في الخبر يتجلي بصورة كل معتقد اعتقده الخلائق فيه من أول معتقد الي آخر معتقد من هذه الأمة المحمدية حتى يقر الخلائق كلهم بأنه ربهم ويعرفونه ، لأن العلامة التي يقولون أن بينهم وبين ربهم علامة ليست الا الاعتقادات التي يعتقد كل معتقد أن ربه كذا وليس كذا فيتجلي الحق في ذلك الزمان الفرد بما يعتقده فيه كل واحـد من الجن والانس ولو بقي واحـد ما تجلى له بمعتقـده ما عرفه ولا أقر له بأنه ربه وذلك لا يكون والله واسع عليم .

وقوله : فليظن بي ما شاء ليس الأمر على ظاهره أمرا ، ولا هو للتخيير والاباحة ، وانما المراد أنه الحق تعالي قابل لـكل معتقد ولولا تجليـه تعالى لذلك المعتقـد في صورة ما اعتقـده ما كان ذلك الاعتقاد لأن من العقائد والظنون ما نهى الشارع عنهـا وان كان الأمـر باطنا كما علمـا لحـكمة هو يعلمها والله لا يأمر بالفحشاء وليست الفحشاء الا ما نهى الشارع عنها اذ لا حاكم الا هو عندنا ولذا قال آخر الحديث ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، فالخير ظن الاطلاق . والتنزيه في التشبيه . والتشبيه في التنزيه . كما نزلت به الكتب ، وأخبرت به الرسل ، عليهم السلام ، والشر ظن التنزيه فقط أو التشبيه فقط فـكلا الفريقين اعور ، والـكامل يبصر بعينين ، مشاهـد

للحقيقتين، عارف بالحضرتين، حضرة الاطلاق والتنزيه، وحضرة التقييد والتشبيه، فهو ناظر الاطلاق في التقييد، والتقييد في الاطلاق، والتنزيه في التشبيه، والتشبيه في التنزيه، في آن واحد لا يحجبه هذا عن هذا، ولا هذا عن هذا.

(الموقف التاسع والثلاثون)

قال تعالى: بل هم في لبس من خلق جديد، وورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل مرتين على صورته فرآه قد سد الافق لعظم صورته، وورد في أخبار كثيرة أن جبريل كان يدخل عليه صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها ويجلس معه فيها، وفي بعض الأخبار أن جبرائيل واسرافيل جلسا معه صلى الله عليه في الحجرة، ومن المعلوم أن الحجرة كانت صغيرة جدا وقد تكلم علماء الرسم في كون جبريل تارة يسد الأفق وتارة تسعه الحجرة مع اسرافيل وهو مثله في العظم وجاؤا في ذلك بما لا يجدي ولا يزيد الواقف عليه الا حيرة اذ كلام ماله مستند، ولا عليه معتمد. وتكلفوا، وتعسفوا وما علموا ان العالم كله العرش وما حواه من الصور سواء كانت الصور حسية أو عقلية أو خيالية فهي أعراض والمقوّم لها والقائم به هو الوجود الاضافي المسمى نفس الرحمن وبالاسامي الكثيرة فهو كالجوهر لها وكما أن العرض المعروف عند المتكلمين لا يبقى زمانين عند الاشاعرة يتجدد في كل آن يذهب ويخلفه مثله أو ضده فكذلك هذه الصورة المحسوسة التي هي أعراض عند أهل الله تعالى العارفين به وبحقائق الأشياء وهي جواهر عند الجاهلين بالله تعالى وبحقائق الأشياء لا تبقى زمانين ففي كل آن يخلع النفس الرحماني الذي هو مقوّم للصور صورة

وبلبس أخرى أما مثل الأولى أو مخالفه لها هكذا على الدوام وهذه الصورة المحسوسة هي عند التحقق نسب واضافات واعتبارات وهى أحكام الأعيان الثابتة في العلم والعدم المعدومة أبدا وأزلا يظهر بها نفس الرحمن المسمى أيضا بأمر الله الذي هو كلمح بالبصر ولا بقاء لها ولا ثبات لا سيما الملائكة الكرام فانها أرواح مجردة ، مالها صورة مخصوصة لازمة ، ولما كان استعداد جبريل يقتضى الظهور بهذه الصور العظيمة مرة ، الصغيرة أخرى وذلك في نظر المدرك فقط بارادة جبريل ظهر نفس الرحمن بهذا الاستعداد تارة هكذا وتارة هكذا وهو جبريل حقيقة في كل صورة وكل ظهور والصور التي يخلعها النفس الرحماني تنعدم في الحس كما هي معدومة في نفس الامر آن لبس خلافها أو ضدها ، وأما آن لبس مثلها فانه لا يدرك انعدامها الا بكشف صائب ، أو عقل ثاقب ، فالصور لا بقاء لها زمانين على كل حال لأنها أعراض فالصور التي هي جبريل مع كثرتها وصغرها وكبرها واختلافها هي أحكام عين جبريل الثابتة في العلم والظاهر بها هو نفس الرحمن وأمر الله الظاهر بأحكام كل عين سواء العين المسماة بجبريل وغيرها من سائر المخلوقات المقدرات ومن استعداد جبريل وأحكام عينه تعدد صوره واختلافها وهكذا جميع الملائكة والروحانيين من جن وولي مروحن واني قد بينت الحق في هذه المسأله وان كانت لا تقبلها العقول لانها فوق طورها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

(الموقف الأربعون)

قال تعالى : وشهد شاهد ، الآية سأل بعض الأصحاب عن الأفضلية بين الملك وخواص البشر وذكر اختلاف أهل الظاهر والباطن وما ورد

على كل دليل بحيث ماسلم دليل من معارضة ونقض واحتمال ، واستغرب اختلاف أهل الباطن من حيث أنهم أهل شهود وكشف فالشيخ الأكبر قال بفضل الملك والشيخ الجيلي فضل خواص البشر فأجبته بأنه لاغرابة فى اختلاف العارفين فى معلوم لاتعلق له بمعرفة الله وتوحيده وانظر الى قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وهما ماهما ، بقول موسى « لقد جئت شيئا نكرا » شيئا إمرا » وبقول الخضر « مافعلته عن أمرى » فأراد ربك » وقول الخضر لموسى في هذه القصة نفسها أنت على علم علمك الله لا ينبغي لي أن أعلمه وأنا على علم علمنيه الله لاينبغي لك أن تعلمه وقوله مانقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر ، وفى صبيحة تلك الليلة توجهت الى الحق تعالى فى كشف هذه المسألة فأخذني الحق عن العالم وعن نفسي والقي الى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ، فلما رجعت الى الحس فهمت من اشارة الآية الكريمة أن الشاهد الذى شهد فى هذه المسألة هو الشيخ الأكبر على مثله فى البشرية والجنسية يعني الكمل من البشر وشهادته عليهم الملائكة بثبوت الأفضلية من جهة واعتبار فآمن يعنى الشيخ الأكبر بما أشهده الحق من ثبوت الأفضلية الملك باعتبار ، ومن وجه واستكبرتم يعني استكبر من قال بأفضلية خواص البشر على الملك مطلقا وما أظن الشيخ الجيلي يقول بأفضلية خواص البشر على الملك مطلقا فان الملك فضلا بالتوسط بين الحق وخواص البشر بالوحي والالهام وان كان للكمل من خواص البشر تلقى من الوجه الخاص بلا واسطة ملك والأكثر بواسطة الملك وان لخواص البشر الكاملين فضلا بالجمعية الكمالية والظهرية لجميع الأسماء الخلافية ولبس

للملك هذه الجمعية ثم بعد رأيت الشيخ الأكبر ذكر في الباب الثامن والخمسين وثلاثمائة مثل هذا وقال في كتابه ما لا يعول عليه ما نصه الكشف الذي يؤدي الى فضل الانسان على الملائكة أو فضل الملائكة على الانسان مطلقا من الجهتين لا يعول عليه فكلامه هذا وما ذكره في الباب المتقدم ذكره نص في أن قوله بفضل الملك على خواص البشر انما هو بوجه ما اعتبار لا مطلقا والحمد لله على الموافقة

(الموقف الواحد والأربعون)

قال تعالى ، فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، الحكمة في الأمر بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند ارادة قراءة القرآن وعدم الأمر بذلك عند ارادة الصلاة أو الصوم أو الذكر أو غير ذلك من سائر العبادات هو أن القصد الأول بالقرآن بيان الأحكام من حلال وحرام ووجوب وحظر ، وذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم البائدة ، والقرون الماضية ، مع ذكر الجنة والنار وما أعد لأهلهما ، من الكرامة والاهانة ، والوعد والوعيد ، فكأن قارئه لا مقصد منه غالبا الا معرفة ما ذكر فأمر لذلك بالتحصن من الشيطان لئلا يضله عن طريق الرشاد ويرفعه عن القصد فيما يقصد معرفته على مراد الله تعالى فان القرآن العزيز كما قال فيه تعالى . يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، ولهذا نرى جميع الفرق الاسلامية الثلاث وسبعين تأخذ أدلتها والحجج لمذاهبها مع تباينها من القرآن العظيم وما ذلك الا لاعجازه وخروجه عن طوق البشر بخلاف سائر العبادات فليس المقصود منها عند العابد بها اذا كانت جارية على مراد الله وما في آدائها الا مجالسة الحق تعالى والخلوة به مع صرف النظر عن كل مخلوق والنسيان لكل سوي

والاشتغال بمشاهدة من ليس كمثله شيء ، والغيبة عن الجنة والنار ، والملك والملكوت ، ومن كانت عبادته على هذا الوجه فما للشيطان عليه من سبيل فهي حصنه من الشيطان ، فتبين من هذا أن المقصود الأعظم من قراءة القرآن أحكام الله تعالى ومخلوقاته والمقصود من سائر العبادات ، الله عينه ، ولهذا ترى العارفين بالله وبطريق السلوك اليه يسلكون مريديهم بالأذكار وسائر نوافل الخيرات ، ولا يأمرونهم بالتلاوة الا قدر الحاجة لأن تلاوة القرآن المبتدي الجاهل بالله تعالى لا تجديه شيئا في رفع حجبه ، والترقي الى المراتب العلية والعارف الكامل يتلوه على طريق لا يهتدي اليها غيره فيستخرج منه الأسرار والعلوم والمعارف والفوائد التي تحار العقول فيها

(الموقف الثاني والأربعون)

قال تعالى : ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ، قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، انك أنت الوهاب ، كان سليمان عليه السلام قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فلم تحمل منهن الا واحدة جاءت بشق انسان ، الحديث أخرجه البخاري في صحيحه والمراد بما حبه الملك ، وتركه عليه السلام قول ان شاء الله كان نسيانا وابتلاء ، واختبارا من الله له وكان ما كان كشف الله عن عينه الثانية فرأى أنه سيحصل له ملك زيادة على ما كان له من الملك وأنه لا يحصل لأحد من بعده مثله بشرط سؤاله لذلك فأناب ورجع عن مراده واستغفر من تمني ما لا علم له بحصوله وان كان تمني خير ودعا ربه أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من

بعده لا حسدا لغيره ولا رغبة في الملك ولا تحجيرا على الله تعالى ولكن المقام أو الكشف اقتضى هذا السؤال فان الحق تعالى يعلم الأشياء على ما هى عليه حيث كان العلم تابعا للمعلوم فما كان من الممكنات يحصل بشرط أو سبب أو شروط أو أسباب علمه تعالى بشرطه أو سببه وما كان يحصل لا عن شرط ولا سبب علمه كذلك فاستغفاره عليه الصلاة والسلام ما كان عن ذنب وانما كان من تنبه ورغبته فيما لا علم له بحصوله وتركه ان شاء الله لا غير وهذا لا يوجب استغفارا في حق غير الأنبياء ولكن مقام النبوة الأسنى اقتضى الاستغفار من مثل هذا لحسنات الأبرار سيئات المقربين وسمى الحق تعالى ولادة شق الانسان لسليمان عليه السلام فتنة له حيث كان الأمر ضد رغبته وخلاف أمنيته فانه تمنى مائة فارس تجاهد في سبيل الله فكان الجسد الذى ألقاه الله على كرسى سليمان هو شق الانسان الذى ولد له وعبر تعالى عن ولادة الشق بالقائه على الكرسى حيث كان ذلك بسبب سليمان عليه السلام وقرن الحق تعالى قصة فتنة سليمان مع قصة سؤاله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده حيث كانت القصة الثانية كالتسلية له عليه السلام ولا يخفى عن أرباب البلاغة العارفين برشاقة الكلام ورقة المعانى ما في هذه الألفاظ من المناسبة

(الموقف الثالث والأربعون)

قال تعالى «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» كل من يسمع ذكر الحجاب من غير العارفين يتوهم أن هناك حجابا محجوبا به ومحجوبا عنه كما هو المتبادر من جوهر اللفظ وهذا وهم باطل لأنه ليس ثمة الا الحق تعالى والخلق أعنى مرتبة الوجوب والامكان ولا واسطة بينهما فالخلق حجاب عن نفسه باعتباره

ومحجوب باعتبار، فهو محجوب من حيث أنه حين حصول المعرفة بالله والعلم به يكون الخلق هو العارف العالم لا غيره ومن حيث أنه لا واسطة بين الحق والخلق وقد كانت المعرفة معدومة والعلم منتف ثم حصلت المعرفة والعلم فهو الحجاب وهذا من أعجب ما يسمع وأغرب مايعلم بل عند التحقق مسمى الحجاب لاعين له موجوده، لا حقيقه ولا مجازا، اذ لاحجاب الا الجهل والجهل عدم العلم لان تقابله مع العلم تقابل العدم والملكة واذا رحم الله عبدا بمعرفته لا يجد حجابا ولا يعرف كيف كان هذا المانع من المعرفة بالله ولا كيف زال ولا كيف حصلت المعرفة لانه يجد نفسه ماارتحل عن مكانه ولا دخل عليه شيء من خارج بل هو هو فمن أين جاءت هذه المعرفة وحصل هذا العلم وكان هذا الاتساع الباطني فسبحان القاهر الحكيم الذي يحجب بلا حجاب ويعلم بلا معلم ويستتر بلا ستر ويظهر بلا ظهور وأما ماورد في الخبر ان لله سبعين حجابا من نور، رواه أبو الشيخ راد الطبراني، وظلمه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه فالمراد بالحجب هنا المظاهر المظلمة والتعينات الفخيمة التي هي حجب على نفسها وعلى غيرها، وليس المراد خصوص هذا العدد وانما المراد التكثير فالحجب النورانية هي الحقائق الغيبية والحجب الظلمانية هي الحقائق الكونية وكلها متفقة في الحجابية بمعنى أنها سترت المحجوب لا أنها سترت الحق تعالى عن ذلك وقوله لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره كل من رأيناه تكلم على هذا الحديث من العارفين رأيناه جعل ضمير بصره عائدا على الحق تعالى والذي ألقاه الحق علي انه عائد على ما وقعت عليه ماء هي واقعة على المخلوق إذ الحق تعالى ليس بمحجوب وبصره يدركنا بلا ريب وانما

نحن المحجوبون وأبصارنا لاتدركه فاذا أراد تعالي رفع الحجاب وكشفه عن أحد من مخلوقاته وليس الا الجهل و واجهته السبحات الوجهيه أحرقت خلقيته ، فزالت حجابيته ، وثبتت خفيته وفى الحجاب رحمة لبعض الخلق وفى كشفه رحمة لبعضهم كما قال بعض التراجمه

فلو أني ظهرت بلا حجاب   اتيهت الخلايق أجمعين

ولكن في الحجاب لطيف معنى   به تحيي قلوب العاشقين

فالممتنع هو كشفه عن الجميع فلا تحرقه السبحات الوجهية لا عن البعض وعند ما تحترق الخلقيه وتبقى الخفية يبصر الحق نفسه بنفسه اذ الخلق محترق منتف وجعل صلى الله عليه وسلم نسبة الأبصار الينا وهو المبصر والمبصر حقيقة فأحرقت سبحات وجهه المخلوق الذي يريه تعالى نسبه الأبصار اليه فقفي فاحترقت خلقته واضمحلت فرآه وما رأى الحق الا الحق تعالى

(الموقف الرابع والأربعون)

روى مسلم في صحيحه ، أنه صلى الله عليه وسلم مر بقوم يؤبرون النخل فقال لهم لو لم تفعلوا لصلحت الحديث ، فليس المراد من هذا أنه عليه السلام يريد منهم ترك الاسباب العاديه التي أجرى الحق تعالى عادته بها في مخلوقاته اذ الرسل عليهم السلام والعارفون انما أمروا برفع حكم الأسباب لا برفع عينها بل يأمرون بأثبات عينها من حيث أن الأسباب وضعها وأثبتها الحكيم العليم كما تجريه وتثبته سبحانه فمن طلب رفع العوائد الجاريه والأسباب العادية فقد أساء الأدب وجهل وكيف يدعى المعرفه لله والوصلة به والقرب له من يطلب رفع العوائد ومعروفه وصاحبه الحق تعالى هو الذي وضعها ومن شرط الصحبة الموافقه فمن طلب رفع ذلك فهو منازع وأين هو الوصل ولا

صاحب بل هو الى العناد أقرب فالذي يثبت العادات والأسباب على وجه لا يناقض التوحيد هو العارف بالله لأنه يشهد الحق تعالى فيها اذ كل شيء من الاشياء هو تجل من تجلياته تعالى وانما المراد أنه عليه السلام أراد أن ينبههم على باطن الحقيقة ونفس الأمر وهو أن هذه الأسباب العادية والصورة المشهودة لا تأثير لها في شيء مما جرت به العادة أنه يوجد عندها وانما الحق تعالى هو الفاعل لذلك فهو المؤثر بوجهه الخاص الذي له تعالى في كل مخلوق لأنه تعالى له في كل مخلوق حتى الذرة وجه خاص لا يشاركه غيره فيه وبه يكون التأثير وانما ستر تعالى فعله بصور مخلوقاته رحمة بخلقه وتقديسا لجنابه فمراده عليه السلام بقوله لو لم تفعلوا لصلحت أن يكونوا مشاهدين للحق الفاعل الحقيقي عند ملابسة الأسباب معتمدين عليه لا على الأسباب لا أن مراده عليه السلام منهم ترك الأسباب اذ لا بد من الأسباب وجودا والغيبة عنها شهودا وقوله عليه السلام لما طلعت النخل شيصا أنتم أعرف بدنيا كم كلام خرج منه مخرج الاعراض عنهم حيث ما فهموا مراده بقوله لو لم تفعلوا لصلحت وحملوه على ترك التأبير وليس هو المراد وإنما المراد أنه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب وعند عدم الأسباب وهو التوحيد الحقيقي ولا يفهم من قوله أنتم أعرف بدنياكم إنه عليه الصلاة والسلام جاهل بأمور الدنيا حاشاه من ذلك فانه عليه السلام كغيره من سائر الأنبياء عالمون بأمور الدنيا والدين وما أرسلهم تعالى الا ليعلموا الناس مصالح معاشهم ومعادهم ويرشدوهم الى ما جهلوه من ذلك فأظهر لهم عليه السلام التقرير على عادتهم حيث فاتهم فهم مراده وما فهموا الا ترك السبب جملة واحدة وليس هو المراد وقد تكلم أمام العارفين محيي الدين وصاحب الابريز على هذا الحديث بغير ما ألقاه تعالى

الي والكل صواب ان شاء الله فان الكل من عند الله

(الموقف الخامس والأربعون)

قال تعالي، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض، المعنى لاخالق إلا الله لأن الاستفهام الانكاري نفي فلا أحد غير الله يقدر على ايجاد شيء من الأرزاق الحسية والمعنوية الا الله تعالى وإن كانت الأسباب حاضرة متهيئة فالسماء والأرض سببان ومحلان لوجود الأرزاق وهما موجودان حاضران ولا يقدر الا الله على إخراج الارزاق منهما وكذا سائر الأسباب والمسببات عنها واذا كان لا يقدر أحد غير الله تعالي علي ايجاد المسببات مع حضور أسبابها وتهيأها فهو عن خلق السبب أعجز والرزق الذى يخرجه الله من الأرض هو ما به قوام الأجسام والرزق الذى ينزله الله من السماء هو رزق الأرواح والعقول وهو ما به قوامها في العلوم والأسرار وفى قوله يرزقكم من السماء والأرض اشارة الى اعتبار الوسائط والأسباب مع نفي التأثير عنها فانه قال منها وما قال بها فهو تعالى يوجد المسببات عند أسبابها حكمة واختيارا، لا عجزا واضطرارا. الا اذا اعتبر السبب من جهة الوجه الآلهي والسر الرباني الذى قامت به صورة ذلك السبب فيكون التأثير حينئذ عند السبب وبه كما هو مذهب المحققين من أهل الله بمعنى أنه كالآلة للنجار مثلا والفاعل هو الصانع لا الآلة

(الموقف السادس والأربعون)

قال تعالى. كل من عليها فان، الجار والمجرور متعلق بمحذوف أي استقر عليها أي الأرض ولا تدخل الهاويات لأنها ليست بمستقرة على الأرض، والمستقر على الارض المحكوم عليه بالفناء هو الصور الأرضية التي تدبرها

الأرواح العلوية والفنا هنا ضد الوجود وان كان فى غير هذا المحل ضد البقاء والمراد أنها فانية فى الحالة الراهنة وان حصل الشعور بوجودها فهو شعور مخالف لما فى نفس الأمر وهذا الشعور من غلطات الحس والعقل ولها غلطات كثيرة بعضهم ينسبها الى الحس وبعضهم ينسبها الى العقل لأنه الحاكم وهذا هو الحق فهذا الشعور والحكم فى جملتها لأن قوله فان اسم فاعل وهو حقيقة فى الحال اتفاقا ولا يعدل عن الحقيقة الا عند التعذر أي تعذر الحمل عليها وقوله ويبقى وجه ربك وجه الحق تعالى ذاته باعتبار قيوميته تعالى على كل موجود أى يبقى العلم بوجهه الذى هو وجوده وذاته تعالى حين يرتفع اللبس وتظهر الحقيقة وتبين أن كل شىء قيل فيه سوى وغير فهو فان باطل معدوم فى الحال والاستقبال اذ لا وجود الا الوجود الحق فى الحال والاستقبال ولا يتوهم متوهم أن الآية تدل على أن ما على الارض له وجود فى الحال وانما يفنى فى ثانى حال فانه وهم باطل وانما مثل هذا قول القائل من العارفين حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل يعني يفنى الشعور والظن الذى كان يظن أنه علم بوجوده لا أنه كان وجودا وانعدم وفنى لانه قال لم يكن أى لم يوجد مع الشعور والظن الباطل بانه وجود فهو عدم فى آن الشعور بوجوده فاذا ارتفع الحجاب الذي هو الجهل لا غير فلا نفع العيان الا على فقد الأعيان يعني اذا حصلت المعاينة الحقيقية الموافقة لما فى نفس الأمر فلا تقع الا على فقد الأعيان أي عدم ما كان يتوهم أنه أعيان ثابتة مغايرة للوجود الحق تعالى فليس الا الوجود الحق الظاهر بالمظاهر التى هي خيال ووهم

انما الكون خيال ... وهو حق في الحقيقة

كل من قال بهذا ... حاز أسرار الطريقة

وقد وافقت السوفسطائية على كون كل محسوس من العالم خيالاً لا ثبت له حقيقة فلو قالوا كقول العارفين العالم خيال وباطنه حق ثابت أي هو حق في صور خيالية لأصابوا الحق ويحتمل أن يكون الضمير في غايتها عائدا على معهود ذهني هو مقرر عندي. وهو حقيقة الأمكان أي كل من سلك على طريقة الامكان صح وثبت وروده على حقيقة الممكن فهو فان هالك حالا لا وجود له وحينئذ يشمل حكم العدم في الحال كل ممكن من المظاهر العلوية كالأرواح المجردة والصور المثالية والأجسام والمعاني وكل ما يسمى غير أو سوى كان الله ولا شيء معه وكان هنا تامة أي الله وجود ولا شيء معه بوجود وهذا الوجه والاحتمال يشمل كل ممكن كما قلنا بخلاف الأول فانه خاص بمن على الأرض فيحتاج الى دليل آخر على عدم كل ممكن في الحال الحاضر ومن المعلوم أن الأمكان الذي هو حقيقة كل ممكن لا عين له قائمة وانما هو أمر معقول لأنه برزخ بين الوجود المطلق والعدم المطلق الذي هو المحال والبرزخ لا يكون الا معقولا فلو كان شيئا موجودا كان برزخا اذ حقيقة البرزخ هو الأمر المعقول الحاجز بين الشيئين لا يكون عين واحد منهما ولا خارجا عنهما

(المذهب السابع والأربعون)

قال تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» الحكمة في تكليف العباد بالتكاليف الالهية والزامهم بالأوامر والنواهي والحد منها بيان أن العبد وان كان يسمى مملوكا لسيده تجاوزا فانه هذا الاسم فله نسبة حقيقية الى الربوبية والحق تعالى أراد ظهوره في المسمى خلقا وعبدا أن يظهر جميع أسمائه فيهم وأن يعرفوه ويعبدوه فلو تركهم مطلقين من الأمر والنهي ولا

حجر عليهم لما ظهرت فيهم جميع أسمائه ولتعلقوا بما فيهم من الربوبية ونسوا أحكامهم، وما جعل الحق تعالى لهم عينين ظاهرة وباطنة إلا لينظروا بالعين الباطنة نسبتهم الباطنة، وبالعين الظاهرة نسبتهم الظاهرة الإمكانية فربما غفلوا عن واحدة من النسبتين فهلكوا، وحيث كانت النسبة الباطنة التي هي الربوبية غالبة وحاكمة جاءت الأوامر الإلهية والنواهي والتكاليف القهرية ملازمة لهم ما داموا في هذه الدار التي هي دار الغفلة والنسيان والحجاب حتى يبقوا واقفين عند ما خلقوا لأجله ملازمين لآداب العبودية ولا يتعلقوا بما فيهم من الربوبية حيث كان مراد الحق تعالى منهم إظهار نسبة العبودية والغيرية في هذه الدار فإذا انقلبوا إلى الدار التي مراد الحق تعالى منهم فيها إظهار نسبة الربوبية أزال عنهم الحجر وحط التكاليف وجعلهم يقولون للشيء كن فيكون، وأحل عليهم رضوانه فأمنوا سخطه ولا لذة أحلى وأعظم من لذة الأمن، ولحكم أخرى منها ما لا يجوز إيداعه بطون الأوراق

(الموقف الثامن والأربعون)

ورد في خبر متواتر معنى بين القوم، وإن ضعفه الحفاظ من علماء الرسم: من عرف نفسه عرف ربه، يعني من عرف نفسه التي هي ربه المقيد عرف ربه الذي هو نفسه المطلق. فإن حقيقة النفس هي الروح، وحقيقة الروح هو الحق تعالى، واتحد هنا الشرط والجزاء والفرق بينهما التقييد والإطلاق، أي اتحادهما معنى لا لفظا فإن كانت النفس لا تعرف بل هي مجهولة أبدا فكذلك الرب لا يعرف أبدا، إذ المعلق على الممنوع ممنوع، بل الرب تعالى أحق وأولى بعدم تعلق المعرفة به. فمعرفة الرب مشروطة بتقدم معرفة النفس والتقدم رتبي لا زماني إذ ليس في هذا المقام زمان، ولا مساء عند ربك

ولا صباح، والقضية الشرطية لا تقتضي وجود المقدم بل ولا إمكانه، لئن أشركت ليحبطن عملك، وهو لا يشرك بل لا يتصور منه الإشراك، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ولا يتصور من الملائكة دعوى الألوهية وإن كانت النفس تعرف من وجه دون وجه وباعتبار لا من كل وجه واعتبار فكذلك الرب يعرف من وجه واعتبار دون كل الوجوه والاعتبارات ولذا ورد في الخبر أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، وورد أيضا أنا أعلمكم بالله وأشدكم [illegible] فالناس متفاوتون في معرفة نفوسهم [illegible] متفاوتون في معرفة ربهم على الاتحاد [illegible]

(الموقف السابع والأربعون)

قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ محبة الله تعالى من حيث الذات الغنية عن العالمين التي لا تطلب العالم ولا يطلبها محال لأن المحبة لا تكون إلا لمناسبة، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق [illegible] ولا ارتباط بوجه ولا بحال، فعلم أن المحبة لا [illegible] الذات [illegible] هي هي لأن [illegible] ولا [illegible] ولا يعلم لأنه [illegible] والذات [illegible] ولا [illegible] صفات [illegible] ولا [illegible] الأسماء [illegible] المحبوبة [illegible] الكمالات [illegible] الأسماء [illegible] والأفعال [illegible] آثار [illegible] الجمال [illegible] الأسماء الجمالية [illegible] الجمال [illegible] رواه

الترمذي والحاكم، فأرشد عليه السلام إلى أن محبة الله تعالى لا تكون إلا من هذا الوجه وهو كونه منعماً رحيماً مشاراً إلى نحو ذلك وهي مرتبة الصفات، وفي قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، وفي قوله: إن كنتم تحبون الله، إشارة إلى أن متعلق محبة العبد(١) إنما هي مرتبة الألوهية لا غير، كما قاله وعليه فالحكاية المشهورة بين القوم عن أبي سعيد الخراز رضي الله عنه أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله شغلتني محبة الله عن محبتك، فقال له صلى الله عليه وسلم: يا مبارك محبة الله هي محبتي. يا مبارك معناه يا مغفل تريد تشغلني محبة المظهر الروحي العلوي عن محبة المظهر الجسمي الأرضي فأجابه عليه السلام بأن الظاهر في المظهرين واحد لا تعدد فيه ولا تغاير فالمحبوب في المظهرين واحد ولا يضرك تغاير المظاهر وتعددها حيث كان الظاهر المحبوب فيها واحداً لا يتجزى ولا يتبعض إذ المظاهر كلها انعدام والعدم لا يشغل به عارف ولا يشتغل بالله به عاقل فمن أحب الظاهر في المظهر الروحي فقد أحب الظاهر في المظهر الجسمي وأمثال الظاهر في جميع المظاهر العلوية والسفلية إلا الصورة الرحمانية المسماة بالحقيقة المحمدية، وكل ما قيل فيه أرواح وأجساد ومثال وخيال ليس ذلك بشيء ثابت وإنما هي تقادير وتدابير وقدّرها الحق ليظهر صورته، لا وجود لها لا قديم ولا حادث وإنما الوجود للحق تعالى وحده كما قيل

مراتب بالوجود ممازجات   حقائق في الغيب والعيان
وليس غير الوجود فيها   ظاهر والجميع فان

ثم إنه عليه السلام قال لأبي سعيد الشيء الذي قلت أنه رسول الله وأنك

(١) وفي نسخة العبد

مشغول عن محبته ليس هو بشيء مغاير لله تعالى الذي قامت شغلتك محبته بل هو هو فالرسول عليه السلام مرتبة ظهور الحق تعالى ، وهذه المرتبة واسطة لجميع الظهورات ، ومنها تفرعت فهي ينبوعها وهيولاها

(الموقف الخمسون)

قال تعالى: فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . اعلم أن نسبة الفعل الصادر في بادىء الرأي من المخلوق جاءت متنوعة في الكتاب والسنة . فمرة جاءت نسبة الفعل الى المخلوق ، ومرة الى الله تعالى ، ومرة الى الله تعالى بالعبد ، ومرة الى العبد بالله تعالى ، فأما نسبته الى الله فمن جهة أنه الوجود الحق والفاعل الحقيقي ، وأما نسبته الى المخلوق فمن جهة أنه مصدر الفعل في الحس ، وأما نسبته الى الله بالمخلوق فمن جهة أنه آلة الفعل كآلة النجار والحداد ، والفاعل هو الصانع لا الآلة ، وأما نسبته الى المخلوق بالله فمن جهة أن المخلوق مظهر وتعين للحق ، والحق غيب والمخلوق شهادة وفعل المخلوق في الحقيقة سواء كان حيوانا أو إنسانا أو ملكا أو غير ذلك ، هو فعل الله تعالى ، وفعل المخلوق من حيثية واحدة ولا حلول ولا اتحاد اذ اسم المخلوق انسانا أو غيره شامل لظاهره وباطنه وباطنه باعتبار هو الوجود الحق ، وظاهره باعتبار هو الصورة المحسوسة التي هي أحكام الاستعدادات الثابتة وآثارها ، وهي معان ظهرت في صورة محسوسة كما تتصور المعاني يوم القيامة وفي البرزخ صورا محسوسة تتكلم وتوزن كما ورد في الأخبار الصحيحة فمن كان شهوده مقصورا على الحس قال الفعل للعبد ، ولا يعني الصورة الظاهرة المشهودة المقدرة ، ومن كان شهوده مقصورا على أن الكمال والقدرة على الفعل ، لا يكون الا لله تعالى ، قال الفعل لله تعالى ولا يعني الأمر الغيبي ولا مدخل للصورة

المشكلة المحسوسة الا من جهة الكسب وكلا الطائفتين يرى أن الحق تعالى مباين للعبد ومنفصل عنه ، فيلزمه ولا بد ان الحق في جهة من جهات العبد لا محيص له عن ذلك ومن كان كاملا عارفا بالحقائق ذا عينين قال الفعل للحق تعالى من حيث هو فعل العبد ، وفعل العبد من حيث هو فعل الرب ، اذ ليس في نفس الأمر الا الوجود الحق الظاهر باحكام الأعيان الثابتة التي هي نسب الوجود واعتباراته المتمثلة بها وتسمى باسم العبد والمخلوق ووصف بأوصافه في هذه المرتبة وهذا الظهور ومن عجيب أن الظهور ستر والستر ظهور وفي هذا المجلي عميت العقول فتباينت مداركها وأخطأت في كل ما تقول من قدري وجبري وكسبي وجزء اختياري فلا طائل تحتها عند السبر والتحقيق ودفع التشغيب والتفريق وقد قال امامنا واستاذنا أبو حامد الغزالي ان مسألة نسبة الفعل الصادر في العبد الى الله تعالى أو الى العبد لا يرفع أشكالها شرع يعني الأدلة الشرعية ولا عقل ولا كشف ونحن والمنة لله رفع عنا أشكالها بالكشف مع أننا نعلم يقينا أن كشف الشيخ أتم وأعلى بما لا نسبة بيننا وبينه والله أعلم بمطمح نظر الشيخ

(الموقف الواحد والخمسون)

قال تعالى : وننشئكم فيما لا تعلمون ، الآية ، انه يوجد في كلام سادات القوم رضوان الله عليهم لفظة الانسلاخ كما يوجد لفظة المزاج التحليلي ومعنى اللفظتين واحد وإيضاحه هو أن يعلم أن كل ما يطلق عليه اسم موجود في أي مرتبة من مراتب الوجود كان ليس هو الا الحق تعالى ظاهرا ومقيدا بحسب تلك المرتبة التي حصل الظهور فيها وهو الظاهر في ملابسه اللابسية المتعين باسمائه الذاتية فهو الظهورات والتعينات والتقيدات كلها أمور اعتبارية

عقلية لا وجود لها خارج العقل كسائر الأمور المصدرية والمظاهر حقيقته المطلقة مقيدة في بادئ الرأي والوهم والا فهي مطلقة حالة الحكم عليها بالتقييد ولا يكون العارف كاملا حتى يشهد الاطلاق في التقييد والتقييد في الاطلاق، في آن واحد، احتجب من حيث تقييده عن نفسه من حيث اطلاقه، فاشتاق المطلق الى الاتحاد بالمقيد والى هذا يشير سلطان العاشقين بقوله :

فكلي لكلي طالب متوجه ... وبعضي لبعضي جاذب بالأعنة

فأرسل الرسل لذلك وشرع الشرائع وأمر باستعمال الأدوية والأسباب المعينة على دفع الحجب المسدلة على القلب بالوهم والخيال حتى يتحد المطلق بالمقيد الاتحاد النسبي المعروف عند أهله وليست الأسباب الرافعة للحجب الا الأدوية التي ركبتها الرسل عليهم السلام والكل من عندهم بأمره تعالى من العبادات والأوامر والنواهي والرياضات والمجاهدات ثم اعلم ثانيا أن صورة كل شيء كائنا ما كان حقا أو خلقا هي ما به ظهور ذلك الشيء وتعينه من غيبه الذاتي فالأجسام صور الأرواح والأرواح صور الأعيان الثابتة، والأعيان الثابتة صور الأسماء الالهية والأسماء الالهية صور الذات العلية، الغيب المطلق فلولا الأسماء التي هي صور للذات الغيبية لما ظهرت الذات ولا عرفت، ولولا الأعيان الثابتة التي هي صور ومظاهر الأسماء الالهية ما ظهرت الأسماء ولا تميزت، ولولا الأرواح التي هي صور الأعيان الثابتة ما عرفت الأعيان الثابتة ولولا الأجسام التي هي صور الأرواح ما عرفت الأرواح ولا ظهر لها أثر، فاذا تمهد هذا فمن استعمل هذه من الحقائق الذاتية الأدوية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام على وجه مخصوص وكيفية معروفة عند أهل هذا الشأن يحصل له علم ضروري بسائر الضروريات

بأن هـذا الجسم ليس هو بشيء حق له حقيقة وثبوت وإنما هو خيال ووهم كسراب بقيعة تراه شيئا محسوسا فاذا حققته وجدته لاشيء ، وكما إذا أخذت عودا على رأسه جمرة نار وأدرته بسرعة فانك تراه دائرة من نار محسوسة عندك لاشك فيها فاذا أمعنت النظر فيها بعقلك حكمت أنه ليس ثمه الا الجمرة التي على رأس العود ولا دائرة هنالك أصلا وكذا إذا حركته مستقيما ترى خطا من نار ولا شيء غير الجمرة وكل مايدركه الحس من الصور والأجسام فهو مثل دائرة النار والخط لاحقيقة له الا في المدارك وحينئذ يصير الجسم عنده ليس بشيء يعتمد به ويعول عليه ويرى في ذلك الشهود . وذلك العلم أنه روح فاذا داوم على التوجه والاقبال على الله ودأب على ذلك حصل له علم وشعور بأن هـذا التعين الروحي مثل التعين الجسمي لاحقيقة له ويرى أن حقيقته الخفية إنما هي عينه الثابتة في العلم القديم وحينئذ يسير في علمه وشعوره عينا ثابتة ثم بعد هذا يحصل له علم بأن حقيقته إنما هي الأسماء الآلهية وحقيقته الخفية هي الذات العلية لأن الاسم عين المسمى ما هو بشيء زائد على ذات المسمى الا في التعقل والى هذه الملابس الوهمية والحالات المتخيلة تشير ابن الفارض بقوله :

اذا ماأزال اللبس لم يبق غيره ولم يبق بالأشكال أشكال ريبة

والى ماتشير الشيخ الأكبر بقوله :

جل الاله الحق أن يبدو لنا فردا وعين ظاهر وبقائي
واذا أردت تعرفا بوجوده فسألت ماعندي على الغرماء
فتمامه ... في كان وجوده وظهوره وقف على إخفائي

يريد بحلها البدن أو العنصر به والغرماء هم العناصر الأربعة ، الماء والتراب .

والنار، والهواء، فان السالك مادام مقيدا بهذا الهيكل لا يعرف الله تعالى فانه لا يعرف الله الاّ الله فاذا تجرد السالك من كل تعين جسمي وروحي وقلبي وفني وصل الى العلم بالله تعالى وتحصل له علوم وأسرار ماكانت تخطر له ببال وبعد هذا إما أن يمسكه الحق عنده أو يرده فيلبس ملابسه الأول التي كان خلعها فيلبسها لكن على غير اللبس الأول ففي اللبس الأول حق ظهر بخلق باطنه حق، وظاهره خلق، وفي اللبس الثاني حق ظاهر خلق فهذا هو الانسلاخ والمعراج التحالي وان اختلفت العبادات عنه وكل واحد عبّر عما حصل عنده فانه ما سالك اثنان على طريق واحدة من كل الوجوه ولولا القهر الالهي ماعبرت عن هذا فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وبعد ما كتبت هذا الموقف القى الحق تعالى عليّ في الواقعة قوله تعالى، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا، والحمد لله رب العالمين

(الموقف الثاني والخمسون)

قال تعالى : قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها، الزكاة الطهارة، وتزكية النفس تطهيرها من دعواها ما ليس لها النفسها وتنزيهها عن غصب كمالات غيرها والتحلي بها حتى تترك جميع الدعاوى الكاذبة لأن النفس تدعي الوجود مع الحق تعالى وهي فاجرة كاذبة في ادعائها وغصبت الكمالات التابعة للوجود من العلم والقدرة والاختيار والفعل والارادة فتحلت بها وادعتها وهي فاجره في دعواها لأن الوجود وكل كمال تابع للوجود خاص بالحق تعالى لا شريك له في ذلك فمن عرف أنه العالم الظاهر وتحقق أنه لا علم ولا قدرة ولا فعل ولا اختيار له، أنه محل الفعل الحق تعالى، وهو الفاعل منه وبه فهو الذي زكى نفسه وطهرها من الجور والفجور ومن لم يعرف هذا وادعى خلافه وهو الذي

دسّى نفسه وقد خاب من دسّاها ، والدس ستر الشيء وتغطيته فمن ادعى له وجودا مع الحق تعالى فقد ستر عدمه بوجود الحق تعالى وكذا من ادعى له كمالا من علم وقدرة واختيار فقد ستر عجزه وجهله وضعفه بعلم الحق تعالى وقدرته وقوته ، ومن ادعى ما ليس فيه افتضح اذا حصحص الحق واتضح

(الموقف الثالث والخمسون)

قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » أي الذين بارزوا أنفسهم بالمجاهدات والرياضات فينا بسبب الوصول الينا والى جنة معرفتنا ومشاهدتنا لنهدينهم ، لنعرفنهم سبلنا الطرق الموصلة الينا ، فانهم ما جاهدوا فى غيره لا دنيا ولا آخرة ؛ ثم ليعلم أن دخول جنة المعارف والمشاهدة خلاف دخول جنة اللذائذ المحسوسة ، فجنة المعارف والمشاهدة دخولها غالبا بالكسب والمجاهدة ، كما قال : « والذين جاهدوا فينا » أي جاهدوا أنفسهم بسببنا ، ثم تقسم بالوهب والجود الالهي والاستعداد ، ودخول جنة اللذات المحسوسة يكون بالرحمة . ثم تقسم بالأعمال ؛ كما ورد فى الخبر . ادخلوها برحمتي واقتسموها بأعمالكم ، والحكمة فى هذا الاختلاف ان جنة اللذات المحسوسة يستحقها كل مؤمن ولو بعد حين ، بحسب الوعد الصادق ، فلو منعها مؤمن دون مؤمن لدخل النار وخلد فيها ، إذ ليس هنالك الا داران وهما ضدان فلهذا كانت الرحمة العامة سببا فى دخولها . وأما جنة المعارف فانها مخصوصة بقوم مخصوصين من خواص المؤمنين ، أصحاب المجاهدات والرياضات . فاذا لم يدخلها بعض المؤمنين دخل جنة اللذات المحسوسة ، ولو دخل المؤمنون كلهم جنة المعارف والمشاهدة فى الدنيا ؛ ما دخل أحد من المؤمنين النار يوم القيامة ، وقد سبق العلم القديم

والارادة الازلية ، بدخول طائفة من عصاة المؤمنين النار ثم يخرجون بالشفاعة ، ومما يجب اعتقاده أنه لا بد من نفوذ الوعيد فى طائفة من عصاة المؤمنين

(الموقف الرابع والخمسون)

قال تعالى : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، ليعلم أن حال أهل جنة المعارف والمشاهدات ، مخالف لحال أهل جنة اللذات المحسوسة ، فى الدنيا والآخرة ، لأن أهل جنة المعارف الآلهية أشهدهم الحق أولا ، أنفسهم كغيرهم ، فشهدوها فاعلة تاركة مختارة ، ولهذا تراهم فى بداياتهم يعاقبون أنفسهم اذا حصل منها تقصير ، ويشكرونها إذا وفت بالعمل فى زعمهم ، ولولا شهودهم أن لهم فعلا وتركا وقدرة ما فعلوا بها ذلك ، سأل بعض العارفين ، مريدا لبعض المشايخ . فقال له ، بما يأمركم شيخكم ، فقال المريد ، يأمرنا بالأعمال ورؤية التقصير فيها ، فقال له العارف ، أمركم بالمجوسية المحضة . هلا أمركم بالأعمال والغيبة عنها بشهود مجريها الى آخر القصة ، ثم اذا رحمهم الله وفتح لهم الباب ودخلوا جنة المعرفة والمشاهدة عرفوا أنهم ليس لهم من الأمر شيء ، من حيث ظاهرهم ومن حيث أنفسهم ، وشهدوا الرهبة والمنة فيما كانوا يشهدونه صادرا من أنفسهم ، كما شهدوا المنة والوهب الصرف أخيرا فغابوا عن أنفسهم وعن الفعل والوهب واستغرقتهم مشاهدة الواهب فاصطفاهم الحق لنفسه ، واختارهم لحضرته ، وأما أهل الجنة المحسوسة فان الحق أشهدهم أيضا كسبهم واختيارهم . فهم يعملون الصالحات وينسبونها لأنفسهم ، قاصدين الوصول الى الجنة المحسوسة غافلين عن جنة المعارف والمشاهدات فأبقاهم الحق تعالى

على غفلتهم في الدنيا وفي البرزخ وفي الحساب وفي حال دخول الجنة الى وقت الرؤيه في الكثيب الأبيض ولذا يقول لهم الحق تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون فنسب الفعل في ذلك الوقت اليهم تقريرا لغفلتهم وجهلهم ويقول لهم ادخلوها بأعمالكم كما ورد في الخبر ، كل هذا تمشية لدعواهم السابقه حتى أن منهم من يقول له الحق تعالى ادخل الجنة برحمتي ، فيقول لا بل أدخلها بعملي ؛ ففي ذلك الوقت ما كشف لهم الغطاء ولا زال عنهم الحجاب فهم واقفون مع أنفسهم ونسبة العمل اليها واما قوله تعالى ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، اذا حمل على الميت انما هو كشف عن بعض المغيبات دون بعض ولا يرفع الحجاب بالكلية وتقع اليقظة التامة الا بعد رؤية الحق تعالى في الكثيب لأن الناس في الدنيا نيام بالنسبة الى اليقظة الحاصلة بعد الموت في البرزخ ، وهم نيام في البرزخ بالنسبه الي اليقظة الحاصلة في البعث والحساب ، وهم في الحساب نيام بالنسبه الي اليقظه الحاصلة في الجنة ، وهم نيام بعد دخول الجنه بالنسبه الى اليقظة الحاصله عند رؤية الحق تعالى ، الرؤية الخاصه في الكثيب وانما فعل الحق تعالي مع هؤلاء هذا الأمر لأنهم ما طلبوا بالأعمال الا الجنة المحسوسه وما تشوقوا لجنة المعرفة والمشاهده ولا سمت همتهم اليها وما كان مطلوبهم الا ما تشتهيه الأنفس لا ما تشتهيه الأرواح ولا يظلم ربك أحدا وكانت جنة المعرفه والمشاهدة لقوم مخصوصين دون عامة المؤمنين ، والجنه المحسوسة لعامة المؤمنين ، لأن جنة المعرفة والمشاهده يدخلها أهلها في الدنيا قبل الموت الحسي . وبعد الموت المعنوي ، ومحال أن يدخل النار من دخل جنة المشاهدة والمعرفه . وقد سبق العلم القديم والاراده الأزليه بدخول بعض المؤمنين النار ثم يخرجون بالشفاعه ،

فجنة المعرفة والمشاهدة مثل لا آله الا الله ، فلو وضعت كلمة التوحيد فى الميزان ما دخل مؤمن النار ، وانما توضع فى الميزان حسنات المؤمنين غير كلمة التوحيد ، ولا توضع كلمة التوحيد فى ميزان الا فى ميزان صاحب السجلات خصوصية فلهذا كانت جنة المعرفة والمشاهدة مخصوصة بقوم مخصوصين ، وهم الذين أراد الحق تعالى بقوله فأولئك يبدل الله سيئآتهم حسنات

(الموقف الخامس والخمسون)

قال تعالى ، ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ما موضوعه للعموم ، فكل وعد ووعيد آت الموعود به ولا حق خيرا كان أو شرا فى الدنيا والآخرة طلبه أو هرب منه بمعنى أن ماقدر لكل انسان أو عليه وسبق العلم القديم والارادة الازلية بلحوقه به فهو واصل لامحالة فلا يقدر أحد ان يعجز المقدور ويسبقه بحيث لا يلحقه ماقدر له أو عليه سواء طلبه أو لم يطلبه وسواء هرب منه او استقبله

(الموقف السادس والخمسون)

قال تعالى ، إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون . فقوله قولنا يريد أنه متكلم وهو عبارة عن توجه آلهي يحصل به سماع المأمور بالتكوين فيكون لنفسه عما فيه من الاستعداد ، وليس للحق تعالى الا الأمر ، ولما كانت فائدة الكلام ونتيجته هى ايصال ما فى نفس المتكلم ومراده الى المخاطب السامع أخبر الحق تعالى أنه متكلم بمعنى أن له صفة الكلام وحقيقته وهو إيصال مافي إرادته تعالى ونفسه الى من يريد أمره أو نهيه أو اخباره أو تبشيره أو تحذيره مما يحصل عرفا بالكلام فلا مناسبة بين كلام الحق تعالى

وكلام المخلوقين إلّا من هذا الوجه الواحد وهو إيصال ما في نفس المتكلم الى السامع ، وكلام الحق تعالى على نوعين باعتبار بغير واسطة مشهودة ، ويسمى إلهاما أو إلقاء ونحو ذلك وبواسطة مشهودة وهي المظاهر الروحانية ، يسمى وحيا وكلام الحق اذا كان بغير واسطة مشهودة لا تدرك سامعه له كيفية ، لكن يجد السامع له مراد الحق تعالى منه مقررا عنده من غير ادراك كيفية من الكيفيات التي تكون لكلام المخلوقين ، وكلام الحق تعالى يسمعه الأنبياء والأولياء منه نصيب ، ولكن أذواقهم في السماع مختلفة متباينة فليس ذوق النبي كذوق الولي فبين ذوقيهما ما بين رتبتيهما وإنما اختص موسى عليه السلام باسم التكليم من بين سائر المكلمين لذوق اختص به موسى عليه السلام لا يعلمه الا هو ، كذا قال شيخنا محيي الدين باخبار موسى عليه السلام له بذلك والذي ألقاه الحق الى أن اختصاص موسى بالتكليم دون غيره من المكلمين لكون كل من كلمه الحق تعالى لا يكلمه الا في باطنه بحيث لا يسمع الحاضرون تكليم الله اياه ، وموسى كلمه الحق بحضرة السبعين الذين اختارهم من قومه وكلهم سمعوا تكليم الحق وخطابه لموسى عليه السلام وليعلم أنه كما أن الوجود للحق تعالى خاصة وليس لغيره وجود مستقل لا قديم ولا حادث وإنما لغيره تعالى النسبة للوجود فكذلك توابع الوجود من كلام وعلم وقدرة وإرادة اذا نسبت لغيره تعالى فهو الوجود من وراء حجابية كل موجود والعالم من وراء حجابية كل عالم والمتكلم من وراء حجابية كل متكلم ونحو ذلك فالوجود وتوابع الوجود اذا نسبت لغير الحق تعالى فهي مجاز وفي الحقيقة ليس كلامه تعالى سوى ظاهر علمه وجميع صفاته ترجع الى علمه ولا ينفصل بعضها من بعض الا في العبارات لتفهيم المعاني المتواضع

عليها ، فاذا أضيف علمه الى دعوه المضطر قيل سميع ، واذا أضيف علمه الى رؤيته كل شيء قيل بصير ؛ وإذا أوصل ماق نفسه من أمر أو نهي أو أخبار وأفاض ذلك على المراد إيصاله اليه قيل متكلم ، وكما أن للحق تعالي الظهور بالصور كذلك هو المتكلم بها ، قال تعالى «فأجره حتى يسمع كلام الله» وكلامه صفته ، وصفته لا تقوم بغير ذاته أي حتى يسمع كلام الله بمظهرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهو كلام الله من حيث أنه كلام رسول الله من حيثية واحدة فافهم والا سلم تسلم ، ولا تنكر تندم ، اذا كشف الساق والقدم ، وكما ان ظهور الحق تعالى بالصور حادث فكذلك كلماته لأن كلماته أفعاله وأفعاله حادثة وأعني بكلماته مخلوقاته المخاطبة بكن لا نفس الكلام الذي هو صفته وصفاته تعالي اذا نسبت الى مرتبة الاطلاق تكون مطلقة فيتعلق علمه وكلامه بالواجب والممكن والمستحيل وتتعلق قدرته وارادته بكل ممكن وسمعه وبصره بكل مسموع لأن يرى ويسمع واذا نسبت الى مراتب التقييد لا تظهر الا مقيدة فيتعلق العلم ببعض المعلومات والقدرة ببعض المقدورات وقس على هذا

(الموقف السابع والخمسون)

رأيت فى بعض المراثي أني جالس فى قبة بيضاء وأنا أتكلم مع أشخاص لا أراهم فتكلمنا فى قول القطب عبد السلام بن بشيش [١] رضي الله عنه واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي ؛ فقلت لهم ، سأل الشيخ بهذا أن يكون الحجاب الأعظم وهو الحقيقة المحمدية والتعين الأول المسمى بالأسماء الكثيرة بحسب اعتباراته ووجوهه ، حياة روحه أي اجعلني به حيا

« ١ » لعله مشيش

على الكمال لا مطلق الحياة ، لأن الروح مستلزم للحياة ولا عكس فكل روح حي وليس كل حي له روح ومطلوب الشيخ ومقصوده أن يكون روحه مظهرا كاملا وتجلي تامّا للروح الكل الذي هو الحجاب الأعظم والحقيقه المحمديه إذ كل روح انما هو من الروح الكلي المحمدي ولكن لا على الكمال الا أرواح الكمل الحاصلين على رتبة الكمال، من الورثة المحمديين فانه طبع فيه كانطباع الطابع في الشمع ونحوه فقال لي واحد لم أر شخصه، فعلى هذا يتماثل المنطبع فيه مع الطابع فقلت له ، هيهات المنطبع حقيقته وأصل ، والمنطبع فيه مجاز وفرع ، فانا نقول في الحق تعالى حي وفي زيد حي وأين حياة الحق تعالى من حياة زيد ، ونقول ، في زيد عالم وفي الحق تعالى عالم وأين علم الحق تعالى من علم زيد فان تباين حقيقة كل واحد من الموصوفين بالصفه الواحدة مؤذن بعدم المشابهة بينهما في النسبه كما اذا ضرب نور الشمس في حائط من كوة مثلا فنقول ظهرت الشمس في الحائط وأين الشمس من شعاعها الظاهر في الحائط وقوله وروحه سر حقيقتي يريد الشيخ رضي الله عنه روح الحجاب الأعظم فالضمير عائد عليه وروح الشيء ما به قوامه وروح الحجاب الاعظم هو الذات الغيب المطلق البحت الذي لا يعبر عنه بعبارة ولا تتطرق اليه اشاره اذ الحجاب الأعظم هو غاية معرفة العارفين ، ونهاية السائرين، غير أنهم علموا أن وراء هذا الذي أدركوه شيئا من حقيقته وصفته نفسه أنه لا يعرف ولا يدرك منه سوى وجوده لا غير فكان ادراك العجز عن ادراكه ادراك إذ العلم انكشاف المعلوم على ما هو عليه حينئذ طار لي واحد منهم وقبل يدي وليعلم أن كثيرا من أهل الرياضات والمجاهدات على غير طريق الانبياء وصل الى الروح الكلي فظن

أنه هو حقيقة الحقائق وأنه ليس وراءه مرمى فكفر ورجع من حيث جاء ولهذا يقول بعض سادة القوم ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا يعني الوصول إلى الذات الغيب المطلق إذ ليس وراء الله مرمى وأما مرتبة التعين الأول والحقيقة المحمدية والحجاب الأعظم فوراءه مرمى وهو الله من حيث أنه اسم مرتجل علم على الذات الغيب المحض لا شيء فيه من الوصفية

(الموقف الثامن والعشرون)

قال تعالى . للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، المراد أحسنوا لأنفسهم وأحسنوا ادخلوا حضرة الإحسان ، فإن الحق تعالى لا يحسن أحد إليه ولا يسيء . كما قال : من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . والإحسان هو الحضور مع الله تعالى في الأعمال الصالحة ، وهو يستلزم إخلاص العمل من كل شوب ، وفسّر صلى الله عليه وسلم الإحسان كما في الصحيح في حديث سؤال جبريل عليه السلام فقال هو أن تعبد الله كأنك تراه . يعني العبادة على الحضور فالعبادة الخالصة من الشرك الخفي لا تكون إلا لمن دخل حضرة الإحسان ووعده وعد الله تعالى ، ووعده الحق ، فإنه لا يخلف الميعاد من عبده كأنك تراه بالحسنى أي المعرفة والشهود اللائقين بهذه الدار والزيادة وهي المعرفة والشهود اللائقان بالدار الآخرة فإن الشهود هنالك أتم والمعرفة أكمل . لا أن الشهود يتبدل والمعرفة تتغير ، فإن صاحب الشهود والمعرفة في الدنيا يكون في الآخرة كما هو في الدنيا كما قال بعض العارفين ، يعني العارفين في الآخرة كما هم في الدنيا إن شاء الله ، وإن كان الحجاب مصاحبا في الدارين لأن رداء الكبرياء لا يرتفع عن وجهه تعالى لا دنيا ولا آخرة كما ورد في الصحيح وليس بين القوم

وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، ورداء الكبرياء هو أول التعينات، وهو الحقيقة المحمدية، وقوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه تعليم لدخول حضرة الاحسان واذن في تخييل الحق تعالى بالحضور مع العابد وأنه في قبلة المصلي وبينه وبين القبلة، وأنه يناجيه كما في صحيح الأخبار ، فاذا أراده الله تعالى لقربه وأزال الحجاب عن عين بصيرته، صيّره الى حالة لا يعبر عنها لسان، ولا تخطر لعاقل بجنان، منها أن يرفع عنه الكاف من كأن وحينئذ تصير حضرة الاحسان في حقه فيها نوع سوء أدب ، لما فيها من الحصر والتقييد بالنسبة الى ما صار اليه وحسنات الأبرار سيئات المقربين وإنما أمر صلى الله عليه وسلم، ورغب في حضرة الاحسان، تعليما وتدريجا وتدريبا لما هو أعلى وأقدس وأغلى وأنفس وهو صلى الله عليه وسلم سيد المعلمين ، وأحكم العالمين

(الموقف التاسع والخمسون)

قال تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، من أراد أن ينظر الى تبشير الحق تعالى عباده بسعة رحمته وأخبارهم تلويحا بل تصريحا لمن عقل بعموم عفوه ، وشمول مغفرته ، فلينظر في أجمله الله فاتحة لكلامه تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وخاطب به كل من بلغه فانه أخبر تعالى أنه الملك يوم الدين أي ملك الجزاء بعد أن أخبر تعالى أن الحمد له على الحصر والاختصاص ، أو الاستحقاق وهو يعمي جنس الحمد إن كانت اللام لاستغراق أفراد الجنس أو حقيقة الحمد ان كانت اللام للحقيقة والماهية ، والحمد هو الثناء على المحمود بصفاته الجميلة، واسست الأصفات الجمال كالحلم والعفو والستر والرحمة والكرم والاحسان لاصفات الجلال

كالانتقام وشدة البطش والغضب، فان الحمد عليها من كونها صفات كمال فالحمد عليها نسبي ثم اخبر تعالى، أنه رب العالمين ، والرب هو المصلح لكل ما أضيفت اليه تربية فيربيه الى أوان حصول ثمرته المقصودة منه ، وبلوغ نتيجته ، والقصد الأول من خلق المخلوقات معرفة الحق تعالى قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي يعرفون لأن العبادة فرع المعرفة وثمرتها، وقال تعالى في الخبر المتداول بين القوم ، كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فعرفوني بي، فمعرفته تعالى حاصلة لكل مخلوق من وجه وهي معرفة الفطرة وغير حاصلة لمخلوق أي مخلوق كان من وجه وهي معرفة الكنه ، وحاصلة لبعض دون بعض من وجه ، وهذا الوجه الحاصل لبعض دون بعض، من لم تحصل له في الدنيا حصلت له في الآخرة، ولو كان لاعلى الكمال فمن حصلت له المعرفة في الدنيا فهو سعيد في الدنيا والآخرة ومن لم تحصل له المعرفة الا في الآخرة فهو سعيد في الآخرة والكل تحصل له في الآخرة فالكل حاصل على الثمرة المقصودة من ايجاده فالكل سعيد في الآخرة والشقاء الحاصل للبعض في الآخرة انما هو مثل الشقاء الحاصل للبعض في الدنيا ، بالامراض والفقر ، وسائر الآلام الزائلة بضدها ، أو بالموت ثم أخبر تعالى ، أنه الرحمن الرحيم بصيغة المبالغة افادة للتكثير بمعنى أنه تعالى كامل الرحمة بحيث لا يدخلها نقص ، يرحم عباده بسبب وبغير سبب كما أوجدهم ، بلا سبب غير رحمته فلا سبب لرحمته عباده الا رحمته فمن رحمته ايجادهم ، ومن رحمته إسعادهم ، ثم أخبر تعالى أنه مالك يوم الدين بمعنى مالك الجزاء فيجازي كل أحد بما يريد مجازاته به ومن المعلوم ضرورة أن الحق تعالى أرشدنا ونديا في كتبه وعلى ألسنة رسله ، عليهم الصلاة

والسلام، الى العفو والصفح والستر فيما بيننا ومدح فاعل ذلك، ووعده بجزيل الأجر، بل جعله تعالى واجبا عليه ؛ فقال، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وعلى من صيغ الوجوب ، ومحال أن يأمر تعالي باستعمال مكارم الاخلاق ، ويندب الي الاحسان ثم لا يفعل ذلك هو مع عباده ولا يعاملهم به تعالى عن ذلك اذ لا أحد أحب اليه المدح من الله تعالي ، كما فى الصحيح ، ولا سيما والحكمة التى وضع لاجلها تعالى العقوبات والحدود التى شرعها لنا فى الدنيا لاصلاح ديننا ودنيانا ؛ وابقاء لعمارة الدار الدنيا الي أجلها الموعود ، زالت فى الآخرة ؛ وما بقيت لها فائدة ترجع منها نفع المخلوقين بعد حصول القصاص فيما بينهم، واستيفاء كل ذى حق حقه وقد أخبر الحق تعالى، أنه يوقف عباده يوم القيامه ويحاسبهم ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يضيع حق أحد ، وهو الصادق فيما أخبر . وكل هذا الرحمه فيه أغلب للغضب ، والحلم أكثر من العفو به وفى الخبر الصحيح . أن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامه فلا تزال الرحمة فى حال الحكم وبعد الحكم بين الخلائق ، تغالب الغضب وتسابقه، حتى تمحو أثره وتنسى خبره فتشمل السعادة وتعم الرفادة ، ولا شك أن الحق تعالي مالك يوم الدين سواء كان المراد بيوم الدين يوم الجزاء فى الدنيا والآخرة أو الآخرة فقط ، فهو فى الدنيا مالكه بوسائط وأسباب وحجب وهو الفاعل المالك من ورائها ، لأن الدنيا مبنية على الحكمة وفى الأخرة ترفع تلك الحجب وتهتك تلك الأستار ، لأن الآخرة مبنية على اظهار القدرة فيشهد كل فعل للواحد القهار

(الموقف الستون)

قال تعالى ، وكبّره تكبيرا ، أي تكبيرا بالغا فى الفخامة والضخامة

غاية ما يتصور، وانما أمر المصلي بقول ، الله أكبر ، عند دخوله في الصلاة ، وعند انتقالاته في الركوع والسجود والرفع منه ، الى تمام الصلاة لكونه أمر بأن يعبد الله كأنه يراه وأن يعتقد أن الله تعالي في قبلته، وانه مطلع عليه يراه ، وانه بينه وبين القبلة ، وانه يناجيه ، وأمثال هذا مما ورد في الأخبار الصحيحة، وكل هذا يستلزم التخييل والتصوير لا محالة، وكل مصل بل مخلوق يتصور معبوده ويتخيله بمعني أنه يعتقد في معبوده أنه كذا وليس كذا وهذا هو التصور والتخيل فلما كان الأمر هكذا وعلى ما ذكرناه أمر المصلي وغير المصلي أن يقول الله أكبر ، بصيغة المفاضلة أي مسمى الله في مرتبه اطلاقه اكبر وأعظم من أن يتخيل أو يتصور أو يحوم حوله حماه شائبة تقييد بجهة أو صفة ، أو يحصره نعت أو اعتقاد فانه ليس كمثله شيء ، وكما نفت هذه الآية الكريمة المثلية ، نفت الضدية فلا مثل له تعالى فيدانيه ، ولا ضد له فيناويه ، بل هو المطلق حتى عن الأطلاق ، لأن الأطلاق تقييد له بالاطلاق ، وانما ضرورة التعبير أحوجت الى ذكر الأطلاق ونحوه من الألفاظ الضرورية فالمفاضلة اذاً على بابها بمعني أنه تعالى في مرتبه اطلاقه ، أكبر منه وأعظم في مرتبة تقييده ، وهو هو في المرتبتين لا غير من غير تغيير يلحقه ولا تحويل فهو المطلق في آن تقييده المقيد في آن اطلاقه كما أنه الأول في عين آخريته ، الآخر في عين أوليته ، الباطن في عين ظاهريته ، الظاهر في عين باطنيته ، ولما كان الحق تعالى فاعلا لا فاعلا في مرتبه التقييد جاءت صيغة المفاضلة في الكتب المنزلة ، وفي السنة المتضافرة ، كقوله تعالى ، أحسن الخالقين ، خير الرازقين ، نعم القادرون ونحو هذا . وفي السنة الله أفرح بتوبة عبده ، الحديث بطوله ، ونحوه كثير فكل هذا باعتبار مرتبة

الاطلاق والتقييد فهو مفضل على نفسه باعتبارين كمسألة الكحل عند النحاة وإنما أمر الشارع صلى الله عليه وسلم بحضرة الاحسان للتعليم والتأنيس فاذا دخلها العبد، وأراد الله رحمته رحمة كاملة رفعه منها الى رؤيته تعالى في كل جهة، حيث لا جهة بل يرى حقيقته هو لا جهة لها فيرى الحق في الخلق، والخلق في الحق، من غير حلول ولا اتحاد ولا زندقة في هذا ولا إلحاد، وانما هو توحيد محض، ورفض للشرك ودحض، ومن ذاق عرف، ومن جهل لج وما أنصف، ولو سلم كان له أسلم

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

اللهم زدني علما بك، فأنت خير مسئول، وأكرم مأمول،

(الموقف الواحد والستون)

قال تعالى، والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم، أخبر تعالى أنه يدعو عباده من أنس وجن في الحال والاستقبال الى دار السلام، بمعنى السلامة وهي الرحمة المحضة العامة التي تعم العباد كلهم بعد نهاية الغضب الالهي يدعوهم في الحال بألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام الى الأعمال والأقوال والاعتقادات الصالحة التي هي أسباب نيل السلامة، بمعنى الرحمة الكاملة الخالصة من غير أن يتقدمها شوب غضب، ويدعوهم في الاستقبال الى نيلها بالفعل، ثم أخبر تعالى، أنه وان دعا الجميع في الدنيا بمعنى دعائهم الى الأعمال، واتباع الرسل فيما أرسلهم به، فقد فرق بينهم بحكمته وإرادته فيهدي من يشاء هدايته وهم المؤمنون الى صراط مستقيم أي طريق قريب الوصول سهل المشي الى السلام، فيصلون اليها من غير مشقة ولا تقدم غضب، ويضل من يشاء وهم الكافرون العاصون للرسل عليهم السلام،

فلا يصلون الى الرحمة الكاملة الا من طريق غير مستقيم بعيد، وبعد نفوذ الغضب الآلهي، وهم الذين قال تعالى في حقهم، أولئك ينادون من مكان بعيد، من الرحمة المحضة، الى الرحمة المحضه، فانها لا تنالهم الا بعد حين

(الموقف الثاني والستون)

قال تعالي، وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر، اعلم أن كل ما يقع الية الادراك من محسوس ومعقول ومتخيل، فهو متغير متجدد في كل نفس، يوجد ويعدم، اذ كل مدرك فهو صورة قائم بغيره كقيام العرض بالجوهر عند علماء الكلام وذلك الغير المقوّم لتلك الصورة هو نفس الرحمن، وأمر الله وحقيقة الحقائق وله أسماء كثيرة بحسب اعتباراته والكون كله العرض وما حوى من عالم الأرواح وعالم المثال وعالم الأجسام أعراض ونفس الرحمن مقوّم لها وهي قائمة به، قال بعضهم ما الكون الا عرض، سيان في ذلك الجوهر والعرض: ولولا أن هذه الصور المدركة بأي مدرك كان من أنواع الادراكات اعراض ماصح انقلاب العصا حية، ولا العرجون سيفا، ولا صح مسخ اذ لو كانت هذه الصور المدركة هي حقائق الاشياء ماصح انقلابها، لأن قلب الحقائق محال، فحقيقة الأشياء غير هذه الصور المدركة بل حقيقة كل شيء هو المقوّم لصورته، وهو غير مدرك بالحس بل يدرك بالحس ولا يعرف أنه هو لأنه لا يتميز عن الصورة ولا تتميز عنه وإذا صح أن كل ما يتعلق به الادراك مطلقا صورة بمعنى عرض قائم بغيره فهو لا يبقى زمانين بل زمان وجوده عدمه كما تقول الأشاعرة من المتكلمين. العرض لا يبقى زمانين، وقال بعدم بقاء الصور الجسمية زمانين قوم من الحكماء قديما عقلا والقوم رضي الله عنهم قالوه كشفا فكل صورة مطلقا لا يقع عليها

ادراك أي ادراك كان إلا اذا تميزت عند المدرك ، لأن موجودية الأشياء تابعة الادراكات لا غير عن الوجود العام المفاض عليها المقوّم لها ، وزمان تميزها حيث يتعلق الادراك بها هو زمان عدمها لأنه ما حصلت على اسم الموجود الا بملابسة الوجود الحق الظاهرة فيه وبه من غير حلول ولا اتحاد فاذا تميزت عنه فى المدارك المدركة حصلت على العدم بمثابة الصورة المرئية فى المرآة فمهما نظر الناظر الصورة فى المرآة لا يرى المرآة فانعدمت المرآة فى نظره وانعدمت الصورة لأن المقوّم لها هو المرآة ولو بقيت الصورة فى نظره وفى خياله فهى معدومة فى المرآة موجودة فى خياله فهو يراها فى خياله ويظن أنه يراها فى المرآة أعني زمان انعدامها وأيضا الوجود الحق تعالى من حيث هو غنى عن العالمين فهو ظاهر بذاته الأحدية لذاته ووحدته تطلب عدم الكثرة لأن مقتضى الأحدية اعدام الكثرة ، وأسماؤه تعالى تطلب ظهورها بظهور آثارها وهو مقتضى الكثرة فالكون دائما بين مقتضى الأسماء وهو ظهور الكثرة وان كان ظهور الكثرة بظهور الأسماء بآثارها هو ظهور الذات فى الحقيقة حيث أنها اعدام ونسب لا قيام لها بدون الذات ولهذا كان الحق تعالى ظاهرا باطنا ، أولا آخرا : من حيثية واحدة ، وجهة متحدة ، ولا نفهم من تمثيلنا بالجوهر والعرض المعروفين عند المتكلمين أن العالم والمقوّم له متشابهان من كل وجه ؛ وإنما هو التقريب اذ لا يشترط فى التمثيل التساوي من كل وجه وأكثر الناس يعلمون هذه المسألة ولا يعلمون أنهم يعلمون ، لأنك إذا قلت المنطقي مثلا ما حقيقة الانسان فيقول الحيوان الناطق . فتقول له الحيوانية والناطقة جوهر أو عرض ؛ فيقول عرض عند المحققين ؛ فكأن الانسان الذى هو أعظم الجواهر وأشرفها وأجمعها لحقائق

الأجسام عندهم عرضا تجري عليه أحكام الأعراض، اذن ولا بد، وكذا، تقول للطبيعي العلوية غير العرش والكرسي والأطلس وتلك الثوابت والسفلية المشهودة والغير المشهودة من أي شيء هي مركبة، فيقول لك، من العناصر الأربعة وهي التراب والماء والهواء والنار، فتقول له والعناصر الأربعة من أي شيء هي مركبة ؟ فيقول لك التراب مركب من البرودة واليبوسة، والماء مركب من البرودة والرطوبة، والهواء مركب من الحرارة والرطوبة، والنار مركبة من الحرارة واليبوسة، فتقول له وهذه الطبائع الأربعة جواهر أو أعراض فيقول هى أعراض فكانت الجواهر والأجسام كلها مركبة فى الأعراض تجرى عليها أحكام الأعراض ولا بد

(الموقف الثالث والستون)

قال تعالى : فتمثل لها بشرا سويا ، ورد فى صحيح مسلم تجلى الحق تعالي لأهل الحشر ، وتحوله فى الصور ، وفى الصحيح المتواتر أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل فى صورة دحيه ويعرفه أنه جبريل والصحابة يجزمون أنه دحيه وهذا هو التجلي الذي تنكره علماء الرسوم المحجوبون على العارفين رضي الله عنهم ورموهم بالحلول والاتحاد ولو أنصفوا ما أنكروا ما جهلوا لأن الحكم على الشيء تصويبا وتزييفا فرع تصوره وهم ما تصوروا التجلي والشهود على ما هو عند القوم رضوان الله عليهم ، فما رد علماء الرسوم إلا باطلهم الذي تصوروه في أنفسهم ، تصوروا باطلا وردوا باطلا ، اذ القوم رضي الله عنهم لا اثنينية عندهم ولا يقولون بوجودين قديم وحادث حتى يتحد أحدهما بالآخر أو يحل فيه ، فحقيقة الوجود عندهم واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتبعض ، وهى ما به وجدان الشيء وحقيقته التحقق الذي له بالذات ، والأشياء كلها من عالم

الأرواح والأجسام، عالم المثال والمعاني المجرّدة العقلية، لا تظهر ولا تتعين إلا بظهور الوجود الحق فيها، من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال، ولا انفصال، كما أن الوجود الحق لا يظهر ولا يتعين إلا بمخلوقاته، ومثال ذلك، ولله المثل الأعلى، العالم إذا لم تكن الشمس مشرقة عليه، وظاهرة لديه، كان كالعدم لا وجود له في الأعيان، ولا يتميز بعضه عن بعض، فإذا أشرقت عليه الشمس ظهر الأعيان، وتحقق وجوده وتميز بعضه عن بعض وظهور نور الشمس في أجزاء العالم ليس بحلولها فيه ولا اتصالها به ولا انفصالها، ولا تغيرها عما كانت عليه، ولا بانفصال بعضها عنها، ولولا أجزاء العالم ما ظهر نور الشمس ولا تعين، ولو قدرنا ارتفاع العالم وعدمه وكذا الوجود الحق تعالى، لا وجود لمخلوقاته إلا بإشراق نوره عليها ولا ظهور له ولا تعين إلا بها وظهور نور الشمس وإشراقه على أجزاء العالم تختلف بحسب صفاتها وقوابلها واستعداداتها وهو شيء واحد غير متعدد، ولا متجزىء، ولا متلون، وإنما تعدده ولونه أجزاء العالم بحسب صفاتها، وكثافتها وكدورتها، وشفافيتها، فتجلي الوجود الحق على العالم كله واحد، لا فرق فيه بين جليل، وحقير، وصغير وكبير، ولكن لا يظهر في صورة الأشياء بحسب قابليتها، مثال آخر للتجلي والشهود الذي دلت عليه الآي والأحاديث، الشمع إذا صورت منه صورة إنسان أو حيوان ثم أحضرت لدى جماعة فيهم عقلاء وجهال وصبيان، فالجهال والصبيان لا تقع إدراكاتهم إلا على الصورة، ولا يتأملون إلا فيها، وفي تخطيطها وأشكالها، وأعضائها غافلون عن الشمع الذي هو مادتها وبه قامت وظهرت حتى صارت تتعلق بها الإدراكات الحسية، وأما العقلاء فإنهم ينظرون الصورة كما نظروها غيرهم، ويتعدى نظرهم إلى الشمع الذي قامت الصورة به وتعينت، ويعرفون أن

الصورة من حيث هي لولا الشمع أظهرها ماظهرت ولا وقع عليها إدراك ، لأنه لو كان لها وجود مستقل منفصل عن وجود الشمع ، لكان يصح أن تنفصل عن الشمع وتبقى على ظهورها وتتعلق الادراكات بها وذلك محال ، فثبت أن الوجود والظهور للشمع وانظهر بالصورة أي متلبسا بها فالظاهر هو والصورة خيال ، اذا فتشتها لاتجدها شيئا مع إطلاق الحقيقة الشمعية وتقييدها بالصورة وبتلك الهيئة والشكل والتخطيط ، فلو فرض أن الحقيقة الشمعية تكيفت بكيفية إرادية من عدم الظهور بتلك الصورة المخصوصة ، وظهورها بصورة أخرى أو بعدم الظهور مطلقا إنعدمت تلك الصورة التي كان ظاهرا بها ، مع بقاء الحقيقة الشمعية على حالها من غير تغير ولا زيادة ولا نقص ، ولا يصح أن يقال الصورة حلّت في الشمع ولا اتحدت به ولا امتزجت ، لأن هذه الأمور إنما تقال على شيئين مستقلين بالموجودية ، وليس الا شيء واحد وهو الشمع مثلا والصورة ليست بشيء ، والقوم رضوان الله عليهم لايثبتون الوجود الا لشيء واحد وهو المقوّم القائم على العالم جميعه جواهره وأجسامه وأعراضه . والعالم كله أعراض عندهم بمعنى أنه كالعرض القائم بالجوهر عند المتكلمين ، ولو أدركنا الصور بحواسنا تتكلم وتفعل أفعالا مختلفة فانما ذلك لتعلق إدراكنا بالصور دون نفوذ الى بواطنها وحقائقها التي الصور فيها بمثابة العرض في الجوهر ولو عرفنا حقيقة الأمر لعرفنا أن الأفعال كلها للحقيقة المقوّمة للصور لأن الافعال والكيفيات كلها تابعة للوجود وقد ثبت أنه لا وجود الا للحقيقة المقومة للصور والصور عدم متخيل وجوده غير أن الصور ظهرت لظهور الوجود الحق متلبسا بها اذ ظهوره بلا صورة متخيلة محال لأنه لاصورة له فظهر به وظهر بها

مع عدمها ولا يقال في الصورة أنها عين ماقامت به لأنها عدم والمقوّم لها وجود ولا يكون العدم عين الوجود ، ولا أنها غيره لأن الغيرين عند المتكلمين أمران وجوديان ، وليس إلاّ وجود واحد لا قديم ولا حادث ، وإذا قيل أنها غير فهي غيرية اعتبارية لا حقيقية ، وكذا أن قيل أنها عين بمعنى أن الظاهر عين المظهر فهو مجاز أيضا لأنها شؤنه في مرتبة التعين الأول ، فلا يقال أنها عين ولا غير ، وان قيل في مرتبة الظهور لهما أحكام الاستعدادات أعني الصور وما بينهما من الأحكام زيادة إيضاح ، أن الأعيان الثابتة هي حقائق الممكنات في العلم ولا وجود لها أزلا وأبدا وإنما لها الثبوت ولو وجدت لكان قلبا لحقيقتها وقلب الحقائق محال فكل ممكن له حقيقة وماهية في العلم وليست غير العلم ولا العالم لأن علمه عين ذاته عند المحققين فاذا أراد الحق تعالى ان يظهر باحوال عين من الأعيان الثابتة ، ويظهرها ، توجه بارادته وكلامه على تلك العين الثابتة فكانت هذه الصورة المحسوسة ، وهي معان اجتمعت فكانت منها صورة قائمة بنفسها في بادىء الرأي والتخيل وهي نسبة بين الوجود الحق وبين عينها الثابتة التي كان التوجه اليها من الوجود الحق والنسب كلها أمور اعتبارية لا موجودة ولا معدومة فوجودها إنما هو في اعتبار المعتبر مادام معتبرا وفي عقل المتعقل كسائر الأمور المصدرية ، فهي مثل الصورة الظاهرة في المرآة ، فلولا المرآة والمتوجه على المرآة ماظهرت الصورة في المرآة ، والصورة خيال لا حقيقة له وإنما نسبنا الوجود للصورة مجازا لكونها ماظهرت الا بتوجه المتوجه على المرآة وهو الوجود فالعالم كله بما فيه من الصور الحسية والخيالية والعقلية ، ظل لأعيانه الثابتة من جهة الصور المقيدة وظل للوجود الحق من جهة الوجود وتوابع الوجود من

الأفعال والادراكات ، فقاصر النظر الجاهل الذي لا يرى إلا الظل يتوهم أن الافعال الصادرة من ذي الظل هي للظل فقط ، حيث ما تعدى نظره الى ذي الظل ، وأما من يرى ذا الظل حيث نفذ نظره من الظل اليه فانه يعلم الأمر على ما هو عليه ويعرف أن ذا الظل هو الفاعل الأفعال كلها والظل تابع له لا استقلال له بشيء أصلا

(الموقف الرابع والستون)

قال تعالى ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، برفع كل بالرفع في غير المشهورة وهي قراءة أبي السمال ، اعلم أنه ليس للحق تعالى ذات وللمخلوقات ذوات مستقلة قائمة بأنفسها لم يجدها أبدا ، وإنما ذات الحق تعالى هي عين ذوات المخلوقات من غير تعدد ولا تجزئة ، لذاته تعالى ، وذوات المخلوقات هي عين ذات الحق تعالى لا على أن للحق ذاتا وللمخلوقات ذوات ، ثم اتحدت ذوات الحق بهم أو امتزجت أو حلت فيهم ، فان هذا محال وليس بمراد بل بمعنى أن ذاته تعالى التي هي وجوده المقوم المخلوقات ، القائم عليها هي عين ذوات المخلوقات أي هي أي ذوات المخلوقات عبارة عن ظهور الوجود الحق متلبسا بأحكام استعدادات المخلوقات أي أعيانها الثابتة في العلم والعالم أزلا وأبدا وهي نسب الوجود الحق واعتباراته واضافاته ، ولا عين لها في الوجود الحق ولكن لما كان الشأن أنه لا حكم الا للباطن في الظاهر ، ولا أثر الا للغيب في الشهادة ، ظهرت أحكام الاستعدادات الثابتة بالعلم القديم ... على الوجود الحق الظاهر بأحكامها ... الأحكام والأسماء ... فذاته تعالى وجود حق واحد قائم بنفسه ، وذوات المخلوقات ما هي الا الوجود الحق الظاهر بأحوال أعيانها الثابتة الحادثة الظهور القديمة بالعلم ، فالظاهر

بها الذي قامت به الوجود الحق القديم فهو تعالى ذاتنا من حيث ظهور صفات أعياننا وأحوالنا به حاكمة عليه في الاتصاف بها ، ونحن ذاته من حيث ظهوره بنا فهو ظاهر بنا وإن كنا عدما ، وذات الشيء ما به ظهوره ولا يقدح فيما ذكرنا التعبير بنحن ، وهو لا زضرورة التفهيم أحوجت الى ذلك ، فليس إلاّ ذات وحقيقة واحدة اذا ظهرت بالتأثير والفعل وصفات الكمال كانت آلها ، وإذا ظهرت بالانفعال والتأثر وصفات النقص كانت خلقا وعبدا والعين واحدة وكذلك الصفات ، ليس المخلوقات صفات مغايرة لصفات الحق تعالى ، فصفاته المطلقة المتعلقة بكل ما يصح تعلقها به هي عين صفاتنا المقيدة التي تتعلق ببعض ما يصح تعلقها به دون بعض ، وصفاتنا المقيدة هي عين صفاته المطلقة ، فقدرته المطلقة تتعلق بكل ممكن ، وقدرته المقيدة بنا تتعلق ببعض الممكنات دون بعض ، وعلمه المطلق يتعلق بكل واجب ومستحيل وجائز ، وعلمه المقيد بنا المنسوب الينا يتعلق ببعض المعلومات دون بعض ، فمن حيث الاطلاق هي صفات الحق تعالى ومن حيث التقييد هي صفات

ان الانسان ما أعطى الحكم في العالم بما هو انسان وانما أعطى ذلك بقوة آلهية إذ لا تحكم في العالم الا صفة حق لا غير وهي للانسان ابتلاء لا تشريف ولو كان الحكم في العالم تشريفا بالنسب الحاكم الى عدل ولا الى جور ولا ولي الخلافة في العالم الا أهل الله تعالى بل ولي الله الحكم في العالم من أسعده الله به ومن أشقاه من المؤمنين والسلاطين والأمراء نواب القطب ومن استمدادهم من قبل المدد بحاله كان صالحا حكما عدلا ومن كان من السلاطين والأمراء غير صالح غير المدد ورده الى استعداده وكان جائرا ظالما كالمطر نزل من السماء عذبا فراتا فاذا وصل الى الأرض غيرته الارضين كذا الى طبائعها ورددته الى استعداداتها فمنه ما يصير مالحا ومنه زعاقا ومنه حامضا الى غير هذا من طبائع الارضين ومنه ما يبقى على حاله بيطن أرض انتهى

الخلق وهي هي في الحالتين والنسبتين وإنما تميزت بالاطلاق والتقييد والمطلق عين المقيد في الخارج وان كان غيره في الاعتبار والتعقل والتقييد والحدوث ، إنما حصلا للصفات باضافتها الى الخلق وكذا أفعال المخلوقات هي أفعاله تعالى ، وأفعاله أفعال مخلوقاته ؛ ولذا ورد في الكتاب والسنة نسبة الأفعال الى الحق تارة ونسبتها الى المخلوقات تارة ، ونسبتها الى الحق تعالى بالخلق تارة ، والى الخلق فالحق تارة ؛ فافهم واحذر أيها الواقف على هذا ، ترمينا بحلول أو اتحاد ، أو زندقة ، أو الحاد ، فنحن بريئون من فهمك الأعوج ، وعقلك الأهوج

(الموقف الخامس والستون)

قال تعالى ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، فطول المتكلمون من علماء الرسوم الحديث في الثواب والعقاب من حيث أن فعل العبد بقضاء الله وقدره وإرادته وسبق علمه فما للعبد حيلة في التحول عن مراد الله تعالى فيكون العقاب ظلما على وهمهم حتى أدي النظر في هذا الى الاختلاف والتشعب بين المسلمين ، فقالت طائفة ، الخير فعل الله ، والشر فعل العبد ، وقالت أخرى ، العبد يخلق أفعاله الاختيارية ، جعلت لله تعالى شركاء لا يحصون عددا ، وقالت طائفة بالكسب ولم يفهم أحد حقيقته على اليقين حتى ضرب به المثل في الخفاء وهو في الحقيقة إسم بلا مسمى ، ولفظ بلا معنى ، وقالت طائفة بالجزء الاختياري وهو كالذي قبله فان محصل كلام القائل به يرجع الى أنه معنى اعتباري لا وجود له الا في اعتبار المعتبر مادام معتبرا وكيف يكون ما لا وجود له في الخارج علة الموجود في الخارج عندهم وعلى مذهبهم ، الى غير ذلك من المقالات المذكورة في كتب علماء الكلام ، ولو كشف الله تعالى

الغطاء عن بصائرهم لعلموا ، أن الثواب فضله ورحمته ، لأن الرحمة بها الايجاد والأمداد والثواب واما العقاب والجزاء على سيء أفعالنا فانما جاء من قبلنا فاننا لما كنا عند أنفسنا موجودين ، بعد أن كنا معدومين تخيلنا أن لنا وجودا حادثا مستقلا مباينا للوجود الحق تعالى ، وتوهمنا أن لنا صفات مباينة لصفات الوجود الحق ، من قدرة وإرادة ، وعلم وإختيار ، وأننا نفعل إذا أردنا ، ونترك إذا أردنا ، فعاملنا الحق تعالى حسب تخيلنا ، وخاطبنا بذلك في ، كلامه ، وبألسنة رسله ، فقال افعلوا واتركوا ، وهو يعلم أنه لا فعل لنا ولا ترك ، وانه الفاعل تعالى وحده ، ورتّب تعالى الثواب والعقاب على وهمنا هذا ؛ والثواب منة منه تعالى ، وفضل ، فما جاءنا الشر الاّ من قبلنا ما ولا حملنا ما حملنا الاّ بجهلنا ؛ قال تعالى ، إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، الآية ، يعني تعالى أنه عرضها عليهن عرضا لا إلزام فأبين وخفن من حملها لأنها عارفة بالله تعالى فطرة وما طرأ عليها حجاب ، وعرفت أن حمل الأمانة يستلزم الحجاب الذي هو سبب المخالفة ، ودعوى الاستقلال بالوجود والفعل والاختيار ، وإن كان حمل الأمانة على الكمال والتمام ، يقضي بحاملها الى شرف ما يبلغه سواه من المخلوقات . فاختارت هي السلامه كما قيل

وقائلة مالي أراك مجانبا أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالي بربحك حاجة ونحن اناس بالسلامه نفرح

وحملها الانسان ، لأنه كان ، أي وجد ظلوما ، حيث أنه وضع الشيء في غير محله بدعواه الوجود لنفسه مع توابع الوجود من قدرة ، وارادة ، وفعل ، واختيار ، جهولا بنفسه ، أي حقيقته التي بها هو هو ، فانه ما عرفها

ولو عرف نفسه لعرف ربه ، ولو عرف ربه من غير أن يطرأ عليه حجاب ، كما عرفته السموات والأرض ما حصل عليه ضرر ولا لحقه عذاب ، ولا ألم ، فلو فرضنا مستحيلا وأنه لم يكن في نوع الانسان الا عارف بالحقيقة ، وبما هو الأمر عليه ، ماجاء للانسان تعب ولامشقة ، ولا كانت منه مخالفة أمر ولا نهي ، ولا يقال أن في نوع الانسان عارفين بالحقيقة ، فلم كان ما كان ، لانا نقول المقصود والمراد : بهذا العموم وأما الفرد النادر فلا حكم له ولا اعتبار به

(الموقف السادس والستون)

قال تعالى ، وإن من شيء الا يسبح بحمده ، شيء أنكر النكرات وكل مسبح فهو عالم ناطق ، بنطقه مدرك . وعلى هذا فكل مايطلق عليه اسم موجود في أي مرتبة من مراتب الوجود ، كان سواء كان وجودا عينيا خارجيا أو ذهنيا خياليا . أو وجودا لفظيا . او وجودا خطيا ، وجميع المحسوسات والمعاني فانه يوصف بجميع الأوصاف ، من حياة ، وعلم ، وقدرة ، وارادة ، وسمع ، وبصر ، وكلام ، وغير ذلك ، لأن هذه الأوصاف والأحوال تابعة للوجود فحيثما كان الوجود كانت هذه الأوصاف لازمة له ، لأنه ما صح شيء من الأشياء الاتصاف بالوجود الا بعد اقتران الوجود العام المفاض على الممكنات بأحوال ذلك الشيء ، وانصباغها بالوجود . فوجود كل شيء أي شيء كان هو نفس الحق تعالى الذي هو الوجود . وظهوره بأحوال ذلك الشيء وصفاته . قال تعالى ، استعينوا بالصبر والصلاة . وقال ، وإياك نستعين ، أي لا تستعينوا الا بي فدل على أنه هو الوجود الحق . وهو الصبر والصلاة ، ولكن ظهور آثار صفات الوجود الذي اتصفت به الموجودات

ونسبت اليه متباين متفاوت ، بحسب استعدادات الموجودات وقبولها ، لظهور آثار الصفات عنها، فانه ليس قبول الجماد هو استعداده كقبول النبات، ولا قبول النبات كقبول الحيوان ، ولا قبول الحيوان كقبول الانسان ، ولذا قال إمامنا وشيخنا محيي الدين ، الحروف أمة من الأمم مخاطبه مكلفه ولا يكلف الا من يدرك ، ولا يدرك الا من يعقل ، ويسمع ويعلم ويتكلم ، وقد حصلت لنا حكايات في هذا الباب مع الجمادات

(الموقف السابع والستون)

قال تعالى ، ألا إن أولياء الله ، الآية ، جمهور المحققين من أهل الله تعالى على أن الولاية مكتسبة، والاكتساب افتعال، وهو طلب الشيء بقوة واجتهاد، وعليه فالعمل لأجل تحصيل الولاية التي معناها القرب من الله تعالى برفع الحجب والخلاص العبودية اليه، وصدق التوكل عليه، والانحياش ظاهرا وباطنا اليه ليس بعلة قادحة في العبادة ، وفي قوله تعالى ، لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل ، الحديث ، إيماء الى ما ذكرنا فان التقرب تفعل أي بطلب القرب ومن المعلوم ضرورة ان الاخلاص في الأعمال واجب باجماع ، واجمع أهل الله تعالى، انه لا يصح الاخلاص لأحد الا بعد موت النفس ، واجمعوا على أن موت النفس لا يكون الا بعد معرفة حقيقتها التي هي شرط في معرفة ربها ، فمن البعيد ان يكون هذا القصد والطلب علة قادحة في العبادة لان ما لا يتوصل الى الواجب ، الآية ، فهو واجب وأما إذا قصد بالعمل الولاية التي معناها ظهور الخوارق والكرامات وانتشار الصيت واقبال الخلق ، فهذا لا يشك أحد انه علة بل شرك ، وعليه يحمل قول من قال ، لا يصل أحد الى الله مادام يشتهي الوصول اليه ، وعندي على ما ألقاه الحق تعالى

الى أن بداية الولاية بمعنى التوفيق لطلبها موهبة لأنها حال والأحوال مواهب ووسطها اكتساب ، لأنه جد واجتهاد ، وارتكاب أهوال ، ورياضات ومجاهدات ، وآخرها ولا آخر ، ونهايتها ولا نهاية ، مواهب ، والقرب من الحق تعالى قرب معنوي ؛ وليس ذلك الا برفع حجاب الجهل والا فالحق أقرب الينا من حبل الوريد ، فما بعّدنا الا الجهل ، ولا قرّبنا الا العلم ، وقوله تعالى . فاذا أحببته كنت سمعه ، الحديث ، اي ازلت عنه حجاب الجهل ، فعرف الأمر على ماهو عليه ، وهو ما ينبه في آخر الحديث . لا أنه حدث شيء لم يكن ، وانما المراد أنه رفع الحجاب عن المتقرب بالنوافل أي الطالب القرب من الله تعالى فكان ما كان ، وهذه المرتبة أول مراتب الولاية

(الموقف الثامن والستون)

قال تعالى ، قال رب أرني أنظر اليك ، الآية ، قد أكثر الناس الكلام في هذه الآية من علماء الرسوم والعارفين ، أهل الوجد والشهود والذي ورد به وارد الحق تعالى عليّ أن موسى عليه السلام رأى علو مقامه عند ربه بسماع كلامه وغير ذلك فحمله ذلك على طلب رؤية خاصة وهي رؤية تضمحل فيها الحجب ، الا حجابا لا تتصور رؤية الحق بدونه مع بقائه عليه الصلاة والسلام عند حصول هذه الرؤية على حالته وصحة بنيته . وموسى عليه السلام وكل عارف يعلم أن رؤية الحق تعالى تلزمها الحجب ، أما كثيرة . وأما قليلة ، وأما لطيفة ، واما كثيفة ، ومن المحال رؤية الحق تعالى بلا حجاب ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولكن الرائين متفاوتون في كثرة الحجب ، وقلتها ، وكثافتها واطافتها ، فالعقل الأول يرى الحق من وراء حجاب واحد ، والنفس الكلية

تراه من خلف حجابين وهكذا ، وما رؤية محمد صلى الله عليه وسلم كرؤية غيره من الأنبياء ، ولا رؤية بعض الانبياء ، كرؤية باقيهم، فانه تعالى أخبر أنه رفع بعضهم فوق بعض درجات ، وليس ذلك الاّ بزيادة العلم به، ولا رؤية الاولياء كرؤية الأنبياء، ولا رؤية بعض الأولياء كرؤية البعض الاخرين، فان كل راء للحق تعالى انما تكون رؤيته بحسب استعداده ، والاستعدادات متباينة متفاوتة، فلا يشبه استعداد استعدادا وهذا هو الواسع العظيم ، وانظر قصة المريد الذى قيل له ، هلا ذهبت تنظر أبا يزيد، فقال، لاحاجة لي أن انظر أبا يزيد ، فاني أنظر الحق تعالى، ثم اتفق ذهاب هذا المريد الي أبي يزيد، فلما وقع بصر المريد على أبي يزيد خرّ ميتا، فقال أبو يزيد ، كان هذا المريد صادقا فى رؤيته الحق تعالى ، ولكن كان يراه على حسب استعداده : فلما وقع بصره عليّ رأى الحق تعالى بحسب استعدادى ، وبما هو متجل به عليّ فلم يقدر فمات لما سأل من ربه ما سأل ، أجابه الحق تعالى ، بأنه لا يقدر على الرؤية حسب سؤاله لا هو ، ولا ما هو أقوي منه شدة ، وأشد بنية ، كالجبال التي هى صخر فتجلى الحق تعالى ، للجبل ولموسى ، فما استقر الجبل ، ولا ثبت موسى ، فندك الجبل ، وخر موسى صعقا ، جسما وروحا ، وقد ورد فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أصعق فأفاق قبلي ، أم جوزى بصعقة الطور ، وصعق القيامة للأرواح ، وانما كان الدك للجبل ، والصعق لموسى ، لان استعدادهما لا يقوي على هذه الرؤية المخصوصة التي سألها موسى صلى الله عليه وسلم ، فقوله لن تراني ، يعني لا تطيق رؤيتي على الحالة التي سألتها من قلة الحجب ولطافتها

وبقائك على حالتك من غير تغيير فالمنفي هو الرؤية المقيدة المخصوصة بما ذكر ، وأما الرؤية فهي ثابتة حاصلة له عليه السلام ، ولولا حصول الرؤية له ما خر صعقا ، فسؤاله مقبول من جهة حصول الرؤية ، وغير مقبول من جهة حصول الصعقة ، وفساد البنية ، وتغيير النظام ، وما أمر الحق تعالى ، موسى عليه السلام ، بالنظر الى الجبل الا تسلية وإعلاما بالمعاينة ، إن عدم الثبات ، واضمحلال التركيب ، عند هذا التجلي المخصوص ليس خاصا به ، بل هو له ، ولمن هو أشد واقوى بنية ، ومن زعم أن موسى عليه السلام ، لم ير الحق تعالى ، وان الجبل رآه ، اذ لا يمكنه انكار رؤية الجبل له تعالى ، لأن الآية نص فى اثباتها للجبل ، فقد جعل الجبل أكرم على الله تعالى من موسى ، وكفى بهذا جهلا وتوبة من موسى عليه السلام ، إنما كانت من سؤاله ما لم يؤذن له فيه ، ولا يقوى عليه ، ومقامه السامى يقضي أن هذا سوء أدب مع الحق تعالى ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، وإيمانه إنما كان بانه لا يرى أحد دون استمداده فى رؤية الحق تعالى ، وأوليته فى هذا الايمان بالنسبة الى ملته ، وأهل شريعته ، الذين هو رسولهم

(الموقف التاسع والستون)

قال تعالى . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، الآية ، ورد الوارد أيام السلوك بهذه الآيات فعلمت ان المراد من هذا الانباء ، الحث على المجاهدة والرياضة . فانه حصر الايمان بانما فى المجاهدة بماله ونفسه ، والمراد من طريق الاعتبار الجهاد الأكبر الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام ، لأصحابه الكرام . رجعتم من الجهاد

الأصغر ، الي الجهاد الأكبر ، أي بذلوا جهدهم وطاقتهم فى طلب معرفته تعالى ، والوصول اليه مستعينين على ذلك بأموالهم أي ببذل ما زاد على حاجتهم من أموالهم فى وجوه البر وأنواع الخيرات لأن السالك إذا كان له مال زائد على ضروراته ؛ تعين عليه إخراجه فى وجوهه ولا تغنيه مجاهدة نفسه بغير إخراج المال الزائد فى أنواع المجاهدات والرياضات ، قيل لذي النون رضي الله عنه ، إن فلانا له مال كثير ولا يخرج منه شيئا فى وجوه البر ، وهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، فقال : مسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره ، يريد أن السالك الى الله أول حالاته أن يقول بفاضل ماله هكذا وهكذا فى عباد الله تعالى . وانفسهم أي جاهدوا مستعينين بأنفسهم فان النفس مطية السالك فى سيره الي الله تعالى ، ونعمت المطية لمن وفقه الله وهداه رشده في سبيل الله ، أي فى طريق الوصول الى الله تعالى : ومعرفته ولولا وجود النفس ماسار سائر الى حضرة الحق ولا وصل اليها فهي الحجاب على العبد وهي موصله الى ربه ووسيلته اليه. وأولئك هم الصادقون فى محبة الله ومحبه الوصول الي حضرة قربه، فاذا ظهرت على مدعى محبته تعالى والسلوك اليه ، علامة الصدق وهي بذل ماله ونفسه تحقق صدقه فى دعواه محبته تعالى ؛ ومن ادعى ذلك بلسانه ولم تظهر عليه العلامة فهو إما كذاب وإما دنيء الهمة ، ضعيف العزمة ، وإنما قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالأنفس، لأن الانسان فى الغالب قد يجود بجهاد نفسه بالصيام والقيام وأنواع الرياضات والمجاهدات ، ولا يقدر يجود بماله لما جبل عليه الانسان من الشح اذ الشح صفة نفسية للانسان ، قال تعالى ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، وذلك لأن وجوده الذي هو به هو

مستعار من غيره وهو الحق تعالى ، فهو أبدا يجب أن يأخذ ولا يعطي ، أتعلمون الله بدينكم ، الهمزة للاستفهام الانكاري ، ومعناه النهي والدين من معانيه الجزاء كما في مالك يوم الدين ، فيجب على السالك ان لا يطلب جزاء على سلوكه وأعماله وان طلب فانما يكون طلبه على وجه الذلة واظهار الحاجة والافتقار مع تفويض الأمر اليه تعالى فيما يريد ويختار ، فان مطلوب الحق من عباده ترك الاختيار معه فاحرى من السالكين كما قيل على طريق الترجمة

مرادي منك نسيان المراد اذا رمت السبيل الى الرشاد

فربما طلب السالك شيئا يراه خيرا له من غير تفويض فكان فيه هلاكه وشره ، فكأنه تعالى ، يقول للسالكين ، لا تعلموني بجزائكم ، ولا تخبروني بحاجتكم وحالكم ، فاني عليم بما في السموات والأرض اعلم كل مخلوق ومايصلحه ومايطلبه لسان استعداده وما تقتضيه الحكمة في حقه ، بحيث لو اطلع كل سائل عليها لكان راضيا بما أعطيته من خير وشر ونفع وضر ، ولو اطلع على باطن الحقيقة والأمر قبل السؤال ماسأل الا ما أعطاه الحق كائنا ما كان بل لا يعطي الحق مخلوقا شيئا خيرا أو شرا الا وهو سائل لذلك بلسان استعداده ، وان خالف لسان نطقه لسان استعداده ، فانه قد يكون السائل مستعدا للسؤال باللسان النطقي ولسان استعداده يسأل ضده

(الموقف السبعون)

قال تعالى ، والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، الآية ، ورد بهذه الآية بعد التي قبلها فعلمت من هذه الالقاء بشارة الحق تعالى

للسالكين إذا صدر منهم شيء مما نهوا عنهم من طلبهم الجزاء وتعيينه ، والتحكم على الحق تعالى ، وعدم تفويض الخيرة اليه ، ثم تابوا الى الله ورجعوا اليه بما أمرهم من ترك طلب الجزاء ، وعدم التحكم عليه لأن النهي عن الشيء أمر بضده على خلاف عند الأصوليين وآمنوا أي صدقوا بأن الله يغفر لهم ما وقع منهم بحسب وعده الصادق ورحمته الواسعة ، وهذا إيمان خاص ، ماهو الايمان الذى يعصم الدماء والأموال ، فان ذلك شرط في صحة الأعمال كلها ومتقدم عليها .

(الموقف الواحد والسبعون)

قال تعالى ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، الآية ، ورد الوارد بهذه الآية بعد التي قبلها ، فعلمت أن الامر بجهاد النفس وقتالها هو على وجه مخصوص ، وحد محدود ، ووقت معين ، وهو أن لا يكون الا في سبيل الله أي لأجل معرفة الله وادخال النفس تحت الأوامر الآلهية ، والاطمئنان والاذعان لاحكام الربوبية ، لا لشيء آخر من غير سبيل الله كمن يجاهد نفسه بالرياضات الشاقة لأجل طلب جاه عند الملوك ، أو لصرف وجوه العامة اليه ، أو حصول غنى أو نحو ذلك من الحظوظ النفسية ، وقوله : الذين يقاتلونكم ، أي قاتلوا النفوس التي ما اطمأنت ولا أذعنت ، ولا سكنت تحت الأوامر الآلهية ، مادامت على حالتها من عدم الاذعان واظهار العصيان فاذا تركت العصيان والقت السلاح ، وصارت تبادر لامتثال الأمر والنهي ، فاتركوها ولا يجوز حينئذ جهادها كالكافر الحربي اذا أذعن لأداء الجزية يحرم قتاله بعد ذلك . كما قال تعالى : حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقال تعالى ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ولهذا ترى العارفين رضوان

الله عليهم ، لما اطمأنت نفوسهم وسكنت تحت الأمر والنهي، واذعنت لا داء ما عليها من حق الحق والخلق، تركوها من غير جهاد ووضعوا عنها إصرها والأغلال التي كانوا يحملونها إياها، في وقت جهادهم وبدايتهم، حتى قال سيد الطائفة الجنيد ، من رآني في بدايتي قال صديق ، ومن رآني في نهايتي قال زنديق، وصاروا أول خير واحسان يفعلونه مع أنفسهم ، فانها أقرب اليهم ، والأقربون أولى بالمعروف ، ثم يتعدون بالاحسان الى الأقرب فالأقرب ، أبدأ بنفسك ثم بمن تعول ، كما هي سيرة كمل البشر وهم الرسل والانبياء عليهم السلام، وقوله، ولا تعتدوا، نهى عن قتال النفس على غير الحد المشروع وعن التجاوز والتفاني في ذلك كمن يجاهد نفسه بالرهبانية ، وبامور نهى الشارع عنها وفي الخبر لا رهبانية في الاسلام ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ، وكما يفعل بعض المشائخ الجهال بالطريقة والشريعة ، يأمرون المريد بالصيام فاذا كان قرب الغروب ، أمروه بالفطر حتى لا يكون له حظ في الأكل ولا في الأجر ، ففي اتباع السنة قولا وعملا وحالا ، أعظم جهاد للنفس فلا أشق على النفس وأتعب لها من امتثال الأوامر ظاهرا وباطنا، واجتناب النواهي كذلك ومخالفتها عند طلب الشهوات الغير الضرورية

(الموقف الثاني والسبعون)

قال تعالى: الا أنه بكل شيء محيط، وقال، وهو بكل شيء عليم: اعلم أن الاحاطة تقتضي تحديد المحاط به من جميع وجوهه وجهاته، والعلم هو ادراك المعلوم على ماهو عليه فلذا نقول الحق تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها ، لأن ذاته تعالى غير متناهية فلو قلنا أنه يحيط بها لانقلب العلم جهلا ، تعالى الحق عن ذلك ، لأنه حينئذ تعلق بها على خلاف ما هي عليه من عدم التناهي

ولا نقص في قولنا، يعلم ذاته ولا يحيط بها بل هو الكمال فالجهل على الحق تعالى محال، لأن الجهل إدراك الشيء على غير ما هي عليه حقيقة ذلك الشيء، واحاطته بالذات العلية محال لأن الاحاطة تستلزم التناهي، والتناهي على الحق تعالى محال ، لا يقال التناهي وعدم التناهي مشعر بامكان التبعيض والتجزئة وذات الحق تعالي واحد من كل وجه وحدة حقيقية ليس في مقالة كثيرة لأنا نقول المراد بعدم التناهي في حق الذات الوجود الحق عدم تناهي ظهوره بالمظاهر وتعينه بالأسماء والصور التي هي آثار الأسماء أو هي الأسماء عينها ، والظهور والتعين ممكن من حيث هو، والممكنات التي هي متعلقات العلم والقدرة لا نهاية لها باجماع المتكلمين والحكماء وأهل الله تعالى ، فلو تناهى ظهور الذات بظهور الاسماء والصفات بظهور آثارها في الممكنات لتناهت الممكنات ، المعلومات المقدورات ، وهو محال ولذا يقال ذات الحق تعالي قابل للوجوب والامكان . فالوجوب ثابت للذات الوجود الحق من حيث هو والامكان من حيث الظهور والتعين بالممكنات وماذكرناه من عدم إحاطة العلم بالذات الوجود الحق المراد به العلم الذي هو شأن من شئون الذات ونسبه من نسبها وصورتها، ومظهره العقل الأول وهو الذي يعبر عنه القوم رضي الله عنهم بظاهر العلم وهو المكني عنه بقاب قوسين، وهو غاية معراج الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم، فان غاية معراجه أو أدنى فا ويعني الواو ، لأن تعلق هذا العلم بما تعلق به هو عين وجود المعلوم في الخارج فلا يتعلق بما لا يتناهى لان كل موجود في الخارج متناه وأما العلم الذاتي الذي هو عين الذات من كل وجه فهو محيط بالذات لأنه عينها مع عدم تناهيها بل لا يقال في الشيء انه محيط بنفسه ولا غير محيط ، قيل لي

إياه بالمسجد الحرام والحق تعالى ما عرف إلا لكونه عين الضدين قلت نعم هو كذلك فقيل لي وكذا هو محيط بذاته مع عدم تناهيها على ما يليق به وما عرف الله إلا الله، وهذه المسألة كثر الخوض فيها وحارت فيها أهل العقول وأهل الكشف، وبما ذكرنا يحصل الجمع بين قول إمام الحرمين بالاسترسال الذي أنكره عليه أهل زمانه كافة، وبين قول الفخر الرازي بحدوث التعلقات لو كان المتكلمون يقولون بالعلم الذي هو عين الذات من كل وجه [illegible] بالعلم الذي [illegible] هذا القيد وهو عين الوجود الذات الخارجية [illegible] فيه وجه

(الموقف الثالث والأربعون)

قال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، أخرجه البيهقي، وفي رواية [illegible] خطابا لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وفي رواية رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الغزوة الكبرى، يريد صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأصغر جهاد الكفار بالأبدان والأموال، وبالجهاد الأكبر جهاد النفس بالتزكية والتحلية والتخلية، وإنما سمى عليه السلام جهاد الكفار بالأصغر مع أن فيه إهلاك النفس وتفويت الحياة الحاضرة [illegible] الغالب على من انغمس في العدو [illegible] الموت إلا القليل النادر [illegible] بالأعلام [illegible] إلا القليل [illegible] عليه الصلاة والسلام جهاد النفس الأكبر [illegible] الغالب [illegible] عدم [illegible] بالموت [illegible] الأخلاق [illegible] ذلك [illegible] جهاد العدو الكافر لا يكون [illegible] والحظوظ

المبعدة الا بجهاد النفس وتهذيبها وتزكيتها والا فلا يخلص جهاد لمجاهد، بل ولا عمل من الأعمال الصالحة مادامت النفس حية متلطخة بالخبائث، فجهاد النفس أكبر لكونه شرط في صحة جهاد العدو الاكبر والشرط مقدم فهو أكبر من المشروط لأن قبوله وصحته بوجوده مربوط وأما ان يكون عليه الصلاة والسلام سمى جهاد العدو الكافر أصغر، باعتبار مقصد الخائضين فيه. فانه ليس كل من قاتل مجاهدا حقيقة لأن مبارزة العدو تكون من البر والفاجر، بل ومن المنافق والكافر، وانظر جوابه عليه الصلاة والسلام للذي قال له يارسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل ليذكر، الحديث، وهو في صحيح البخاري، فأجاب عليه الصلاة والسلام بأن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فهؤلاء أصناف تلبسوا بالجهاد ظاهرا وليس المجاهد حقيقة الا واحدا فما كل مقاتل للعدو الكافر سعيد، ولا كل مقتول فيه شهيد، وقصة قزمان الواردة في الصحيح أكبر دليل، وأما جهاد النفس الذي سماه صلى الله عليه وسلم أكبر فهو جهاد مخصوص، بقوم مخصوصين، اهتدوا بأنوار الهداية، وسبقت لهم من الحق العناية، فلا يخوض غمرات هذا الجهاد الا مؤمن سعيد، يمشي على الارض حيا وهو شهيد، ففي الحديث إشارة إلى أن جهاد الكفار لا يعتبر المقتول عند الله تعالى، المرضي من المقتولين عليه السقي، بخلاف الجهاد الأكبر فانه عنوان السعادة والسبب في حصول الحسنى والزيادة فلا يتلبس به إلا مؤمن نقي، وصديق صفي، فهو لهذا أكبر، وأما أنه عليه الصلاة والسلام سمى جهاد الكفار أصغر، لكون جهاد الكفار وقتالهم ليس مقصودا للشارع بالذات إذ ليس المقصود من الجهاد إهلاك مخلوقات الله وإعدامهم، وهدم بنيان الرب تعالى وتخريب بلاده فانه

ضد الحكمة الآلهية. فان الحق تعالى ما خلق شيئا في السموات والأرض وفي ما بينهما عبثا. وما خلق الجن والانس إلا لعبادته، وهم عابدون له عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، وإنما مقصود الشارع دفع شر الكفار وقطع أذاهم عن المسلمين لأن شوكة الكفار إذا قويت أضرت بالمسلمين في دينهم ودنياهم، كما قال تعالى، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع، الآية وقال تعالى، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، واهلاك المفضول للابقاء على الفاضل: عين العدل والحكمة كقطع العضو المتآكل مع عصمته للابقاء على البدن كله فلو فرض أنه لا يلحق المسلمين أذى من الكافرين ما أبيح قتلهم فضلا عن التقرب به الى الحق تعالى، ولذا لا يجوز قتالهم قبل الدعوة الى الاسلام، ثم الى الجزية فان أطاعوا بالجزية حرم قتالهم وما ذلك إلا أن السلامة من شرهم وأذاهم صارت محققة، ولذا لا يجوز قتل النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولا الرهبان بخلاف جهاد النفس وتزكيتها فانه مقصود لذاته إذ في جهادها تزكيتها، وفي تزكيتها فلاحها، ومعرفة ربها والمعرفة هي المقصودة بالحب الآلهي في الايجاد، وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون قال ابن عباس إلا ليعرفون إذ العبادة فرع عن المعرفة ولا ريب أن المقصود لذاته أكبر من المقصود لغيره

(الموقف الرابع والسبعون)

قال لي الحق تعالى، لي القدم بالعلم ولك الحدوث بالظهور والحس، فانت القديم وأنا القديم وأنت الحادث القديم وأنا الحادث القديم فما الذي تميزت به مني. وانفصلت به عني، فقال لي قدمك بي. وحدوثي بك، فانا موجوب الوجود لي بالذات ولك بالغير والحدوث وجواز الوجوب لك بالذات ولي

بالغير فاذا ميزت مرتبتي بالربوبيه ، ومرتبتك بالعبوديه ، والمراتب حافظة المنازل، فلا يلتبس عال بسافل

(الموقف الخامس والسبعون)

قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان؛ فالبحران الشريعه والحقيقه والبرزخ بينهما العارف ؛ فلا تبغي الشريعه على الحقيقه ولا الحقيقه على الشريعه ، فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين، ينفي ويثبت وينفي عين ما أثبت، لا يستقر به قرار؛ ولا تطمئن به دار، متحرك ساكن، راحل قاطن؛ فهو كالطائر يطير من غصن الى غصن . والذي طار اليه هو الذي طار عنه؛ يشاهد الشريعه بقوله تعالى، اعملوا فسيرى الله عملكم. ويشاهد الحقيقه بقوله ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا. ويشاهد الشريعه بقوله ، فخذوهم واقتلوهم؛ ويشاهد الحقيقة بقوله، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم؛ ويشاهد الشريعة بقوله، ليس لك من الأمر شيء، ويشاهد الحقيقة بقوله ، ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، ويشاهد عبوديته بقوله، ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا ويشاهد ربوبيته بقوله، انا كل شيء خلقناه بقدر، في قراءة الرفع فلهذا العارف بين نارين نار الشريعه ونار الحقيقه، بل بين شقتي طاحون كل واحدة تدفعه الى الأخرى؛ فالشريعه تطالبه بالحقيقة وبالشريعه، والحقيقه تطالبه بالشريعة وبالحقيقة ؛ وهذا هو الابتلاء الذى أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ، أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل

(الموقف السادس والسبعون)

ورد وارد غربي بالمسجد الحرام بسؤال ونصه الايمان بالجنة والجحيم والعذاب الحسي، والنعيم من ضروريات الدين، المعروفة عند جميع المسلمين ،

فمن جحد ذلك فهو كافر بإجماع، ومن المعلوم البين، الواضح المعين، أن البنية الانسانية والنشأة الآدمية مركبة من صورة هي عظم ولحم وحواس ظاهرة وباطنة وأعضاء يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، ولسان، ونحو ذلك، وروح حيوانية شهوانية سفلية، هي محل الشهوات والصفات البهيمية، وروح قدسية علوية هي العالمة من هذه الصورة، وهي المدركة للخطاب، المقصودة به وبالجواب، فهل تقولون المعذب هو الأعضاء والحواس، كيف والحق تعالى يقول، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ويقول، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم، والشاهد الصادق يكرم ولا يهان، فكيف يعذب بالنيران، أم تقولون المعذب هو الروح البهيمي الحيواني الشهواني، كيف وهو غير مدرك، ولا عالم بالأوامر الشرعية، ولا مقصود بالخطاب، ولو كان مقصودا بالتكاليف لكانت الحيوانات العجم داخلة تحت هذه التكاليف التي نحن مكلفون بها، ولا قائل به من علماء المذاهب إذ الروح الحيواني غاية ما لديه طلب الملائم للطبع ولا خبر له بما وراء ذلك، أم تقولون المعذب هو الروح القدسي العلوي المخاطب المجاوب، كيف، والحق تعالى يقول، ونفخت فيه من روحي قل الروح من أمر ربي، فكيف يعذب روح الله، وأمر الله مع هذه الاضافة المؤذنة بأعظم تشريف، وأكبر تكريم: أجيبوا مأجورين وادلوا بخبرة المتحبرين، فكان الجواب أن جواب هذا السؤال لا يجري به قلم وإنما يكون من فم إلى اذن ومن فم المفم

(الموقف السابع والسبعون)

قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام. يا بني لا تدخلوا من باب واحد، الآية. هكذا فليكن تعليم العالمين، وتأديب المؤدبين. أمرهم أولا

باستعمال الأسباب لميل الطبيعة اليها ، وايناس النفوس بها، ثم أمرهم بالتوكل حالة ملابسة السبب، وهذا هو الكمال، وإنما عكس بعض مشايخ الصوفية اليوم حيث أنهم يأمرون تلامذتهم بالتوكل ثم إذا ثبت قدمهم في مقام التوكل ردوهم الى الأسباب لأن أولئك قريبون من النور النبوي، والصفاء الفطري ، فملازمتهم بهذا أقرب وأسهل وأسرع في الترقي من تقديم التوكل فانه يحتاج الى تعب شديد ومعالجة قوية، والناس في هذا الامر ثلاثة: متسبب منصرف بكليته مقصور على السبب وقوته ونفعه فهو أعمى، ومتوكل منصرف معرض عن الأسباب ظاهرا وباطنا وهو صاحب حال لا يقتدى به ، ولا يحتج عليه، ومتسبب بظاهره، متوكل بباطنه، يده في السبب، وقلبه متعلق بخالق السبب، فظاهر لظاهر، وباطن لباطن، وهذا هو الكامل الناظر بعينين، واعلم أن الأسباب كلها حجب وأستار دون وجه الحق وهو الفاعل من خلف أستارها ما يظن العميان أنه أثر الاسباب وناشيء عنها، وسواء في ذلك الأسباب العادية أوالعقلية، أو الشرعية ، من الأوامر والنواهي لأن معنى المأمورات افعل كذا فيكون سبب دخولك الجنة، ومعنى المنهيات لا تفعل كذا فيكون سبب دخولك النار ، والشرائع كلها من لدن آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءت باعتبار الأسباب العادية والشرعية، اذ هي مقتضى الحكمة ومن أسمائه تعالى الحكيم ، وترك الاسباب مقتضى القدرة ، ومن اسمائه تعالى القادر ، والوقوف مع أحد الاسمين تعطيل للآخر والمعطل هالك والكامل في اعتبار الاسمين على وجه لا يناقض التوحيد، وافراد المولى أنه الفعال لما يريد فيعتبر الاسم الحكيم بالتلبس ظاهرا بالأسباب الشرعية والعادية، ويعتبر الاسم القادر بالتعلق به باطنا والغيبة عن الأسباب

بشهود مسببها وتجريها، واعتقاد عدم تأثيرها في شيء ما الا بوجوهم الخاصة بها فانها من هذا الوجه هي هو، وهذه طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والكمّل من ورثتهم ولا يلتفت الى أصحاب الأحوال فان أحوالهم حاكمة عليهم، وقاهرة لهم، ومن العجب أن المواظبة على الأسباب الشرعية التي قلنا أنها حجب وأستار، دون الحق على وجه مخصوص وطريقة معروفة عند أهلها، تكون سببا لرفع حجابيتها مع بقاء عينها فالذي يرفع حكمها لا عينها، فان عينها مأمور باثباتها ومن هنا ترى العارفين أهل الوجود والشهود يتلبسون بالأسباب العادية والشرعية كلها لا فرق بينهم وبين عوام المؤمنين في ظاهر الأمر وبادىء الرأي ولكن في الباطن بينهم ما بين السماء والأرض، والمشرق والمغرب، لأن من كوشف بالفاعل الحقيقي الذي تصدر منه الافعال وعرف حقيقة المكلف والمكلف، وحكمة التكليف، والعلة الغائية منه ليس كالجاهل بذلك، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، هل تستوي الأعمى والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور، وهذا هو السور الذي ضرب بين عوام المؤمنين والعارفين بالله، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فالعارفون تتلبس ظواهرهم بالأوامر والأفعال الشرعية ويعلمون أنهم ظروف لاجرائها، لا فاعلون لها، فلذا لا يرجون مما ينسب اليهم من الأفعال حصول خير، ولا دفع شر، فهم ناظرون به الى فاعلهم ما كلفه الحق إلا عليه فمن يئسوا من خير غيره، وأمنوا من شره، فنالوا بذلك أعظم راحة، ونعيما دائما مستمراً، ووقفوا على حقيقة الاسمين الظاهر والباطن وعرفوا أنه لا ظاهر إلا هو، ولا باطن إلا هو وكل شيء اما ظاهر وإما باطن، وأما عامة المؤمنين وأعني بهم من صالحهم من العباد والزهاد وعلماء الظاهر فهم في نصب وعناء ومشقة وضنا

لظلمهم الذي أرداهم أن أفعالهم المخلوقة فيهم تجلب لهم نفعا، وتدفع عنهم ضرا وإذا فاتهم سبب حزنوا لفوته لتحققهم بفوات مسببه عندهم يفعلون ما يفعلون معتقدين أن لهم وجودا حادثا مستقلا ، مباينا للوجود الحق وثانيا له وهذا عام في جميع طوائف المؤمنين الا الطائفة المرحومة بمعرفته تعالى وأن لهم قدرة على الفعل والترك ان كانوا معتزلة، وإن لهم كسبا إن كانوا أشعرية أو جزءا اختياريا ان كانوا ماتريدية، والكل واهمون في أكنة وفي آذانهم وقر وعلى أبصارهم غشاوة ولو نوّر الله بصائرهم، وفتح أسماعهم وأبصارهم لعلموا أنهم لا وجود لهم لا قديما ولا حادثا وانبرؤا من إدعائهم الوجود إذ هو الصنم الأكبر والشرك الأعظم الذي لا يصلح معه عمل الا بفضل الله تعالى ورحمته

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فليس لشيء مما يقال أنه غير الحق وجود أصلا ، وإذا انتفى الوجود انتفى كل شيء من الصفات والأحوال والأفعال، فإنها توابع الوجود ولازمة له

(الموقف الثامن والسبعون)

قال تعالى ، وهو معكم أينما كنتم ، الخطاب إنما جاء على ما يتخيله أكثر العباد من أن لهم وجودا مستقلا مباينا للوجود والحق ، ومغايرا له ، فمشى الحق تعالى دعواهم وتركهم على ما تخيلوه ، فقال لهم ، ان كنتم كما توهمتموه فهو معكم ، أينما كنتم فاحذروه وراقبوه ، في كل مكان ، وأما في نفس الأمر فمسمى الخلق ما لهم مع الحق رتبة المعية ، وإنما لهم التبعية ، فمسمى الخلق عند من يثبته كالظل بالنسبة الى ذي الظل ، وهو الشاخص ولا يقال في مسمى الظل انه مع الشاخص وإنما يقال الظل تابع للشاخص إذ المعية لا تقال الا على شيئين مستقلين بالموجودية ، والمسمى خلقا وعالما لا وجود له

استقلالا، وإنما له التبعية وكالصوت والصدا، فهما شيئان في الحس، وشيء واحد في نفس الأمر، وكل ما يقال فيه غير الله تعالى وهو العالم جميعه، أعلاه وأسفله، فهو عدم لو اعتبر مجردا عن الوجود الحق، لأنه لو كان لغير الله وجود فلا يخلو إما أن يكون وجوده قديما أو حادثا. ولا قديم إلا الوجود الحق، بإجماع من أهل الملل والحكماء فإنهم وإن قالوا بالقدم الزماني فهم مجمعون معنا على أنه لا قديم بالذات إلا الوجود الحق تعالى ولا جائز أن يكون حادثا، لأنه لو كان حادثا لكان إما جوهرا أو عرضا، ولا جائز أن يكون جوهرا، لأن الجوهر لا توصف به الجواهر، والأعراض والوجود وصف لها ولا جائز أن يكون عرضا لأن العرض لا بد له من مقوّم وهو الجوهر، والجوهر معدوم قبل اتصافه بالوجود، والمعدوم لا يكون مقوّما للعرض الموجود وهذا البرهان للموافقين مع عدولهم وأما أهل الشهود فقد أغناهم الله عن إقامة البرهان إذ هذا عندهم من الضروريات وعليه فلا يجوز السؤال عن العالم هل هو قديم أو حادث. لأن القدم والحدوث بعد ثبوت الوجود، والعالم ما شم له وجود، ولا يقال في المعدوم هل هو قديم أو حادث فإنه سؤال فاسد

(الموقف التاسع والسبعون)

ورد في الخبر «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن» رواه الترمذي وهذه صيغة حصر، حصر عليه الصلاة والسلام الإيمان في الموصوف بها لأن غيره أما جاحد مكذب، وأما عارف مشاهد منكشف صار الغيب عنده شهادة فلا يطلق عليه اسم المؤمن إلا بالمجاز فإذا تعرف المؤمن فمن كان بهذه الصفة فهو مؤمن. أي مصدق بالغيب من أخبار الشارع بنسبة الأفعال

الى من صدرت عنه من العباد فى بادىء الرأي وأثابتهم وعقوبتهم عليها وأما غير المؤمن وقد قدمنا أنه يشمل الجاحد والعارف المكاشف، فالعارف وهو الذي كشف الله له عن حقيقة الأمر فعرف نفسه فعرف ربه فانه لا تسره حسنته ولا تسوءه معصيته ؛ ولو قدر عليه قتل الأنبياء ما تغيّر ولا حزن الدنيا على القاتل ، ولو بشر بالقطبانية الكبرى ما سرّه ذلك ولا تغيّر له فانه عارف بانه ليس له من الأمر شيء ؛ فهو وإن شارك المؤمن فى تصديق الشارع فيما أخبر به من المغيبات ، فقد زاد على مطلق المؤمن وصار ما كان غيبا شهادة له فالعارف لا يرى له حسنة ولا سيئة الا بالنسبة الشرعية التي هي لحكم لا يعلمها الا الله تعالى ، أو من أطلعه الله تعالى من خواص عباده فالشريعة جامعة للب والقشر ، والحقيقة لب فقط

(الموقف الثمانون)

ورد فى الصحيح ، لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، يريد عليه الصلاة والسلام ، بطريق الاشارة ، أنه لا يصح ولا يستقيم لمن فتح الله عين بصيرته ، وأراه سريان الأحدية بلا سريان ، وقيام القيومية على كل ذرة من ذرات الوجود ورؤية الوجود الحق تعالى فى كل شيء من غير حلول ولا اتحاد أن يهجر شيئا من المخلوقات بان يحتقره ويزدريه ويجعله كالشيء الملقى فان هذا لا يصح من عارف مشاهد كان ما كان ذلك المخلوق حيوانا أو غيره وعلى أي دين كان وعلى أي ملة ونحلة حصل فانها كلها شعائر الله ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، أي من يعظّم مخلوقات الله التي هي شعائره ، فان ذلك التعظيم من تقوى أهل القلوب ، وهم أهل الشهود ، روي أن عيسى عليه السلام ، مر عليه خنزير ، فقال له ، عم صباحا ، وما قال تعالى

فانها من تقوى أهل العقول ، ولا من التقوى ، ولكن مع هذا الشهود وعدم الهجرة لشيء ، والاحتقار له والاعراض عنه ، لا بد من الجهاد ، والنية أي المجاهدة والقصد أي الجمع بين شهود الحقيقة واجراء أحكام الشارع من قتال مخالفي دين الاسلام حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وتغيير المنكر شرعا ، وتحسين ما حسّنه الشرع ، وتقبيح ما قبّحه حكمة وعدلا ، لأنه تعالى قال لهذا العارف المشاهد ، على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذا وجدتني متلبسا بأحوال أهل الكفر فاضرب عنقي ، واذا رأيتني متلبسا بأحوال أهل العصيان فازجرني ، وأقم الحدود عليّ مع الشهود والمعرفة ، وهذا أصعب شيء يكابده العارفون

(الموقف الواحد والثمانون)

ورد في الحديث الصحيح ، ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، الحديث . نزوله تعالى كناية عن تجلياته وظهوره ، فان التجليات كلها تنزلات له تعالى من سماء الأحدية الصرفة الى أرض الكثرة ، وسماء الدنيا كناية عن مظاهر الصورة الرحمانية التي اظهرها الكامل ، وهو فرد واحد في كل زمان لا يتعدد ، وهي الصفة الجامعة لصفات الجمال كلها ، من رحمة ولطف ، وبر ، وحلم ، وجود ، وعطاء ، ونحو ذلك ، وهذا التجلي في هذا الوقت المخصوص هو للعباد والزهاد ، والمؤمنين بالأعمال ، ولهذا كنى عنه بسماء الدنيا لأنها قبلة الداعين . وأما العارفون فتجليه لهم دائم لا يختص بزمان ولا مكان . إذ الحق تعالى متجل من الأزل ، الى الأبد ، لا يزيد تجليه ولا ينقص ، ولا يتغير ، وهو تعالى على ما هو عليه قبل نسبة التجلي اليه ، والاختلاف والتعدد والحدوث المنسوب الى التجلي ، إنما هو

المتجلي له بحسب القوابل والاستعدادات ، ففي كل آن يحصل للمستعد تجل بحسب استعداده وقابليته ، فالماء حقيقة واحدة تختلف صوره باختلاف القوالب من أنواع النباتات والفواكه والزروع والأواني ، وإنما خص هذا التجلي بالثلث الآخر لأنه وقت قيام المتهجدين ، وزمان توجه المستغفرين ، والتائبين والداعين

(الموقف الثاني والثمانون)

ورد في الخبر ، من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، رواه الامام أحمد والترمذي، يريد عليه الصلاة والسلام : أن الذي لا يشكر الناس حيث رآهم ، غيراً وسوى ، واعتقد وهماً وتخيلا ، ان الحق تعالى مباين لهم ومنفصل عنهم ، وانه في السماء ، أو فوق العرش فقط لم يشكر الله حيث أنه ما عرفه ، وكيف يشكره من لم يعرفه لأنه تعالى ما عرفه من عرفه الآ في مراتب التقييد والظهور والتعين ، والناس وجميع المخلوقات والأسباب والوسائط مظاهره وتعيناته ونسبه واعتباراته فانها آثار أسمائه وصفاته ، بل هي عين أسمائه إذ ليست الصور المحسوسة المشهودة كائنة ما كانت ، روحانية أو مثالية أو جسمانية ، الا أسماء الحق تعالى وهي معان اجتمعت فحصلت منها هيئة اجتماعية فكانت صورة محسوسة كما تقول اجتمعت البرودة واليبوسة ، فكانت صوره التراب ، واجتمعت البرودة والرطوبة فكانت صورة الماء ، مثلا ، والعالم كله هكذا ، الناس وغيرهم ، ومتعلق الخطاب والحدوث والأمر بالكون هو هذه المعاني لتصير هيئة اجتماعية فتصير صورة محسوسة ، فمن عرف الله والناس هذه المعرفة كان شكره للناس شكراً لله اذلا أثنينية في الوجود ، ومن هنالك كان الفعل الصادر من

الناس وجميع المخلوقات بداهة وضرورة وهم فعل الله تعالى شرعا وعقلا، فأين الله وأين الناس لمن يعقل، أفدي من يعقل عني بنفسي، وأجعله فوق رأسي، قال إمام العارفين محيي الدين عندما تكلم على نسبة الفعل الى الله والي المخلوقات من الأسباب والوسائط فمن الناس من قال عندها ولا بها ومن الناس من قال بها ولا بد، ونحن وأمثالنا يعني من المحققين الذين هم أعلا رتبة في المعرفة من العارفين نقول عندها وبها وايضاحه أن كل شيء له وجهان وجه الى الحق، وهو من هذا الوجه وهو وجه الرب الذي لا يفنى وهو المراد بقوله، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك. ووجه الي سببه الذي ظهر عنه وهو الفاني العدم الباطل وقد نفى الحق تعالى التأثير عنه في هذا الوجه بقوله إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون، فاذا رأيت العارف يشكر مخلوقا ويثني عليه ويعظمه ويلاحظه فمن هذه الحيثية فلا تظن أنه يرى الناس وسائر المخلوقات كما تراهم أنت، وإن بينهم وبين الحق تعالى بونا معاذ الله، ومن هنا صح ما أخبر به تعالى في قوله فأينما تولوا فثم وجه الله وهو معكم أينما كنتم ونحن أقرب اليه من حبل الوريد، فاعرف الحق واحذر الباطل والسلام

(الوهب الثالث والثمانون)

قال تعالى، وأما بنعمة ربك فحدث، هذه الآية الكريمة القرب علي بالالهام الغيبي مرارا عديدة لا أحصيها ولا يخفى ما قاله فيها علماء أهل التفسير وبما ألقي علي فيها أن من المراد بالنعمة هنا نعمة العلم والمعرفة بالله تعالى والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاملات والأمور الغيبيات ولا شك أن هذه النعمة أعظم النعم وأولا بالحق النعمة على غيرها

مجاز بالنسبة إليها والمراد بالتحدث بها ، انشاؤها وبثها لمستحقيها المستعدين لقبولها إذ ما كل علم يصلح لكل الناس ولا كل الناس يصلح لكل علم بل لكل علم أهل ، لهم استعداد لقبوله ، وهمة والتفات الى تحصيله ، أو يكون المراد إظهار النعمة عما هو أعم من القول والفعل كما فى الخبر ان الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه فاذا كانت النعمة مما يظهر بالفعل أظهرها بالفعل وإذا كانت مما يظهر بالقول أظهرها بالقول والتحدث بها على حد ما قيل فى الحمد العرفى أعم من أن يكون باللسان والجنان والاركان ومن بعض نعم الله عليّ أنى منذ رحمني الله تعالى بمعرفة نفسي ما كان الخطاب لي والالقاء عليّ الا بالقرآن الكريم العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، والمناجاة بالقرآن من بشائر الوراثة المحمدية فان القوم أرباب هذا الشأن قالوا كل من نوجى بلغة نبي فهو وارث ذلك النبي صاحب تلك اللغة ، ومن نوجى بالقرآن كان وارثا لجميع الأنبياء وهو المحمدي لأن القرآن متضمن لجميع اللغات ، كما أن مقام محمد صلى الله عليه وسلم متضمن لجميع المقامات ، ومنها اني لما بلغت المدينة طيبة ، وقفت تجاه الوجه الشريف بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه الذين شرفهما الله تعالى بصاحبته ، حياة وبرزخا ، وقلت يا رسول الله عبدك ببابك ، يا رسول الله كلبك باعتابك ، يا رسول الله نظرة منك تغنيني ، يا رسول الله عطفة منك تكفيني ، فسمعته صلى الله عليه وسلم ، يقول لى أنت ولدي ومقبول عندي بهذه السجعة المباركة وما عرفت هل المراد ولادة الصلب ، أو ولادة القلب ، والأمل من فضل الله تعالي أنهما مرادان معا فحمدت الله تعالى ، ثم قلت فى ذلك الموقف اللهم حقق هذا السماع برؤية

الشخص الشريف ، فانه صلى الله عليه وسلم ضمن العصمة في الرؤية فقال (من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتمثل بصورتي وما ضمن العصمة في سماع الكلام ثم جلست تجاه القدمين الشريفين معتمدا على حائط المسجد الشرقي أذكر الله تعالى فصعقت وغبت عن العالم وعن الأصوات المرتفعة في المسجد بالتلاوة والأذكار والأدعية وعن نفسي ، فسمعت قائلا يقول هذا سيدنا التهامي فرفعت بصري في حال الغيبة فاجتمع به بصري وهو خارج من شباك الحديد من جهة القدمين الشريفين، ثم تقدم الى الشباك الآخر وخرقة الى جهتي فرأيته صلى الله عليه وسلم نحوا مفخما بادنا متماسكا غير أن شيبه الشريف أكثر . وحمرة وجهه أشد ، مما ذكره أصحاب الشمائل، فلما دنى مني رجعت الى حسي فحمدت الله تعالى ثم جعلت أذكر الله تعالى فصعقت كالأولى ، فورد علىّ قوله تعالى اذا دعيتم فادخلوا واذا طعمتم فانتشروا فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى، ونظرت في الآية الكريمة، فوجدتها مشتملة على أنواع من البشائر، فان إذا تفيد التحقيق فهي في قوة، قد دعيتم، ودعيتم مبني المجهول يشمل دعاء الحق تعالى والرسول صلي الله عليه وسلم والأمر بالدخول بعد الدعوة فيه غاية التكريم والتشريف، وإذا طعمتم إخبار بأن الدعوة للاكرام والانعام والاطعام ، وقوله فانتشروا أمر بمعنى الاذن في الانتشار بعد الاكرام ، وفي الأخبار بأن الدعوة للاكرام وبالاذن في الانصراف بعد حصول الانعام غاية العناية ونهاية الكرامة ثم توجهت أذكر الله تعالى فصعقت أيضا ، فألقي علي قوله تعالى ، أدخلوها بسلام آمنين ، فلما رجعت إلى حسي حمدت الله تعالى على تكرار البشارة ثم توجهت إلى الذكر أيضا فصعقت ، فالقي علي قوله تعالى ، وبشر الذين

آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وعلمت أن قدم الصدق هو صلى الله عليه وسلم ؛ وأنه أمرني أن أكون واسطة في ابلاغ هذه البشارة الى أمته ، ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا ؛ فألقى علي قوله تعالى ، قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وعلمت أنه أخبار بأن هذه النعم الحاصلة ما هي جزاء علم ولا عمل ولا حال ولا هي باستحقاق وإنما هي فضل وامتنان ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا فألقي على قوله تعالى ، قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ؛ فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى على ما في هذه الآية من البشائر والأسرار ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا فألقى على قوله تعالى ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون ؛ فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وقلت . لا أنكر شيئا من آيات الله والعبد معترف بفضل مولاه عليه . ثم قمت الى محل عزلتي فدخل عليّ شيخ من أهل الطريق فقال لي اذا أردت أن تتوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعل بينك وبينه واسطة من الأكابر مثل عبد القادر الكيلاني أو محيي الدين الحاتمي ، أو الشاذلي . وأمثالهم فقلت له حتى أستأذن سيدي ومولاي الذي أنا في أعتابه فتوجهت أذكر الله تعالى فصعقت ؛ فالقى على قوله تعالى ، النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى ، وعند مارجع عندي ذلك الشيخ قلت له إن سيدي ومولاي ما أحب أن تكون بيني وبينه واسطة وأخبرني أنه أولى بي من كل أحد حتى من نفسي ثم وثم وثم

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وأول ما فتح لي في عالم الخير والنور اجتمعت في الواقعة بالخليل عليه السلام في المطاف وكان في مجلس حافل وهو يحكي قصة تكسير الأصنام ورأيته في السن الذي كان فيه ذلك الوقت ، إذ يقول الله تعالى ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم فما رأت عيني أجمل منه ، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شبهه بجماله به ، فقال ، ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به فعلمت أنه يكون لي بعض ارث منه في خبية الخليل ، فانه القائل ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، فأجاب الله سؤاله فاجتمعت على محبته أكثر الملل والفرق وليس هذا لأحد غيره من سائر الرسل عليهم السلام

(الموقف الرابع والثلاثون)

كنت مع أهلي في لحاف وأنا في مشاهدة فسمعت كلام الحق تعالى وقال لي ، اني أنا الله لا اله الا أنا الرب المبارك ، فحصل لي بعد الرجوع الى الحس فرح وعلمت انه بشارة وأي بشارة

(الموقف الخامس والثلاثون)

ورد في الصحاح ولا يبعد أن يكون في الاحاديث المتواترة أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه [illegible] تكلم الناس على هذا الحديث فاختلفوا [illegible] ذكر الامام [illegible] رضي الله عنه منها نحو الأربعين [illegible] ومنها ما لم [illegible] أكبر [illegible] كلاما على طريق أهل العرفان العارفين بالله [illegible] فانه أبدع وأتى [illegible] [illegible] كل ما قيل في معنى هذا الحديث [illegible] وأصوبه [illegible] [illegible] من عند الله تعالى [illegible] كلام الحق تعالى

وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بحر ذاخر، ماله ساحل، فكل مافهمه الخلق في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو كلام الله على لسانه، لأنه ماينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى، هو مراد ومقصود وان خالف الحق ظاهراً، فانه كما قال يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، فالضلالة مقصودة ومايطلق عليه اسم الخطأ مقصود فالكل عطاء الله كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً، ومن المراد لله ولرسوله في الكلام مالم يهتدوا اليه ولا بلغوه، والذي ألقاه الحق تعالى عليّ من معاني هذا الحديث العظيم الشأن ومن اشاراته المعجوز عن استيفائها بالبيان، ان من المراد بالاحرف الحقيقية اذ الاحرف عند الطائفة العلية ثمانية أنواع أحرف حقيقية، وأحرف عالية، وأحرف روحانية، وأحرف صورية، وأحرف معنوية، وأحرف خيالية، وأحرف حسية لفظية، واحرف خطية، والمراد من الاحرف الحقيقية الامهات السبعة والاصول الكلية، العلم، والارادة، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة التي هي شرط في اثبات الجميع، ولا يصح إثبات شيء بدونها، أخبر عليه الصلاة والسلام أن هذا القرآن وهو العظيم المعجز المنزل عليه صلى الله عليه وسلم انزل مستوابا وهستعليا استعلاء دلالة على معلومات هذه الأحرف التي ذكرناها وهي أمهات الأسماء والصفات، وكل مدلولاتها ومتعلقاتها تدل عليها القرآن العظيم، وتؤخذ منه، ولذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال، ماحرك طائر جناحيه الا وجدنا ذلك في كتاب الله تعالى، وترى العارفين يستخرجون العلوم والأسرار والاخبار بالمغيبات الآتية من القرآن، وجميع العلوم المتداولة مأخوذة من القرآن، ويهدي اليها هداية بينة، وجميع الثلاثة والسبعين

فرقة يأخذون الأدلة والحجج لمذاهبهم من القرآن وهذا من جملة وجوه اعجازه وخروجه عن طوق البشر كيف لا وهو تعالى يقول « مافرطنا في الكتاب يعني القرآن ، من شيء » فكل ما يطلق عليه اسم شيء فهو في القرآن العظيم إما صريحا وإما اشارة ، إما ضمنا وإما التزاما ، والشيء أعم من الموجود والمعدوم عند أهل اللغة ، ولذا قالوا ، ان نكر النكرات شيء ثم موجود لأجل هذا الجمع العظيم سمي بالقرآن من القرء وهو الجمع اذ القرآن الكريم ليس هو الا ظاهر علم الحق تعالى ولاريب أن علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات ، فالقرآن محيط بالكليات والجزئيات ، فانه أمر الله المنزل كما قال تعالى ، ذلك أمر الله أنزله اليكم ، وأمر صفته المحيطة بكل شيء القائمة على كل شيء ، وتختلف وجوه دلالات القرآن على متعلقات الأحرف باختلاف وجوه قراءاته من زيادة ونقص وتقديم وتأخير ، ورفع ونصب ، وخفض وسكون ، فانها الأحرف السبعة وكل وجه يتفرع الى وجوه منها أصول ومنها فروع ومنها ملزومات ومنها لوازم بينة ، ومنها غير بينة ، ومنها لوازم اللوازم وهكذا والحق تعالى بجوده يفتح على كل واحد بقدر ما أحاط به القرآن من مدلولاته ما يستحقه ، ويطلبه استعداده ، أما هدى وأما ضلالة ، أما رشدا وأما غيا ، والاحاطة بجميع ما أحاط به القرآن محال ، فلذا قال عليه الصلاة والسلام « فاقرأوا ما تيسر منه » أي من مدلوله لانه والعلوم التي تضمنها فهو أمر بالدال وإرادة المدلول لأن القرآن كله [illegible] كما قال « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » [illegible] أو بالقراءة [illegible] كما ورد في الحديث اقرأني جبريل على حرف واحد فاستزدته فزادني الى سبعة ، والتي [illegible] هي متعلقات الأحرف السبعة التي ذكرناها

قبل ولا يتيسر لأحد شيء الاّ ما هو مستعد له قوله ولا تختلفوا الى آخر الحديث، أي لا تجعلوا ما يمنح الله به على بعضكم في الفهم فيه خلافا قادحا في القرآن، وموجبا للشك فيه حتى يؤدي ذلك الي الشك في أصل الدين، ولهذا اختلفت الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من أهل الفضل والعلم وما جعلوا ذلك إختلافا في الدين ولا كفّر بعضهم بعضا وما حصل للخلق كلهم من معلوماته تعالى التي هي متعلقات صفات الامهات الأصول الا كما قال الخضر لموسى عليهما السلام، ما نقص علمي وعلمك، أي ما تعلق به علمي وعلمك من علم الله أي معلوماته الاّ كما نقّص هذا العصفور بنقرته من هذا البحر، فهذا إشارة الى ما أشار اليه هذا الخبر العظيم الشأن

(الموقف السادس والثمانون)

قال تعالى: والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها، هذه الأشياء المقسم بها هي كناية عن بعض مراتب تجليه، وتعين تنزله وتدليه، وهي مراتب كلها فما أقسم الحق تعالى في الحقيقة الا بذاته لأن المراتب والتنزلات كلها أمور اعتبارية لا وجود لها إلاّ في اعتبار المعتبر ما دام معتبرا، فكل المراتب والتعينات والتنزلات من أول مرتبة وتعيّن وتنزّل وهو الحقيقة المحمدية، الى آخر تعين وتنزل، وهو الصورة الانسانية، إنما هي إعتبار تعين وظهور وتنزّل لا وجود لها خارج العقل، كسائر الأمور المصدرية، فهي لا موجودة ولا معدومة، فهي خيال لا حقيقة لها غير الوجود الحق الذي به ظهرت، كما قيل

مراتب بالوجود صارت   حقائق الغيب والعيان

وليس غير الوجود فيها بظاهر والجميع فان

فالوجود ليس الا للذات العلية، وكل ماقيل فيه مرتبة وتعين وسوى وغير، فهو اعتبار ونسبة وإضافة لاغير، فقوله، والشمس وضحاها، هو قسم بمرتبة الأحدية وهو أول التجالي فهو تجلي ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من المكونات فيه ظهور، فهو ذات صرف مجرد عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وان كان الجميع موجودا فيها ولكن بحكم البطون فنسبة الواحد الى ذاته نسبة واحدة هي عين أحديته لا واحديته ونسبته الى الثاني هي واحديته فالأحدية هي تجليه تعالى لذاته بذاته اذ لاغير في هذه المرتبة فان لفظ الأحد ينفي أن يكون هنالك اعتبار غير وسوى: فلا يحتاج في أحديته الى تعين يمتاز به عن شيء إذ لا شيء فهو الوجود بشرط لا شيء ولا حظ للمخلوقات من هذه المرتبة الا الاعتبار والتعقل لأن هذه المرتبة مرتبة الكنه لا تنكشف لأحد ولا يدرك بحس ولا عقل، ومن طلب معرفته من هذا الوجه طلب المحال لأن الذى لا يعلم الا بوجه من الوجوه لا يعرف ووجه من وجه الكناية عن هذا التجلي بالشمس وضحاها، إن الشمس يدرك بها الأشياء ولا تدرك هى، ولا يظهر معها نور من أنوار الكواكب، وكذلك الأحدية فهي ماحية الأنوار ممحقة الآثار، وهي مرتبة الاثنينية فما الخلق من ملك ورسول وولي في هذه المرتبة الا الاعتراف بالعجز فانهم لما وصلوا بالكشف والنظر بالبصائر الى الحضرة الأولى عرفوا أن وراءه شيئا لا يعرف منه الا وجود لاغير اذ الوجود المجرد عن الظهور بالغير والتعين به لا يعرف ولا ينعت ولا يوصف لأنه الذات الغنية عن العالمين وهذه المرتبة هي الحق والتحقيق

هي حقيقة الحقائق، وان كانت هذه التسمية أطلقها القوم على الوحدة المطلقة، والحقيقة الكلية، وقد وصل بعض الرهبان والبراهمة وغيرهم من أهل الرياضات والمجاهدات على غير سبل الرسل عليهم السلام الى العقل الأول، فظنوا أنه هو حقيقة الحقائق، وأنه لا شيء وراءه فخسروا وباءوا ورجعوا من حيث جاءوا ، وقوله : « والقمر اذا تلاها » هو كناية عن المرتبة الثانية والتعين الأول المسمى بالروح الكلي وبنفس الرحمن وبالوجود الاضافي وبالحقيقة المحمدية، برزخ البرازخ، وله أسماء كثيرة ويعبر عنه بالوحدة المطلقة، وذلك أن الوجود إذا أخذ بشرط لا شيء فهو الأحدية وإذا أخذ بشرط كل شيء فهو الواحدية ، واذا أخذ مطلقا لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء ، فهو الوحدة فالوحدة منشأ الأحدية والواحدية لأنها عين الذات من حيث هي، أي المطلق الذي يشمل كونه بشرط لا شيء أو بشرط شيء، والوحدة اذا اعتبرت من حيث هي هي، لا تغاير الأحدية بل هي عينها ، والوحدة هنا لا تعقل في مقابلة كثرة ولا يتوقف تحققها على تصور ضد لها ، وهذا الوجود الاضافي المشترك بين جميع الموجودات، المتعين بها، هو عين الوجود الباطن المجرد عن التعين والظهور، ولا يغايره الا بالاعتبار كالتعين والتعدد الحاصل بتعدد المظاهر، وهي كلها أمور عدمية لا وجود لها الا بالاعتبار ، والحق تعالى في هذه المرتبة مرئي للرائين، معروف للعارفين، لأنها مرتبة اسمه تعالى الظاهر وهو محجوب مجهول للغافلين، فهم يرونه ولا يعرفونه وهذه المرتبة أول ظهور الله تعالى من كنز الخفا ومعرفة القوم رضوان الله عليهم، وغاية وجهتهم اليها، بها يغزلون في أشعارهم وعنها يكنون بليلى وسعدى، والعرف والنسيم، والخمر والكاس، وهي الظاهرة في سائر الخلق وهي أمر الله

كما قال ذلك أمر الله أنزله اليكم وقال ، ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، أي الروح أمر ربي ، فمن بيانه وهو الذي صدر عن الله بلا واسطة، وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم، فما صار الا بمشافهة الأمر العزيز وهو، أي الأمر العزيز، السبب الثاني بالاضافة الى الوجود المطلق فان الوجود المطلق هو الله حيث لا تعين، وقد صدر هذا الأمر المذكور بصورة النور المحمدي عنه تعالى، فهو التعين الأول لأنه تعالى ظهر بعلمه في هذا التعين من غير تمييز شيء من شيء والله سبب ظهور الأمر القديم ، في حضرة النور الكريم ، وقام النور في تعينه بالأمر القديم فهو أي الأمر الكريم سبب ثان بالاضافة الى الله ، فالنور الأول المذكور هو التعين الثاني باعتبار قيامه بالأمر والتعين الثالث باعتبار نزوله في عالم الخلق فهو ثلاث مراتب وهو واحد وكون الأمر ظاهر بالنور المحمدي ، فهو السبب الأول باعتبار الاضافة الى الوجود المقيد ، وهو النور المحمدي المتعين في عالم الخلق ووجه الكناية من هذه المرتبة والتعين بالقمر هو أن القمر واسطة بين الشمس والأرض فهو مستمد النور من الشمس وممد الأرض به ، وكذا هذا التعين الأول فانه مستمد من الوجود الباطن الأحدي الذاتي ، وممد العالم أعلاه وأسفله بما يفيضه الحق تعالى عليه فله وجه الى الحق ووجه الى الخلق، ولهذا سمي برزخ البرازخ لأن البرزخ جامع بين الطرفين لا يكون من غيرهما ولا عنهما فمن وجهه الذي للحق هو حق، ومن وجهه الذي للخلق هو خلق، فهو حق وخلق ولا حق ولا خلق وهو بالنسبة الى الوجود الأحدي فقير مستمد قابل ، وبالنسبة الى العالم غني ممد فاعل ، وكذا القمر من وجهه الذي للشمس مستمد قابل ومن وجهه الذي للأرض ممد فاعل ، والتعينات

والظهورات كلها ممكنة حادثة ، والمتعين والظاهر قديم واجب ، ولهذه المرتبة قدم باعتبار ، وحدوث باعتبار آخر ، وقوله ، والنهار إذا جلاها ، هو كناية عن المرتبة الواحدية وهو التعين الثاني وهي اعتبار ، الذات من حيث انتشار الأسماء والصفات منها ، ووحدتها لها مع تكثرها بالصفات فالواحد إسم الذات بهذا الاعتبار ، فهي مجلى ظهور الذات فيه صفة والصفة ذاتا فذات كل من الاسماء والأوصاف عين الآخر ، فهي بهذا الاعتبار حيث ظهرت في شيء من أسمائها أو صفاتها أو مؤثراتها ، فذلك الشيء عينها وهي عينه ؛ وكل شيء مما ظهر فيه الذات بحكم الواحديه فهو عين الآخر وإلى ذلك أشرت في بعض القصائد التي حمدته فقل عالم ، وقل آله ، وقل أنا ، وقل أنت ، هو ، لست تخبرني به ردا ، ووجه الكناية عن هذه المرتبه بالنهار هو أن النهار الظاهر فيه وبه الأشياء ويتميز بعضها من بعض وكذلك هذه المرتبة ، فان اليها تستند الآثار فانها هي الجليه المرتبه التي قبلها كما أن النهار مجلي ومظهر للشمس ، وأيضا هذه المرتبه هي عبارة عن علم الحق تعالى بذاته ، وبجميع أسمائه وصفاته ، وبجميع حقائق مكوناته ، على التفصيل وقد كان عالما في المرتبه التي قبلها وهي الوحدة المطلقة اجمالا لا تتميز الذات من الصفات من حقائق المكونات ولا يتوهم متوهم ان قولنا اجمالا أن العلم الاجمالي موجب للجهل كما عليه جمهور المتكلمين بل هو تعالى يعلم الأشياء كما هي ؛ المفصله تفصيلا ، والمجملة إجمالا ، فلو قيل العلم المتعلق بالأحدية وبالوحدة علم تفصيلي ، لزم التكذب والتناقض ، لأن قولنا الأحديه والوحدة تنافي هذا ، فالعلم المضاف الى مرتبه الوحدة يسمى علما إجماليا لاتصاف معلوماته بالاجمال ، وأما العلم نفسه فلا يوصف من

حيث هو انكشاف ، وظهور بالأجمال والتفصيل لأنها من لوازم الكم ولا كم ، ولا كيف ، وقد زل هنا عالم كثير ، وعالم كبير ، وقوله ، والليل إذا يغشاها ، هو كناية عن الطبيعة الكثيفة ، والتعين بالأجسام العنصرية المظلمة الظاهرة في المعدن والنبات ، والحيوان والجان ، الانسان ، لأن العالم الجسماني الطبيعي محل الظهور الالهي الكمالي ، إذ لولا الكثيف ، ماعرف ولا تم خبر اللطيف ، فظهور الحق تعالى بالأجسام أكمل من ظهوره بالأرواح ، ولذا قيل ظهور الحق تعالى ، أجهل الناس وأعظمهم انقيادا للأمور الطبيعية والنفسانية أتم من ظهوره في أعلم الناس وأعظمهم تحقيقا بالأمور الروحانية . إذ عالم الشهادة أكمل من عالم الغيب ، وعالم الغيب أشرف من عالم الشهادة . فالشرف بقلة الوسائط ، والكمال بكثرتها ، ووجه الكناية عن هذه المرتبة بالتجلي بالليل ، هو أن الليل أصل النهار ؛ وقال تعالى ، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، وكذا الأجسام الطبيعية لكثافتها وحجابيتها [illegible] وأصل الظهور الأرواح الجزئية [illegible] من الروح الكل ، كما قال تعالى . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي . فالطبيعة تقبل الصور على الدوام ، والروح تفيض الأرواح شمس ونهار . وقوله ، والليل إذا يغشاها ، أي التعين بالأجسام العنصرية الشبيه بالليل يغشى التعين السابق الشبيه بالنهار . لأنه روح نوراني ، وقوله ، والسماء وما بناها . هو كناية عن مرتبة التعين بالأرواح ، لأن الأرواح سماء الأشباح ، ولها العلو ، وهو في الحقيقة ونفس الأمر روح واحد تعددت الصور المنفوخ فيها ، كما تعددت الطاقات والأبواب ، والحروف والأماكن للشمس . وحقيقة الشمس واحدة ، فالروح حقيقة واحدة لا تتعدد . ولا تتبعض ولا تتجزأ

ولهذا ما ورد في القرآن العزيز ، إلا مفرداً فاذا اعتبر الروح مع الأجسام المدبرة اسم مفعول تعدد بتعددها مجازا لا حقيقة ، وكما تسلم أن كل جسم له روح واحد يدبره مع تعدد أعضاء الجسم وقواه الظاهرة والباطنة ، وتباين آثار القوى وهو في كل قوة الفاعل الأثر المنسوب الى تلك القوة كذلك يلزمك أن تسلم أن العالم كله له روح واحد يدبره على تعدد أنواعه وأشخاصه من الذرة الى العرش والفعل والتأثير له في كل ما ينسب الى العالم من الأفعال والتأثيرات ووجه الكناية عن هذا التعين بالسماء هو أن السماء لها العلو والشرف الحسي والمعنوي ، وأنها منبع الأنوار ، ولها الفاعلية بما فيها من الكواكب والأملاك ، وكذلك الأرواح مع الأجسام ، وكما أن السماء بما فيها ، تدبر الأرض وما فيها ، من معدن ونبات وحيوان ، من غير اتصال ، ولا امتزاج انتقال ، كذلك الارواح تدبر الأجسام المتعلقة بها من غير حلول ولا اتصال . ولا امتزاج ؛ وأمر الروح لا يدرك الا بالكشف ، ولا تدرك بالعقل أبدا ، وكل كلام العقلاء فيه من حكيم ومتكلم خطأ ، وقد عزمت ان أكتب فيه شيئا ما علمت أحدا سبقني اليه فصعقت . فالقى عليّ قوله تعالى ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، فتأدبت واقتديت عن قبلي ، فانهم الأدباء مع الله . الناصحون لعباد الله ، وكلام القوم فيه ، إنما هو إيماء وتلويح ، وإشارة وتلميح ، وما ذلك الا لبعد منالها ، وعظم أشكالها ، فهو القديم الحادث ، الواجب الممكن ، الموجود المعدوم ، الحامل المحمول ، ليس له ند ، ولا مثل ، ولا ضد ، وقوله والأرض وما طحاها ، هو كناية عن التعين بالنفس الكلية المنبعثة من العقل الأول ، كانبعاث حواء من آدم ، وهي المسماة باللوح

المحفوظ ، وهي الحاوية لتفصيل ما أجمل في العقل الأول من العلوم ؛ فالعقل يدفع ما يفيض عليه الى النفس ، والنفس تدفع الى ما تحتها ، بحسب تقدير العزيز الحكيم ، الى أن تصل الى العناصر ، الى المعادن ، الى النبات ، الى الحيوان ، الى الانسان ؛ فالنفس الكلية اذا أقبلت على الجسم يسمى اقبالها نفسا ، والعقل الكلي إذا أفاض على الجسم يسمى افاضته عقلا ؛ فالنفوس من فيض النفس الكلية ، والعقول من فيض العقل الكلي . وللنفس وجه الى العقل الأول ، ووجه الى الطبيعة ، لأن الطبيعة لها ثالث رتبة في الايجاد ، ووجه الكناية عن هذه المرتبة والتعبير بالأرض هو ان الأرض لها صفة الانفعال عن الامور السماوية . وكذلك النفس لها رتبة الانفعال عن العقل الأول ، والأرض محل لما يكون فيها ، وكذلك النفس محل لما يتفصل فيها من علوم العقل المجملة فيه ، فقوله ، طحاها ، كناية عن تفصيل العلوم وبسطها فيها ؛ وقوله ، ونفس وما سواها ، هو كناية عن مرتبة التعين بالنفس الجزئية الانسانية وهي مخلوقة من نور واجب الوجود لذاته ؛ ولهذا وجد فيها من الكمال جميع ما للحق تعالى ، ووصف بجميع صفاته ؛ ما عدا الوجوب بالذات . ووجد فيها من النقائص جميع ما كان في الوجود بجمعها صفات الحق والخلق فحقيقة النفس الروح ، وحقيقة الروح الحق تعالى . ولذا ورد في الأثر ، من عرف نفسه عرف ربه ؛ فاذا نظر العارف الى نفسه وجدها الروح الأعظم القائم بنور الذات الالهية المتجلية بتجلياته ومن جملة الأشياء العرش وما حواه ، ولذا قال العارف الكبير أبو يزيد رضي الله عنه ، لو أن العرش وما حواه مائة الف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به ، فاذا نزلت الروح الى عالم الأجسام

الطبيعية وأخلدت اليها مسخت نفسا، والنفس الغافلة بيت الشيطان، والنفس من حيث هي، لا خبث فيها، فهي طاهرة قدسية، وإنما هي متنجسة بالخبث بالعبد، فتنزل في كل هيكل على حسب مايليق به، وتدبره بما هو مكتوب له وعليه من الأزل، ان خيرا فخير، وان شرا فشر، ومنها ماهو مطابق للروح، ومنها عاص، فالطائع يسمى عالم الجبروت، وهي التي لاخبث فيها لأنها بهذه الاعتبار هي الروح التي هي أمر الله المنفوخ في الاجسام الانسانية، والممد للأجساد الحيوانية، وهو وجه النفس الى الملكوت ووجهها الذي الى الملك هي العاصية التي نزلت الى أسفل سافلين، فقد دنست بدنس أوانيها، كالماء الطاهر نزل في الأواني النجسة فشرع الله تعالى الشرائع وأرسل الرسل، لتطهير النفس من خباثتها، وتزكي من رذائلها، فتعود روحا كما كانت، وأنه لايتم لها هذا إلا باتباع الرسل قولا وفعلا وحالا، ولا يصح لها هذا أيضا إلا بجذبة إلهية، وخطفة ربانية، أو بالسلوك على يد شيخ عارف، والحاصل أن جملة الانسان روح وعقل ونفس، فالروح واحد تعدد بتعدد الأعضاء، فهو واحد كثير ولا يدبر الجسم والعقل هو نور الروح، وهو يدبر الجسم بأمر الروح والنفس، هو نور العقل وهي بمنزلة الخادم للعقل فان كمل كملت النفس وبالعكس، وجملة هذه الثلاث أمر واحد وهو أمر الله، وقولنا في هذه المراتب تعين الحق تعالى يكذا لا يفهم منه الحصر والتقييد، وإنما الحق في كل تعين قابل للحكم عليه بأنه متعين، مع العلم بأنه غير محصور في التعين وإنه من حيث هو هو غير متعين حال الحكم عليه بالتعين وهو مطلق في آن تقييده، مقيد في آن إطلاقه، فهو تعالى على ما تقتضيه ذاته من الاطلاق والتعين والتجلي

والاستتار، لا يتغير ولا يتحول، ولا يلبس شيئاً فيترك غيره ولا يخلع شيئاً فيأخذ سواه بل هو على ما هو عليه، أزلا وأبداً، وإنما هذه التعينات والتغيرات والتحولات في الصور، وفي النسب، والاضافات، والاعتبارات، إنما هو بحسب ما يتجلى به علينا، ويظهر به لنا وهو في ذاته على ما هو عليه من قبل تجليه وظهوره

(الموقف السابع والثمانون)

روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال، إن الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم، وإنما ينظر الى قلوبكم، فمن بعض ما دل عليه هذا الخبر من المعاني أنه تعالى لا ينظر بمعنى لا يبالي ولا يتوجه بنظر خاص نظر عناية فهو تعالى يرى ويبصر جميع الاشياء حال عدمها، وحال إيجادها، ولكنه لا ينظر اليها بمعنى يتوجه اليها توجها خاصا بنظر مخصوص، ورؤية مخصوصة، بخير أو شر إلا إذا أراد ذلك وهو معنى الحديث الآخر إن شاء الله كذا وكذا نظره في اليوم الى القلب، وقوله، الى أجسادكم يعني إذا كان الجسد مثلا في المسجد والقلب في السوق، أو في الدنيا، أو كان الجسد في أحد الاماكن الشريفة، مكة أو المدينة، أو بيت المقدس، والقلب في غيرها من المشرق أو المغرب فلا ينظر الله تعالى الى الجسد بمعنى أنه لا يبالي به حتى يتوجه اليه بالنظر الخاص والرؤية الخاصة المفيض عليه من خيراته، وأنواع كراماته وتجلياته، وقوله، ولا الى صوركم، يعني لا يبالي بها إذا كانت جميلة كاملة، أو كانت قبيحة ناقصة، فانه تعالى ما رتب على ذلك خيرا ولا شرا، ولا ثوابا ولا عقابا، ولا كرامة ولا اهانة، إذ الانسان ما حصل له الشرف على جميع المخلوقات بحسن شكله وصورته، فان الصورة في الحائط أو الورق

مثله ، ولا بكبر جسمه ، فان الفيل أكبر منه ، ولا بشجاعته ، فان الأسد أشجع منه . ولا بكثرة نكاحه فان أخس العصافير أكثر سفادا منه ، فما كان له الشرف الا بانسانيته وهي قلبه

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها   فأنت بالقلب لا بالجسم إنسان

ولذا قال ، وإنما ينظر الى قلوبكم ، لأنها هي الانسان الحقيقي وهي محل تجلى الحق تعالى وهي التي وسعته بالعلم والمعرفة والظهور بالأسماء والصفات ، كما قال تعالى ، ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، ولا يسعه تعالى إلا علمه ، فالقلب هو علم الحق تعالى ، فافهم وتفطن للرمز المرموز ، والسر المكنوز ، فمعنى نظره تعالى للقلوب إنها هي التي يبالي بها . ويتوجه بالنظر الخاص اليها ، الاسعاد والاكرام بالعلوم وأنواع الكرامة أو الاشقاء والابعاد والحجاب ، وأنواع الاهانة فلا يقبل الحق تعالى الأعمال الصالحة إلا تبعا للقلوب ، ولا يعاقب على الأعمال السيئة الا مع القلوب ، فان القربات لا تكون قربة الا مع النية ، إنما الأعمال بالنيات ، وهي القصد بمعنى حضور القلب المستلزم لحضور الرب ، وكذلك السيئات لا تكون سيئة حقيقة فى الدنيا والآخرة الا مع القلب ، ولذا ورد فى الصحيح ، رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، يعني رفعت المؤاخذة عليه من جهة الحق تعالى لعدم معية القلب وان كانت تسميتها سيئة ، والمؤاخذة بها فى الدنيا حاصلة ، وفي قوله تعالى . قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم الا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، أشارة الى هذا أي قال الملك الحق تعالى لأخوة يوسف الجوارح ، ائتونى بأخ لكم بنيامين القلب من أبيكم

الروح الكلي الجامع بينكم في النسب ألا ترون أني أوفي الكيل لمن جاءني بمطلوبي منه فأعطيه حقه وأتفضل عليه بما لا قيمة له فإن لم تأتوني أيها الجوارح به بيامين القلب الذي هو مطلوبي ومحل نظري منكم فلا كيل لكم عندي ولا تصلون الى مطلوبكم مني اذا لم أصل الى مطلوبي منكم فمعنى لا كيل لكم عندي أي لا تستحقون ولا تستأهلون العلوم والأسرار حيث ليس لكم استعداد لها وانما المستعد المتأهل لها بالقوة القلب [illegible] وتلك الآية قبلها وهي قوله تعالى وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي قال الملك الحق للجوارح الموكلين بالسجن وهو الجسم الطبيعي ائتوني بيوسف القلب أستخلصه لنفسي اجعله خالصا لي ومحل سري وغيبي وارفع عنه الحجاب وأكمله بالعناية وأخصه برؤيتي وانبسط به في ممالكي فلما كلمه الملك الحق بصفة الكلام [illegible] كلاما تأنيس وبشارة من غير حرف ولا صوت ولا إشارة وقال له إنك اليوم بعد رفع الحجب وزوال البين واتحاد المعنى بالمعنى لدينا مكين ثابت القدم متمكن في مرتبتك الرفيعة أمين على أسرارنا فعيل بمعنى مفعول فلما سمع يوسف القلب الخطاب وذاق لذته وطرب وطاب وشاهد وعلم مثل الكلام [illegible] لما سمع قال اجعلني متصرفا في أعمالك ومخازنك على خزائن كنوز النفوس الأرضية أتصرف فيها بأمرك وعلى مقتضى إراداتك وحكمتك إني حفيظ لها من الفساد أمنعها ممن يطلب إفسادها من شيطان وهوى ودنيا عليم بأحوال العباد والعالمين فلا أعطي من لا

قال المؤلف رحمه الله ان هذا الوارد الذي [illegible] ورد علي وهو في لوامعه

يستحق فأظلم العطية ، ولا أمنع من يستحق فاظلمه ، ولا أعطيه فوق ما يستحق فاظلم نفسي بتضييع الوزن والعدل ، فأجابه الملك الحق ورده من حضرة الملكوتية الربانية ، الى حضرة الملك متصرفا في النفوس الانسانية على ما سبقت به القسمة الأزلية وتعلق العلم القديم فقال ، وكذلك مكنا ليوسف القلب الكامل فى أرض النفوس

(الموقف الثامن والثمانون)

قال تعالى : قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ، وتنسون ما تشركون : هذه الآية الكريمة نفي وبرهان في الرد على المشركين الذين جعلوا لله أندادا وشركاء فى الألوهية والتماس النفع منهم عند عامة المفسرين وعندنا وعند أهل طريقنا هى نعي ورد على من جعل لله تعالى شريكا مطلقا فى الألوهية وفى الوجود والصفات ، قل يا محمد لهؤلاء المحجوبين الذين جعلوا الذوات [illegible] وجودا مستقلا حادثا أو قديما ، وجعلوا لها صفات مغايرة لصفات الله تعالى من قدرة وارادة وغيرهما ، فأداهم ذلك الى أن قالوا إنه إذا نزل بنا ما لا يقدر على دفعه المخلوق فانا ندعو الله [illegible] ، اذا نزل بنا غير ذلك من [illegible] فانا ندعو غير الله [illegible] من مخلوقاته ، أرأيتكم أخبروني ان أتاكم نوع من أنواع عذاب الله الخارجة عن طوق المخلوق كالزلازل والخسف والريح العاصفة ، أو أتتكم الساعة وهى القيامة والحشر [illegible] أغير الله تدعون : أي أتكون لكم مدعو مغاير لله تعالى فى هاتين [illegible] الوقتين ، أم تدعون الله الذي تخيلتموه مباينا للعالم ومغايرا له [illegible] ما [illegible] ، أي تدعون شرككم وهو جعلكم

المخلوقات وجودا مستقلا مغايرا للوجود الحق فلا شك أنهم يقولون ماهو معتقدهم من مغايرة وجود الحق لوجود الخلق، إذ الحق تعالى عندهم لا يظهر في مظهر ولا يتعين بتعين ، ان كنتم صادقين ، ان بمعنى لو ، أي لو كنتم صادقين لعلمتم وقلتم انكم لا تدعون إلا الله تعالى في جميع الأحوال والأوقات فان المخلوقات من جن وإنس وملك وغيرهم ، مظاهرة هو الظاهر لا غير ، والصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب ضده، فالصادق هو العارف الذي يقول المدعو لكل أمر وفي كل وقت وحال . هو الله تعالى والمخلوقات مظاهرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، كما قال ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله وخن افتقارنا إلى بعضنا ، فافتقارنا ليس الا اليه . وبعضنا مظاهره وتعيناته لا غير ، والكاذب هو الجاهل الذي يقول المدعو في حال ووقت هو الله ، والمدعو في حال ووقت غيره بل إياه تدعون ابطال لما تخلوه ، واضراب على ما توهموه . وحصر للدعاء في كل وقت وحال في الله تعالى فيكشف ما تدعون اليه مما قل أو جل إن شاء فانه لا مكره له تعالى ولأن الغالب على من كانت حالته الجهل بالله عدم إجابة دعائه لأنه تخيل الله تعالى بعيدا عنه في السماء أو فوق العرش لا غير فيكون الله تعالى بعيدا عن إجابة دعائه جزاء وفاقا لأنه عند ظن عبده به

(الموقف التاسع والثمانون)

قال تعالى، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . اعلم أنه ليس المراد من إرساله رحمة للعالمين هو إرساله من حيث ظهور جسمه الشريف الطبيعي فقط ، وان قال به جمهور المفسرين وعامتهم فانه من هذه الجهة غير عام الرحمة لجميع العالمين ، فان العالم اسم لما سوى الحق تعالى، بل المراد إرساله من حيث حقيقته

التي هي حقيقة الحقائق ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح فان حقيقته صلى الله عليه وسلم هي الرحمة التي وسعت كل شيء وعمت هذه الرحمة حتى أسماء الحق تعالى من حيث ظهور آثارها ومقتضياتها بوجود هذه الرحمة ، وهذه الرحمة هي أول شيء فتق ظلمة العدم، وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة وهي الوجود المفاض على أعيان المكونات، وقد ورد في الخبر، أول ماخلق الله نور نبيك ياجابر، ولهذه الحقيقة المحمدية أسماء كثيرة باعتبار كثرة وجوهها واعتباراتها، واذكر طرفا منها ليكون عوذجا لما لم أذكره، فان كثيرا من الناس الذين يطالعون كتب القوم رضوان الله عليهم ، حين يرون هذه الأسماء الكثيرة يظنون أنها لمسميات متعددة، وليس الأمر كذلك وإنما هي مثل السيف والصارم ، والقضيب والهندواني ، والأبيض والصقيل والمحدد ، ونحو ذلك لمسمى واحد منها التعين الأول للحق تعالى ، ولذا قيل في حد الحقيقة المحمدية إنها الذات مع التعين الأول، ومنها القلم الأعلى، ومنها أمر الله، ومنها العقل الأول ، ومنها سدرة المنتهى ، ومنها الحد الفاصل ، ومنها مرتبة صورة الحق ، والانسان الكامل بلا تصديد ، ومنها القلب ، ومنها أم الكتاب ، ومنها الكتاب المسطور ، ومنها روح القدس ، ومنها الروح الأعظم ، ومنها التجلي الثاني ، ومنها حقيقة الحقائق ، ومنها العما ، ومنها الروح الكلي ، ومنها الانسان الكامل ، ومنها الامام المبين ، ومنها العرش الذي استوى عليه الرحمن ، ومنها مرآة الحق ، ومنها المادة الأولى ، ومنها العلم الأول ، ومنها نفس الرحمن ، بفتح الفاء ، ومنها الفيض الأول ، ومنها الدرة البيضاء ومنها مرآة الحضرتين ، ومنها البرزخ الجامع ، ومنها واسطة الفيض والمدد ، ومنها حضرة الجمع ، ومنها الوصل ومنها مجمع البحرين ،

ومنها مرآة الكون، ومنها مركز الدائرة، ومنها الوجود الساري، ومنها نور الأنوار، ومنها الظل الأول، ومنها الحياة السارية في كل موجود، ومنها حضرة الأسماء والصفات، ومنها الحق المخلوق به كل شيء: إلى غير ذلك، مما يطول ذكره. فأما وجه تسميته بمرتبة الحق والإنسان الكامل بلا تحديد فلأن صورة الحق هي صورة علمه بذاته، وصورة العلم صورة نسب علمه؛ وصورة نسب علمه عبارة عن تعينات وجوده التي هي أسماء الله من حيث تعددها، وعينه من حيث توحدها. وأما وجه تسميته بالحد الفاصل فلأنه فاصل بين ما تعين من الحق وما لم يتعين، وهو متجل بما تعين منه، ولا بد من هذا الحد الفاصل ليبقى الاسم الظاهر وأحكامه على الدوام، إذ لولاه لطلب التفصيل الرجوع إلى العين [illegible] الإجمال إذ الأشياء تحن إلى أصولها. وأما وجه تسميته بسدرة المنتهى، فلأنه هو البرزخ والكثيب الذي ينتهي إليها سير الكمل وأعمالهم وعلومهم، وهي نهاية المراتب الأسمائية. وأما وجه تسميته بالقلب فلمعان كثيرة منها أنه [illegible] العلم وزبدة الموجودات أعلاها وأدناها، وقلب الشيء خلاصته، ومنها أنه [illegible] بالقلب كما قال [illegible] بالبصرة، ومنها أنه قطب دائرة الوجود ونقطتها، ومنها أنه قلب المحدثات ومكان [illegible] عمى أن نور قلبه [illegible] بخلاف الكائنات. وأما وجه تسميته بالعقل الأول فلأنه أول من عقل من الخلق تعالى أمره [illegible] أو [illegible] تعالى لا في مادة ولا مدة [illegible] ذاته لا [illegible] في عالم الأمثال الإلهي، وقد ورد في خبر: أول ما خلق الله العقل. وأما وجه تسميته بأمر الله فلأن [illegible] الإلهية [illegible] تعالى [illegible] وهو أمر واحد قال تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ فأمره [illegible] فقال ألا إلى

الله نصير الأمور، بجمع فهو أمر واحد وأمور كثيرة وقال إليه يرجع الأمر كله فما كبده بكل يقضى بتعدده، لانه لايؤكد بها الا ذو أجزاء وما ذاك الا باعتبار المعدودات لا باعتبار ذاته، وأما كونه كلمح بالبصر فلأنه، أي أمر الله لا صورة له وهو الظاهر بكل صورة حسية، أو عقلية، أو خيالية، أو مثالية، والصور لا بقاء لها أكثر من آن واحد لأنها أعراض والعرض لا يبقى زمانين، وهذا هو الخلق الجديد دائماً الذي الناس في لبس منه ؛ وأما وجه تسميته بالقلم الأعلى فمن حيث التسطير والتدوين، إذ هو كاتب الحضرة الآلهية ، وقد ورد في خبر ، أول ما خلق الله القلم ، وأما وجه تسميته بالحق المخلوق به كل شيء فلأنه ليس هو الا ظهور الحق وتعينه فهو حق والظهور والتعين عدم ، فهو خلق ، ولما ظهر الحق تعالي به جعله شرطا وسببا لوجود كل موجود بعده الى غير نهاية، وفوض الحق اليه أمر المملكة كلها فهو يتصرف فيها بإرادته تعالى ، وأما وجه تسميته بحضرة الأسماء والصفات ، فلأنه تعالى لما اقتضى لذاته إيجاد العالم ، اقتضى هذا الاقتضا المذكور انقسام الذات العلية ، الى طالب ومطلوب ، وحاضر ومحضور ، ولا شيء إلا الذات وحدها، وكل أمرين متقابلين لا بد أن يكون بينهما أمر ثالث ، ليتميز كل منهما عن الآخر ، فظهرت حضرة الأسماء والصفات من بين هاتين الحضرتين المذكورتين ، حضرة الطالب والمطلوب ، والحاضر والمحضور ، فوصف بها الطالب باعتبار المطلوب ، والمطلوب باعتبار الطالب ، فظهر المطلوب على صورة الطالب ، باعتبار اتصافه بهذه الأوصاف مع تباين الطالب والمطلوب بالنظر الى ذات كل منهما وإن كانا ذاتا واحدة في الحقيقة ، فتقتضيه الاقتضا الذاتي هو الحب الذاتي حضورها عندها بطلب

هو عين ذاتها ، مثل اقتضائها لأوصافها وإلا كانت أوصافها حادثة ، لأنها مطاوبة لها وأوصافها قديمة أزلية ، وأما وجه تسميته بأم الكتاب ، فلأن الوجود مندرج فيها اندراج الحروف في الدواة ، ولا تسمى الدواة باسم شيء في أسماء الحروف وكذلك أم الكتاب لا يطلق عليها إسم الوجود ولا العدم ، فلا يقال أنها حق ولا خلق ، ولا عين ولا غير ، لأنها غير محصورة حتى يحكم عليها بحكم ، ولكنها ماهية لا تنحصر بعبارة الا ولها ضد تلك العبارة من كل وجه وهي محل الأشياء ومصدر الوجود ، فالكتاب هو الوجود المطلق وهذه الحقيقة ، كالذي تولد الكتاب منها فليس الكتاب الا أحد وجهي هذه الحقيقة اذ الوجود أحد وجهيها ، والعدم هو الوجه الثاني ، فلهذا ماقبلت العبارة بشيء لأنه ماقبلها وجه الا وهي ضده ، وأما وجه تسميته بالكتاب المسطور فلأنه الوجود المطلق على تفاريعه وأقسامه ، واعتباراته الحقية والخلقية ، وهو مسطور أي موجود مشهود ، وأما وجه تسميته بروح القدس فلأنه الروح المقدس عن النقائص الكونية فهو روح لا كالأرواح ، لأنه روح الله كما قال ، ونفخت فيه من روحي ، وروح الله ذاته فالوجود كله قائم بروح الله الذي هو ذاته ، فروح الله قديم ماسواه تعالى محدث فالانسان مثلا له روح مخلوق به قامت صورته ولذلك الروح المخلوق روح آلهي قام به ذلك الروح ، وهو المعبر عنه بروح القدس ، وأما وجه تسميته بالروح الأعظم ، فلأنه روح الأرواح ، إذ الأرواح الجزئية لكل صورة جسمية ، أو روحية ، أو نباتية ، أو خيالية ، أو مثالية ، إنما هي فائضة منه وتسميتها أرواحا جزئية مجاز إذ لا جزء ، ولا كل ، ولا بعض ، ولا معدود ، إلا بحسب الصور لا غير كما عددت الأماكن ، والأزمان ،

والأبواب، والطاقات، والخروق الشمس، وهي حقيقة واحدة، وأما وجه تسميته بالتجلي الثاني، فبالنسبة الى التجلي الأحدى الأول. إذ هذا التجلي الثاني به وفيه ظهرت أعيان الممكنات الثابتة التي هي شؤون الذات لذاته تعالى وهو التعين الأول بصفة العالمية والقابلية، لأن الأعيان الثابتة معلومات الأول الذاتيـة القابلة للتجلي الشهودي، وللحق بهـذا التجلي تنزل من الحضرة الأحدية الى الحضرة الواحدية، بالنسب الأسمائية وأما وجه تسميته بحقيقة الحقايق فلأن كل حقيقة آلهية، أو كونية، إنما تحققت به، إذ هذه الحقيقـة لا تتصف بالحقية، ولا بالخلقيـة، فهي ذات محض لا تضاف الى مرتبة فلا تقتضي لعدم الاضافة وصفا ولا أسماء ولذا قال أمامنا محي الدين، المعلومات ثلاثة، الحق تعالى، والعالم، ومعلوم ثالث، لا يوصف بالوجود، ولا بالعدم، ولا بالحق، ولا بالخلق، ولا بالحدوث، ولا بالقدم، ولا بالوجوب، ولا بالامكان، فاذا وصف به الحق فهو حق؛ وإذا وصف به القديم فهو قديم، وإذا وصف به الحادث فهو حادث، وهكذا وأما وجه تسميته بالعما فلأن العما في اللغة السحاب الرقيق، ورد في الخبر، كان ربنا في عماء مافوقه هواء، وما تحته هواء، يعني لا صفة حق، ولا صفة خلق، على أن ما نافية، ويصح أن تكون ما موصولة، أي الذي تحتـه هواء؛ وفوقه هواء، يعني أنه يصلح أن يكون حقا، وأن يكون خلقا، فالعما مقابل الأحدية ولا يصح أن يكون العما هو الأحدية لأن الأحدية حكم الذات في الذات بمقتضى التعالي وهو البطون الذاتي الأحـدي والعما حكم الذات بمقتضى الاطلاق، فلا يفهـم منه تعال ولا تدان فالأحدية صرافة الذات بحكم التجلي، والعما صرافة الذات بحكم الاستتار، فالعما هو الممكنات

والظاهر فيها هو الحق والعماء هو الحق وسمي الحق لأنه عين نفس الرحمن والنفس مبطون في المتنفس، بمعنى أنه باطن المتنفس فظهر، فالعماء هو الاسم الظاهر وأما وجه تسميته بالنور فلأنه ورد: أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر؛ والنور نوران: نور الحق وهو الغيب المطلق القديم، ونور العالم المحدث وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي خلقه الله من نوره، وخلق كل شيء منه، فهو كل شيء من حيث الماهية. وكل شيء غيره من حيث الصورة، كما أنه هو نور الحق من حيث الماهية وغير نور الحق من حيث الصورة، وورد في بعض الأخبار: أنا من ربي والمؤمنون مني؛ وإنما خص المؤمنين للتشريف وإلا فكل الخلق منه مؤمنهم وكافرهم؛ ولهذا كان الكمل يشهدونه في كل شيء على الدوام حتى قال المرسي رضي الله عنه: لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسي من المسلمين، فالمراد بعدم الاحتجاب دوام شهود سريان حقيقته في العالم كله لا شخصه الشريف، وإلى أيام [illegible] بالمدينة [illegible] الهجرة الشريفة، فطرأ علي [illegible] رؤيته صلى الله عليه وسلم في [illegible]، فقال لي في [illegible] تراني في كل شيء، فحمدت الله ولا يتوهم مما ذكرناه حلول ولا تجزيء ولا تجزئة فإن معنى إيقاد السراج من نور سراج آخر أن الأول أثر في الثاني وظهر الثاني على صورة الأول بل الثاني عين الأول ظاهر في مرتبة ثانية من غير انفصال عن الأول، وهذا غاية ما قدر عليه أهل الوصال في التعبير فافهم السر واحذر الغلط، وإذا عرفت [illegible] الله والآمن [illegible] مراد أهله وذوقهم فأنت من الفرقة الناجية وأما [illegible] مرآة الحق [illegible] رأيت [illegible] فيها إذ

الحق شاء أن يرى ذاته فى صورة كون جامع ، فظهر بذاته فى الحقيقة المحمدية، وقدّر الصور كلها فيها كما هي فى علمه فقامت له نفسه فى صورة المغايرة، مقام المرآة من غير انفصال ولا تعداد، لأن الصورة فى المرآة ليست إلا صورة الناظر فيها، إلا وجه عارض، وليست هي صورة الناظر بعينها، فلما نظر الحق إليها ظهر كل ما فى الصورة الإلهية فى تلك المرآة التي هي نفس الحق فى الحقيقة، والحقيقة المحمدية فى الخلق الأول، وحقائق العالم فى حضرة التفصيل، فرأى الحق فيها فرأى نفسه ظاهرا فيها بجميع معلوماته من غير حلول ولا اتحاد فخاطب معلوماته التي كساها حلة وجوده بكن، فكانت لا نفسها وفى الحقيقة ما خاطب إلا نفسه بنفسه ، وأما وجه تسميته مرآة الكون فلأن الأكوان وأحكامها وأوصافها لم تظهر إلا فيه، وهو مختف بظهورها كما تختفى المرآة بظهور الصور فيها وأما وجه تسميته بالظل الأول فلأنه هو الظاهر بصفات الأعيان الممكنة وأحكامها ، التي هي معدومات ظهرت بما يسمى الظل من الوجود فستر ظلمة عدمها النور الظاهر بظهورها ، وصار ذلك الظهور الظل بالنسبة وتقدمه فى نسبته قال تعالى ، ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، أي بسط الوجود على الممكنات وأما وجه تسميته بجمع البحرين فلأنه جامع بحري الوجوب والإمكان ، أو باعتبار اجتماع الأسماء الإلهية والحقائق الكونية فيه، وأما وجه تسميته بالمادة الأولى أي هيولى الكل فلأنه أول متعين فى الحضرة العلمية وتفصيل منه جميع ما فى العالم الكبير والصغير ، من جليل وحقير فهي هيولى العالم أي المادة المتقدمة على الموجودات التي هي موجودة فى كل الموجودات ، ولا تخلو عنها صورة من العالم كما تقول الفلاسفة فى الهيولى وهي الجوهر الذي

تتركب منه الأجسام عندهم لأن الله خلق الأشياء . منها ما خلقه من غير سبب متقدم عليه في الايجاد وليس الا المادة الأولى التي ظهرت عن حضرة اللاهوت وجعلها سببا لجميع المخلوقات وأما وجه تسميته بظاهر الوجود فلأن الوجود منقسم بالاعتبار الى ظاهر وباطن، فباطن الوجود هو الغيب المطلق الذي لا يسمى ولا يوصف ، وأما ظاهر الوجود فهو ظهور الوجود الحق باعيان الممكنات ، أعني أحكامها وصفاتها، وهو الوجود الاضافي أي المضاف الى الممكنات . وأما وجه تسميته بالعرش الذي استوى عليه الرحمن فلأنه مظهر لجميع الأسماء من جلال وجمال، فاستوى عليه كما يعلم لا كما نعلم نحن ، ولأن العرش محيط بالعالم في قول ، أو هو جملة العالم في قول ، والمخلوق الأول وهو الحقيقة المحمدية يشبه العرش في وجه الاحاطة وقد ورد في خبر ، أول ما خلق الله العرش ، وأما وجه تسميته بمركز الدائرة ، فالمراد بالدائرة الأكوان كلها ، والمركز هو القطب الذي تدور عليه كقطب الرحى الذي هو ماسك لها ولولا استقامته ما استقامت على وزن واحد. فلأنهم نظروا الى كل خط يخرج من النقطة الى المحيط . فالنقطة هي خط فيه البركار الأول، والمحيط هو خط فيه البركار الثاني . وله شبه بالجمال المداد التي تكون منه صورة الدائرة لكنه لا يدور الا على النقطة الأول المركز على أمر واحد من غير استدارة ولا مداد فيه ، لكنه عند ما فيه المداد بالاستقامة على حركته الدورية ولهذا يخرج كل خط مسامتا لصاحبه الذي قبله والذي بعده، لأن الدائرة كلها نقط وخطوط متصل بعضها ببعض ، فنقطة المركز تقابل كل نقطة من نقط الدائرة بكليتها ، وكل نقطة من نقط الدائرة هي عين نقطة المركز باعتبار انفرادها ومقابلتها اياها، فهي نقطة لكل نقطة من هذا الوجه

وليست هي نقطة من نقط الدائرة باعتبار استدارتها واتصالها بما قبلها وبما بعدها ، فهي في هذا الوجه مغايرة لكل نقطة فاعتبر ذلك في الحق تعالى فالدائرة دائرة الأكوان واتصال بعضها ببعض ، والمركز إشارة الى سكون الأمر وهو الحقيقة المحمدية تحت القضاء والقدر ، وتنفيذ ما أراد الله بعباده ، وأما وجه تسميته بالوصل فلأنه يصل الأشياء الكثيرة بعضها ببعض حتى تتحد ، ولأنه الواصل بين البطون والظهور ، وأما وجه تسميته بواسطة الفيض والمدد فلأنه هو الرابط بين الحق والخلق بمناسبته للطرفين ، فله وجهان هو في أحدهما حق ، وفي الآخر خلق . وأما وجه تسميته بنفس الرحمن فلكونه شبيها بالنفس الخارج في الجوف المختلف بصورة الحروف مع كونه هواء ساذجا في ذاته ونظرا الى الغاية التي هي ترويح الأسماء الداخلة تحت الاسم الرحمن عن كربها وهو كمون الأشياء وكونها بالقوة كترويح الانسان بالنفس وكذا الحقايق الكونية لانعدام أعيانها . واستهلاك الجميع أعني النسب والشؤون الالهية والكونية في الوحدة الذاتية ، وأما وجه تسميته بالفيض الأول ، فلأن الحق تعالى أبرزه من حضرته قبل كل شيء وأفاضه على عين كل شيء ، فظهر كل شيء ممتدا منه بسبب فيضانه عليه ، وحملهم على هذه التسمية أنهم رأوا الأجسام بيوتا مظلمة فاذا غشيها نور الحقيقة المحمدية أشرقت وأضاءت بالأنوار الفائضة من هذه الحضرة التي هي من حضرات الحق تعالى ، وأما وجه تسميته بالدرة البيضاء فلأنه محل تجلي الحقيقة الالهية والتجلي في الشيء الصافي الذي ما خالطه شيء من الأدناس أقوى وأرقى ما يكون ، وقد ورد في خبر ، أول ما خلق الله درة بيضاء . الحديث بطوله وأما وجه تسميته بمرآة الحضرتين ، فلأنه محل ظهور حضرة الوجوب بظهور

الأسماء والصفات جميعها فيه، ومحل ظهور حضرة الإمكان بظهور الممكنات، كلها صورها وأوصافها وأحكامها فيه، فهو مرآة لعين الذات ولما تعين فيها وبهاء ونسبة ما تعين لما لم يتعين نسبة ما يتناهى الى ما لا يتناهى. وأما وجه تسميته بالمعلم الأول فباعتبار أنه أول موجود ظهر في الغيب باعتبار نشأته الباطنة، وهو الروح الكلي، وأول معلم ظهر في الإرشاد باعتبار نشأته الظاهرة، فعلّم الملائكة الأسماء كلها وما علم الأسماء الآدمية إلا بأن كشف الحق له عن ذاته فوجدها تجمع الأسماء، فالحقيقة المحمدية تجمع صورة آدم الظاهرة والباطنة:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وأما وجه تسميته بالإمام المبين فلأنه [illegible] بأسبابها [illegible] ظهوره فيها، كما بيّن الحق المراتب والخطابات. وأما وجه تسميته بالروح الكلي، فلأنه [illegible] من الروح [illegible] أن الروح [illegible] له صورة [illegible] الأمين [illegible] الأسماء [illegible] كلها، وكذلك الروح [illegible] الأسماء التي [illegible] الأسماء والصفات [illegible] العلوم والأسرار وينزل الى عالم [illegible] والأعيان [illegible] كلها [illegible] واستعداداتها، [illegible] الروح [illegible] الله تعالى إذ هو أمر الله القائم على [illegible] الروح [illegible] ذاتها [illegible] أي [illegible] والمراد بالأسماء [illegible] الروح [illegible] والمراد به هنا وجود الحق [illegible] بالروح الكلي، فلذلك [illegible] الروح [illegible] إلى

أصله وهو الحق، ووجه الى فرعه وهو الخلق، فيأخذ الأمر من الحق، ويكتبه بقلم العقل فى لوح النفس، فتقرأه الأعضاء أقوالا وأعمالا، وانما قيل فيه كاتب لأنه قائم على جميع الصور ومحيط بها، فأهل الله ينظرون بعلمهم فيجدون العالم كله أرواحا مقدسة، وأسرارا مستترة، وأما وجه تسميته برزخ البرازخ فلأنه لا يغاير حقيقة الواجب، ولا الممكن فهو جامع بين الطرفين إذ حقيقة البرزخ أنه الحاجز بين الشيئين، لا يكون عين واحد منهما ولا غيرهما، ولا يكون الا معقولا فاذا كان محسوسا فليس ببرزخ وهو الخيال، وهو الوهم، وهو الذي تصير اليه الأرواح بعد الموت، فالكلم ثلاث، كلمة جامعة لحروف الفعل والتأثير التي هي حقائق الوجوب، وكلمة جامعة لحروف الانفعال والتأثر، وهى حقيقة العالم، وكلمة جامعة بينهما، فاعلة منفعلة، متأثرة مؤثرة، وهي هذه الحقيقة الكلية، وأما وجه تسميته بالوجود الساري فلأنه لولا سريان الوجود الحق فى الموجودات بالصورة التي هي منه، وهي الحقيقة المحمدية ما كان للعالم ظهور، ولا صح وجود لموجود، لبعد المناسبة وعدم الارتباط، فما صح نسبة الوجود الموجودات الا بواسطة هذه الحقيقة، وأما وجه تسميته بالانسان الكامل فلأن كل إنسان كامل من حيث صورته الظاهرة والباطنة، مظهر له ولوازمه وأما وجه تسميته بالخزانة الجامعة فلأنه كناية عن علم الله تعالى بأسمائه وبحقائق العالم، فكل ماخرج من الغيب فمحله هذه الخزانة الجامعة، وأما وجه تسميته بالصورة الرحمانية فلأنها الصورة الظاهرة لذاتها، الحاصلة فى الاجتماع الأول الاسمائي فهي صورة الرحمن، لأن مدلوله من له الرحمة العامة ولا شيء كذلك الا هذه الصورة، فالرحمن إسم لهذه الصورة الوجودية من حيث ظهوره لنفسه، كما أن الله

تعالى من حيث أنه مشتق، لا من حيث أنه مرتجل، اسم لرتبة الألوهية الجامعة للحقائق. ويكفي هذا القدر من ذكر أسماء هذه الحضرة المحمدية لمن فهم فإنها بحر لا ساحل له. ولهذا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم، لا يعلم حقيقتي غير ربي، وقال العارف الأكبر، أعجز الخلائق، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق، يعني العلم بحقيقته

(الموقف السبعون)

قال تعالى: «وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً». اعلم أنه ما كان جهل الا بسبب التمايز، ولا كان علم الا بسبب الاتحاد. فكلما كثر ما به التمايز عظم الجهل، وكلما كثر ما به الاتحاد عظم العلم، وإذا انتفى التمايز رأساً انتفى الجهل رأساً، وليس هذا الا للحق تعالى فإنه ما علم الأشياء علماً كاملاً بحيث لا تتصور فيه شائبة جهل: الا من علمها من ذاته بذاته لا بصفته ولا من غيره، وليس ذلك الا هو تعالى فإنه لما علم ذاته علم الأشياء من علمه بذاته، وعلم عين ذاته أعني باطن العالم لا ظاهر العالم، والحق تعالى من حيث الذات الغيب المطلق، ليس داخلاً في الأشياء فلا تطلق عليه الشيئية في مرتبة إطلاقه حتى يحيط به علم غيره، أو علمه أعني ظاهر العالم فإن حقيقته الذي هو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، والحق تعالى من حيث الذات والكنه والإطلاق لا يصح أن يعلم ولا أن يخبر عنه، فإن الذات لا تعلم لا ذوقاً ولو علم المطلق لانقلبت حقيقته، وهذا المطلوب محال؛ فالذات إذا علم ليس ذلك العلم علماً بحقيقته وإنما هو علم بوجوده واعتباراته لا غير، فالحق تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها، أعني بالذات الغيب المطلق، وأعني بالعالم ظاهر العالم. فإني أعني بالاسم الله الذي هو اسم لرتبة الألوهية، أعني الله المشتق لا المرتجل، ولا نفس

فى هـذا بل عين الكمال والتنزيه ، وأما مرتبة التقييد التي تعلم ولا تشهد خلاف الذات فهي مرتبة الالوهية ، فانه يعلم ذاته المقيدة بصفات الالوهية ويحيط بها علما ، بمعنى أنه يعلم وجود ذاته المطلقة واعتباراتها لاحقيقتها ، وهو فى هذه المرتبة داخل فى الأشياء التي أحاط بها علمه ؛ وهي المسماة بظاهر الوجود وبالأسامي الكثيرة ، وكل مادخل الوجود فهو متناه تصح الاحاطة به ، وفى هذه المرتبة دخل فى الأشياء واليه الاشارة بقوله تعالى ، قل أي شيء أكبر شهادة قل الله ، فمن عرف هـذا الموقف حق المعرفة ، زالت عنه إشكالات كثيرة فى عدة مسائل أكثر الناس الخوض فيها ، وكذا موقف ، إلا أنه بكل شيء محيط السابق فالعلم حقيقة واحدة لاتتجزأ ولا تتعدد وكل معلوم له حقيقة واحدة ، فما يعلم من كل معلوم إلا الوجوه والاعتبارات ، فتعدد العلم ونسبة الكثرة اليه إنما هو بحسبها لاغير ، فاذا تعلق علم زيد مثلا بعشرين وجها لحقيقة من الحقايق ، وتعلق علم عمرو بعشرة يقال علم زيد أكثر من علم عمرو ، والحدود الموضوعة للأشياء إنما هي وجوه لها واعتبارات ولوازم ، فلا تعلم الحقائق بالحدود فافهم ترشد والسلام

(الموقف الواحد والتسعون)

قال تعالى ، وما أمرنا الا واحدة ، أمر الله تعالى هو كلمته الكلية وهو الصورة الرحمانية التي استوى بها على العرش ، فهي فى العرش واحدة كما قال ، وما أمرنا إلا واحدة ، يعني كلمة واحدة جامعة لجميع الحروف والكلمات ، لأنها السارية فى كل حرف وكلمة ، ثم لما تنزلت هذه الكلمة الى الكرسي صارت كلمتين بمعنى ذات صفتين متقابلتين مزدوجتين ، وهما المكنى عنهما بالقدمين أعني الصفتين المتقابلتين حق و خلق ، خبر وحكم ،

وظهرت الزوجية بعد أن كانت الكلمة واحدة في العرش ، إذ الكرسي زوج للعرش ، ومن الكرسي ظهر التعدد والمقابلة في كل الأشياء حتى في الأسماء الآلهية ، قابض وباسط ، ومعطي ومانع ، ومحيي ومميت ، والمسمى واحد ، كما كان حسن وقبيح ، وطاعة ومعصية ، وخير وشر ، وصحة وفساد ، وحق وباطل ، وقيل (١) الكرسي ليس الا شيء واحد كله حق ، وحسن وخير ، فأصل القدمين عبارة عن الأسماء المتضادة المخصوصة بالذات وأسماء الذات المتضادات لها آثار في المخلوقات ، فقد يراد بالقدمين هاهنا الصفات الذاتية المتضادة وآثارها وقد تخص المتضادات ، من أسماء الأفعال لأن الصفات الذاتية فوق أسماء الأفعال وقد ورد في خبر ، رده علماء الظاهر ورموه بالوضع ؛ حيث أنهم ما وجدوا له تأويلا حتى تقبله عقولهم وقبله السادة العارفون بالله وهو ، رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة ، وعلى وجهه فراش من ذهب ، وفي رجليه نعلان من ذهب ، الحديث

(الموقف الثاني والسبعون)

قال تعالى « واذكر ربك إذا نسيت » الذكر المأمور به هنا هو ذكر القلب لا ذكر اللسان فإنه يصلح نسبة النسيان والنسيان محله القلب ، وهذا لأن شرط الضدين اتحاد محلهما وذكر اللسان يضاده الصمت لا النسيان وذكر القلب المأمور به هو استحضار صورة العلم بالله الذي يحصل له كلما غفل جدد ذكرها في قلبه ولا تضره غفلته فإن العلم لا يزول بخلاف الإيمان فإنه قد يزول فإذا زال الإيمان الذي هو سبب السعادة تلفت السعادة ضدها وهي الشقاوة وأما العلم فإنه لا يزول ولا تؤثر فيه الغفلات فإنه لازم للعالم المذكور

(١) لعله وقيل

مع علمه فى كل نفس لأنه وال مشغول بتدبير ماولاه الله عليه فيغفل عن كونه عالما بالله تعالى، ولا يخرجه ذلك عن نعته بأنه عالم بالله تعالى مع وجود الضد فى المحل من غفلة أو نوم ، فانه لا جهل بعد علم وأعنى بالعلم علم القوم رضوان الله عليهم، الحاصل من التجليات الربانية، والالهامات الروحانية ، وأما العلم الحاصل عن النظر العقلى بالأدلة الفكرية ، فمثل هذا لا يسمى عند القوم علما لتطارق الشبه على صاحبه فينقلب الدليل عنده شبهة، وقد تكون الشبهة عنده دليلا ، وإن وافق العلم فالعلم الحقيقى باسم العلم مالا يقبل صاحبه الشبه ولا يطرأ عليه تغيير ، وليس ذلك إلا علم الأذواق الحاصل بالتجليات، وليست الغفلات خاصة بالأصاغر، بل تكون حتى الأكابر، فهى عامة فى بنى آدم حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولكن العارفين بالله متفاوتون فى زمان الغفلات بحسب مقاماتهم، وانظر قوله صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبى الحديث فانه صلى الله عليه وسلم ، كان مكلفا بأعباء الرسالة وخطاب الناس على قدر عقولهم ومراتبهم ، وتبليغ الشرائع اليهم، وهذا وإن كان من أعظم القربات، وأجل العبادات ، فليس هو كخلوته بربه وانقطاعه اليه ، ولهذا قيل الولاية أفضل من الرسالة ، يريدون ولاية الرسول أفضل من رسالته ، لا الولاية مطلقا لأن ولايته هى وجهه الى الله تعالى ولها يقول صلى الله عليه وسلم، لى وقت مع الله لا يسعنى فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب ، وأما رسالته فهى وجهه الى الخلق ولها يقول صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبى فالمشاهدة ثابتة له صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله كما قالت عائشة رضى الله عنها فى وصفه صلى الله عليه وسلم أنه كان يذكر الله فى جميع أحيانه ولكن المشاهدة تختلف أنواعها، والقلب وإن كان أمره عظيما وخطره جسيما وكان لا أوسع

منه، فكذلك هو لا أضيق منه، لما وسعه فانه وسع الحق تعالى كما قال تعالى، ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن؛ وأما حقيقة فانه لا يقدر على الجمع بين شيئين فى الآن الواحد؛ وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا، عسى من الله واجبة؛ والمراد أنه تعالى يرفعه الى مقام أعلى مما كان فيه فى الوقت أو ينقله من تدبير هذه النشأة الطبيعية العنصرية الى فضاء الحضور مع الله على الدوام أو الى نشأة تجامع الحضور مع الله دائما كالنشأة الملكية عليهم الصلاة والسلام

(الموقف الثالث والسبعون)

قال تعالى: إنا كل شيء خلقناه بقدر؛ اعلم أن الشيئية شيئيتان شيئية ثبوت، وشيئية وجود. فشيئية الوجود حادثة وهي المراد المنفية فى قوله تعالى: وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا، أي موجودا، وشيئية الثبوت هي عبارة عن استعداد الممكن وقبوله للظهور بالوجود الحق وظهور الوجود الحق به، فانه لو لا قبوله ما حصل ما حصل. ألا ترى المحال الممكن له استعداد ولا قبول الظهور به، فلا يظهر ما ليس له وجود، وهذا الاستعداد والقبول للممكن قائم به، غير مجعول، فلا يتعلق به أثر القدرة القديمة؛ كما أن العدم السابق على الوجود ليس من أثر القدرة القديمة. وشيئية الثبوت قديمة وهي المرادة والمخاطبة بقوله: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون. كان المأمور ثابتا معدوما فسمع الخطاب فامتثل الأمر بالتكوين فكان. فما أوجب الحق تعالى لنفسه إلا الأمر بالتكوين، وأما التكوين فهو للشيء المأمور، فهذا إذا أمر المعدوم ثابت فى الثبوت لا ثبوت له لا امتثال إذ لا يأمر من ليس له دخول فى الكون، لا سيما من الحكيم العليم فتعلق الأمر والمأمور والتكوين إعادة الصورة

وهي الهيئة الاجتماعية الحاصلة من اجتماع الأسماء فمعنى كن أقبل اتصافك بوجودي وظهوري بك فتكون مظهر الي لأنك تكون موجودا ، فالأمر والمأمور والآمر واحد عند المحقق والمغاير بينهما اعتباري ليس بشيء زائد على الهيئة الاجتماعية للأسماء الآلهية التي تلك العين الثابتة صورتها العلمية، فالتكوين عين المكون اسم مفعول ، وعين المكون اسم فاعل، فالحق تعالى اذ توجه توجها خاصا العين من الأعيان الثابته التي قلنا أنها صور الأسماء الآلهية الايجاد بمعنى المظهرية للوجود الحق، وتوجهه تعالى عينه وعين ماتوجه اليه ، انصبغ الوجود الحق بأحوال تلك العين الثابتة وبما لها من الاستعداد للصفات التي تعرض لها حالا بعد حال الي الأبد فظهر الوجود الحق منصبغا بصفاتها والعين نفسها باقية في العدم والثبوت ، وانصبغ تلك العين بالوجود الحق صبغه الله ومن أحسن من الله صبغة فيحصل لها الشعور بنفسها ، وعند ما حصل لها الشعور بنفسها نظرت في مرآة الوجود الحق ، الذي هو نور السموات والأرض ، ونور كل شيء فنظرت نفسها في النور وظنت أن الذي رأته في مرآة الوجود من صورتها شيء آخر ، وانها حصلت على وجود خارجي غير الوجود العلمي ، وليس الأمر كذلك وإنما الذي رأته وظنته وجودا خارجيا هو الوجود الحق الظاهر بأحكامها واستعداداتها ، وأما هي فما شمت رائحة الوجود أزلا وأبدا ، كان الله ولا شيء معه : أي الله موجود ولا شيء معه في الوجود أزلا وأبدا ، اذ حد الأعيان الثابته إذا حدها من حدها هي حقائق الممكنات في العلم الآلهي ؛ ويسميها المتكلمون الماهيات ، كما يسميها أهل الله أيضا الاستعدادات والحقائق العلمية ، فلو كان لها وجود خارج العلم لانقلبت حقيقتها وقلب الحقائق محال ، فحقيقة كل شيء أي شيء كان ، هي نسبة معلومية

في علم الحق تعالى من حيث أن علمه عين ذاته . فافهم الأمر على أصله ، وأكتمه إلا من أهله ، المستعدين لقبوله ، المتهيئين لتحصيله ؛ وإن خالفت ندمت ، إذ ما كل ما يعلم يقال وأنهم يكذبونك ، ولا يمكنك إقامة دليل على صدق دعواك ، فإن الأمور الوجدانية لا يمكن حدها ، ولا إقامة دليل عليها ، حتى في الأمور العادية العامة في الخلق ، كالفرح والغم ، والخوف والخشوع ، ونحوها فلا يمكن توصيلها إلى الغير أبدا ، ولا دليل لها إلا الذوق ، وإذا أخذها المؤمن بحسن ظنه بالخبر ، يحصل له فرقان بينه وبين الجاهل بها ، ولكن لا مثل ذوقها

(الموقف الرابع والستون)

قال تعالى : وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص . نصيب كل مخلوق وهو مقتضى حقيقته واستعداده الذي لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وهو معنى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . ولكل مخلوق استعداد هو [illegible] من الحق تعالى ولا يشبه استعدادا آخر من كل وجه أبدا [illegible] هذا الاستعداد هو الوجه الخاص الذي لكل مخلوق من الحق تعالى ، فإن لكل مخلوق من الحضرة إلهية خاصا لا يشاركه فيه غيره من سائر المخلوقات ، وهو [illegible] ذلك المخلوق ، إذ هو متميز عن سائر المخلوقات [illegible] والله واسع عليم . فلا تكرار في الوجود أبدا فالاستعداد هو السائل [illegible] الداعي الذي لا يرد دعاؤه وهو المراد بقوله : أجيب دعوة الداع إذا دعان [illegible] في الداعي [illegible] وهو [illegible] إلا الاستعداد فالاستعداد [illegible] وهو معنى ما ورد في [illegible]

عند مقابلة الشمس وهو نصيبه من الحق تعالى ، فلابد أن يسوده سأله بلسانه أو لم يسأله ولو سأل البياض ما أجيب على سبيل الفرض ، وإلا فهو لا يسأل البياض فلا يسأل إلا السواد لأنه حقيقته ومقتضي ذاته ولا يمكن للشيء أن يقول يارب اجعلني غير أنا فانه محال والشقة بيد القصار ، كذلك نصيبها من الحق تعالى البياض ، وهو استعدادها وحقيقتها كما قلنا في القصار سواء ، أما إجابة الحق تعالى لكل داع إذا قال يارب بقوله لبيك ، أو تعويضه أمرا آخر مما دعا به كما ورد في الاخبار فما هو مقصود الداعي وكلامنا في مطلوب الداعي بعينه فهو الذي قلنا لا يحصل الا بالاستعداد ، فدعاء اللسان مجردا عن الاستعداد لا أثر له في الاجابة بالمطلوب البتة ، كيف يكون الدعاء اللاحق ، سببا في القضاء السابق ، والسبب لابد أن يكون موجودا قبل المسبب عنه ضرورة ، فما أمر الحق تعالى عباده بالدعاء وجعله الشارع صلى الله عليه وسلم : مخ العبادة إلا تعبدا واظهارا للفاقة والحاجة التي هي صفة ذاتية لكل ممكن ، فربما غفل الممكن عن صفة ذاته لعوارض تعرض له فيكون الدعاء مذكرا له بأصله ، قال في الحكم العطائية ، الدعاء كله معلول مدخول ، الا ما كان بنية التعبد والتقرب ، فهو مقبول ، ونحن نقول الحق تعالي ، علم الأشياء أزلا علي ما تكون عليه أبدا بشرط ، أو سبب ، أو أسباب ، أو شروط ، أو بغير ذلك وهذا لا يقدح فيما قلنا ، اذ السببية الحقيقية أنما هي منه تعالى ويرجع ذلك الي الاستعداد الذي عليه الأعيان الثابتة كما ورد ، من القضاء رد القضاء بالدعاء ، وهذه من مقامات الحيرة أمرنا بالدعاء فان دعونا يقول لنا لم تدعون ، جفت الاقلام وطويت الصحف ، تدعون أو لا تدعون لا يكون الا ما سبق ، وان لم ندع توعدنا وتهددنا ، قل ما يعبأ

بكم ربي لولا دعاؤكم ، وقال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم وآخرين ، قيل المراد بالعبادة هنا الدعاء ورضي الله تعالى عن الشيخ الأكبر إذ يقول ، يشير الى ما قلناه من الحيرة

اذا قلت يا الله قال لما تدعو ... وإن أنا لم أدعو يقول ألا تدعو

لقد فاز باللذات من كان أخرسا ... وخصص بالراحات من لا له سمع

وهذه الحالة من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا النادر الفرد . وأما القدر نفسه فما علمت هل يطلع عليه أحد أو لا . وقد سألت الله تعالى أن يجمعني بواحد من أكابر العارفين حتى أسأله عن مسائل فالقى علي في الحال ، أليس العارف مظهرا وواسطة من جملة الوسائط التي أوصل بها العلم الى من شئت ، فقلت بلى ، فقال . الواسطة ما هي محصورة في العارف ، اسألني العلم أعلمك كيف شئت وعن شئت ، فإذا ما علمتك فاعرف أنه ليس من نصيبك ولا لك استعداد لقبوله . ولو أعطيتك على الفرض ما قبلته ولرددته ، فانه لا أمنع عن بخل ، ولكن علما وحكمة ، فلست أنا المانع بل أنت لعدم قبولك واستعدادك

(الموقف الخامس والثمانون)

قال تعالى . إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما : المعنى بطريق الاشارة والمفهوم بحالة العموم ، الصفا : بمعنى تصفية النفس من يزول شرها وجواهرها الى الصفات الذميمة ، والأخلاق اللئيمة ، وهو السعي بالمجاهدة والرياضة ، فالمجاهدة بالأعمال الظاهرة ، والرياضة بالأمور الباطنة ، أي بارتياض النفس وتركها للصفات البهيمية المرذولة شرعا وطبعا ، وهي التي ضمنها صاحب أحياء علوم الدين ،

بالمهلكات ، كالحسد ، والغضب ، والرياء ، والسمعة ، والكبر ، والبخل ، ونحوها وليس المراد اعدام هذه الصفات ونحوها بالكلية بحيث لا يبقى لها أثر فانه محال ، إذ حقيقة الانسان معجونة بهذه الصفات ، وقلب الحقائق محال ، ومن اعتقد محوها رأسا من أهل الرياضات والمجاهدات فقد غلط ، وكنا نقول بهذا تقليدا لمن قال به ، ولما أطلعنا على حقيقة الأمر رجعنا إذ لو انعدم الحسد مثلا ما كان تنافس فى الفضائل ومحاسن الخلال ، ولو انعدم الغضب ما كان جهاد ولا تغيير منكر ، ولو انعدم بذل المال ما كان الذي يقول عاله هكذا وهكذا فى عباد الله ، وكالكذب فى الحرب ونحو هذا ، وإنما المراد تذليل النفس وقمعها على الاسترسال وقهرها ، حتى تكون تحت حكم الشرع واشارة العقل ، فان الخصال المذمومة لها مصارف عيّنها الشارع لتصرف فيها ، ومواطن عيّنها لها فما تبقى معطلة فما هي مذمومة مطلقا ، وإنما هي مذمومة فى موطن وحال ، محمودة في موطن وحال ، ولما كانت الصفات تبدل مصارفها لا هي ، قال سيدنا فى الفتوحات ، باب التوبة ، باب ترك التوبة ، الرجا ترك الرجاء الخوف ترك الخوف ، ونحو ذلك فحمدها وذمها تابع للشرع والعقل واليه الاشارة بقوله تعالى ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فالهوى ميل النفس الى ما يلائمها وما كل ما يلائمها مذموم بل منه مذموم ومحمود ، فالمذموم منه هو الذي يكون بغير هدى من الله ، أى بغير هداية وتعيين من الشارع ، والمحمود هو الذى يكون بهداية الشارع ودلالته وإشارته وهي المصارف التي عيّنها الشارع ، فالحسد مثلا مذموم وقد عيّن الشارع مصرفه فقال ، لا حسد إلاّ فى اثنتين ، رجل أعطاه الله مالا فسلطه

على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس وكذا الحرص مذموم ، وعيّن الشارع مصرفه وهو الحرص على أعمال الخير لئلا تفوته ، قال عليه الصلاة والسلام ، للذي خاف فوات الجماعة فأسرع ، زادك الله حرصا ولا تعد ، وكذا الغلظة والفظاظة فإنها مذمومة ، وعيّن الشارع لها مصرفا ، فقال تعالى : وجاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، وكالغضب فإنه مذموم ، وعيّن الشارع مصرفه في الجهاد وتغيير المنكر ، كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ، فإذا انتهك من محارم الله شيء لم يقم لغضبه شيء ، وكالريا فإنه مذموم ، وقد عيّن الشارع مصرفه وهو مراءاة الله بأن يعمل ليراه الله فإنه مشتق من الرؤية ، فمثل الريا السمعة ومن على هذا ، وكذا الخصال المحمودة هي مذمومة في بعض المواطن والأحوال كالصدق في القول ، مثلا فإنه مذموم في بعض المواطن قال تعالى ، ليسأل الصادقين عن صدقهم . ومثله الغيبة والنميمة ومدح الإنسان نفسه بقصد الترفع والتبجح في الأمة فإنها مذمومة ، وأما من يجبه الناس في وجوههم بما يكرهون فإنه مذموم ، وإن كان حقا ، ومن جعل الشارع هو الميزان ومن ملكه في يده لا يظلم ولا يُظلم ، ومعرفة الخير والشر بما جاء به الشرع والعقل عسير جدا ، إنما يحصل بتذليل النفس وحملها على مكروهها حتى تطمئن وتنقاد وتستسلم من غير منازعة . ومعناه والمروءة بالهمز وبدونه ، ومن المروءة مناسبة في الاشتقاق إذ المروة الحجارة الصلدة والمروءة في المرء والاتصاف بالمحامد ، يقال [illegible] المرء إذا كان ذا مروءة . والمراد تحلية النفس وتزيينها وتجميلها بمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال ، ومحاسن الخلق ، قال صلى الله عليه وسلم إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وهي التي سماها صاحب

أحياء علوم الدين بالمنجيات وهي أضداد المهلكات قوله من شعائر الله ، أي من دين الله المعروف عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم فمن حج البيت قصد معرفة الله تعالى والقرب منه برفع الحجب عن عين بصيرته ؛ أو اعتمر قصد الأجور والدرجات الجنانية والدخول في زمرة الصالحين أهل السجادة والمحراب ، فانه قال تعالى « وذلك جزاء من تزكى » بعد قوله فأولئك لهم الدرجات العلى ، والقصد الى معرفة الله تعالى بالكشف والعيان ورض عين كالقصد الى الحج ، والقصد الى الجنة . والدرجات كالقصد الى سنة العمرة ، فهي دونه بل من قدم الاحرام بالعمرة قبل الحج في أشهر الحج ، لزمه هدى عقوبة له حيث آخر ماهو الأهم الأكد ؛ وكذا إذا قرن بين الحج والعمرة لزمه هدى عقوبة له لأن الافراد أفضل عند بعض الأئمة وهو إشارة الى افراد القصد الى معرفة الله تعالى دون تشريك ؛ وأما المحرم بالعمرة في غير أشهر الحج فلا هدى عليه وفيه إشارة الى أن من كان عاجزا عن طلب الوصول الى مقامات العارفين بالله تعالى وعلومهم لعدم استعداده فهو معذور في قصد الأجور والدرجات كالذى قدم العمرة في غير أشهر الحج لعجزه عن مشاق الاحرام مع طول المدة فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، أي يجب عليه أن يطوف ويسعى بين هذين المشعرين اللذين هما أعظم أركان الطريق والسلوك الى الله تعالى ، بالتخلية والتحلية ، فهما أساس الخير للعارف والعابد ، وليس المراد كما هو الظاهر أنه لا حرج عليه في السعي بينهما بل المراد أنه يجب عليه هذا الفعل ولو كان المراد رفع الحرج عن فاعل هذا الفعل ، لقال ، فلا جناح عليه أن لا يفعل ، وإنما قال ، فلا جناح عليه أن يفعل ، وهذه الآية الكريمة ، ألقيت علي مع ما ذكرته فيها بالحرم المكي أيام

المجاهدة والحال غالب على صاحبه وكل إناء يرشح بما فيه

(الموقف السادس والتسعون)

قال تعالى ، قل إن الهدى هدى الله ، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالتصريح لأمته ، وأن يخبر المسترشدين الطالبين الهداية الى معرفته تعالى والوصول اليها والحصول عليها بأن الهداية لا يشوبها شيء من الزيغ والزلل والضلال والحيرة ، هي هداية الله تعالى ، لا هداية غيره . إذ هذا التركيب في الآية مؤذن بالحصر . والهادي والدلالة الى معرفته تعالى ، إما دلالة حق ، وإما دلالة خلق ، لا ثالث لهما ، فأما هداية الحق فهي الهداية الموصلة للمطلوب من غير ضلال ولا انحراف ، وليست هداية الله تعالى الا فيما جاءت به الرسل عليهم السلام من التوحيد والأوامر والنواهي ، وقبول ذلك منهم سواء قبله العقل أو لم يقبله . فاذا عمل المؤمن على ذلك حينئذ يعلمه الله تعالى من عنده علما ويهديه الى معرفة ما كان قبله ليتدبرها : قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ، وقال في الخضر عليه السلام ، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ، وذلك بالتجليات الذوقية ، والافاضة الربانية ، فيعرفه بما أنكرته العقول مما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، عن ربها ووصفته به ، ولا أصدق من الحق ولا أدل منه على نفسه ، وأما هداية الخلق ، فهي هداية العقول ، وهي إما أن يكون فيها زيغ أو ضلال وحيرة ، وأما أن يكون فيها خروج عن المقصود جملة واحدة ، وهي أوامرها كذا وأما نواهيها ، اذ غاية معرفة العقل التنزيه عن صفات المحدثات بأنه ليس كذا وليس كذا ، وما هي هذه المعرفة المطلوبة منا ، وإنما المطلوب منا معرفة طريقه الرسل عليهم السلام بل الواجب تنزيه الحق تعالى عن معرفة العقول ، فانها حصرت الاله الحق تعالى ووحدانيته

وحجرت عليه ، وكل محدود محصور وكل محصور مقهور ، كيف وهو تعالى القاهر فوق عباده جل أن يدخل تحت حكم عقل وتصور خيال ، فالذي ذاته العقل تنزيها هو غاية التشبيه بالمحدثات وهذا الافراط في التنزيه العقلي ، أورث جهلا عظيما لمتبعيه ، وأوقعهم في أبعد ما يتصور من البعد عن معرفة الله تعالى ، ومعرفة تجلياته لعباده في الدنيا والآخرة ، على أن التنزيه لا يحتاج اليه المؤمن إلا لرد على مشبه إن كان ، فان لم يكن هناك مشبه ففيه من سوء الأدب ما فيه إذ الحق تعالى نزيه لنفسه ، وانما ينزّه من يجوز عليه ما نزه عنه وهو الحادث فحينئذ يكون للتنزيه طعم ؛ فقال الشيخ الاكبر رضى الله عنه

فنزه الحق المبين يجوز ما قاله فرامه تضليل

وإذا فكر المنصف في قول المنزه ، الآله الحق ، ليس بأعمى ، ليس بأخرس ، ليس بأصم ، ليس بعاجز ، ليس بمجبور ، علم ما في هذا من البشاعة

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا ، فالنفي لا يكون إلاّ في ممكن الثبوت فيرد عليه النفي فينفيه ، وإذا ورد على ما ليس بممكن الثبوت ولا للرد على من يعتقده كان لغوا من الكلام ، وإن كان صدقا وليس فيما أدرك العقل من صفات الآله صفة ثبوتية بل كلها في التحقيق صفات تنزيه ، تنفي أضدادها والحق تعالى ما نزه نفسه في كتبه وعلى ألسنة رسله الأردا على معتقد ذلك في الآله الحق فالآله الذي أرسل الرسل عليهم السلام ، وأمرنا بمعرفته ما هو الآله الذي عرفه العقل بنظره واكتسابه تلك المعرفة من الدلائل المأخوذة من المحسوسات ، فان علم العقل كله من الحواس لأن آله الرسل كما أنه ليس كمثله شيء ، ولا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شيء ،

هو موصوف بأن له وجهاً ، ويداً ويدين وأيدياً ، وعيناً وأعيناً ، ويميناً ، وأنه يضحك ويبشبش وينزل ، ويجيء ويهرول ، ويتردد ؛ وأنه مستوٍ على العرش ، وأنه في السماء وفي الأرض ، وأنه معنا أينما كنا ، إلى غير ذلك فهو منعوت بهذه النعوت كلها ؛ وهي معروفة في لسان العرب المخاطبين بها ، ولا يمكن أن يخاطبوا بما لا يعرفون ولا يفهمون ، فهذه النعوت معقولة المعنى ، مجهولة النسبة الى الإله ، فالتنزيه الحقيقي هو أن نثبتها له ولا ننفيها عنه ؛ فنقول يهرول ويسعى ، ويجيء وينزل ، ولا نؤول ولا نشبه ، كما قال مالك رضي الله عنه ، الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، وإذا حصحص الحق ، وتبين الأمر ، وانكشف السر ، ظهر أن التجلي الإلهي في أعيان الممكنات ، هو الذي أعطى هذه النعوت فلا شاهد ولا مشهود ، إلا الله تعالى ؛ قال تعالى ، وشاهد ومشهود ، أترى أنه أقسم بغيره ، لا والله ما أقسم إلا بذاته . ومثال التجلي الإلهي ؛ ولله المثل الأعلى . في هذا مثال ملك ، كان لا يعرفه أحد من رعاياه لشدة احتجابه بحيث لا يمكن أن يصل اليه أحد ، ولا يراه من قريب ولا بعيد ، ثم أراد رفع الحجاب والتعرف لرعاياه والاتصال بهم ، فصار يراجعهم ويحادثهم ، الى أن صار يمشي في الأزقة مع الناس ؛ وزاد في التنزل الى أن صار يحضر الأسواق يبيع ويشتري . كل هذا ليعرفوه ويعرفوا حقيقة التجلي من غير احتجاب ، وهم في كل هذا ينكرونه وكلما زاد في التنزل اليهم ، والتعرف لهم ، زادوا جهلاً به لما يعرفونه من شدة حجابه وعزته في سلطانه . وقالوا لا يمكن أن يكون هذا هو الملك ولا يصل الى هذا الحد في التنزل الى الرعايا والقرب منهم ، وعقلاؤهم قالوا يمكن أن يكون هذا هو الملك ، فإن الملك يفعل ما أراد ولا أحد يحجر عليه ويمنعه

ويرده عن مراده ، وهذا الذي فعله من التنزّل والتقرب من رعاياه هو من كماله ومحاسن خلاله : لا ينقص ذلك من مرتبته عند العقلاء شيئا مما هو واجب الملك من الطاعة والاحترام ، والعقلاء في المثال هم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فالإله الجامع بين التنزيه والتشبيه هو آله الرسل الذي أمرنا بمعرفته ولا يعرف العقل آلهه هكذا ، فآله العقل آله أخر منزه عن الاطلاق ، لا يقبل نعتا من نعوت التشبيه ، فاذا آمن العقل بآله الرسل عليهم الصلاة والسلام : فأما تسليما وتفويضا كما هو مذهب السلف ، فانهم فوّضوا من غير تأويل ولا حيرة ولا منازعة ، وإما على كره واستسلام ، كما هو شأن المتكلمين ، ولا يزال العقل الغير المؤيد بنور الايمان الغالب على نور العقل في اضطراب وحيرة ومنازعه عن قبول أوصاف آله الرسل ، فان وجد سبيلا الى إحالتها الى ما تعطيه معرفته فعل واستراح اظنه أن ذلك هو المطلوب وهيهات هيهات ، ما أبعد المؤولين من معرفة الآله تعالى ، وإن لم يجد سبيلا لذلك بقي على اضطرابه وحيرته ، فان رحمه الله بما شاء مما يزيل اضطرابه رحمه ، وإلاّ بقي على ذلك حتى يلقى الله تعالى وهو الذي تتكلم فيه مع العقل إنما هو الألوهه وهي مرتبة للذات ماهي عين الذات ، كالخلافه والسلطنه للخليفة ، والسلطان ، وأما الذات فلا كلام فيها للعقل ولا يصل اليها بالآلة أبدا ، ولكن من جهة الفيض الرحماني والتعريف الربّاني ، تهب على العارفين منها نسمات ، لأن الذات لا تعقل ، والكلام فيما لا يعقل محال ، وكل من رام ذلك رجع خاسئا وهو حسير .

(الموقف السابع والتسعون)

قال تعالى ، وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ، أي سئل الذين

جعلوا أنفسهم وقاية لربهم من نسبة الشر والقبيح إليه ، وهم العارفون بربهم ماذا أنزل ربكم ، أي ما فعل فيكم وفي سائر مخلوقاته ، وكل واقع فهو نازل من حضرة الجمع التي هي حضرة من حضراته تعالى كما قال ، وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم . قالوا خيرا : أي فعل وأنزل خيرا إذ كل واقع مما صورته شرا وخيرا ، ونفعا أو ضيرا ، فهو خير على الحقيقة ، وذلك من وجوه شتى ، فما ظاهره شر كالكفر والبلايا والمحن ، فهو خير لمن نزل به ، وإن كان شرا بحسب ظاهره وبحسب غير النازل به ، إذ الواقع النازل بكل انسان هو مقتضى حقيقته التي بها هو هو وهو ، طالب لذلك النازل به بلسان استعداده الذي هو أفصح من لسان مقاله ، ولو نزل به ضد ذلك لرده وتأذى به وما قبله فالاستعداد هو الأصل والأسباب الخارجية تابعة له وهو أزلي قديم غير مجعول ؛ فالنازل بكل انسان هو من لوازم عينه الثابتة ؛ وتأثير القدرة تابع للارادة ، والارادة تابعة للعلم ، وصفات الحق غير داخلة تحت الزمان ؛ ولكن هكذا هو الأمر ، والعلم تابع المعلوم ، تبعية رتبة لا تبعية زمان ، بمعنى أن استوزمه ما اقتضت تبعيته المعلوم ، أعني مادام المعلوم في حضرة العلم الذي هو عين الذات من كل وجه واعتبار لم يوصف بالوجود الخارجي ، وأما بعد الوجود الخارجي وبعد العلم الذي يعبر القوم عنه بظاهر العلم ، كان المعلوم حينئذ تابعا للعلم إذ الوجود الخارجي ظل وحكاية لهذا العلم الذي يسمى بظاهر العلم ، كما أن العلم الذاتي حكاية المعلوم وهو معنى تبعيته . والمعلوم هو ذلك الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر ولا ينقلب ، إذ لو تغير لكان جهلا تعالى الله عنه . فالنازل بكل إنسان لازمه وحقيقته وليس الواقع النازل بشيء زائد عليه أو خارج عنه ، فالظاهر عين الباطن ،

والغيب عين الشهادة ، لا يكون هنا ما ليس هناك ، وكل ما هنالك يكون هنا ، ولا يقول شيء يارب لم جعلتني أنا ، فهلا جعلتني غيري ، فانه غير معقول وبهذا كانت الحجة البالغة له تعالى على مخلوقاته ، ولولا هذا ما كانت له الحجة ، وإليه يشير حديث ، كل ميسّر لما خلق له ، وحديث ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب ، الحديث بطوله ، فليس في هذا الكتاب إلاّ الاستعداد الذي عليه ذلك المعلوم ، وعمل المستعد للنار بعمل أهل الجنة ، والعكس هو استعداد جزئي لذلك العمل فلا ثمرة له كاستعداد الانسان لطلب شيء بالدعاء أو بالسعي فيه ولا استعداد له لقبول المطلوب ، بحيث لو أعطيه لرده وكرهه أخيرا ، وحديث ، إعملوا ولا تتكلموا ، هو كسائر الحكم المودعة في الاسباب ، فقد يوافق ذلك الاستعداد وقد لا

(الموقف الثامن والتسعون)

قال تعالى ، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إذ كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون ، أي ما كان فعلنا في خلق السموات والأرض وما بينهما فعل اللاعبين الذين لا ثمرة في أفعالهم ولا فائدة ترجع من فعلهم لا لهم ولا لغيرهم ، بل ماخلقناهما إلا طبق المصلحة ونهاية الحكمة ، فلا ذرة في السموات والأرض إلا وهي ناطقة بما فيها ، شاهدة بما فيها ، في الحكم والمصالح التي لا يحيط بها إلا خالقها ويصح أيضا ماخلقنا ماذكر لاعبين ، أي ما كان فعلنا في ذلك فعل اللاعب الذي يصور أشخاصا وأشباحا

لا حقيقة لها، ولا طائل تحتها، مثل اللعبة المسماة بخيال الظل ونحوها فإنها أشخاص وأشباح تقبل وتدبر، في رأي العين ولا حقيقة لها، فليس خلق السموات والأرض وما بينهما هكذا، خلافا للسوفسطائيين القائلين، العالم خيال لا حقيقة له، وللحساسية القائلين، ليس وراء المحسوسات شيء يصح أن يدرك، بل القول الحق أن صور العالم وأشباحه وراءها حق، فهي حقة بذلك، وإن كانت في الظاهر خيالات، فهي حق، لا لعب ولا لهو، كما قال في الآية الأخرى، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، فهي حق بذلك الحق المتخلقة به، إذ المخلوق بالحق حق، قال إمام العارفين محيي الدين

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة
كل من قال بهذا حاز أسرار الطريقة

ويدخل في قوله وما بينهما، جميع أفعال العباد فهي كلها حق لا لعب فيها ولا عبث إذ هي أفعاله تعالى وإذا أطلق العبث على بعض أفعال العباد فبالنسبة الى من صدرت عنه وإلا فهي بالنسبة اليه تعالى لا تخلو عن حكم ثم أخبر تعالى أنه وإن خلق السموات والأرض وما بينهما كما ذكر فليس ذلك بواجب عليه، ولا متحتم لديه، كما تقول البراهمة، والمعتزلة من وجوب فعل المصلحة عليه تعالى بل له أن يفعل كلما أراده بجوز به المعقول أو أحالة، فقدرته مطلقة التصرف نافذة الحكم في كل ما أراد، ليس عليها تحجير ولا يلحقها عجز، كما قال لو أردنا أن نتخذ لهوا أي نخلق خلقا من أنواع ما أحالته العقول علينا، وحجرته عن قدرتنا، لاتخذناه من لدنا أي من سعة قدرتنا فإننا لا يعجزها شيء أردناه، لكننا ما أردناه كما قال، ولو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء

فأخبر أن هذا المحال العقلي الذي هو أعظم محال يتصور ، هو ممكن تحت قدرته يفعله لو أراده فأدخله تحت لو ولا يدخل تحتهـا إلاّ ممكن في نفسه وأما قوله لم يلد ، فهو إخبار بأن هذا ما كان ولا يكون ، وما أخبر أنه لا يدخل تحت قدرته ، وإنه عاجز عنه لو أراده ، وقد قال الحافظ بن حزم بقولنا هذا ، فنسبه الشيخ السنوسي الى الكفر ، وما كان ينبغي له ذلك ، وابن حزم قال به على طريقة المتكلمين لا على طريقتنا ، ثم ذكر تعالى نوعا من أنواع المحال العقلي وهو تحصيل الحاصل فانه من أجلاها فأخبر أنه يفعله بل هو فعله في كل آن فرد على الدوام ، وعبّر بالمضارع استحضارا لهذه الأعجوبة عند العقل وهو قوله ، بل نقذف الخ الآية ، فبل اضراب عما تخيلته العقول من استحالة هـذا وتحجيره على القدرة الآلهيه ، نقذف نرمي بالحق النور الوجودي الاضافي الساري في كل موجود وذلك كناية عن اقتران الوجود الحق بالعين المراد إيجادها على الباطل العدم الذي كان وصفا لتلك العين فيدمغه فيهلكه ويذهبه كما يهلك المضروب في دماغه ، كناية عن السرعة يعني يهلك النور الحق العدم الباطل ولا يبقى له حكما في تلك العين ، ويصير الحكم للوجود الحق فيصير الوجود الحق وصفا لها ، بعد أن كان العدم الباطل وصفا لها ، فاذا هو أي العدم المكنى عنه بالباطل زاهق ، أي ذاهب الحكم ، بعد أن كان ثابت الحكم في تلك العين ، حيث كان وصفا لها فاذا فجائية ، هو زاهق إذ لا يجامع الحق الباطل كما لا يجامع النور الظلمة ففي الآية تحصيل الحاصل إذ العدم معدوم لذاته واذهابه تحصيل لما هو حاصل ، وفعل لا مفعول له ، والعدم قبل اتصاف العين بالوجود كان له وجود في عالم الواصف ، فانه ما حكم على العين بالعدم إلاّ بعد التصور فللعدم وجود في هذه المرتبة ، فصح الرمي عليه ، والازهاق له

بما ذكرنا ، وكل من زعم أن الله تعالى لا يقدر على المحال فما عرف الله ، بل ما شم لمعرفته رائحة ، وهو قادر على إيجاد المحال إذا أراده ، ومن المحال العقلي إجتماع الضدين في محل واحد في آن واحد ، وذلك موجود في حركة الأفلاك التي هي ضمن الفلك الأعظم محدد الجهات ، فإنها [illegible] عند علماء الهيئة [illegible] من المشرق إلى المغرب ، والفلك الأعظم [illegible] من [illegible] فهي [illegible] على هذا طبيعية ، وقسرية في [illegible] إذا كان [illegible] على [illegible] الصمون [illegible] ان قسرية [illegible] أمور البرزخ والآخرة [illegible] المعقول ، قال تعالى ، في حق [illegible] أحياء [illegible] يرزقون ، وبيانا أن [illegible] أمواتا والحس [illegible] أحياء والمعنى [illegible] والحس ، والقائل أنهم [illegible] الأعمال [illegible] الله تعالى في أخباره فهم أحياء أموات في [illegible] والأموات فالقول [illegible] من هذا المعنى [illegible] الفعل الصادر من العبد [illegible] هو فعل الله تعالى وفعل العبد [illegible] أن الفعل لله تعالى [illegible] والحس والشرع [illegible] الفعل للعبد [illegible] الأمر [illegible] القائل [illegible] الأعمال [illegible] ونحن [illegible] الفعل إلى الله [illegible] إلى العبد كذلك يوم القيامة هو على [illegible] القرآن [illegible] على المؤمن [illegible] لأن الأمر ورد [illegible] القراءة [illegible] الأعمال [illegible] أعراض يوم القيامة بل الأعراض [illegible] يوم القيامة [illegible]

ولا يعرفونها ومن الناس من ينكر تجسد الأعراض حتى في يوم القيامة ، ومن الناس من يقول بها هنالك وينكرها هنا

(الموقف التاسع والتسعون)

قال تعالى ، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ، الجهاد هنا أعم من الجهاد الأصغر الذي حده عند الفقهاء ، قتال مسلم ، كافراً لإعلاء كلمة الله ومن الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس والهوى باتباع المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وارتكاب مشاق الرياضات والمجاهدات ، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ؛ أخبر تعالى في هذه الآية ، إن فاعل ما ذكر إنما يفعله لنفسه ، أي حقيقته التي بها هو هو ، وهي الحقيقة السارية في كل إنسان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم ، من عرف نفسه فقد عرف ربه . وهي المسماة بالبرزخ وبالصورة الرحمانية ، وبرتبة الأسماء والصفات ، وغير ذلك من الأسماء بحسب ما لها من الوجوه والاعتبارات ، فهذه المرتبة هي مرتبة الألوهية وهي الطالبة للعباد بحقيقتها وهي المقتضية لعبادتهم وهي الربوبية ، الطالبة للمربوبين وليست هي الذات وإنما هي مرتبة كسائر المراتب والحكم والفعل ، والتأثير لها لا للذات ، ولا عين لهذه المرتبة ولا لغيرها من المراتب زائدة على الذات ، فالألوهية تعلم ولا تشهد ، والذات تشهد ، ولا يحاط بها ولا تعلم ، وأكثر المتكلمين أو كلهم والعابدين من غير أهل الله العارفين لا يفرقون بين الذات والمرتبة ، فإشارة الآية الكريمة إلى أنه لا يعبد عابد ولا يتقرب متقرب إلا إلى مرتبة الألوهية والربوبية التي هي منشأ العالم جميعه المقتضية لايجاده ولكل ما يصدر عنه ، فإن الألوهية تطلب مألوهاً وعابداً ، قال تعالى ، كفى بنفسك

اليوم عليك حسيبا ، فنفس كل إنسان هي المحاسبة عليه ، المحسوبة له وعليه ، وهي غير نفسه المأمورة في مقام الفرق وهي هي في مقام الجمع وإسقاط الاعتبارات ، وأما الذات العلية عينها فهي غنية عن العالمين لا تتعلق بها عبادة عابد ، ولا معرفة عارف ، فلا تتجلى فلا تتكلم ، ولا تعبد ، ولا تنعم ، ولا تطلب شيئا ولا محبوبا ولا عابدا ولا عارفا . حتى يقصدها ويتجه إليها . فهي منزهة عن أسمائها وصفاتها التي تظهر آثارها بظهور العالم ، وهي المسماة بالأحدية الذاتية . ومن هذا قال من قال في اسم الله إنه علم مرتجل لا صفة ولا مشتق من شيء ، بل وضعه واضعه علما على الذات التي لا تسمى ولا تعلم ، ولا تحد ولا ترسم ، وفي الحديث ما يدل على أن وراء الله من حيث يعني أنه فوق المراتب كلها . ولكن ورد في القرآن ما يدل على الثاني ، وهذه الآية تدل على هذا ، فالأمر الإلهي الوارد الآن بعبادة الله تعالى إنما هو ، وهي عبادة المربوب لربه ، والمألوه لإلهه ، ثم قال : ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ، وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالعبادة والعبادة إنما هو لمرتبة الربوبية ، وهي مرتبة الألوهية لا الذات . وأما من قال في اسم الله إنه صفة أو مشتق من كذا أو كذا فمعناه مرتبة الألوهية . وورده في القرآن يحتمل الوجهين ، وقول من قال لا يجوز التخلق بالاسم الله يريد الأول وقول من قال يتخلق بالاسم الله فإنه من الأسماء يريد الثاني ، فمن قال من العابدين أصلي أو أصوم ، أو أفعل كذا لما يحق لله أو الله أعلم بل لله إن قصد الذات العلية عن العالمين ، فإن الذات لا تعلم إلا بالعبادة فإنها بحقيقتها تعني أن يكون مدعوا عنها من عابد أو عارف . فالقصد من الأسماء والله إن كان علما على الذات لا يصح له عبادة ، ولا يدل فيه معنى ، ويعمل في غير معمل ،

الا رجالا من خاصة الخاصة ، فان عبادتهم ذاتية لأنهم لما تجلت لهم نفوسهم وعرفوها ، رأوا استفادة وجودهم من غيرهم فأعطتهم رؤية أنفسهم العبادة الذاتية لا عبادة المرتبة كغيرهم ، لأن معرفتهم شهودية ماهي علمية كغيرهم وهم الزنادقة الذين قال فيهم الجنيد رضى الله عنه ، لا يكون الصديق صديقا حتى يشهد فيه مائة صديق ، بانه زنديق ، ومن تسلق على هذا المقام وليس من أهله هلك ، ومن قال أصلى أو أصوم ، أو أفعل كذا قياما بحق الربوبية والعبودية ، قبلت عبادته والسعيد الجامع بينهما . واحذر أن تظن بنا أننا ممن يحرّف الكلام من بعد مواضعه ، واما المفهوم من الآية بحاله ولكن هذه اشارات ، تظهرها أنوار المعارف والتجليات على القلوب

(الموقف المائة)

قال تعالى : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، انظر إلى هذا التأكيد فى الآية ، الرافع لكل تجوّز ومجاز : فالحق تعالي لما أراد الظهور لذاته من حيث الاطلاق بذاته ، من حيث التقييد والمطلق ، عين المقيد جعل نورا بمثابة المرآة ثم تجلى فى ذلك النور فانطبعت الصورة الالهية فى ذلك النور انطباع الصور فى المرايا ولله المثل الأعلى ، وصورة الشىء مجموع أوصافه لا عين ذاته ، والترتيب حكمي لا زماني فانه لا زمان هنالك ، ولكن للتفهيم ، وسمي الحق تعالى هذا النور والمنطبع فيه حقيقة محمدية ، وروحا كليا ونحو ذلك فالمتوجه على المرآة هو الحق تعالي ، والمنطبع فى المرآة حقيقة محمدية ، وصورة رحمانية ، فالمتوجه علي المرآة والصورة فى المرآة والمرآة شيء واحد ، اذ ليس الا وجود واحد هو وجود الحق تعالى ، فليس المرآة ولا للصورة في المرآة وجود مغاير للوجود الحق المتوجه على المرآة فمن كان نظره واعتباره الي أن

هذه الصورة ظهرت به بعد أن لم تكن ظاهرة ، قال بعدوثها ، ومن كان نظره واعتباره الي أنه ليس هنالك غير الوجود المتوجه علي المرآة وهو الحق تعالي ، قال بقدمها ، فالحقيقة المحمدية هي تعيّن الحق لنفسه بجميع معلوماته ونسبه الآلهية والكونية ، فهي الحق اذ التعين أمر اعتباري لا عين له . فليس هنالك الا المتعين ، قال تعالى : قل الروح من أمر ربى ، هو أمر ربي الصادر بالأمر وهو كن ، فهو عين كن اذ كلامه عين علمه ، وعلمه عين ذاته ، فالحق واحد من كل وجه لا يتبعض ولا يتجزأ ، ولذا كان الحق تعالى فى كلامه الكريم تارة يجعل نفسه نائبا عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، أي يعلم محمد ويقول فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين . أي يعلم محمد وتارة يجعل محمدا نائبا عنه ، فيقول إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، ويقول ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ويقول ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال تعالى ، رسول من الله ، وورد فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، من رآني فقد رأى الله يعنى رؤية حقيقية ، صلى الله عليه وسلم ولا مغايرة إلا بالاعتبارات العدمية كالاطلاق والتقييد . ومن هنا قال بعض الأكابر ، الوجود الحق تعالى ، ظهر في الحقيقة المحمدية بذاته . وظهر فى سائر المخلوقات بصفاته . ومعنى ان الحقيقة المحمدية ظهرت بالتجلي الذاتى موصوفة بجميع صفات الحق تعالى ونسبه الآلهية والكونية ، وفوّض اليها تدبير كل شيء يوجد بعدها فهى المتصرفة فى معلوماته تعالي بحسب ارادته ومشيئته تعالى ، فقد تقدم من العلم وتعلق الخلق فما صدر من الله تعالى بغير واسطة الا هذه الحقيقة وكل ما عداها حتى العقل الأول إنما كان بواسطتها وإن كان الحق تعالى له الخلق والأمر فهي الظاهرة

فى الأشياء وهي السارية فى الوجود ، ومن مشاهد سريانها فى الموجودات قال من قال لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين

(الموقف المائة وواحد)

قال تعالى ، سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ، أخبر تعالى فى هذه الآية ، إنه أسرى بعبده محمد بجسده وروحه لنريه من آيات الآفاق بعد أن أراه آياته فى نفسه ، كما قال تعالى ، سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم ان ما رأوه هو الحق لا غيره ، وهذه حالة المرادين المجذوبين ، المصطفين بربهم آيات الأنفس قبل آيات الآفاق ، خلاف المريدين ، ثم أخبر تعالى أنه أي محمدا هو السميع البصير ، فعيل بمعنى مفعول ، أي كل ما أبصره وسمعه محمد فى اسرائه هو محمد من حيث حقيقته فانها هيولى العالم وحقيقة الحقائق ، وهو الانسان الأزلي وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، كما أن الحق تعالى له هذه الصفات فان الله تعالى لما أوجد حقيقته ، قال له أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رأني ، ومن علمك علمني ، ومن جهلك جهلني ، غاية من دونك أن يصلوا الى معرفة نفوسهم منك ؛ وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك ، لا بكيفيتك وكذلك أنت معي لا تعرفني الا من حيث الوجود ؛ فحقيقة محمد هي المشهودة لاهل الشهود ، وهي التي يتغزلون بها ، ويتلذذون بحديثها فى أسمارهم ، وهي المعنيه عندهم بليلي وسلمى ، وهي المكنى عنها بالخمر ؛ بالشرب والكاس ، والنار والنور والشمس ، وبالبرق ونسيم الصبا ؛ والمنازل والرسوم والرباع هي

نهاية سير السائرين ، وغاية مطلوب العارفين ، وبعد ما كتبت هذا الموقف خطر في بالي أنه إذا وقف عليه بعض من لم يكشف له سر الحقيقة المحمدية ربما يقول ما قال الحافظ بن تيميه رحمه الله تعالى ، لما وقف على شفاء عياض ، لقد تغالى هذا المغيربي ، ثم نمت فقيل لي في المنام زده ، وهي نار موسى وعصا موسى ، ونفس عيسى ، الذي كان يحيي به الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص فلما استيقظت زدتها

(الموقف المائة والاثنين)

قال تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وإنك لتهدي الى صراط مستقيم ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، اعلم أنه لا تناقض بين هاتين الآيتين في نفس الأمر والحقيقة ، وإنما يظهر التناقض بينهما ببادىء الرأي عند من لا يعرف مرتبة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن عرف كيف هو صلى الله عليه وسلم من ربه لم يراجعوا اعتراض عليه مثل هذه ، وتوضيحها أنه صلى الله عليه وسلم ، كان حريصا على هداية عباد الله تعالى ، وايمانهم وانقيادهم اداريه بحمامهم كما أخبرنا تعالى عنه ، عزيز عليه ما عنتم ، أي عنادكم ، حريص عليكم ، وقال له مشفقا عليه ، لعلك باخع نفسك ، أي قاتلها الا يكونوا مؤمنين ، فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، وهو صلى الله عليه وسلم ، في هذا الحال متخلق بأخلاق ربه ، متحقق بها ، فانه تعالى يحب الايمان والهداية لجميع عباده ، كما قال ، ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يحبه لهم ، وإنما يحب لهم الايمان والهداية ، وان تشكروا يرضه لكم ، فلا يتوهم أنه صلى الله عليه وسلم أحب غير ما أحب الله تعالى ، أو أراد غير ما

أراده، فإن المحبة غير الارادة وإذا كان الولي الذى هو قطرة من بحره الذى لا نهاية له ، يصل عند نهاية كماله الى أن تتحد إرادته بإرادة الله تعالى ، فلا يريد غير ما تعلقت به الارادة القديمة ، وإن كره ذلك شرعا أو طبعا ، أو أحب ضده شرعا أو طبعا ، ولهذا يقول للشيء بسم الله ، بمعنى كن فيكون ، وما ذلك إلا لاتحاد إرادته بإرادة الحق تعالى ، وقالوا حقيقة الكامل هو الذى لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ، خزائن الأمور فى حكمه ومفاتحها بيده ، ينزل بقدر ما يشاء فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى هو البرزخ بين الحق والخلق ، له وجه الى الحق ، ووجه الى الخلق ، بل هو الوجه الواحد فانه لا ينقسم وهو الحق المخلوق به فهو على بصيرة من ربه فيما يحب أو يريد فهو المنفذ لمراده تعالى فى عباده من ضلال وهدى ، وكفر وإيمان ، من حيث حقيقته فهو مظهر العلم القديم والارادة الأزلية ، فلا إرادة له إلا إرادة الحق تعالى وإرادته تعالى تابعة لعلمه فلا يريد إلا ما علم والعلم لا يتبدل ولا يتغير إذ لو جاز عليها ذلك ما كان علما ، وانقلاب الحقائق محال ، فمعلومات الحق تعالى هي صور أسمائه ومحال تغير الأسماء فان ما ثبت للذات من التنزيه هو ثابت للأسماء ، وقوله ولكن الله يهدى من يشاء هو إثبات لما نفاه إذ يتوهم من وقوع شيء بغير إرادته تعالى وقدرته وقد قال ذلك بعض الفرق الضالة : ونقول نحن لا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما أراد الله تعالى ، ولا يحب إلا ما أحبه الله تعالى ، وهو الواسطة بين الحق والخلق ، ولا شيء إلا وهو به منوط ، ولولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، فهو مظهر مرتبة الصفات التى لها الفعل والتأثير ، وقوله وهو أعلم بالمهتدين ، أى هو تعالى أعلم العالمين من رسول وملك ، وولى بالمهتدين ،

أى الذين لهم استعداد الهداية وطلبها من حيث حقائقهم ، ولهم قبولها إذ الحقائق العلمية بمثابة الشخوص والأعيان الظاهرة ظلالها ؛ وما كان فى الشاخص من عوج ، أو استقامة ، أو طول أو قصر ، أو زرقة ، أو [illegible] ، مثلا يظهر فى ظله ولا يد فى تغييره تعالى إذا أطلعه الله تعالى على الاستعدادات وهى الأعيان الثابتة فى العلم ؛ فهذا الغير كان ما كان ماعلمها إلا من علمه تعالى وهو تعالى [illegible] لا تعيين لها لا فى العلم ولا فى العين ، ولكن لها [illegible] فى العلم والعين ، وقوله . «وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله» وهو [illegible] الصراط [illegible] . ففى الآية إثبات [illegible] من ناحيته صلى الله عليه وسلم فى الهداية ونفيها [illegible] المتكلمين ، وإنه الهادى من يشاء يهديه الله تعالى إذ [illegible] إما بواسطة العقول أو بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكلاهما بواسطته صلى الله عليه وسلم ، فإنه النور الأزلى الذى [illegible] ، «إنك لا تهدى من أحببت» [illegible] وهو كما هو رأى المحمديين [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] هو الأب الأصل [illegible] كما جعل حقيقة أبيه آدم . وقوله [illegible] الله من حيث [illegible] المهوشين ، [illegible] وجود مع الحق تعالى ، وإنما هو [illegible] عن علم الحق تعالى [illegible] فى رسم المصحف

الكريم ، ومصداقها إنك لا تهدي من أحببت ، وإنك لتهدي الى صراط مستقيم ولكن الله يهدي من يشاء كما قال ، وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ، نفى الرمي عن محمد ، ثم أثبت الرمي لمحمد ، ثم أثبت الرمي الذي أثبته لمحمد الي الله تعالى ، فكانت قوة الكلام أن الرامي هو الله تعالى ، وهو المدعو بمحمد صلى الله عليه وسلم ، عند أهل الحجاب وهنا نفى الهداية عن محمد ، ثم أثبت الهداية لمحمد ، ثم أثبت الهداية التي أثبتها لمحمد ، الي الله تعالى ، فكانت قوة الكلام الهادي هو الله تعالي وهو المدعو بمحمد صلى الله عليه وسلم . ولا يفهم عنا إلاّ أهل طريقتنا إذ لا يفهم عنك إلاّ من أشرق فيه ما أشرق فيك ، وتقول العامة ، لا يفهم كلام الأخرس إلاّ أمه

(الموقف المائة والثالث)

قال تعالى ، الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ، أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الله الاسم الجامع لجميع الأسماء من حيث الاسم ، النور ، نور السموات والأرض أي وجودها وقيومها ومظهرها اذ بالنور ظهر ما كان في ظلمة العدم من نور فلولاه ما أدرك شيء ولا تميز شاخص من شيء ، فالنور سبب ظهور الكائنات التي من جملتها الأرض والسموات ، كما هو في الحس اذا كانت ظلمة الليل تكون الأشياء كأنها معدومة بالنسبة الي المبصرين ، فاذا ظهر النور ظهرت الأشياء وتميز بعضها

من بعض حتى قال بعض الحكماء في الألوان أنها معدومة في الظلمة، والضوء شرط في وجودها، وإنما خص السموات والأرض بالذكر لأن السموات محل الروحانيات. والأرض محل الجسمانيات. والكل مستنير بنور واحد، لا يتجزأ، ولا يتبعض، ولا ينقسم. ولما كان النور المحض لا يدرك، كما أن الظلمة المحضة لا تدرك، تجلى النور على الظلمة، فأدركت الظلمة بالنور، وأدرك النور بالظلمة، وهو معنى قول القوم. الحق تعالى ظاهر بالمخلوقات وظاهرت المخلوقات به. قال الشيخ الأكبر، فلولاه ولولانا. لما كان الذي كانا، فخلق بالحق لا يوجد، وحق بالخلق لا يظهر. واعلم أن الحق تعالى في ظهوره لذاته بذاته، غير متوقف على المخلوقات. فإنه من حيث الذات غني عن العالمين، وهو غني حتى عن أسمائه. من حيث الذات يسمى بمن ويوصف بمن. والمراد الذات الأحدية الغيبية، ولكن في ظهوره بأسمائه وصفاته بظهور آثارها هو مفتقر إلى المخلوقات، قال الشيخ الأكبر، الكل مفتقر ما الكل مستغن، يعني الحق والخلق، ولا نعني في افتقار الأسماء إلى مظاهرها إلى عدم غنى الكمال الأسمائي المعنوي، إذ افتقار المؤثر من حيث إسمه مؤثر إلى الأثر، من حيث هو أثر عين الكمال، لأجل امتياز الأسماء بعضها عن بعض، فإنه لا تمييز لها إلا بآثارها، والأسماء من الوجه الذي يلي الذات غنية عن العالمين. أيضا، فإنها من ذلك الوجه عين الذات، [illegible] جميع الأسماء [illegible] منشور [illegible] الاسم ثم يعقب بجميع الأسماء بعده في ذلك السطر إلى آخر الأسماء ثم سطر آخر فيه اسم آخر منعوت كذلك بجميع الأسماء

الى آخرها ؛ وهكذا الى تمام التسعه والتسعين ، وأما الأسماء فى الوجه الذي يلي العالم فهي مفتقرة الي العالم ، بمعني طالبة لآثارها ؛ وكل طالب مفتقر الى مطلوبه ؛ فالسموات والأرض وجميع الكائنات التى نورها الاسم النور ، هي ظلال الأسماء والصفات ، والذي ظهر عليه هذا الظل هي الأعيان الثابتـة فى الحضره العلميه ، إذ لا بد للظل من شيء يظهر عليه كالأرض والماء مثلا ، والنور يظهر الظل ، والشاخص يرسمه ، فالشاخص هو مرتبـة الأسماء والصفات ، والنور هو الوجود الفائض على الممكنات ، ثم أخبر تعالى من يسأل ويقول هل هذه هي الانارة الحاصله للأرض والسموات وجميع الكائنات مباشره أو بواسطه ، وهل باتصال أو اتحاد أو امتزاج ، بما ضربه فى المثل بالمشكاه والزجاجه والمصباح ، بأن الانارة من غير اتحاد ولا امتزاج ولا اتصال ، وان هذه الانارة بواسطة الحقيقة المحمديه . التى هي التعين الأول وبرزخ البرازخ ومظهر الذات ومجلي النور ، الذي هو نور الأنوار وهي المكني عنها بالزجاجة وأما المشكاة فهي جميع الكائنات ماعدا الحقيقة المحمديه فان النور دائما سرى من الزجاجة وبواسطتها : فالمصباح هو النور الوجودي الاضافي ظهرت به السموات والأرض ، والزجاجة هي الحقيقة المحمدية ، والمشكاة هي جميع الكائنات كما قلنا ، ثم أخبر تعالى ، إن هذه الزجاجة التي هي الواسطة فى وصول النور الى المشكاة فى لطافتها ، وبساطتها ، وصفائها ، واستعدادها لقبول النور وإفاضته على المشكاة ، الاستعداد التام الذي لا مزيد عليه ، حتى قيل أنها هو كما قال الصاحب بن عباد

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

كأنها كوكب درّيّ يوقد أي يستمد هذا المصباح وهو النور الوجودي الإضافي من شجرة أي من أصل منبع مباركة ثابتة البركة والزيادة لا ينفد مددها، لا شرقية ولا غربية، أي هذه الشجرة التي يستمد منها المصباح لا يقال شرقية من الشروق والإنارة. ولا غربية من الغروب والظلمة، فإنها كنه الذات التي لا يحكم عليها بشيء، لأنها لا تعقل، والحكم على الأمر بعد تعقله، فهي لا شرقية ولا غربية، لا وجوب ولا إمكان، ولا حق ولا خلق، ولا حدوث ولا قدم، ولا وجود ولا عدم، فهي ماهية لا تظهر بشيء إلا ولها ضده. يكاد يقرب ولم يكن زيتها ما تمد به المصباح المتقدم الذكر يضيء، يظهر لذاته بذاته من غير اقتران بشيء، الاقتران المعنوي، ولو لم تمسسه نار كناية عن المظاهر التي يقترن بها المكني عنه بالزيت الذي هو حقيقة المصباح. والمصباح لا يظهر ضوءه إلا بملاقاة النار، فالنار لا تضيء ولا تظهر من غير شيء تظهرها ويكون ممدا لها، والشيء لا يظهر من غير مماسة النار، نور على نور أي النور المضاف إلى السموات والأرض هو عين النور المطلق الذي لا تقيد بالسموات والأرض، فهلى نور يهدي الله بتعريفه وتجليه لمن يشاء من عباده لنوره المطلق المضاف إلى الشيء، ويضرب الله الأمثال للناس ليبين لهم الأمر فإنه بكل شيء عليم. فيعرف كيف يضرب. وأما الناس فقد قال لهم. فلا تضربوا لله الأمثال، تحجير عليهم لجهلهم لأنهم لا يعلمون كيف يضربون الأمثال، والتحجير إنما هو في الاسم الله الجامع، وأما غيره من الأسماء فلا تحجير، والله أعلم وأحكم

(الموقف المائة والأربعة)

قال الحق تعالى لبعض عبيده، قل للجاهلين لم لا تعلمون وقل للعالمين

لم لاتعملون ، وقل للعاملين لم لاتخلصون وقل المخلصين لم لاتتخلصون فتعرفون أنكم لستم بفاعلين من حيث صوركم وخلقكم وما رميت لما أنتم فاعلون من حيث وجودكم وحقكم إذ رميت فسبحان من يعبد نفسه في أعيان خلقه ، ولكن الله رمى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم

(الموقف المائه والخمسة)

قال تعالى ، يحبهم ويحبونه ، إعلم أن محبة الحق تعالى لخلوقاته على أنواع ، نوع قبل خلقهم ، ونوع بعد خلقهم ، وهي على نوعين ، نوع للخاصة ، ونوع لخاصة الخاصة ، أما النوع الأول من المحبة فهو عام في جميع المخلوقات على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها ، وهو قوله في الخبر المشهور عند القوم : كنت كنزا مخفيا ، فاحببت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فعرفوني بي ، وهذه المحبة هي السبب الأول لوجود العالم ، قال ، وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ، أي ليعرفون ، وهذه المحبة المذكورة هي الميل إلى الظهور بالأسماء والصفات ، وهو ذاتي ما تخلله إسم ولا صفه ، إذ لا ظهور الأسماء في هذا الاعتبار ، ثم سرى هذا الميل ومحبة الظهور في جميع الأسماء الآلهيه فطلبت الظهور بظهور آثارها وقد كانت مستجنة في الذات مستهلكة في الأحدية ، ثم لما خلقهم عرفوه كما أراد ، لأن خلاف الارادة محال ، وعرفه كل نوع من المخلوقات على قدر ما أعطاهم من معرفته ما استعدوا له من ذلك ، فأما الملائكة فكل ملك نوع بانفراده ، له مقام ومرتبة كسائر أنواع المخلوقات ومراتبها . لا ينزل عنها ولا يتعداها ولهم قبول زيادة العلم بالله تعالى ، فانها لاشك قد ازدادت علما بما علمهم آدم عليه السلام ، من الأسماء كما أخبرنا تعالى بذلك في كتابه ، وأما الجماد والحيوان

من غير الانسان فمعرفتهم فطرية لا تزيد ولا تنقص ، فكل له مقام معلوم لا يتعداه في المعرفة ، وأما الانسان فله معرفة فطرية متجددة وتجددها إنما هو بالنسبة لظاهره أعني نفسه وعقله ، وإلا فالعلوم كلها مركوزة في حقيقته تظهر آناً بعد آنٍ بإرادته تعالى ، لأن الحقيقة الانسانية موجوده في الجميع ، وكل إنسان بما هو إنسان قابل لرتبة الانسان الكامل ، ولكنهم متفاوتون في ظهور آثار الانسانية ، وأما النوع الأول من نوعي المحبة الخاصة فهي محبته تعالى لبعض خواص عباده ، كقوله إن الله يحب التوابين المتطهرين الصابرين الشاكرين المتوكلين الذين يقاتلون في سبيله صفاً ، الى غير ذلك من أنواع المحبوبين الذين اتصفوا بصفات خاصة أوجبت لهم محبة خاصة من الحق تعالى ، ولكنها محبة على الحجاب وشهود البعد ، وهذه المحبة هي المنفية عن أقوام مخصوصين كقوله لا يحب الظالمين . لا يحب الكافرين ، الا المحبة الأولى أما النوع الثاني من نوعي المحبة الخاصة فهي المحبة المشار اليها بقوله تعالى ، لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره ، الحديث بطوله ، أتى ليعرف له أن هوية الحق تعالى هي حقيقة قواه الظاهرة والباطنة . وهذا النوع من المحبة على كشف من المحبوب بوجوده بمظاهره في الدنيا لأجل ما يحصل له من المشاهدة والرؤية على الاتصال أو في الأشياء او ادراك العلوم اللدنية بأنواع التجليات أما النوع الذي قبل هذا من المحبة فهو على الحجاب باعتبار شهوده [illegible] بالغيرية والاثنينية . ولا تظهر ثمرة إلا في الآخرة ولذا قال في الحكم العطائية ، [illegible] العباد والزهاد من الدنيا [illegible] بالأعمال

(الموقف المائة والستة)

قال تعالى : ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ، اعلم أن العلل والأمراض يراد بها علل القلوب ، وعلل النفوس ، وعلل الأجسام ، والعلل التي القرآن شفاؤها ، ماهي علل النفوس إذ تلك العلل أطباؤها المشايخ أهل التربية : العارفون بالله تعالى ، إذ معرفة علل النفوس وطبها ركن من أركان المعرفة بالله تعالى ، وعلل الأجسام أطباؤها العارفون بعلوم الطبيعة وإن ورد الاستشفاء بالقرآن من علل الأجسام فما هو المراد هنا منا ، وإنما مرادنا علل القلوب وأمراضها ، وهي العقائد الباطلة . والنحل الزائغة ، فهي التي القرآن شفاؤها ، وما هو شفاء إلاّ للمؤمن خاصة ، وهو الذي سلم الأمر إلي ربه وإلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وانقاد ظاهرا وباطنا ماضطرب ، ولا نازع الشرع بعقله فيما وصف به تعالى نفسه من صفات المخلوقين ، أو وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام : فما ردّ ولا أوّل ، ولا شبه التشبيه المعروف عند العامه ، بل فوّض الأمر إلى الله وإلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وقال ، لا أعرف بالله تعالى من نفسه ولا أعرف به من المخلوقين من رسله ، وحينئذ كان القرآن له شفاء ورحمة لأنه لما عمل على هذا اجتمع له نوران نور عقله القابل ، ونور إيمانه الكاشف ، فكان نورا على نور ، وانقشعت عنه غياهب الجهالات إذ لا ظلمة مع نور كاشف ، وحدث من اجتماع هذين النورين نور ثالث ، لا هو عينهما ولا غيرهما ، كالبرزخ الحاجز بين الشيئين ، لا هو عينهما ولا غيرهما ، إذ يحدث عند التركيب ما لم يكن لكل واحد من المركبين بانفراده ، فجمع بين الشرع والعقل ، بل وجد ما كان يتوهمه خلافا وفاقا ، ووجد العقل لبنا والشرع زبدة ،

ذلك الا بن منزه وشبه لا تنزيه مطلق كتنزيه المتعقلة ، ولا تشبيه مطلق كتشبيه المشبهة ، فالتشبيه عين تنزيهه ، كشف الله تعالى له عن حقيقة الأمر فعرف محل التنزيه من محل التشبيه فأنزل الأشياء منازلها ، وأورد النصوص الواردة مواردها ، وحينئذ صار إطلاق إسم المؤمن عليه مجازا ، إذ المؤمن هو المصدق تقليدا ، وهذا قد ارتفع عن مرتبة التقليد فهو يشاهد الأمر عيانا صار الغيب عن غيره شهادة له شهادة ضرورية ، وانظر قوله تعالى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فهاتان الآيتان جمعتا التنزيه والتشبيه ، فان قوله ليس كمثله شيء تنزيه على زيادة الكاف ، كما هو رأي جمهور المتكلمين صريح في نفى التشبيه والمثل ، وقوله وهو السميع البصير ، تشبيه صريح لأن تعريف الجزءين يفيد حصر الخبر وقصره على المبتدأ فهو في قوة لا سميع ولا بصير الا هو ، وكل سميع وبصير هو ، ويصح تركيب قياس من الشكل الاول فنقول ، كل حي سميع بصير ، السميع البصير هو الله لا غيره ، فتكون النتيجة كل حي هو الله لا غيره ، أما صدق الأولى فبالضرورة ، وأما صدق الثانية فبالكتاب العزيز ، بل قوله ليس كمثله شيء بانفراده يدل على التنزيه والتشبيه ، على أن الكاف كاف الصفة كما هو رأي العارفين بالله تعالى ، فان الكلام المعجز يجل عن الزيادة ولا يصار الى الزيادة . الا عند التعذر ، ولا تعذر هنا عند العارفين فمعنى إشارة الآية الكريمة الى هذا إثبات المثل له تعالى . وهو التشبيه ونفي المماثلة عن هذا المثل ، وهو التنزيه ، فانه إذا كان لا مثل لمثله ، كان نفي المثل عنه تعالى أولى وأحق . وليعلم أن الحق تعالى من حيث اسمه الباطن واسمه الأول ، لا كلام فيه لعقل ، ولا خبر عنه لرسول ، ولكن من حيث اسمه الظاهر واسمه الآخر أمكن للعقول الاستدلال عليه ، وللرسل أن تخبر عنه ، لأنه لما ظهر باسمه

الظاهر فأوجد العالم على صورته ، أي صورة علمه ، وعلمه عين ذاته ، والعلم عين المعلوم ، ثم أوجد الانسان على صورة العالم ، وجعله نسخة مختصرة من العالم ، حينئذ أمكن الكلام فيه ، فالمماثلة إنما هي بين الصورة الأولى التي هي صورة الحق تعالى . وبين الصورة الثانية التي هي صورة الانسان الكامل ، فيكون المعنى ليس مثل مثله شيء ، فالمثل المنزه هو الانسان الكامل ، أثبت له المثلية ونفى عنه أن يكون له مثل ، إذ هو الأصل في إيجاد العالم ولو تأخرت صورته ، فالعالم كله بجميع أجزائه العرش وما حوى يماثل الانسان ، والانسان بمختصره يماثل العالم كله فالعالم بمجموعه مثل ، والانسان بمفرده مثل ، فانت ترى هذه الآية كيف نزّهت ، لان تنزيه المماثل اسم فاعل ، تنزيه للمماثل اسم مفعول ، وشبهت باثبات المماثل ، فالمؤمن الذي يكون القرآن له شفاء ورحمة يكون القرآن كله له محكما ليس فيه متشابه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فما في القرآن اختلاف ، بل هو كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ، وأما قوله وأخر متشابهات ، فانما ذلك في حق من ينصر عقله ويرجحه على الكتاب والسنة ، فان الله ما أرسل رسله إلا ليعلّموا عباده ويعرفوهم بربهم ، فطالب الحق بفكره وعقله ليس القرآن شفاء له ، فانه إذا سمع آية أو خبرا يفهم من ظاهرها تشبيها ، يقول أورث هذا الخبر أو هذه الآية شبهة عندي ، حيث خالفا عقله ، فمثل هذا لا يكون القرآن شفاءه بل يزيد في علته ، وهو من الظالمين الذين يزيدهم القرآن خسارا ، إذ الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها التي تستحقها ، وممن قال في حقه يضل به كثيرا ، ومن الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه حتى يؤوّلوه ويردوه إلى عقولهم ، وقد

عمت هذه البلوى، فلا تجد اليوم فقيرا إلا على هذا المذهب، وقد نصحتك والله الموعد

(الموقف المائة والسابع)

قال تعالى: «من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها»، إعلم أن من حصلت له الهداية اهتدى ووصل إلى مقصوده فإنما اهتدى ووصل إلى نفسه لا إلى غيره، ومن ضل بأن لم يصل إلى مقصوده ولا اهتدى إليه فإنما يضل على نفسه، أي عن نفسه، وعلى بمعنى عن، وذلك لأن نفس الإنسان وروحه هي كل شيء يصح أن يعلم، وتتصور معرفته من حق وخلق، وجوهر وعرض، ومحدث وقديم، فإذا طلب الإنسان الهداية إلى شيء ليعرفه ووصل إليه وعرفه فذلك الشيء نفسه وروحه، فهي التي تصورت له بصورة ذلك الشيء المطلوب المهتدي إليه. إذ الإنسان متى صفت روحه ونفسه وزكت باتباع الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، وباستعمال الرياضة والمجاهدة وأراد أن يعلم شيئا من الأشياء تصورت له روحه بصورة ذلك الشيء المطلوب على حسب ما هو عليه [illegible] ما يريد الله تعالى من تعريفه، فروح الإنسان خالية من كل شيء لا شيء فيها إلا أمر الله تعالى الواحد الذي هو كلمح البصر، والمعلومات في العقل بالقوة. فإذا امتزج العقل بالروح امتزاجا معنويا ظهرت العلوم في النفس وتصورت بها حتى الحق تعالى، وما يستحقه من نعوت الكمال، فكل ذلك إنما هو النفس والروح فهي التي تصورت بمعنى الحق تعالى والتحقت بالقرب حتى علم وعرف بجميع ما يجب له من الكمالات، وطالب الحق تعالى إذا اهتدى ووصل يجد الطالب عين المطلوب والهادي؛ بخبر «من عرف نفسه عرف ربه». فالفتح الذي يذكره القوم رضوان الله عليهم، هو أن

يكشف تعالى للعبد أنه هو من غير حلول ولا اتحاد وأن الرب رب والعبد عبد، لا يصير الرب عبداً ولا العبد رباً ، فان قلب الحقايق محال ، وجميع الأوامر والنواهي الشرعية إنما هي موضوعة لرفع الحجاب عن العبيد ، حتى يصلوا إلى ربهم وصول علم برفع النسب والاعتبارات الحسية والعقلية ، إذ هي كلها عند التحقق نسب لا عين لها في الوجود الحق ، ولكن الآفة الطارئة على الاصول(١) صيرته يرى الواحد اثنين ، فسبحان مقلب الأبصار والبصائر

(الموقف المائة والثامنة)

قال تعالى ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، إعلم أن الأولية والآخرية بالنسبة الى الممكنات هي نسبة وإضافة ، فالأول أول بالنسبة الى مابعده ، والآخر آخر بالنسبة الى ماقبله ، وقد يكون الممكن أولا وآخرا بنسبتين مختلفين ، وأما أولية الحق تعالى ، فهي عبارة عن نفي البداية عن وجوده تعالى وهي ثابتة له تعالى أبدا كسائر أسمائه لا باعتبار موجود إذ لو كانت أوليته ونحوها بالنسبة الى الممكنات لكانت الممكنات ثانية له وليس الأمر على هذا أو أول باعتبار أن كل ما سواه منه ابتداؤه وآخريته هي عبارة عن رجوع الأمور كلها اليه ، كما قال ، الا إلى الله تصير الأمور ، واليه يرجع الأمر كله ، وليس الشأن في أوليته وآخريته بهذا المعنى ، وإنما الشأن في أوليته التي تجامع آخريته ، وآخريته التي تجامع أوليته ، إذ هذه هي الخصيصة بالألوهية وهي التي عرف الآله بها ، وهي الجمع بين الضدين ، وليس المراد أنها عين تجمع الضدين ، بل هي عين الضدين تظهر بهما معا ، فهو أول من حيث ما هو آخر ، وآخر من حيث ماهو أول ، والعين واحدة لا من نسبتين بل من

(١) لعله الابصار

نسبة واحدة ، وانه تعالى مع كل شيء ، لا يتقدم عن شيء ولا يتأخر عن شيء ، ولا يتجزأ ، ولا يتبعض ، فنسبه الذات الى الموجودات العينية والعلمية نسبة واحدة ليس الموجودات تقدم ولا تأخر بالنسبة اليها ، فاخريته عين أوليته أولا أوليته ولا آخريه : والحصر المستفاد من تعريف الجزءين يفيد أنه لا أول الا هو ، ولا آخر الا هو ، فيكل أول وآخر هو ، ولا آخر إذ الممكنات لا نهاية لها ، فهي متجددة لا إلى آخر وهذا هو الذي حير العقول وما قبلته ، وكذا الظاهر والباطن ، فهو ظاهر من حيث ماهو باطن ، وباطن من حيث ما هو ظاهر من جهة واحدة ، فظهوره عين بطونه ، وبطونه عين ظهوره ، من حيث الجمع الذاتي ، ولكل واحد منهما أحكام وخصوصيات ، من حيث الفرق الصفاتي ، هذه الجملة لقنيها الحق في النوم وألحقتها ، فالاسم الباطن هو النفس الرحماني ، والاسم الظاهر هو العما والنفس ، عين العما ، ولكن تبدلت صورته التي هي أمر اعتباري : والعما عين العالم ، فالباطن عين الظاهر ، والظاهر عين الباطن ، والآية ، صرحة بهذا كما قدمنا ، فلا ظاهر الا هو ، ولا باطن الا هو ، فيكل باطن وظاهر هو ، فهو الشاهد والمشهود والشهادة ، ولا نقول ظاهر باسمائه ، باطن بذاته ، كما يقول الفقيه . لأن الأسماء أمور معنويه يستحيل ظهورها دون الذات المسماة بها ، فهو الظاهر بالذات ، الباطن بالذات . الظاهر للابصار والبصائر ، الباطن عن الأبصار والبصائر ، فأين الله وأين العالم فما ثم الا الله المسمى بالعالم ، فهو الظاهر في عين العالم ، والعالم مظهر له وكل ظاهر في مظهر فقد انضم الظاهر الى المظهر من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، كيف يتحد الوجود بالعدم ، أم كيف يحل الحدوث في القدم ، وقد كان الحق باطنا فاظهر نفسه بالعالم ، فصار ظاهرا لان العالم صورته وهذا معنى قولهم

علم نفسه ، فعلم العالم من علمه بنفسه ، إذ ليس العالم بشيء زائد عليه تعالى ، قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه

نحن المظاهر والمعبود ظاهرنا ومظهر الكون عين الكون فاعتبروا
ولست أعبده الا بصورته فهو الآله الذي في طيه البشر

وقال أيضا

فلا تفر ولا تركن الى طلب فكل شيء تراه ذلك الله

وقال أيضا

فما ثم إلاّ الله والكون حادث وما ثم الاّ الكون والله ظاهر
وما العلم الا الجهل بالله فاعتصم بقولي فاني عن قريب أسافر

فظهور الحق تعالى بذاته مسمى بأسماء العالم ، متصفا بصفاته ، هو حجابه وبطونه ، ولو ظهر بأسمائه وصفاته ما كان للعالم عين ولا اسم ، فهو كالواحد ينشيء الأعداد الي غير نهاية بذاته دون اسمه ، إذ ليس العدد الا الواحد المنتقل في مراتب الأعداد ، متسميا بأسماء المراتب كالاثنين والثلاثة ، الي ما لا يتناهى ، ولو ظهر باسمه وقيل واحد لبطل العدد ، فمن تجلى الحق تعالى عليه باسمه الظاهر ، رأى الحق تعالى في كل شيء من ذرات العالم علوي وسفلي ، وما زهد في شيء ، ولا طلب الاحتجاب عن شيء ، وهذا هو الذي يري الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة ، يعني أنه يرى الواحد الحقيقي كثيرا بنسبه وأسمائه واعتباراته ، ويرى الكثير واحدا باعتبار رجوع الكثرة الى العين الواحدة وحدة حقيقية ، وكذا الجاهل يرى الحق تعالى لأنه عين كل ما يرى ، ولكن لا يعرفه فهو يكلم الحق تعالى ويكلمه وهو معه في كل حركة وسكون ، وهو جاهل به ؛ فالفارق بينهما العلم والجهل لا غير وحيث كان الأمر كما قلنا

وقاله كل عارف بالله ، فأين الحجاب وليس الا الحق تعالى فهو لا يحتجب عنه شيء ولا يحجبه شيء ، ولا يصح أن يقبل الحجاب ولاأن يكون غيره محجوبا عنه فانه لاغير ، وما ورد من ذكر الحجب النورية والظلمانية وعدها بسبعين وسبعمائة وبسبعين ألفا ، وقول جبريل بيني وبينه سبعون حجابا لو وصلت الى أدناها لاحترقت ، وإنه لولا الحجب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره في خلقه ، فقد قال شيخنا محي الدين رضي الله عنه ، حقيقة سبحات الوجه هي دلائل ذاتية إذا ظهرت نسبا لا أعيانا ، فتبين أنه عين تلك الأعيان أعني الوجه فزال الجهل الذي كانت ثمرته أن العالم ما هو عين الوجه فبقي العالم على صورته ، ثم تذهبه السبحات بل اثبتته وأبانت عن الحق ماهو انتهى ، أقول ما ذكره سيدنا ظاهر في حق من يمكن أن يكون عليه حجاب ، فتحرقه السبحات فيزول ، فيقال كان في حجاب ثم احترق وزال ، وأما في حق من لا يصح في حقه حجاب دون شهوده كالملك فغير ظاهر ، لأن معرفة النبي والملك بالله تعالى ضرورية فطرية ، لا يقال أنهم كانوا في حجاب ثم احترق وزال ، وعندي أن الحجب في حق النبي والملك إنما هي مظاهر هيبة وجلال وعظمة ، بحيث لا تمكن مشاهدتها لخصوصية ذاتية لها ، فهي تفني مشاهدها وتمحقه وتسحقه ، وأما غير الملك فما حجابه إلا الجهل لظهوره الظهور الذي لا يتصور مثله ظهور ، وقربه القرب الذي لا يماثله قرب ، واتصافه بصفات المحدثات ، وتسميه بأسمائها ، فجهل لذلك واحتجب واستتر ، والجهل لاعين له فانه عدم العلم ، كما قال تعالى ، واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ، أي مجهولا ، لأنه لو كان المراد أن الحجاب عليه ساتر يستره ما كان المستور حجابا ، ولكان الساتر أولى باسم الحجاب فليس

الحجاب المستور إلاّ الجهل لا غير ، وأما الأسم الباطن فالتجلي فيه ممنوع جملة واحدة ، ما تجلى فيه لأحد سواه ، قيل لي في الواقعة يوم تقييدي لهذا الوقف ، لو كان الحق متجلياً لأحد من خلقه ، اتجلى للعلماء ، فعرفت أن المراد بالتجلي ، التجلي الممنوع ، وهو التجلي من حيث الاسم الباطن ، وأن المراد بالعلماء ، العلماء بالله تعالى ، الذين هم أعلى من العارفين

(الموقف المائة والتسعة)

قال تعالى ، لا يدركه الأبصار ، وورد في الأثر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ، هل رأيت ربك ؟ فقال ، نوراني أراه ، وورد أنه قال لسائل آخر ، نعم رأيته ، والتحقيق عندنا ، أنه رآه يقظة ليلة الاسراء ، وما زاغ بصره وما طغى ، وجوابه للسائل في الرؤية الأولى ، أما لكونه صلى الله عليه وسلم ، عرف منه أنه لا يعرف إلاّ رؤية الذات البحت مجرداً عن المظاهر ، ولا يعرف هذا السائل أمر التجلي فكان هذا الجواب الساذج أولى به ، وأما أن يكون السائل لا يعرف الا الرؤية المعتادة عند العامة التي تمنع أنوار الأشعة الرائي من تحقيق ما رأى ، فورّي له صلى الله عليه وسلم ، بأن الحق تعالي إسمه النور ، وأمر النور في منع تحقيق الرؤية مشهور ، وما قال ما رأيته لأن هذا السائل لا يعرف أن من رأى الحق إنما يراه ببصر الحق لا ببصره المقيد ، فانه قال فاذا أحببته كنت سمعه وبصره ، الحديث ، وهو اللطيف الخبير ، ومن لطفه تعالى أنه أخبر ، أن هويته هي بصر العبد وجميع قواه ، ومع ذلك لا يقدر أن يميّز بين بصره وبصر الحق تعالى ، فمحمد صلى الله عليه وسلم رأي ربه يقيناً في مظهر وهو التعيّن الأول وهو الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركه فيه غيره من رسول وملك ،

والرؤيه في غير تعيّن محال ، وهذه الرؤيه التي حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم من غير سؤال هي التي سألها موسي صلى الله عليه وسلم فمنعها على حسب سؤاله لا مطلقا ، وما حصلت له حتى صعق ثم أذاقها أطاقها مع بقاء هيكله على حالته ، وهو معنى قوله لن تراني أي لا تطيق رؤيتي مع بقائك على حالتك حسب سؤالك وأطاقها محمد صلى الله عليه وسلم لما خصه الله تعالى به من القوة روحا وجسما ، وأنه صاحب أرادتي وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام منتهاهم قاب قوسين ، وهو ظاهر العلم وظاهر الوجود ، والرؤية الحاصلة لمحمد ولموسي عليهما الصلاة والسلام ، هي غير المشاهدة الحاصلة لكل عارف بالله تعالى ، من نبي وولي وان تفاوتت مراتبهم في المشاهدة وسواء كانت المشاهدة حال الغيبة عن العالم والمحققون من العارفين لا يقولون أنهم يرون الحق تعالى حالة شهودهم بل يقولون إنهم مارأوه قطعا وإنما يرون صورهم ومراتبهم واستعداداتهم في الوجود الحق تعالى ، فلا يشهد الشاهد منا الا نفسه لأن المشاهدة على قدر مايعلمه منه ، وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤيه فكل مشهود معلوم مانشهد منه وما كل معلوم مشهود ، فما يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته وإلاّ فما علمه ولذا كان علمنا بالله شعورا فقط والشعور علم إجمالي يعطي إن ثم مشعورا به ، ولكن لا يعلم ماهو كما إذا رأيت صندوقا مقفلا ، فحركته فوجدته ثقيلا تعلم أن فيه شيئا ، ولكن لا تعلم ماهو وإنما يقول المحقق انه مارأى الحق في مشاهدته لأن الصور دائما تتنوع على الرائي والحق تعالى عين واحدة لا يتنوع ، مع أن المحقق يعلم أنه مارأى الصور إلاّ في مرآة الوجود الحق تعالى ، فهو يرى ، ولهذا يشير أمامنا وقدوتنا محي الدين

قلوب العارفين لهـا ذهاب إذا هي شاهدت من لا تراه
وذا من أعجب الأشياء فينـا نراه وما نراه إذ نراه

على أنه في حال الغيبة عن العالم في المشاهدة نقال أنهم رأوه ولكن من الرائي ومن المرئي فإنها فناء محض ، فالرائي هو المرئي إذاً ، فعلى كل حال ما رأوه وإنما يرى الراءون صورهم ونفوسهم ومنزلتهم ، فكل مشاهد للحق تعالى أو الخلق وكل عالم بالحق أو بالخلق إنما يشاهد ويعلم من كل مشاهد ومعلوم قدر استعداده ومنزلته ، ولكن في الوجود الحق تعالى ، وما رأى ما رأى إلاّ فيه ، فإن قال رأيت الحق صدق على طريقة التوسع ، وإن قال ما رأيته صدق ، فإنه تعالى غير متعيّن حال تعينه من حيث الذات ، وغير مقيد حال تقيده وفي قوله ، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ، تصريح بما ذكرنا ، يعني أن من أبصر الحق عند نفسه وفي زعمه فإنما أبصر نفسه ، يعني استعداده ومرتبته ، ومن عمي فلم يبصر فإنما عمي عن نفسه فعلي يعني عن ذلك ان كل من رأى شيئا يقظة أو مناما إنما رآه على قدر استعداده فنفسه رأى فما أبصر مبصر الحق من حيث هو لأن المقيد لا يبصر إلاّ مقيدا ، ولا يبصر المطلق عن القيود أبدا ، فرؤية الوجود الحق تعالى مجردا عن المظاهر والقيود محال في الدنيا وفي الآخرة . لرسول ولملك ولأشرف مخلوق وأقربه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذا يقول أمامنا محي الدين

ولم يبد من شمس الوجود ونورها على عالم الأرواح شيء سوى القرص
ولست تنال الذات في غير مظهر ولو هلك الانسان من شدة الحرص

يريد أن الشمس يدرك قرصها ولكن لا يحاط بها ولا تنضبط كيفياتها ولا يعلم ما هي عليه وكذا الوجود الحق يشهد بالصور والمظاهر لأنها لا تشهد

إلاّ فيه وبه ولكن لا يعلم ولا يحاط به ولا ينضبط فما شهد حقيقة إذ نسبة ماأدرك منه الى مالايدرك نسبة المتناهي الى غير المتناهي وقال بعضهم

كالشمس عنك اجتلاؤك نورها ۞ فاذا اكتسبت برقيق غيم أمكنا

مشبه ظهور الوجود بالشمس فالشمس إذا كانت عارية من السحاب لاتدرك وكذا النور الوجودي إذا كان مجردا عن المظاهر فاذا كسا الشمس سحاب رقيق أمكن شهودها بحسب إدراك الرأي لا بحسب ماهي عليه وكذا الوجود النوري قال شيخنا محي الدين

الشمس تدركنا والشمس ندركها ۞ نعم ومنها النما العطف والمدد

وإننا نراها وهي ظاهرة ۞ مثل التجلي ولم يظفر به أحد

النور يمنعنا من أن نكيفها ۞ فكيف من لا له كيف فيتحد

فالوجود الحق مرآة تظهر صورة المتجلي له فيها بقدر استعداده، فتظهر أحواله وأحكامه كما أن الوجود يظهر في مرايا الأعيان بحسب استعدادها وقابليتها لظهور أحكامه وأوصافه والصورة دائما حائلة بين الرائي والمرآة فغير ممكن أن يبصر المبصر الصورة والمرآة في آن واحد، كما ذلك هو في الشاهد فلا يبصر أحد الوجود الحق من غير صورة إلاّ إذا فني عن القيود كلها وحينئذ يكون الرائي والمرئي هو الحق فما أبصر غيره إذ الغير منتفية حال الفناء فلو فرض أن الرائي ماظهرت له صورته ولا صورة غيره ربما كان يراه، وهذا لا يكون البتة، فمحمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أحب وأشرف وأقرب من كل مخلوق مارآه في مرتبة أو أدنى إلاّ في مرتبة التقييد فكيف يطمع غيره فيما لا مطمع فيه، وما نزل وحي ولا أخذت شريعة إلاّ من مرتبة التقييد. وقد ورد في الخبر، المؤمن مرآة المؤمن، أي المؤمن الذي

هو الحق مرآة المؤمن الذى هو الولي ، وبالعكس وإنما خص المؤمن وإن كانت مرآئية الحق عامة لشرفه ؛ ولأنه هو الذى تنكشف له هذه المرآئية لا غيره ، وقال إمامنا محي الدين ، هو مرآتك وأنت مرآته ، يعني هو مرآتك في رؤيتك نفسك ؛ وآنيتك الوجودية العينية ورؤية غيرك كذلك ومرآتك فى شهودك عينك الثابتة العلمية الغيبية ، إذا كوشفت بها وكنت من خاصة الخاصة وأنت باعتبار وجودك العيني مرآته تعالى في رؤية أسمائه التي هي ذاته مأخوذة ببعض النسب والاعتبارات ، وليست النسب غير الذات ، فتارة هو المرآة والعبد الرائي ، وتارة العبد المرآة وهو الرائى والمرئي ؛ فالتبس الأمر ، واختلط الشأن ، فلم يتميز الرائي من المرئي من المرآة ، فأيها حق وأيها خلق ، فان الناظر نفسه فى المرآة هو الوجود الحق ، إذ كل راء لا يرى الحق إلاّ بما فيه من الحق ، والصورة في المرآة إنما ظهرت من المتوجه على المرآة وهو الوجود الحق ، والمرآة هي الوجود الحق

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

البيتان نسبهما الشيخ الأكبر الى الحسن بن هانيء ؛ ونسبهما ابن خلكان الى الصاحب بن عباد ، انتهى بخطه ، حار العارفون وحق لهم أن يحاروا وأرادوا أن يجعلوه عين العالم فما صفا لهم ذلك انزاهته وقدسه وأرادوا أن يجعلوه غير العالم فما صح لهم ذلك ، لأن العالم ليس بشيء زائد على نسب علمية مع اعتبار العلم عين الذات ، فالعارف فى حجاب ، والجاهل فى حجاب ، وإن اختلفت الحجب والعالم فى حجاب ، والرأي فى حجاب ، والمشاهد فى

حجاب ، والكلام في حجاب ، وكل ما أشعر بالاثنينية فهو حجاب وإنما الشأن في العينية وهي لا تجامع الشعور بقيد من قيود الغيرية ؛ ومن غريب الاتفاق أن إمامنا محي الدين رضي الله عنه ، ذكر عندما تكلم على الطبيعة أنه رأى أمه مكشوفة العورة فسترها ، قال فلذلك سترت، وما أظهرت ما كنت أضمرت أو نحو هذا الكلام ، يريد أنه عبّر الأم بالطبيعة ، وأنا عبد الله رأيت أثناء كتابتي لهذا الموقف في المنام أبانا آدم عليه السلام أخرج من قبره عريانا فسترته بكسا ، وكان عندي ، فعرفت أن الذي فيه هو الأب الحقيقي الذي منه خرجنا وعنه درجنا ، فلذلك رمزت ولوحت ، وسترت وما أوضحت ، وفي آخر هذه الرؤيا بشارة وأي بشارة ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المائة والعشرة)

قال تعالى ، وقل رب زدني علما ، إعلم أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ملّكه الله تعالى كل فضيلة ، وزينه بكل خصلة جميلة ، وما أمره بطلب الزيادة من شيء الا العلم لعظم شرفه ، ولشرفه على سائر الأسماء والصفات جعله بعض سادات القوم أمام الأئمة ، واعترض على الشيخ الأكبر حيث جعل الاسم الحي أمام الأئمة ، ولهذا كان علم الحق تعالى عين ذاته إذ المعوّل عليه هو العلم ، فلو كان غير ذاته تعالى لكان المعوّل عليه غير الذات ، وهذا لا يقوله عاقل ، وليس المراد بالعلم المأمور بطلب الزيادة منه علم الشرائع والأحكام ، من واجب ومباح وحرام ، فان هذا النوع من العلم كان صلى الله عليه وسلم يكره الزيادة منه ، ويقول لأصحابه الكرام اتركوني ما تركتكم أي لا تسألوني عن الحلال والحرام ، وعن الواجب هل مكرر أم لا كما في

حديث الحج حتى أخبركم إذا نزل به وحي وقال صلى الله عليه وسلم، ومن أظلم ممن سأل عن شيء فحرم من أجل سؤاله أو كما قال وإنما المراد بالعلم المأمور بطلب الزيادة منه هو علم التجليات الربانية، وعلم الأسماء والصفات الآلهية، وهو العلم الذي لا تزال ثمرته ملازمة لصاحبه في الدنيا والآخرة في جميع مواطن القيامة وفي الخلود، في الجنة أبد الآباد، وأما غيره في سائر العلوم فانما يحتاج اليه في الدنيا، دار التكليف والاحتياج والفاقة، وليعلم أن العلم حقيقة معنوية بسيطة، لا توصف بالزيادة والنقص، والقلة والكثرة، إلا من حيث المعلومات المنكشفة بها فحينئذ تتعدد بتعدد المعلومات كما أن كل معلوم حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتبعض، ولكن كل وحدة لها كثرة بحسب وجوهها واعتباراتها، قليلة أو كثيرة، فبهذا تلحق العلم القلة والكثرة والزيادة والنقص مثلا الحقيقة يكون لها مائة وجه واعتبار، علم منها زيد عشرين وجها، وعلم عمرو خمسين، وعلم بكر ثمانين، فعلم زيد أنقص من علم عمرو وعلم بكر أكثر منهما، وعلم عمرو أكثر من علم زيد وأنقص من علم بكر، وكل من زعم أنه علم شيئا وانتهى علمه فيه، فذلك دليل على أنه ما علم ذلك ولا يعلم المعلوم الا العلم، وأما العالم فانما يدركه بواسطة العلم فلهذا كان العلم حجابا بين العالم والمعلوم، فلا تقل إنك أدركت شيئا قديما أو حادثا وإنما أدركت العلم وكل الأشياء تدرك بالعلم، والعلم يعلم بنفسه، وقد ذكرنا في غير ما موقف من هذه المواقف أن الوجود لبس الا للحق، وكذا توابع الوجود من علم وقدرة وإرادة، وسمع وبصر، وكلام وحياة، فما لا وجود له لا شيء له، وقد ذكرنا أن علم الحق تعالى عين ذاته فافهم واعرف، وارفع الستارة ولا تقف، فان العرائس من ورائها أفدي من ذاق كلامنا أفدي من اذا

لم يذقه سلمه الينا ، ومن ذاق ما ذقنا عرف الفرق بين العلم والوهم ، ولبس الوهم الا الخيال الذي هو محتد العالم كله ، أعني معرفة الفرق بالمعنى الذي رمزنا عليه ، وأومأنا اليه ، لا بالمعنى الذي قاله علماء الرسوم في أنه عند استواء الطرفين يكون شكا ، فاذا كان أحد الطرفين راجحا والآخر مرجوحا ، كان الراجح ظنا والمرجوح وهما ، ولهذا نقول كل ما يحسبه علماء الرسوم علما فهو وهم ، وهذا العلم هو الذي يقول القوم فيه إنه حجاب ، فان الحق تعالى إذا تجلى باسمه الظاهر يكون هذا العلم حجابه ، رأيت في الواقعة سفينة فسألت عن اسمها فقيل اسمها جالب اليواقيت الى أجواف الخبائث ، فعرفت أن السفينة هي العلم المنجي من بحار الجهالات ، وأمواج الأهواء ، وريح الضلالات ، وجلبه لليواقيت هو ما ينكشف به من نفائس المعلومات ، والحقائق المبهمات ، وأجواف الخبائث هي النفوس الطبيعية ، فان الخبث ضد الطيب ، والأرواح طيبة كما قال ، اليه يصعد الكلم الطيب : والنفوس ما هي مثل الأرواح فهي بالنسبة الى الأرواح خبث ، وبواسطة الارواح تنكشف المعلومات للنفوس

(الموقف المائة والحادي عشر)

قال تعالى ، والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، أي مثل الذين كفروا وستروا علمهم ومعرفتهم بربهم ومثل أعمالهم كسراب بقيعة ، أي هم وأعمالهم في التمثيل كالسراب الذي يدركه المدرك بالقاع فيتوهم بحسب إدراكه أنه أدرك شيئا يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، هذا وجه التشبيه يعني أن المتعطش الى ماء الحياة الأبدية والقرب من الله تعالى ، إذا رأى الذين

كفروا ورأى أعمالهم فى اجتهادهم وملازمتهم للطاعات ، واقبالهم على أنواع القربات ، والمسارعة الي نوافل الخيرات ، يحسبهم أنهم عند أنفسهم لهم وجود وانهم فاعلون ، تاركون ، متقربون ، وأنهم يرجون بذلك حصول نفع ، أو دفع ضر ، فيعظم ظمأ المتعطش الى ماء الحياة والقرب من الحق تعالى ، فاذا وصل الظمآن الى ظاهر أحوالهم واليهم ، وتجاوز من معرفة ما ظهر الى ما بطن ، لم يجدهم فى أنفسهم ولا فى أعمالهم شيئا مغايرا للحق تعالي ، وهكذا هو التجلي الآلهي فى الصور يكون بصورة حاجة المتجلي له ، كما تجلى لموسى عليه الصلاة والسلام بالنار لأنه كان يطلبها ، فهذا المتعطش الى السعادة الأبدية بحسب أن ما عليه الذين كفروا فى ظواهرهم من الأعمال هو الماء الذى من شرب منه لم يظمأ أبدا ، فلما وصله لم يجد من تلك الصور العاملة العابدة فى بادىء الرأي ولا من الصور المفعولة المتعبد بها ، الا الله تعالى متصورا بصور العابدين وبصور عباداتهم،ومتجليا بها ، فكان الله تعالى العابد بتلك الصور وهي كالآلات وهو المعبود بها وهذا معني وجد الله عنده ، أو يكون المعنى أن الطالب لماء القرب منه تعالي يتوهمه بعيدا منه ، كما يرى العطشان السراب من بعد فيطلبه ويلقى فى طلبه مشقة وتعبا ، فاذا جاءه بمعنى انكشف عن الطالب حجابه ، وأميط عن المطلوب نقابه ، وجد مطلوبه عنده ومقصوده بعد ما فارقه من أول قدم كما قيل

ومن عجب أني أحن اليهم ... وأسأل شوقا عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم فى سوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

فوفاه حسابه أي أعطاه عطاء تاما فوق ما كان يؤمله ويحسبه ، ويعده

من الكرامة، وحسن المقامة، فانه تعالى عند ظن عبده به، كما أخبر تعالى بذلك عن نفسه

(الموقف المائة والثاني عشر)

قال الحق تعالى لبعض عبيده أتزعم محبتي وان كانت فما هي الا نتيجة عن محبتي لك فأنت أحببت موجودا وأنا أحببتك معدوما، ثم قال له وتزعم أنك تطالب القرب مني، والانحياش اليّ، وأنا أشد طلبا لك منك، طالبتك لحضوري من غير واسطة يوم ألست بربكم وكنت روحا ثم نسيت فطالبتك بارسال الرسل بعد أن صرت جسما، كل هذا محبة فيك لك لا لي، ثم قال له، أرأيت لو كنت في أشد ما يكون من الجوع والعطش والتعب ودعوتك لي فتعرضت لك الجنة، بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها وعدانها وولدانها، بعد أن أعلمتك أنك لا تجد عندي شيئا من ذلك ماذا كنت فاعلا؟ فقال له، أعوذ بك منك

(الموقف المائة والثالث عشر)

قال تعالى، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه، سيجزون ما كانوا يعملون؛ من البيّن المعروف عند أهل اللغة والعقل أن الاسم ما عين المسمى وميّزه عن غيره، وهو عند أصحاب الكشف والشهود كل ما ظهر في الوجود، وامتاز في الغيب على اختلاف أنواع الظهور والامتياز، وهو في التحقيق التجلي المظهر لعين الممكن الثابتة في العلم والحق تعالى ما ميزته هذه الأسماء: التي يقال أنها حسنى إذ قد شاركته في التسمية بها المحدثات فانه يقال في غيره تعالى: أنه حي متكلم قادر عالم الى آخر الأسماء الحسنى، وسمي تعالى نفسه ونعتها في كتبه وعلى ألسنة رسله بأسماء المحدثات

ونعوتها ، التي يقول فيها المتكلمون أنها ليست أسماء ولا نعوتا له تعالي ، ويؤولونها ، ومن جملة الأسماء الحسنى الظاهر ، وهو تعالي ، ما ظهر لنا في العموم حتى نعرفه ونميزه بهذا الاسم ، فأين التمييز بهذه الأسماء الحسنى المحصورة في التسعة والتسعين ، فما بقي الا أن كل ما يقال فيه غير الله وسوي الله ، هو مسمى باسم خاص ، ومنعوت بنعت خاص ، لا يشاركه فيه غيره من المحدثات فهو تمييز محدث عن محدث والله تعالى له جميع الأسماء والنعوت التي يقال فيها حسنى والتي يقال فيها غير حسنى ، وتكون كلها حسنى اذا نسبت اليه تعالى فالحسنى صفة كاشفة لا مخصصة فما كان تميزه تعالى الا بجمع الأسماء جميعها والنعوت كلها ، وغيره ليس له ذلك ومع هذا فلا يسمى ولا يطلق عليه الا ما أطلقه على نفسه من أسماء المحدثات ونعوتها ، أو أطلقته عليه رسله عليهم الصلاة والسلام ، الذين هم أعرف به كما أنه لا يسمى غيره تعالى الا باسمه الخاص به ، الموضوع له ، فما كل حق يقال فهو تعالي عين كل مسمى بكل اسم ، وعين كل منعوت بكل نعت . وبهذا تميز فهو عين الكل ولبس الكل عينه ، فما تميز تعالي عن شيء ولكن الأشياء تميز بعضها عن بعض ، تمييز الأسماء بعضها عن بعض ، والذات جامعة للكل يشير الى هذا قوله تعالى ، يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله أثبت تعالى الافتقار اليه لا الي غيره ، ونحن نجد افتقار المحدثات بعضها إلى بعض ضرورة ، فدل ذلك على أن كل مفتقر اليه هو الله لا غيره ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه أي اتركوا وباعدوا الذين يلحدون أي يميلون عن الأسماء التي يقال أنها غير حسنى ، الى الأسماء التي يقال أنها حسنى ، ويخصونه بها دون غيرها مما ورد من الأسماء والنعوت التي أطلقها الحق

تعالى على نفسه ، أو أطلقته رسله عليهم الصلاة والسلام، والمراد بالملحدين هنا الذين يؤوّلون ما ورد في الكتاب والسنة ، ولا يؤمنون به على مراد الله تعالى ومراد رسله عليهم الصلاة والسلام ، فهم يلحدون في أسمائه ويميلون عن أسماء التشبيه التي هي تجليه تعالى باسمه الظاهر ، الى أسماء التنزيه التي هي تجليه باسمه الباطن ، فلا يشهدونه ويعرفونه إلاّ في التنزيه وما هو تنزيه عند المحقق ، ولهذا يتعوذون منه تعالى في القيامة ، حين يقول لهم ، أنا ربكم ، فلو لم يلحدوا ووقفوا في نقطة الاعتدال كما هو الأمر عند السادات العارفين بالله تعالى ، تنزيه وتشبيه ما أنكروه في تشبيه ولا تنزيه ، عرفوه في جميع التجليات ، الظهور والبطون ، سيجزون ما كانوا يعملون ، ومن أشر جزائهم وأشده عليهم انحجابهم عن معرفته تعالى ، في الصور الشهادية الدنياوية ، وفي الصور الأخراوية ، في القيامة في ذلك الموقف الحافل الهائل

(الموقف الرابع والأربعة عشر)

قال تعالى ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، وقال ، وما ظلمهم الله، ونحوها من الآيات التي تثبت ظلم النفس لنفسها، فان صاحب النفس ليس مغايرا لنفسه حتى يكون هناك ظالم ومظلوم ، يعني إن الواقع بهم ، مما لا يلائم طباعهم ، مما يظن أنهم غير أهل له ولا مستحقينه ، وإنه تعالى ظلمهم بذلك فما هو الأمر كما ظن ، بل إن كان ذلك ظلما على سبيل الفرض فما هو منه تعالى ، وإنما ذلك من انفسهم وأعيانهم الثابتة ، فانها طلبت ذلك باستعدادها ، فليس لله تعالى الاّ إعطاء الوجود لما طلبوه باستعدادهم ، وبهذا كانت الحجة البالغة له تعالى عليهم ، وليس بين قوله فلله الحجة

البالغة وقوله ، فلو شاء لهدا كم أجمعين ، تناف كما يتوهم حتى يقولوا ، لم لم نشأ هدايتنا جميعا ، فانه ما انتفت مشيئته هداية الجميع الا لانتفاء تعلق العلم القديم بذلك ، إذ العلم يتبع المعلوم ويتعلق به على ما هو عليه ، فانه صفة انكشاف وحكاية للمعلوم ما هو صفة تأثير ، والمعلوم هو أن منكم مهتد ومنكم ضال ، فانتفت مشيئته هداية جميعكم لانتفاء تعلق العلم بهداية جميعكم ، وانتفى تعلق العلم بهداية جميعكم ، لكونكم مختلفين فى الاستعداد ، فمنكم مستعد للهدى ، ومنكم مستعد للضلالة ، والاستعداد لا علة له فانه من سر القدر ، والى هذا المنحا يشير قوله تعالى ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم : اى أنه تعالى لا يغير حال قوم أو أحد وينقلهم من حاله إلي حالة أدنى أو أعلى ، فى الظاهر ، حتى يغيروا ذلك بأنفسهم ، بمعنى يطلبون باستعدادهم فى الباطن من الحق تعالى إيجاد تلك الحالة المنتقل اليها وهو معنى التغيير ، فليس للحق تعالى الا إعطاء الوجود لتلك الحالة المنتقل اليها بطلبهم الاستعدادي وارادتهم لذلك وهكذا على الدوام فى جميع الأحوال ، فى جميع المخلوقات ، فما حكم عليهم غير أنفسهم

(الموقف المائة والخمسة عشر)

قال تعالى : الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الآية ، الواو ، واو الحال ، والحال قيد فى صاحبها احترازا من الذين يذكرون الله ولا تطمئن قلوبهم بذكره وهم الظالمون العاصون يجري ذكره تعالى على ألسنتهم من غير حضور ولا تعظيم له تعالى ، قال تعالى ، فى بعض الأخبار الآلهية لبعض أنبيائه ، قل للظالمين لا يذكرونى فانهم إن ذكروني ذكرتهم باللعن أو كما قال ، فقوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، هو وصف لمن أناب على

إرادة كل من اتصف بهذا الوصف وهو الرجوع من الخلق الى النفس ، ومن النفس الى الحق تعالى ، وهو إيمان خاص أي آمنوا وصدّقوا بأنه تعالى يذكرهم إذا ذكروه لقوله تعالى ، فاذكروني أذكركم ، ولقوله إذا ذكرني في نفسه إذكرته في نفسي الحديث بطوله ، فهؤلاء تطمئن قلوبهم وتأنس وتسكن من ألم الاشتياق وحرقه الحب ، وقلقه بذكر الله إياهم لا بذكرهم إياه ، ثم نبه تعالى أنه لا يحق الاطمئنان ، وينبغي السكون والأنس إلاّ بذكر الله تعالي لعبده فانه المنقبة العظمى والمرتبة الزلفى كما قال تعالى ، ولذكر الله أكبر ، أي ذكر الله تعالي عبده أكبر وأعظم من ذكر العبد ربه في صلاته وسائر تقرباته ، من حيث إن ذلك أصح دليل على القرب والقبول

(الموقف المائه والستة عشر)

ورد في بعض الأخبار ، ادعوني بألسنة لم تعصوني بها ، إعلم أن لسان العبد وسمعه وبصره وسائر قواه الظاهرة والباطنة هي في نفس الأمر هوية الحق تعالى كما قال تعالى ، كنت سمعه وبصره ولسانه ، الحديث بطوله سواء شعر العبد بذلك أو لم يشعر ، فاذا كان العبد غير شاعر بذلك فانه ينسب اللسان والسمع والبصر وسائر القوى اليه ، فينسب جميع الأفعال إلى نفسه فاذا حصل للعبد كشف وشعور ، نسب الأفعال كلها الصادرة عن القوى في بادي الرأي التي هي هويه الحق في نفس الأمر إلى الحق تعالى لا إلى نفسه ، وحينئذ يكون داعيا باللسان الذي ماعصى الله به وهذا اللسان هو الحق تعالى ماهو اللسان الذي يعصي به العبد ولا يتصور ذلك ، فان العبد لا يعصي إلاّ إذا كان في غير هذا المشهد وهو الفرق الأول ولا يمكن أن يكون الأمر في الخبر للعموم ، فان العموم غير معصومين ولا أن يكون لخصوص المعصومين وهم الأنبياء

فانه تحصيل للحاصل ، ويصح أن يكون ماذكرناه في معني هذا الخبر مرادا في الخبر الوارد «أوحى الله إلى موسى صلى الله عليه وسلم اذكرني بلسان لم تعصني به » والمعصية من موسى عليه السلام محال فيكون أمره بالاحسان إلى أهل هذا المقام بالخصوص فيشكرونه فيكونون شاكرين ذاكرين له تعالى ، به لعلمهم بالحقائق ومصادر الأمور يعني بمعنى كن ، سببا في ذكري بلسان غيرك فمن يذكرني بي وإن كان له معني آخر ذكره أمام العارفين شيخنا محي الدين فانه لا ينافي أن يكون هذا المعنى مرادا أيضا وكذا يصلح أن يحمل على هذا المعنى ما ورد في صحيح البخاري وغيره من وافق تامينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ، فانه ليس المراد من موافقة الملائكة إلا التبري من نسبة الأقوال والأفعال لغيره تعالي ، لا الموافقة في الزمان فانها لا أثر لها سواء كان مشهد المشاهد أن العبد فاعل بالله تعالى وهو الشهود الحاصل من قرب النوافل أو كان مشهده أنه تعالي فاعل بالعبد ، وهو الشهود الحاصل من قرب الفرائض

(الموقف المائه والسبعة عشر)

قال تعالي حكاية عن إبليس قال « فبعزتك لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » اعلم أن الغي هو الضلال عن المقصود ، والاغواء هو الاضلال عن المقصود ، والمطلوب منه ، وبنو آدم في تعرض ابليس لهم ونفوذ ضرره فيهم ، على أقسام منهم من يتعرض له فينفذ ضرره فيه ظاهرا وباطنا وهم عامه بني آدم سواء منهم المؤمن وغير المؤمن ، ومنهم من يتعرض له ظاهرا وباطنا فينفذ فيه ضرره ظاهرا لا باطنا ، وهم الكمّل من الأولياء ورثة الأنبياء فانهم يقبلون ما يأتيهم به من الشر الى الخير ، فيربحون بتعرضه فيجد لذلك غيظا وحسرة وهذا أشد ما يلاقي إبليس من أولياء الله حيث رجع سهمه عليه ،

وعاد وبال فعله اليه ، ومنهم من يتعرّض له ظاهرا لا باطنا لعلمه بأن تعرضه لهم في بواطنهم لا ينفذ لعصمتهم ، وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذا استثناهم بقوله ، إلاّ عبادك منهم المخلصين ، قرئ باسم الفاعل واسم المفعول ، وثمرة هذا الاستثناء وإن حصلت لبعض الكمّل غير الأنبياء فذلك من بركة متابعتهم للأنبياء ، وإلاّ فالمقصود بالقصد الأول هم الأنبياء وعدم تعرضه لهم في بواطنهم بمعنى أنه لا يزين لهم المعصية ، ويحسن لهم المخالفة من حيث لا يعرفونه ، ويعدهم ويمنّيهم كما يفعل مع غير الأنبياء ، لا عدم التعرض مطلقا فإن تعرضه لهم ظاهرا وارد في الكتب الآلهية ، والأخبار النبوية ، من غير أن يؤثر ذلك في مقاماتهم العلية ، وأحوالهم البهية ، وحقيقة المعصية هي فعل محرم وقع عن قصد اليه ، والزلة ليست بمعصية ممن صدرت منه وإن كانت صورتها صورة معصية ، وكل ما ورد من الظواهر في الكتب المنزّلة والأخبار النبوية ، مما يعطي ظاهره نسبة الأنبياء الى المعصيـة فليس هو من المعصية حقيقته في شيء ، وإنما ذلك بحسب مقاماتهم السامية وبحسب ماعرفوه هم دون غيرهم من جلال الربوبية فان قيل فلم أطلق الحق عليهم المعصية قلنـا يصح أن يكون خطابه لهم بذلك لكونهم لما صدر منهم ما صورته غير طاعة نسيانا كما في قصة آدم عليه السلام ونحوها أو يكون الحق تعالى أمرهم في بواطنهم بما يخالف الظاهر كما في قصة يوسف واخوته ، وقصة خضر موسى عليهم السلام ، ونحو ذلك ، أو يكون ما صدر منهم خلاف الأولى والأفضل أو بوجه من الوجوه التي لا يؤاخذ بها غيرهم ، مثل كذبات الخليل وقتل موسى القبطي ونحو ذلك ، استعظموا ذلك وحدّثوا أنفسهم أنهم أذنبوا ببادىء الرأي منهم فخاطبهم الحق حسب حديثهم انفسهم ، فان الوحي غالبا يتبع حديث نفوس

الأنبياء أو يكون الحق تعالى أطلق عليهم إسم المعصية بحسب كون ذلك الأمر غير طاعة فى الظاهر وقربة لاغير، كيف لا والحق تعالى شهد لآدم عليه السلام بالنسيان فقال: فنسي ولم نجد له عزما، اي قصدا المعصية والاجماع، على أن الناسي غير عاص، ولا مؤاخذ فيما بينه وبين الله تعالى ومع هذا قال تعالى: وعصى آدم ربه: فللسيد أن يقول لأعز عبيده ماشاء وليس للعبيد أن يقولوا مثل ذلك القول، فان قيل قد أخبر تعالى فى كتبه وأخبر رسله الصادقون أن الانبياء كانوا يبكون ويتضرعون ويتوبون ويعترفون ويستغفرون مما صدر منهم، قلنا إنما ذلك لكمال معرفتهم بقدر الربوبية، وما يجب لها من الأعظام والاجلال فهم يشاهدون حسناتهم سيئات، إذا نسبوها لما استحقه الألوهية: فكيف إذا ظهر منهم ماصورته غير صورة طاعة ولانهم سمعوا قوله تعالى: ان تنصروا الله ينصركم، أي ان تنصروا الله على أنفسكم فتنسبوها للتقصير فيما يجب عليها من حقوق الربوبية، وانها ماقدرت الربوبية قدرها، ولا وفتها حقها، فلا تعتذروا عنها ولا تنتصروا لها ولا تجادلوا عنها، ينصركم عليها ويجعلها فى قبضتكم وتحت أسركم، فتتصرفوا فيها بحكم الشرع والعقل، ولأن مطمح نظرهم صلوات الله وسلامه عليهم إطلاق الالوهية من حيث أنها لاتقييد عليها، ولا حصر لها، ولا ميزان ولا ضبط، فلهذا لا يأمن مكر الله نبي ولا ولي، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون، وإنما لهم حسن الظن به تعالى ولو كانت لهم معاص وذنوب، كما يقوله كثير من المتكلمين والمفسرين والمؤرخين، الذين ماعرفوا الله تعالى ولا استحيوا منه ولا راقبوه فى أعز عبيده عنده لذكروها يوم القيامة فى ذلك الموقف الهائل، يوم تبلى السرائر، فما ذكر ابراهيم إلا قوله هي أختي، وقوله: فعله كبيرهم، وقوله: إني سقيم، وذكر نوع

دعوته على قومه وذكر موسى قتلهالقبطي، وذكر آدم أكلهمن الشجرة نسيانا، فبالله والمسلمين، فهل هذه معاص وذنوب بالنسبة إلى غيرهم، صلوات الله وسلامه عليهم، فنسبة قرناء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى الأنبياء من حيث بواطنهم،أعني ماعدا حواسهم الظاهرة والباطنة:في المثل قاطع الطريق اذا رأى رجلا شاكي السلاح كامل العدة حذرا، فطنا، يقظا، تبدو عليه سمات الفتك والشجاعة فهو بلاحظه ويحاشيه من بعيد لعلمه أنه لا قدرة له عليه ولا سلطان، فما القرناء الأنبياء من حيث فلو بهم تسلط، وبالجملة فمقام النبوة أسمى من أن يعبّر عنه بعبارة، أو يدرك لغير أهله بذوق، أو بإشارة او ينال بغير الاختصاص الآلهي أو يجادل، أو يستشرف عليه مستشرف أو تطاول، فبدايته غاية أعلى مقامات الأولياء ونهاية الصديقين الأصفياء، والنبوة مهموزة وغير مهموزة من النبأ أوالنبوّة، ومارفعه هذا المقام الراسخ السامي الشامخ بالأنباءعن المغيبات، وظهور الآيات وخوارق العادات، فان هذا قد يكون لغير أهل مقام النبوة، وما انقطع ولا ينقطع الى يوم القيامة،وإعادفعته باختصاص أهله بالعبودية المحضة التي لا تشوبها ربوبية بوجه ولا حال، فكما أن الربوبية كاملة في معناها من كل وجه وحال لا يشوبها نقص فعبودية الأنبياء كاملة في معناها لا يشوبها نقص، فالأنبياء هم العبيد الخلّص وهذه العبودية الخاصة بالأنبياء هي التى سد بابها وختم بمحمد صلى الله عليه وعلى اخوانه وآله وسلم،وانقطع الاتصاف بها، والتطلع اليها، وسد باب العبودية المحض هو الذي قطع قلوب العارفين والصدّيقين لأنهم علموا أنه بقدر تمحيض العبودية يكون منزلة العبد عند حضرة الربوبية، فهما حضرتان متقابلتان، كما قال صلى الله عليه وسلم لأبي طالب، لمّا قال له، يا ابن أخي ما

أري ربك الا مطيعا لك، وأنت يا عمي، لو أطعته لأطاعك، ولما ورد عليّ هذا الوارد وعزمت على تقييده، رأيت في المنام أني أتكلم مع الناس في مقام النبوة فمن جملة ما قلت لهم، إن أجسام الانبياء حيث أرواحهم وأرواح غير الأنبياء حيث أجسامهم، ان أجسام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محكوم لها بحكم الأرواح في الطهارة والصفا، وكمال الطاعة والمعرفة، وعدم التدنس بأحكام الطبيعة المظلمة، وان لا يستها ظاهرا فهي لا حقة بالأرواح لغلبة حكم أرواح الأنبياء على أجسامهم، فهي مغلوبة لها، والحكم للغالب، كحال أهل الجنة في الجنة، ولهذا لما رأى بعض أهل الكشف أهل الجنة، ورأى الحكم لأرواحهم قال، لا حشر الا الأرواح دون الأجسام، وأرواح غير الأنبياء حيث أجسامهم، أي أرواح غير الأنبياء وإن كان أصلها الطهارة والصفا، وكمال الطاعة والمعرفة، فهي محكوم لها بحكم الأجسام لكون أرواحهم مقهورة لأنفسهم، والأمور الطبيعية الظلمانية، ومغلوبة لها، فهي تجري على مقتضى الأجسام والعجب كل العجب من بعض العلماء حيث تجرؤا على مقام النبوة ونسبوا اليه ما نزه الله عنه بعض أكابر الأولياء، فضلا عن الأنبياء، وما تأدبوا بأدب عباد الله تعالى الأدناء، بل بأدب إبليس فانه تأدب معهم حيث قال، الا عبادك منهم المخلصين، لعلمه أنه لا سلطان له عليهم أما أنه أدرك ذلك من فطرته، أو بعد سماع قوله تعالى، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان

(الموقف المائة والثاني عشر)

قال تعالى، قل أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم، اعلم أن الهدى أنواع، كما أن الضلال أنواع، والموصوفون بالهدي والضلال أنواع،

فمهتد، وأهدى، وأعظم هدى، وضال، وأضل، وأعظم ضلال ، فالمهتدى هو الذي حصل على الهداية بالدليل العقلي والبرهان ، والأهدى هو الذي حصل على الهداية بتصديق الرسول والايمان ، والأعظم هدي هو الذي حصلت له الهداية بالكشف والعيان . والضال هو الذي شبه الحق بمخلوقاته تشبيها مطلقا أو نزهه تنزيها مطلقا . وما اهتدى الي الجمع بينهما بمعرفة مرتبة كل واحد منهما ، والأضل هو الذي صور آلهه بصورة محسوسة ، كعابد الشمس والنار والأحجار والملائكة والجن ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى ، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له ؛ والأعظم ضلال هو المعطل للخالق تعالى ، كالدهرية والطبائعية ، على مقتضى أقوالهم ، والا فلا معطل في المعنى وكل مرتبة من مراتب الهدى هي ضلال بالنسبة الى ما هي أعلى منها، فهدى العقل ضلال بالنسبه الي هدي المؤمن بما جاءت به الرسل، وهدى المؤمن بالرسل ضلال بالنسبة الى هدى اهل الشهود والعيان ، فان المؤمن وان عظم إيمانه لا بد أن تنازعه نفسه وتطلب تكييف ما آمن به أو تشبيهه أحيانا ويجد لذلك دغدغة في نفسه ولا يطمئن الاطمئنان الكامل الا بالشهود ، كما أن كل مرتبة من مراتب الضلال هي هدى بالنسبه الى ما هي أشد منها ، فضلال العقلاء هداية بالنسبة الى ضلال من عبد صورة من الصور من نار وشمس ونحوها ، وضلال عابد الشمس ونحوها ، هدى بالنسبه الى ضلال المعطل ولهذا قال ، قل أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، والذى وجدوا عليه آباءهم هو عبادة الصور من الأوثان والأصنام ؛ والذى هو أهدى منه تصديق الرسول فيما جاء به عن الله تعالي فما وجدوا عليه آباءهم هدى بالنسبه الي ضلال المعطل ؛ كما قال تعالى في

الآية الأخرى ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ، فالكل مجتمعون فى الضلال بمعني الحيرة فى طلب الحق تعالي كما ورد فى الخبر وان الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه فما انفك مخلوق أي مخلوق كان حتى المخلوق الأول من الضلال ، بمعنى الحيرة فى الذات العلية ، ولكن الضالين متفاوتون فى الضلال وقال تعالى فى الآية الأخرى : فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، وفى كل نوع من أنواع الضلال والهدي أشخاص لا تكاد تنحصر الاّ للخالق تعالى ، فناقص ، وكامل ، وأكمل ، فى النوعين وما بين ذلك فالكل مهتد من وجه ، والكل ضال من وجه

(الموقف المائه والتاسع عشر)

قال تعالى ، بل هم فى لبس من خلق جديد ، وقال تعالى ، وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ، وقال ، إنا كل شيء خلقناه ، فى قراءة من دفع كل وقال ، لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ، وورد فى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنا من نور ربي والمؤمنون من نوري ، وورد ، أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، إعلم أن الحق تعالى قد أشهدني معاني هذه الآيات والأخبار فى مشهد أقدسي ذاتي من وجه ، قدسي صفاتي من وجه بمثال ضربه لي ، شهدت نورا شبه المنارة ممتدا الي عنان السماء وفى مقابلته شمعة ، شبه المنارة ممتدة الى عنان السماء ومنارة النور متسلطة على الشمعة ومنقضة عليها ، وطالبة لها ، وعند وصول النور بشدته وقوته تنطفىء الشمعة ، فاذا جازت قوة النور وسورته اتقدت الشمعه من أثر النور ثم يندفع النور بقوته وتنطفيء الشمعة ثم تتقد من أثره وبقيته ، وهكذا على الدوام وكنت أعلم حين ذلك الشهود أن الشمعه مثال لحقيقة المحمدية المسماة

بحضرة الامكان وبهيولى العالم وغير ذلك ، فهي تقبل الاضاءة والانطفاء والايجاد والاعدام ، وان منارة النور باعتبار قوتها وسورتها مثال الأحدية ، وباعتبار آخر هي أي الشمعة مثال مرتبة الألوهيـة فالأحـدية بمقتضي حقيقتها تطلب نفي ما يشفعها واعدامه حتي يصح الأحدية الحقيقية وتنتفي الغيرية المجازية فهي تعدم نور الشمعة بظهورها فلا يبقى غير ، والالوهية التي هي مرتبة الاسماء تطالب ظهور آثارها فتتقد الشمعة ، لأن الألوهية هي استتار الذات الأحدية بظهورها بصورة الغير فالألوهية مرتبـة الذات الأحدية لبس لها رتبة العينية ، ولا رتبة الغيرية ، والمخلوقات دائما بين هذين المقتضيين مقتضي الأحدية ، ومقتضى الألوهيـة ، فهي دائما بين ايجـاد واعدام ، وهذا معني الخلق الجديد الذي الناس في لبس منه ، وورود النور بقوته على الشمعة واطفاؤها ثم اتقادها ثم عوده كذلك ، ليس له زمان ولا يظهر له ترتيب الا في التعقل ، والا فزمان هذا هو زمان هذا ، كلمان البرق زمان لمانه زمان انصباغ الهواء به ، وزمان انصباغ الهواء به ، زمان انكشاف الأشياء به ، وزمان انكشاف الأشياء به وزمان تعلق الادراك البصري ووقوعه عليها ، ولا ترتيب بين هذه الأمور في الحس وانما يدرك بترتيبها بالعقـل وهكذا هو الأمر الالهي وهو معنى ، وما أمرنا الا واحد كلمح بالبصر ، وأمره صفته وصفته عين ذاته ، ثم أن النور الذي يوجد في الشمعة باتقادها وينعدم بانطفائها هو عين النور المتوجه عليها بالايقاد والاطفاء ، ماهو غيره إذ حقيقة النورية فيهما واحدة وإنما تعدد بحسب المظاهر والتعين كما يوقد مصباح من مصباح في الحس ، فالمصباح الثاني عين الأول ، ظهر في فتيلة أخري لاغيره ، فهو يوجد نفسه في مظاهر ، ويعدم نفسه في مظاهر ، وهذا معنى ، إنا كل شيء خلقناه

ثم أن هذا الاشتمال المتعاقب على الدوام هو كلمات الله التي لا تنفد ، فانظر الى هذا التعريف ، والمثال المنيف ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الاّ العالمون ، فالامثال لا تضرب الاّ للناس أي الذين فيهم صفة الانسانية لا لمطلق الحيوان ، وما يعقل تلك الأمثلة ويعرفها أنها ليست مقصودة لذاتها ، وإنما هي سلاليم يرقى بها الى المقصود حتى يصير المعقول محسوسا ، الاّ العالمون بالعلم الحقيقي فيعبرون من ظاهرها الى باطنها وهم العلماء على الحقيقة الذين عرفوا أن العلم والعالم والمعلوم عين واحدة ، تعددت أسماؤها لتعدد نسبها لا العلماء الذين يقولون العالم حقيقة والمعلوم حقيقة أخرى غيرها والعلم حقيقة أخرى تغاير العالم والمعلوم وما هو هذا علم ولكنه وهم ، قيل لي في واقعة من الوقائع مطالب علم التصوف هو ما لا يقف التحقيق عند مسألة من مسائله ، بمعنى أن الطالب لمسئلة من مسائله إذا حققها يجعله ذلك التحقق مستعدا لما وراءها ، فاذا تحقق بما استعد له مما وراء تلك المسئلة استعد كذلك ، وهكذا فلانهاية لمسائل التصوف ومطالبه ، دون الذات البحت الغيب المطلق ، وهنالك منتهى العبارات ، ومنقطع الإشارات ، وبحر الظلمات ، ثم بعد إنقضاء هذا المشهد ألقى الحق تعالى اليّ قوله تعالى ، وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، الآية ، يعني أن الحق تعالى لما أدخل من أدخل جنة معرفته ، سقاهم شراب العلم ، الكشف عن الحقائق ، طهورا من قدرات التلبيس والشكوك ، صافيا من دنس الأفكار ، غير مكدر بأوساخ الطبيعة

(الموقف المائة والعشرون)

قال تعالى ، فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، اعلم أن قول الحكماء

وبعض المتكلمين انقلاب الحقائق محال، والأعيان لا تنقلب، ونحو ذلك من عباراتهم ، يريدون أن الجماد لا ينقلب حيوانا مثلا ، لكون الجماد له حقيقة بها هو هو تغاير حقيقة الحيوان التي بها هو هو ، لا يصح وكذا تقسيمهم العالم الى جواهر وأعراض ، وزاد الحكماء المجردات لا يصح إذ من المعلوم ان حقيقة الشيء ما به هو هو، وكل شيء فى العالم أجناسه وأنواعه وأشخاصه إنما هو هو بحقيقة واحدة لا تتعدد ، ولا تتجزأ ولا تتبعض : وهذه الحقيقة مع وحدتها هي المقوّمة لجميع أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه وجزئاته ، والعالم قائم بها ولا يصح انقلاب الواحد بالوحدة الحقيقية لأنه لو انقلب انقلب الي غيره، ولا غير أو ينقلب الى لاشيء وذلك لا يعقل ، فلو كان لكل فرد من أفراد العالم حقيقة تخصه ، وهو مركب من الحقيقة التي تخصه، والعرض لما صح انقلاب العصا ثعبانا مبينا، ولا نحو ذلك من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كانقلاب النار بردا وسلاما، ولاصح قول الحكماء بالشكل الغريب ، فثبت أن العرش وما حوى مما قسّموه الي جواهر واعراض ، ومجردات كله اعراض ، وحقيقته التى بها هو هو واحدة وهى المقومة له وهي لا تدرك على حدتها بشيء من الحواس فوجودها فى الخارج هو وجود الصورة ولا هي داخله فى العالم ولا خارجة عنه وإن هذه الحقيقة تلتبس أعراضا وتخلعها ، وتلبس أعراضا وهكذا على الدوام كما لبست الأعراض التي تخص العصا ثم خلعتها ولبست الأعراض التى تخص الثعبان ثم خلعتها، وهكذا وهي فى حد ذاتها لا تتبدل ولا تتغير عن حقيقتها فهي هي في كل حال ، وهي حقيقة النار التي صارت بردا وسلاما فالنار تحرق بصورتها لا بحقيقتها ، قبلت تلك الحقيقة البرد الذى هو عرض ، كما قبلت الحرارة

والاحراق الذى هو عرض فالحرارة لا تنقلب برودة ولكن الحقيقة التى قامت بها الحرارة لما انعدمت الحرارة قبلت قيام البرودة بها، وهكذا فى جميع الأعراض فالعالم واحد بحقيقته الى بها هو هو مختلف باعراضه، ولا يمكن حمل قولهم انقلاب الحقائق محال على الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأشياء في العلم فانها ما خرجت عن العلم الي العين حتى يتصور فيها الانقلاب ولا أنهم أرادوا بالحقائق أحكام الاستعدادات التى ظهرت بها هذه الحقيقة الكلية المشتركة بين أفراد العالم جميعه، فان هذا ليس من علومهم المقلوبة وكذا قولهم بالاستحالة أعني قولهم، استحال الماء هواء والهواء نار، ونحو ذلك لا يصح، بل هو من غلط ما ذكرنا من خلع الحقيقة الكلية عرضا ولبسها آخر مثله أو ضده على الدوام، فاذا عرفت هذا عرفت ما يزهدك فى علوم العقلاء من الحكماء والمتكلمين، ويرغبك فى علم العلماء بالله تعالى، وهذه المسألة وما شاكلها من الأوليات الضروريات عند القوم رضوان الله عليهم، وقد خطر لى إن كان في العمر سعة تأليف كتاب أجمع فيه ما وصل اليه علمي من غلطات الحكماء والمتكلمين، اسميه الأعلام باغاليط الأعلام، إن شاء الله تعالى

(الموقف المائة واحد والعشرون)

ورد فى صحيح البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم، إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد، ففي الحديث تقديم وتأخير، إذ الحكم مؤخر عن الاجتهاد، فداختلف الأصوليون فى المراد من هذا الحديث الشريف كما هو منقول فى كتب الأصول والذي ورد به الوارد الآلهي أن المجتهد إذا أصاب ما هو الحكم

عند الله تعالي في النازلة ووافق ما في نفس الأمر كان له أجران ، أجر الاجتهاد وأجر الاصابة ، وإن أخطأ ما هو الحكم عند الله تعالى وما وافقها في نفس الأمر كان له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد ، فليست الاصابة إلاّ في الباطن وهي موافقة ما عند الله تعالى في النازلة وليس الخطأ الاّ في الباطن وهو عدم الموافقة لما هو الحكم عند الله تعالى في النازلة وأما في الظاهر فالكل مصيب ، لأن الشارع قرر حكم كل مجتهد ، ولو كان خطأ المجتهد في الظاهر ، قرر الشارع ولما جعله دينا مشروعا يتدين به المجتهد ومن قلده ، ولما كان له أجر بل يكون عليه وزر ، فكل مجتهد مصيب في الظاهر حيث أنه بذل وسعه وأدى ما كلف به في طلب الحكم الحق في النازلة وأما في الباطن فالمصيب واحد لا بعينه من المختلفين وعلى ما قررنا يمكن الجمع بين أقوال الأصوليين إن لم ينقل عنهم ما يدفع هذا الجمع ، وقد أنكر الأستاذ أبو إسحاق القول بأن كل مجتهد مصيب ، فقال القول بأن كل مجتهد مصيب ، أوله سفسطة وآخره زندقة ، وقوله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد الخ أعم في الحاكم المجتهد في الفروع الشرعية : أو الأصول العمليه الاعتقادية ، إذ لا فرق بينهما عند العارفين بالله تعالى ، أهل الكشف والوجود ، فان كل واحد من المجتهدين في الفروع والأصول ، فعل ما كلف به ، وبذل وسعه فوصل الى ما أدّاه اليه اجتهاده ، ولا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، ولا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها ، وقد أنكر عامة أهل السنة والمعتزلة غير أهل الكشف القول بأن كل مجتهد في الأصول الاعتقادية مصيب ونسبوه الى الكفر وقرره العارفون بالله وهو الحق ، وقالوا المجتهد في العقليات إذا وفّى النظر حقه وأخطأ فهو معذور ، يريدون المجتهد نفسه لا من قلده ، ووافق

العارفين بالله تعالى أبو الحسين البصري والجاحظ من المعتزلة

(الموقف المائة الثاني والعشرون)

قال تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة المختار عند التحقق من اجتمع له العلم والارادة والقدرة ؛ وليس ذلك الاّ الحق تعالى فهو المختار ، عالم بمعنى أنه مريد قادر لا بمعنى الاختيار المعروف وهو التردد بين الأمرين ، ثم وقوع الاختيار على أحدهما . فان أحدية المشيئة تمنع من اتصاف الحق تعالى بالاختيار بهذا المعنى،ثم أخبر تعالى بنفي الخيرة اسم في الاختيار عن كل ما سواه ، بمعنى أنه لا تصح ولا تستقيم ولا تكون لهم ذلك ؛ لأن عطف الاختيار على الخلق مشعر بأن الذي يخلق هو الذي يختار ، وليس ذلك الاّ الحق تعالى ، فانه الذي له الخلق والأمر ومن لا يخلق لا يصح له الاختيار فمن يخلق كمن لا يخلق ، والاختيار المنفي عما سوى الحق هو الاختيار الثابت للحق تعالى ، لا الاختيار الذي هو ضد الجبر ولا انهم مجبورون على الاختيار ، ويحتمل أن يكون المراد نفي الخيرة عنهم من حيث مصلحتهم ، أي ما كان ينبغي لهم من جهة مصلحتهم أن يختاروا فانهم العجز الجاهلون بالمصالح،فقد يختارون ما فيه هلاكهم من حيث لا يشعرون؛وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، وأقل ما فيه من الشر سوء الأدب بعدم التفويض ومشاركة الحق تعالى بالاختيار الذى هو خصيص به فكان اللازم المتعين على الناصح لنفسه أن لا يختار شيئا وإن ظهرت له خيرته فى الأمور الدينية غير المتعينة والدنياوية بل يفوّض الخيرية الى العالم بالأشياء وبعواقبها فلا يسأل من الله تعالى إلاّ ما يعلمه الله خيرا ومصلحة ولذا قال بعض العارفين، الفقير ليس له الاّ الله حاجة، يعني على التعيين لجهله بما هو خير له ، وقال بعضهم ،

كل داع غير مفوّض فهو مستدرج هذا لسان الظاهر والعموم، وأما لسان التحقيق والخصوص، فهو ان الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء الآلهية هي المختارة بمعنى الطالبة لما يفعله الحق تعالى بها فلا تطلب غيره بل لا تقبله، فاختياره تعالى لا يكون إلاّ لما اختارته وطلبته باستعدادها، فالرب المضاف الى المخاطب وهو السيد الكامل صلى الله عليه وسلم هو الرب الجامع يخلق مايشاء ولا يشاء إلاّ ما علم وما علم إلاّ مااختارته الاعيان الثابتة ومااختارت الا ما هو في حقيقتها واستعدادها بحيث لا تقبل غيره ان لو فعل بها ولا يفعل فان الحق تعالى حكيم يضع كل شيء موضعه اللائق به، ويختار مااختاره ومحال أن يختار غير ما اختارته ما كان لهم الخيرة من حيث أعيانهم الظاهرة المحسوسة فانها جاهلة محجوبة عن استعدادها وعما هي طالبة له على مقتضى حقيقتها ولا يخلق تعالى الا ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الاّ ماعلم وماعلم الاّ ماهو المعلوم عليه في حقيقته ومقتضاه باستعداده والمعلوم لا يتبدّل ولا يتغير عن حقيقته اذ لو تبدل وتغيّر لا نقلب علمه تعالى جهلا وذلك محال، فليس للخالق تعالى الاّ الخلق وهو اعطاء الوجود الأحوال التي طلبتها الأعيان الثابتة باستعدادها، أي عين كانت فما حكم عليها الاّ بها ولا أثر لما يسمى مشيئة واختيارا الاّ من حيث أنه تعالى غير مكره ولا ملجأ بمعنى أنه لا يفعل شيئا وهو كاره له غير مريد، ولا مختار، فلا اختيار لأن سبق العلم بالفعل والترك ينافيه ولا اضطرار ولا جبر، لأن الفعل بالارادة ينافيه فالاختيار محال، والجبر بمعني الاكراه من الغير محال، ولعل خفّاشا لا يقدر ببصره على إدراك شمس الحقيقة، يقول إنك نفيت عنه تعالى ما أثبته لنفسه من المشيئة والاختيار، ووافق على ذلك التقسيم العقلي عند العقلاء فانهم قسّموا الفاعل

الى فاعل بالاختيار وهو الذي يتأتّى منه الفعل والترك، وليس ذلك الاّ الحق تعالي، والى فاعل يتأتى منه الفعل دون الترك، ولا يتوقف على وجود شرط ولا انتفاء مانع، وهو الفاعل بالعلة، والى فاعل يتأتّى منه الفعل دون الترك، ويتوقف على وجود شرط وانتفاء مانع، وهو الفاعل بالطبع، فأقول، من تغلغل في الحقائق، واستظهر ظواهر الطرائق، علم أن الأعيان الثابتة التي قلنا أنها الطالبة من الحق باستعدادها ما يفعله بها، هي صور الأسماء الآلهية، والأسماء الآلهية صور الذات العليه ومراتب تجلياتها، إذ الاسماء معان لاقيام لها بنفسها، ويكفي هذا النزر القدر لمن يتبصر، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

(الموقف المائة والثالث والعشرون)

قال تعالى، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين، وقال، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، وقال، لنعلم أي الحزبين أحصي، ونحو ذلك مما يشعر بحدوث العلم وتجدده فاعلم أن الوصول الي فهم هذا يحتاج الى اسهاب فلذلك نقول إن الحق تعالى في هوية ذاته الغيب المطلق وباعتبار الذات البحت لايحكم عليه بشيء لا بوصف ولا اسم، لاعلم ولاغيره، لأن ذلك يقتضي التعين ومهما نعقل له علم جاءت الكثرة الي عالم ومعلوم وعلم وكانت النسب الآلهية والكونية قبل تعقل، تعلّق علمه بذاته مستهلكة مندمجه في الذات لاتميز لها عن الذات ولا عن بعضها، إذ هو مقتضي الأحدية الحقيقية، فلما مالت الذات الي الظهور والتميّز، بميل هو عين ذاتها لا بتخلل صفة تعلق علمها الذي هو عين ذاتها بذاتها وهذا العلم هو أول التعينات، والتنزّل من الغيب المطلق فتميزت الحقائق الآلهية والكونية تميّز المفصل في المجمل، ولهذا نقول علم الحق تعالي

في هذه الحضرة إجمالي ولا محذور فيه ، لأن المعلومات حينئذ جملة واحدة وبهذا يسمى هذا التعيّن بأحدية الجمع ، فالعلم المضاف اليها يسمى علما إجماليا ولو قيل العلم المتعلق بهذه الحضره أعني حضرة الوحدة علم تفصيلي للزم الكذب والعلم لا يوصف بالتفصيل والاجمال، لأنهما من لوازم الكم وعوارضه ، فصار هذا العلم النفسي الاجمالي الذي هو عين الذات للذات ، ولما هو مستهلك ومندمج فيها من الحقائق المعلومة بمثابة مرآة ارتسم فيها ماقابلها ، ولله المثل الأعلى ، ويسمى هذا العلم والتعين بنفس الرحمن وبباطن العلم ، ويتعلق بما لا يتناهى لأنه عين الذات الذي لا يتناهى ، وهو تابع للمعلوم رتبة لا ترتيبا ، إذ الذات من وجه تسميتها معلومة متقدمة على نفسها من وجه تسميتها عالمة ، وليس هناك استرسال كما قال إمام الحرمين، ولا حدوث تعلق كما قال الفخر الرازي ، وإنما هو تأخر ذاتي لا زماني ، وربما عبّر عن هذا التأخر بالحدوث ثم ان هذه المرآة العلميه الذاتية قابلها العدم، لأنه ليس في مقابلة الوجود شيء إلاّ العدم، فارتسم في المرآة العلمية في العدم ؛ فصار العدم بما ارتسم فيه بمثابة مرآة ثانيه وهذه المرآة العلميه الغير الذاتية الثانيه تسمى بالحضرة العمائية ، وبظاهر العلم ، ولها أسماء كثيرة ، وهذا العلم لا يتعلق بما لا يتناهى لأن تعلقه بالمعلومات هو نفس وجودها فيه الوجود العيني وكل ما دخل الوجود فهو متناه والمعلومات تابعة لهذا العلم لأنها حكاية عنه وظل له ، فالعلم تابع للمعلومات في ثبوتها العدمي والمعلومات تابعة للعلم في وجودها العيني من غير تعدد للعلم ولا حدوث تعلق ، فأما العلم الذاتي الاجمالي فالذات هي العالمة من وجه ، وهي المعلومه من وجه وهي العلم من وجه ، فأما كونها عالمة فهو أن الانكشاف حاصل لها لا لشيء زائد عليها وأما كونها معلومة فلأنها مع ماهو مستهلك فيها

من الحقائق منكشفة لذاتها وأما كونها علماً فلأن الانكشاف حصل بها لا بشيء زائد عليها، ومن المعلوم أن حقيقة كل شيء أي ما يصح أن يعلم هي نسبة معلوميته في علم الحق تعالى من كون علمه عين ذاته، فذاته أعطته العلم بمعلوماته التي هي عين ذاته في مرتبة التعيّن، والعلم الأول، فعلمه بذاته هو عين علمه بمعلوماته من العالم فليس علمه بذاته مغايراً لعلمه بالعالم إذ ليس إلاّ هو تعالى فلو قلنا المعلوم تابع للعلم في هذه المرتبة لزم تقدم العلم على الذات رتبة وفيه ما لا يخفى فإن قلت الحق أخذ معلوماته عن وجود صدقت لأن جميع معلوماته هي شؤون ذاته ونسبه الذاتية، وإن قلت الحق أخذ معلوماته عن عدم، صدقت لأن معلوماته قبل تعقل تعلق العلم الذاتي كانت معدومة في العلم والعين، ولها صلاحية التعيّن في العلم والعين بمعنى أنها مستعدة لأن تظهر لها صور متعددة، وقد قال امام العارفين قدوتنا محي الدين، ان معلومات الحق تعالى أعطته العلم من نفسها، واعترض هذا القول العارف الكبير عبد الكريم الجيلي بما نصه، لما رأى الامام محي الدين الحق، حكم المعلومات بما اقتضته من نفسها ظن أن علم الحق مستفاد من اقتضاء المعلومات، وفاته أنها إنما اقتضت ما علّمها عليه بالعلم الأصلي الكلي النفسي، قبل خلقها وإيجادها، فإنها ما تعينت في العلم الآلهي إلاّ بما علمها، لا بما اقتضته ذواتها، ثم اقتضت ذواتها بعد في نفسها أموراً هي عين ما علّمها عليه أولاً، فحكم لها ثانياً بما اقتضته، وما حكم لها إلاّ بما علمها عليه اهـ، وليس لمثلي أن يتتبع سهو الأكابر، فإن كنت أيها الناظر ممن يعرف الحق عرفت أهله لا محالة، وإن كنت مقلداً فليس كلامي معك، وفي حقيقة الأمر لا اختلاف بين الشيخين عند من يعلم، وفي اثناء كتابتي بهذا الموقف ألقي عليّ في الواقعة قوله تعالى، فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن

لا يسجدون ، وألهمت ان الوارد يثير إلىّ توبيخ من لا يصدق بكلام الامام محي الدين وإن كلامه من عنده تعالى كما قال في الفتوحات ، ما وضعت كلمة إلاّ بالقاء روحاني في قلب كياني أو كما قال ، فيجب الانقياد لكلامه والخضوع لمعارفه فانه الوارث الكامل رضي الله عنه

(الموقف المايه والأربعة والعشرون)

قال تعالى ، أم حسبت أن أصحاب الكهف ، إلى أن قال ، لو اطلعت عليهم لولّيت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا، اعلم أن قصة هؤلاء الفتية وكراماتهم الظاهرة ، وخوارقهم الباهرة ، كانت عند الأمم السابقة ، والأجيال الخاليه ، من أعجب الأحاديث ، تناقلها الأخباريون وعنعنها المحدّثون فلما سأل اليهود عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال استعظام واستكبار لكراماتهم الدالة على عظيم رتبتهم عند الحق تعالى ، في زعم السائلين وغيرهم من الناظرين إلى ظواهر الأمور، فصّ الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قصتهم وشرح ظاهرا وباطنا حالتهم ، وبين له مقامهم ومرتبتهم فقال ، أم حسبت ، هو استفهام بمعنى النهي ، أي لا تحسب كحسبانهم ، ولا تعجب كتعجبهم ، فانهم ظنوا أن هؤلاء الفتيه كانوا من أعجب آياتنا وأغرب مافي قدرتنا ، لظنهم أن خوارق العادات أكرم ماتكرم به أهل كرامتنا لمن ظهرت له أو فيه ثم أخبره أنهم آمنوا بوجود ربهم ووحدانيته ، وانه زادهم هدى بالثبات والطمأنينة ، وليعلم أن إيمان هؤلاء الفتية إنما كان بنور عقلي ، واستدلال نظري ، فانهم ما كانوا تحت رسالة رسول ، والايمان العقلي وإن جلت رتبته ، وعظمت منّته بالنسبة إلى عدمه ، فصاحبه ضال عند ذوي الشريعة، أعمى لدى صاحب البصيرة ، إذ العقل بمجرده قاصر عما يجب

لله تعالى من إطلاق التجلي في المظاهر ، عاجز عن تنزيهه تعالى عن الدخول تحت تحكمات العقول وتقيداتها له تعالى ، فان للعقل حدا يقف عنده من حيث هو عقل ونهاية لا يتعداها وإنما شرف العقل وكماله ، هو قبوله لما تأتي به الرسل عليهم السلام من ربهم ولما يفيضه تعالى على اتباع الرسل بواسطة ملك الإلهام وغيره ، ولا حد ولا نهاية للعقل يقف عندها من هذا الوجه ، والوصول إذا اطلع على ما يخالف ما عنده من الحق نفر وفر باطنا ، ولو ثبت ظاهرا أو فر ظاهرا أو باطنا ، كما فعل موسى عليه السلام مع كونه جازما لحقيقة ما فعله الخضر عليه السلام ، لاعلام الله إياه بأنه أعلم منه ، ومع ذلك ما قبله وما فارقه وهو فرار في المعنى ، وفي الصحيح كانت الثالثة من موسى عمدا وأخبره الخضر أول لقيه أنه لا يستطيع معه صبرا ، ومن لم يستطع الصبر فر ، فأخبر الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في أثناء قصتهم بحالتهم الباطنة وأنه لو اطلع على ما في بواطنهم مما يقضي اليه الايمان العقلي عند مشاهدتهم لفر منهم ، وتباعد عنهم ، لما ذكرنا ولملىء منهم رعبا ، فانهم مع هذه الكرامات العظيمة والخوارق الجسيمة المعروفة من اخبارهم ما كانوا في رتبة الأكملية ، ولا بالمنزلة الزلفى لدى الحق وهذا أدل دليل على أن الكرامات وإن جلت ما هي على الأكملية والأقربية دلالات ، ولا هي مخصوصة بذوي العنايات ، فليس كل من ثبت خصوصية ، كل خاصية ، ولا كل من حصلت له الكرامة ، كملت له الاستقامة ، وحينئذ فليس فراره صلى الله عليه وسلم الا من نقصهم بالنسبة لمقامه السامي لما عنده من العلم بالله تعالى مما هم على خلافه . ولامتلاؤه رعبا من الحق تعالى اسباب اطلاعه على بواطنهم الا من كونه تعالى يعطي الكرامات وخوارق العادات لمن ليس بذلك ، ومطلق العارف يزيده الاطلاع على قصة

هؤلاء الفتية اضطرابا وعلا قلبه رعبا وظاهره وباطنه مهابة بل يفتت كبده ويحرق قلبه، ولبس المراد فراره ورعبه من عظم خلقتهم وتشويهها، ونحو ذلك مما قالوه جمهور المفسرين فانه بعيد جدا وهذا المفتوح عليه المكاشف يشاهد أنواعا من المخلوقات العظيمه التي لا توصف، يشاهد من الملائكة أنواعا منهم جسم واحد وله عدة رؤوس وكل رأس له عدة ألسنة، وكل لسان له لغة، ولا يهوله ذلك ولا يروعه، فكيف بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي آراه الله الآيات الكبرى وما زاغ بصره وما طغى، ومشاهدة أصحاب الكهف دون الآيات الكبرى بيقين والله أعلم وأحكم، وقد كان سأل بعض، من هو الصوفي العلامة الشيخ محمد الخاني النقشبندي يعز علي عن الآية فما كشفت له الى أن ورد علي في الواقعة قوله تعالى «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» وقوله «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات» فامتثلت الأمر، وعلمت أن السائل مستحق لما سأل عنه، والله يرزقنا حسن الأدب معه ومع مخلوقاته بمنه وفضله

(الموقف المائة خمسة وعشرون)

قال تعالى «أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور» القبور هي الأجسام الآدمية، فانها قبور الأرواح إذ كل من ستر شيئا فهو قبر له، ومنه قبر السيف غمده؛ وبعثرتها هو اخراج ما فيها وإظهاره بعد الموت أعم من حالة البرزخ، وحالة البعث والنشور وذلك تمييز ما فيها من الأفعال الخيرية والشرية عن الأجسام وعن بعضها بعضا، فان لكل عضو فعلا خاصا من يد، ورجل، ولسان، وسمع، وبصر، وفرج، وبطن، ولكل فعل من أفعال هذه الأعضاء صورة خاصة يتصور بها في البرزخ وفي يوم القيامة، فيتصور

فعل الأذن آنكا يصب في الأذن . ويتصور فعل البطن نهرا من دم يسبح فيه، و كلما أراد أن يخرج ألقم حجرا، فيلقمه بفيه، ويتصور فعل الفرج تنورا يتوقد نارا ويتصور فعل اللسان كاويا يحزحز به شدقه الى قفاه ، والكنز يتصور بصورة شجاع أقرع ، له زبيبتان يأخذ بلهزميته يقول أنا كنزك ، كما ورد في الصحاح ونحو هذا، وهذه الأفعال كانت في الحياة الدنيا أعراضا قائمة بالأجسام العاملة ، وأوصافا لها وهي بعينها تصير بعد الموت أجسادا برزخية مثالية يتنعم بها العامل أو يتعذب، قال تعالى ، ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ، وقال ، سيجزيهم وصفهم ، ففي الحياة كانت الأفعال وصفا للفاعل وعرضا قائما به وبعد الموت تستخرج هذه الأوصاف وتتميز عن العامل وتصير أجسادا ذات صور كما تتصور المعاني صورا في الرؤيا كالعلم في صورة اللبن، والدين في صورة الثوب، وبعد البعث تصير هذه الصور المثالية أجساما محسوسة لأن الحقائق تظهر في كل موطن بحسب ذلك الموطن فلا تظهر المعاني متجسدة متصورة بصورة في الموطن الدنيوي إلا في الرؤيا أو لصاحب كشف، ويختص برؤيتها النائم والكاشف دون الحاضرين معه، وكذا الأعمال الصالحة والسيئة في البرزخ وهي بعينها تظهر بعد البعث في موطن الآخرة أجساما محسوسة يدركها كل مدرك لا يختص بها صاحبها فهي حينئذ صور وقصور ومشتهيات ، وحصل ما في الصدور ميز ومنه تحصيل المعدن وهو تمييز الذهب أو الفضة من التراب والصدور هي القلوب مجازا وفيه مجاز آخر بحث عنه ، وما في القلوب هي النيات والمقاصد فرب عامل يقول بلسانه أعمل لله تعالى ، وقصده ونيته غيره تعالى ، ذلك يوم تبلى السرائر يميز خبيثها بالتصفية كما تبلى الفضة بالنار فلا يقبل قول ولا عمل إلا بنية صالحة وقصد

صحيح ، انما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوي، فلا تقبل حيلة ولا تروج بهرجة فى ذلك الموطن. قال البخاري رضي الله عنه في الصحيح، باب ترك الحيل ، وساق الحديث المتقدم النص الصريح فى ابطال الحيل على الله تعالى ، وإنها لا تنفع فى الدار الآخرة، والعجب كل العجب من الفقيه الذي يقول بسقوط فرض الزكاة عنه اذا وهب ماله لزوجته قرب الحول فرارا من الزكاة ويتوهم أن هذا ينفعه يوم القيامة ، بالله وبالمسلمين أيخادع مؤمن ربه، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، لا والله لا تصدر هذا إلا ممن يقول أنه يعلم إذا جهرنا، ولا يعلم اذا أسررنا، فأنزل تعالى، الا انهم حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ، نعم إن هذه الحيل تسقط عقوبة الدنيا ومطالبة السلطان الذى لا يعلم الا الظواهر ولا يحكم الا عليها ، فأما السلطان الأكبر الذى يعلم السر وأخفى ، ويحكم على البواطن والظواهر، فهيهات هيهات أن تسقط مطالبته بالحيلة والمخادعه. ولو كان هذا المتحيل على الله تعالى عمل ما عمل على اعتقاد الحرمة والمعصية، لكان خيرا له وأولى به، فانه ترجى له التوبه والاستغفار إذ فى اعتقاد حرمة الشيء مع فعله على أنه حرام، خير عظيم وأجر كبير ؛ وإني أنزه الامامين أباحنيفة والشافعي رضي الله عنهما، أن يقولا باسقاط مطالبة الحق تعالى فى الآخرة بالحيلة هذا بعيد عن أئمة الهدى بل أتيقن أنهما ما قالا الا باسقاط مطالبة حكام الدنيا فقط ، ولهذا قال المحققون من الشافعية كالغزالي رضى الله عنه أن الشافعي يحرم استعمال الحيل فى الأحكام وقد رأيت فى الرؤيا أني أتذاكر مع جماعة فى الفقه والفقهاء وما أحدثوا واستنبطوا من الحيل في التوصل الي الأغراض، وشهوات القلوب المراض ، فقال واحد من الجماعة ، هذه أقوال أهل

الكشف العارفين بحقائق الأشياء ، المطلعين على بواطن الأحكام ، ليس فيها شيء من هذه الحيل، وهذا مشارق الأنوار، يعني كتابا كان بين أيدينا، ليس فيه شيء من هذا ، فقلت أنا وهذه سنة النبي المختار ليس فيها شيء من هذا وهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليس فيه شيء من هذا ، فقال بعض الجماعة ، ليس في العلوم علم أبعد من الله من فقه هؤلاء المتحيلين على الله تعالى الذي يعلم سرهم ونجواهم

(الموقف المائة والسادس والعشرون)

روى مسلم في صحيحه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال ، أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة،وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة ، وفي روايه ، حتى استغفر الله ، وقد تكلم الناس على هذا الحديث في القديم والحديث ، من علماء الشريعة وعلماء الحقيقة ، وكل واحد أنفق بحسب وسعه وماله ، وأنبأ عن استعداده وحاله ، وقال العارف الكبير سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث ، فقال لي يامبارك هو غين أنوار لا غين أغيار ، ولم يزد شيئا وأنا أشرح بعض مادلت عليه هذه الجملة التي هي من جوامع الكلم ، ولباب الحكم ، وأما استيفاء مادلت عليه على الكمال والتمام ، فلا تسعه مجلده ولا مجلدتان فأقول ، الغين يطلق على الرين وعلى مايغشى القلب من الشهوات وعلى التغطية والمراد هنا المعنى الأخير، أخبر صلى الله عليه وسلم أن أنوار القرب الموجبة للفنا بالمشاهدة والمحق كانت تغطي قلبه الشريف تغطية لائقة ومناسبة لمقام النبوة بحيث لا تخل بأقل القليل مما يطلبه الحق أو الخلق ، والمراد بالقلب هنا العقل فانه المدبر للمملكة الانسانيه ، وبه يكون القيام بحقوق الخلق والحق ، فاذا غطى

عليه لم يبق هنالك شعور بغير ، لا من نفسه ولا من غيره ، ولا إدراك لرسالة ولا لمرسل اليهم ، فانه في هذه الحالة تنتفي الغيرية وتزول الأثنينية ، فيتحد المطلق بالمقيد ، فاذا رجع صلى الله عليه وسلم من هذه التغطية الموجبة لعدم شهود العبوديه يستغفر الله تعالى أي يطلب منه الستر والحيلولة عن ذلك ، لأن هذه الحالة ربوبية محضة لا تشهد فيها عبودية ، وهي الوقت الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ، لي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، يعني لا يتسع لمعرفتي رسول ولا ملك ، لأنه حالتئذ ذات محض مطلق عن القيود الخلقية ، والانحصارات البشرية ، لا يشار اليه بالنظر الى تلك الحالة باسم ، ولا وصف ، ولا رسم ، وفي رواية لا يسعني غير ربي ، وهذا كان له صلى الله عليه وسلم في بداية أمره فكان يطلب الستر عن ذلك ، لأنه صلى الله عليه وسلم علم الحكمة في إيجاد هذا الوجود ، وإنه تعالى ما أوجده في صورة المغايرة الاعتبارية إلا ليعرفه فيعبده ، لأنه تعالى لا يعبد نفسه من حيث هو هو من غير مغايرة إعتبارية ، ولأنه تعالى أحب أن يرى ذاته في صورة غير ، لأن رؤيته نفسه في نفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في غير ، ولا غير إلا بالاعتبار الذي هو عدم في نفسه ، وعرف صلى الله عليه وسلم ان الدار دار محنة وتكاليف لا تصلح لهذه الأحوال ولا للظهور باوصاف الربوبية لا قولا ولا فعلا ، لضيقها وللتحجير الواقع فيها ، ولما يقتضيه الجسم الطبيعي من الحصر والتقييد ومقتضيات الطبيعة بخلاف الآخرة فانها لسعتها ورفع التحجير فيها وعدم الحصر والتقييد الطبيعي لأنه نشء آخر تكون التظاهر فيها بأوصاف الربوبية ودوام الرؤية له تعالى والمشاهدة والمحق ، فلكماله صلى الله عليه وسلم بالعلم الذي ما ناله مخلوق غيره أحب

أن يعطى كل موطن حقه ويتظاهر فيه بما يقتضيه فالكمال والشرف في هذه الدار إنما هو الدؤب على القيام بوظائف العبودية ، وأداء مايجب للربوبية ، فانه تعالى ماخلق الجن والانس إلاّ ليعبدوه ، بعد معرفتهم به تعالى لاسيما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانهم زيادة على ماكلّفوا به في خاصتهم مكلّفون بأداء الرسالة وتبليغ الأمانة إلى أممهم ومداومة ملاحظتهم بارشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم ، فليس الكمال إلاّ بشهود ربوبية وعبودية في آن واحد ، حق وخلق ، من غير تخلل فتور غائب حاضر ، لا الجمع يحجب عن الفرق ولا الفرق يحجب عن الجمع ، شرب فازداد صحوا ، وغاب فازداد حضورا ، كائن بائن ، قال إمام العارفين شيخنا محي الدين

فليس الكمال سوى كونه فمن فاته ليس بالكامل

ويا قائلا بالفناء اتئد وحوصل من السنبل الحاصل

ولاتتبع النفس أغراضها ولاتمزج الحق بالباطل

يريد ليس الكمال سوى شهود خلق قائم بحق لافنا حرف ، فان الاستهلاك فى الحق بالمشاهدة والفنا ، والمحق عدم حرف لاشعور فيه بعبوديه أصلا ، فهو تضييع للوقت الذي لو اشتغل فيه الفاني بالأعمال الصالحة والمجاهدة لزادت مشاهدته ورؤيته للحق تعالى في الدار الآخرة ، التي هي محل الرؤية وموطن المشاهدة والتظاهر بأوصاف الربوبية ، ورفع التكاليف والخدمة ، ولهذا أنف الأكابر من المحققين بالوراثة المحمدية من هذه الأحوال التي تحول بينهم وبين شهود العبودية ، ومن التظاهر بصفات الربوبيه ، وطلبوا الترقي عن ذلك بدوام شهود العبودية ، والافتقار والعجز الذي يرجع اليه كل ممكن عند نظره إلى أصله ومرتبته الإمكانية ،

وإذا أنف الكمّل من الورثة التابعين من هذا فكيف بالأنبياء ، فكيف بسيد الأنبياء وأكملهم صلى الله عليه وسلم وعلى اخوانه وآله ، فعلم مما قدمناه أن زمان الفنا بالمشاهدة عن المخلوقات ، زمان ترك عبودية يفوّت مقامات عظيمة من مقامات الأدب بل مقامات الآخرة في الرؤية والمشاهدة الخالصة عن كل شوب ، وإن الدنيا سجن المؤمن ، سجنه فيها الملك الحق تعالى ، ومن طلب الملك يأتيه في السجن حتى يراه ويشهده فقد أساء الأدب ، بخلاف الآخرة فانها دار الملك لاسجنه ، والحاصل أن الكمال الذي هو مقام النبوة ، هو الاعتدال وهو القسطاس المستقيم الذي أمر الحق تعالى عباده بالوزن به ، فمتى غلب النور الذي هو الحق على الظلمة التي هي الخلق زال الاعتدال ، فزال الكمال ، وذلك غير لايق بمنصب النبوة الأسني ، فاستغفاره صلى الله عليه وسلم إنما كان خوفا من غلبة النور على الظلمة فطلب البقاء على الاعتدال دائما ليؤدي كل ذي حق حقه فان الظلمة الطبيعية لها شرف عظيم لأداء العبودية عند شهودها

(الموقف المايه السبعة والعشرون)

قال تعالى خطابا لعائشة وحفصة رضي الله عنهما ، وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، قال إمام العارفين شيخنا محي الدين ما معناه ، لقيت بعض العارفين فقلت له إن الله تعالى يقول ، ولله جنود السموات والأرض ، والجنود لايحتاج اليها إلا لمقابلة عدو عظيم ، ومن هو هذا العدو العظيم المضاد له تعالى ، حتى يحتاج لمقابلته بجنود السموات والأرض ، قال فقال لي ، ألا أدلك على أعجب من هذا ثم تلا ، وإن تظاهرا عليه ، الآية ، قال فازددت اعجابا وما عرفت السر

الذي كانت به هذه القوة لعائشة وحفصة حتى خاطبهما الحق بهذا الخطاب المبين لعظيم قوتهما ، فسألت الله تعالى كشفه فكشفه ، اهـ ، وما كشف الشيخ رضي الله عنه هذا السر ولما وقفت على كلام الشيخ هذا تعلقت همتي بكشفه فكشفه الحق تعالى لي مناما ، فأخبرني أن هذه القوة الحاصلة للمرأتين إنما كانت للمشابهة بحضرة الانفعال ، وهي الحضرة الامكانية وزادا على ذلك بكونهما مظهرين كاملين للحقيقة الفعلية الوجوبية لكمالها الانساني لجمعها بين حضرتي الفعل والانفعال ، لجنس المرأة لما كان محلا للتكوين كان أقرب الى المكون ، وان حضرة الانفعال لها شرف عظيم ، وفضل فخيم ، وقدر جسيم ، من حيث أن حضرة الفعل والوجوب والتأثير إنما ظهرت بها وتعينت بسببها ، فلو كانت هذه الحضرة غير قابلة للانفعال والتأثير ما حصل تأثير أصلا ، ولا كان لحضرة الفعل والوجوب ظهور ، ألا ترى العدم المطلق وهو المستحيل ، حيث ما كان قابلا للانفعال والتأثر ما حصل فيه تأثير ولا كان لحضرة الفعل والوجوب به ظهور ، فهذه الحضرة الانفعالية التي هي مظهر للحضرة الفعلية الجامعة لجميع الأسماء والصفات على الاجمال والتفصيل ، لا تقابلها إلا الحضرة الجامعة للأسماء والصفات على الاجمال والتفصيل ، وهي الاسم الجامع الله . وحضرة التفصيل وهي جبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة جميعهم ، ولانكشاف هذا السر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حبب الي من دنياكم ثلاث النساء ، يعني حببهن الله الي بكشف هذا السر الذي فيهن وما قال أحببت ، فيكون حبه لهن كسائر الناس من أهل الحب الطبيعي والميل الشهواني ، وقال سيدنا محي الدين ، كنت أبغض الناس للنساء مدة ثماني عشر سنة والآن انا أشد

الناس حبا لهن وما ذلك إلا لانكشاف هذا السر له رضي الله عنه

(الموقف المائة الثامن والعشرون)

قال تعالى ، فاذكروني أذكركم ، وقال تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح ، أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا مع عبدي إذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، إعلم أن الحق تعالى له الأولية الحقيقية والآخرية الحقيقية ، وإن كانا اسميها إضافة لأنه تعالى لا يتصف بالحوادث فكل ما وصف به تعالى فهو قديم بالنسبة اليه تعالى وإن كان حادثا بالنسبة الينا ، وهذه المسئلة مسئلة خلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، والحق أن جميع أسماء الله تعالى لها وجهان ونسبتان كما ذكرنا ، وأما أوليته تعالى وآخريته فهي نسبتان عنى ما وصف هذا المخلوق بالأول إلا بالنسبة لما بعده ولا وصف الآخر إلا بالنسبة لما قبله فالحق أول من حيث ما هو آخر ، وآخر من حيث ما هو أول . فآخريته عين أوليته وأوليته عين آخريته ؛ ومع هذا فقد يعطى الحق تعالى وصف الأول باعتبار تعين ، ويعطي حكم الآخر باعتبار تعين آخر ، إذا كان أحد المعينين شرطا أو سببا ، والآخر مشروطا أو مسببا ، فلابد حينئذ في وصف التعين إذا كان شرطا أو سببا بالأولية ، ومن وصف المعين إذا كان مشروطا أو مسببا بالآخرية ضرورة تقدم الشرط والسبب على المشروط والمسبب ، كما في هذه الآية والخبر ونحوهما فذكره تعالى لهم من حيث التعين الكائن مسببا ومشروطا ، وذكرهم له بالتعينات الجزئية السببية والشرطية ، في ذكره لهم ، وأما ذكره لهم تعالى وذكرهم له في المرتبة العلمية فليس هنالك تقديم ولا تأخير ، ولا أولية ولا آخرية ، ولا سبب ولا شرط ، لأن الماهيات في الحضرة العلمية عين الذات الأحدية

بالوحدة الحقيقية : والأوليه والآخريه ، إنما هي في هذه المرتبة التي يقال فيها وجود عيني : فهو تعالى يذكر عبده بالثناء عليه ، أما باسم كلي أو نوعي أو جزئي ، على حسب العنايه بالعبد الذاكر ، قلت مره يارب إني أعلم انك تذكرني بخبرك الصادق ، فهل تذكرني باسم وثناء عام أو خاص فتبينى ، وألقى علي قوله ، وقرآنا فرقناه ، فلما رجعت إلي الحس حمدته تعالى وعلمت أنه يذكرني باسم عام جامع لأنواع من الثناء لأن القرآن الجمع فاذا تفصل صار فرقانا ، وكنت ليلة أذكر الله ويقربي كاب لا يزال ينبح الليل كله فقلت له في نفسي يا كاب أنت أغلق صاحبك بابه دونك وأنا أغلقت حضرة مولاي دوني ، فالقى علي في الحال ، لا تقل هذا واحمد الله تعالى علي أن دعوناك لمجالستنا والخلوة بنا ، أما علمت أني جليس من ذكرني ، على أنه تعالى الذاكر والمذكور في مرتبة الجمع وأنه الشرط والمشروط ، والسبب والسبب ، ولذا قال بعض سادات القوم رضى الله عنهم : الذكر حجاب ، يعني مادام الذاكر يشهد نفسه ذاكرا والحق تعالى مذكورا له فهو محجوب ، فاذا أراد الله رحمته أزال الحجاب عنه فأشهده ان الحق تعالى هو الذاكر والمذكور والذكر ، ولذا قال تعالى : وأنا مع عبدي إذا ذكرني ، أي مادام يشهد أنه ذاكر لي وأنا مذكور له فأنا معه : أي غيره إذ المعيه تقتضي الغيريه والمصاحبة على مقتضى اللسان العمومي لا على لسان القوم الخصوصي وإذا كان الحق تعالى مع عبده الذاكر بحسب شهوده فهو تعالى يفعل معه ما يفعله الصاحب مع صاحبه من الرفق واللطف والرعايه فلو انتفت المعيه في شهود الذاكر وثبتت في شهوده العينيه الثابتة في نفس الأمر علمت أو جهلت لفعل تعالي له مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ،

وأفاد مفهوم هذا الخبر ان من لم يذكر الله تعالى لا تكون معية الحق له ، كمعيته مع الذاكر من اللطف والرعاية ، ولا يتوهم متوهم في أخبار الحق تعالى أنه يذكر عبده بذكر عبده له تعالى ، كما في الآية والخبر وانه يجيب كما ورد في خبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، نصفها لي ونصفها لعبدي : فاذا قال العبد الحمد لله يقول الله تعالى حمدني عبدي ، الحديث بطوله ، وهو في الصحيح أنه كان غير ذاكر لعبده أو غير مجيب لعبده المصلي ثم ذكر وأجاب فان الكلام الحقيقي هو الكلام النفسي الأزلي فذكر الله تعالى لعبده اذا ذكره هو كنزول القرآن والقرآن كلام الله حقيقة وقال تعالى في حقه ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث أي حادث النزول لا حادث الذات ، كما يقال حدث الليلة عندنا ضيف حدثت ضيفته لا ذاته ، فذكر الله عبده قديم بذاته ؛ وعنده تعالى حادث عندنا باظهاره فالكلام حقيقة واحدة والمتجلي من كونه متكلما واحد ، والمتجلي له مختلف مقيد بالزمان والمكان فظاهر كلامه هو باطن علمه ، فالمكونات كلها كلام الله تعالي في مرتبة الظهور وهي معلوماته في مرتبة البطون : ونسبة الكلام اليه تعالى مجهولة كسائر نسبه تعالى ، ولا مشاركة بين كلامه تعالى وكلام غيره إلاّ في شيء واحد وهو إيصال ما في نفس المتكلم الى المخاطب فقط ، وقوله تعالى ، ذكرته في ملأ خير منهم ، احتج به شيخنا محي الدين على تفضيل الملائكة على البشر ، وقال أخبره النبي صلي الله عليه وسلم بهذا في الرؤيا والمعوّل عليه عندي إن كان لي عنده ما قاله شيخنا في كتاب مالا يعوّل عليه الكشف الذي يعطي تفضيل البشر مطلقا أو الملك مطلقا ، لا يعول عليه ، يريد الملك فضل من وجه واعتبار ، وللبشر فضل من وجه واعتبار

(الموقف المائة التسعة والعشرون)

قال تعالى ، وأتاكم من كل ما سألتموه ، أي أعطاكم كل ما سألتموه فمن للبيان لا للتبعيض ، والمراد سؤال الاستعداد سواء كان سؤال الاستعداد قبل إيجادكم العيني ، كما هو فى خلق السموات والأرض وما عطف عليهما من العطايا المتقدمة فى الآية ، فانها كلها مخلوقة لمصلحة الانسان الذى سيوجد لطلبه لها باستعداده قبل إيجاده ، أو كان سؤال الاستعداد بعد إيجادكم العيني كسائر الأشياء التي تطلبها الاستعدادات الانسانية فى الدنيا والبرزخ والآخرة ، مع تباين الاستعدادات التباين الذي لا يدخل تحت الحصر ، فسؤال الاستعداد أي استعداد كان مقبولا مجابا ولا بد ، سواء قارن سؤال الانسان أم لا ، وسؤال الانسان إذا ما وافقه الاستعداد مردود ، ولا بد ، لكن إذا كان قصد السائل التعبد بسؤاله واظهار الفاقة كما هو الحكمة فى مشروعية الدعاء ، يجاب بالحسنات وتكفير السيئات ، لا بعين ما سأل والاستعداد المذكور هو ما تقتضيه الحقائق أي حقيقة كانت اقتضاء ذاتيا ولزوما بيّنا ، فان كل حقيقة لها ذاتيات ولوازم ، وتلك اللوازم لها لوازم وهكذا كالسلسلة الي ما لا نهاية له والاستعدادات كلية وجزئية ، فالكلية هي ذاتيات الحقائق وهي غير مجعولة ، والاستعدادات الجزئية مجعولة ، ووصف الحق تعالي بانه خلاق علي الدوام إنما هو فى الاستعدادات الجزئية التي هي لوازم الحقائق بحيث لا يتصور بعد الاطلاع على الحقائق انفكاك تلك الحقيقة عما هي مستعدة له ، كاستعداد الجوهر وسؤاله للعرض ، لانه يقوم به وسؤال العرض باستعداده للجوهر لان يقوم به ، فكل ما حصل فى العالم أي شيء كان مما يطلق عليه اسم شيء ، فمن اقتضاء استعدادات الحقائق له ولذا قال العارف حجة الاسلام الغزالي

رضى الله عنه في كتاب التوحيد ما معناه ، ان الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم ، وعلم أعلمهم ، وأفاض عليهم في الحكمة ما لا منتهى لوضعه ، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وعرّفهم دقائق اللطف ، وخفايا العقوبات ، وأمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبيرهم أن يزاد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منه جناح بعوضة ، ولا أن يدفع مرض أو نقص ، أو فقر أو شر ، عمن بلي به ، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم عليه ، فكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل ، وسرور وحزن ، وعجز وقدرة ، وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، فكله عدل محض لاجور فيه ، وحق صرف لاظلم فيه ، بل هو على ماينبغي وكما ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ، الي آخر ما قال في المسئلة ، يعني أنه تعالى ما أعطى ولا منع إلاّ بالعلم والحكمة ، وذلك أعطى كل مستعد ما استعد له ، ومنع ماليس بمستعد من غير استعداده وهو اقتضاء الحقائق لما اقتضته من كل ماحصل لها مما يلائم صورها ، أو لا يلائم ، فانه إذا ما لائم صورها يلائم حقائقها ، وقد ورد في الخبر ، إن من عبادي من لايصلحه إلاّ الفقر ولو أغنيته لأفسدته ، وإن من عبادي من لايصلحه إلاّ الغنى ولو افقرته لأفسدته وبالاستعدادات الغير المجعولة المقتضية لكل ما أعطاها الحق تعالي ، كانت الحجة البالغة لله تعالي على مخلوقاته ، فليس لمخلوق أن يقول بلسانه يارب لم جعلتني كذا ، واستعداده الذي هو المقتضى الذاتي يطالبه ، وإذا أمطنا الحجاب ، ورفعنا النقاب ، قلنا ليس المقتضى إلاّ الأسماء الآلهية فان الحقائق الامكانية صورها وإذا زدناه أماطة ورفعا ، قلنا ليس المقتضى إلاّ الذات العلية فان

الأسماء صورها ومراتب ظهوراتها فافهم ، وإذا فهمت فاكتم ، فانه بحر سر القدر ، والخوض فيه خطر ، ولهذا قال ، أنصح النصحاء ، وأفصح الفصحاء ، إذا ذكر القدر فامسكوا ، الخطاب للضعفاء الذين لا يحسنون السباحة فلربما تزندقوا وصاروا الى الاباحة ، أسأل الله تعالى العافية والسلامة لي ولأخواني فانه لا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون

(الموقف السابع والثلاثون)

قال تعالى ، خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ، عن معنى الآية ، فقال ، حتى أسأل جبريل فسأل جبريل عليه السلام فقال ، حتى أسأل رب العزة ، فرجع جبريل فقال ، يا محمد أن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، ولذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال ، أدبني ربي فأحسن تأديبي ، خرجه السمعاني يريد هذه الآية وأمثالها وأما ما تشير اليه الآية بطريق الاعتبار فهو أنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وكل من قوي في متابعته واقتفى أثره من كمّل أمته فانّ أمر الله تعالى له أمر لامته ، ممن يناسبه ذلك الأمر إلا ما ثبت اختصاصه به دون أحد من أمته فأمره تعالى في حق نفسه بالأخذ بالعفو أي بالزايد من العفو بمعنى الزيادة والكثرة ، ويأخذ نفسه بالزايد على ما يحصل به الأجزاء وتسقط به المطالبة وهو الأكمل والأحسن والأفضل ، فلا ينحط الى رتبة الحسن دون الأحسن ، ولا الى الكامل دون الأكمل ، ولا إلى الفاضل دون الأفضل ، بل أمره صلى الله عليه وسلم بمعالي الأمور وعزائم الأحكام كما أمر أن يدفع بالتي هي أحسن ، ويجادل بالتي هي أحسن ، وأمر هو صلى الله عليه وسلم ،

والكاملون من أمته باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم قال تعالى ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم والأمر بالشيء نهي عن ضده فلا ينحطوا إلي الرخص التي هي مراتب الضعفاء فيحصلون على الأجزاء دون الأفضلية والأكملية ، والأمر بالمعروف تصريح بما يفهم من قوله خذ العفو فانه حيث أمر في نفسه بالأكمل الأفضل ، يفهم منه أن الأمر لغيره لا يكون كذلك بل أمره لغيره يكون بالعرف ، بمعني ما هو حسن شرعا وعرفا يحصل به الأجزاء وينتفي به الذم وتسقط المطالبة فلا يأمره بما يشق عليهم مما تمتنع منه نفوس العامة ، وهذا للضعفاء ذوي الهمم الدنيئة ، الراضين بالأدون وقد ثبت في غير ما خبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر عامة الناس بالأسهل والأهون ، ويقول بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ويأخذ نفسه بالأفضل الأشق فقد قام حتى تورمت قدماه ، وقال لغيره : نم ونم ، وشد الحجر علي بطنه من الجوع ، وأذن لغيره في الادخار ، وكان يواصل وينهي غيره عن الوصال ، وأعرض عن الجاهلين ، أمر له صلي الله عليه وسلم ولمن اقتفى أثره في الأخذ بالعزايم وركوب المشاق في طلب الأفضل والأكمل بالاعراض عن الجاهلين من الأناسي الذين يعذلونهم في طريقهم فيقولون مثلا أرفق بنفسك ، قد شددت ، قد افرطت ، والاعراض عنهم أن يولوهم عرض وجوههم فلا يواجهوهم لا بفعل ، ولا بقول ، ولا بجدال ، ولا غيره ، وهذا شائع مشاهد فكل من اتبع سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، واقتفى أثره في أحواله كالسادة الصوفيه ، كثر عاذله ، وعدم عاذره بل تقام عليه القيامة بكل معتبة وملامة ، ومن ذاق ثمرات تلك الطريق ، وانس بذلك الفريق ، لا يرده راد ولا يصرفه صارف ، وأما ينزغنك من الشيطان نزغ ، الخطاب له صلي الله عليه وسلم

والمراد من اقتفى أثره من كمّل اتباعه لعصمته صلى الله عليه وسلم ، من نزغ الشيطان ، أي إذا أحسستم بوسوسة الشيطان وإفساده طريقتكم بتزيينه لكم اتباع الرخص والنزول من الرتب العلية الى مادونها من الرتب الدنيه ، ووجدتم في الهمة فتورا ، وفي العزم ترددا ، فاستعذ بالله ، تحصّن بالله من نزغه وافساده ، وصمّم على طريقتك المثلى ، ولا تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وأعلى ، والله تعالى بفضله كافيك شره ، وحاميك ضره

(الموقف المائة واحد والثلاثون)

قال تعالى ، فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين ، الخوف نوعان خوف من الله تعالى وهو خوف الاجلال والتعظيم والهيبه كما قيل ، كأنما الطير منه فوق رؤوسهم لا خوف ظلم ، ولكن خوف إجلال ، وهو خوف العارفين الموحدين بالتوحيد الحقيقي على مراتبهم في رسول ونبي وملك وولي ، وهو المأمور به في الآية فهو توحيد خاص لأن من عرفه تعالى عرف أنه لا يخاف إلاّ هو تعالى إذ كل شيء في الدنيا والآخرة إنما هو تجل من تجلياته وظهور من ظهوراته ، فهم لا يخافون إلاّ الله ، ولا يتقون إلاّ الله ، واتقاؤهم الله إنما هو بالله تعالى لا بشيء آخر ، وهذه الوقاية هي النافعة لا غيرها ، إذ لا يتقي شيء الاّ بنفسه كالسيف من الحديد والسنان ، والنصل والسكين ، لا تتقي الاّ بالدروع من الحديد ، كما قال تعالى في عدة آيات ، اتقوا الله أي لا غيره من سائر مخلوقاته ، وقال في معرض المدح ، إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ، أي الذين اتقوا الله بالله ولهذه النكته حذف المتقي منه والمتقى به في الآية ، يعني الذين كانوا بهذه الصفة اذا أحسوا الخاطر شيطاني مر بهم مرور الطيف والسارق

المختلس ، تذكروا إذ من المحال أن يوسوس لذاكر حاضر حالة حضوره ، أي استحضروا الحق تعالي الذى هم منقون منه وبه ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، أعوذ بك منك ، وفى المحسوس كل من أحس بعدو واستحضر عدته وسلاحه الذي يتقي به ذلك العدو ، فاذاهم مبصرون ، مشاهدون للحق الذي منه وبه إتقاؤهم ، فانحاشوا اليه ، وتوكلوا عليه ، فغيبتهم تلك المشاهدة عن الشيطان وكيده فانقلب خاسئا نادما حيث قصد خسارتهم فربحوا بسببه استحضارهم وانحاشهم اليه تعالى ، والنوع الثاني ، خوف من مخلوقات الله تعالي ، كالخوف من أعداء الأنس والجن ، ومن جهنم وما فيها من الحيات والعقارب والأشياء المؤلمة ، ومن الذنوب والمعاصي ونحو ذلك من المخاوفات ، وهذا الخوف ليس فيه هيبة ولا إجلال إذ ليس فى الخوف من العقرب والحية ونحو ذلك إجلال ، وهذا هو خوف عامة المؤمنين من العباد والزهّاد والصالحين الذين ما انقشعت بصائرهم حجاب الغيرية ، فلا زالت قلوبهم مشحونة بالأغيار ، فهم يخافون غير الله من كل شيء ، جعله الحق تعالى مظهرا للضر والشر صورة ، ويتقون ما يخافون بمخاوفات مثلها فيتقون الأعداء بالحصون والسلاح ويتقون جهنم وحياتها وآلامها بالتوبة والطاعات والأعمال الصالحات التي هي عندهم أفعالهم صادرة منهم فهم يصومون ويصلون ويحجون ويتصدقون بأنفسهم لا بربهم . وهذه الوقاية غير نافعة ، والاتكال عليها غرر محض وخسران بين . فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ، أي اذا كنتم فى مقام الفرق الأول ، وكثافة الحجاب مؤمنين إيمان العامة تشهدون حقا وخلقا مباينا للحق تعالي قائما بوجود حادث غير وجود الحق تعالي القديم ، فيلزمكم حينئذ لتصحيح إيمانكم العامي الخوف مني دون

الخلق ، فان الخافي لا يضر ولا ينفع ، فلا يخاف ولا يرجى ومفهومه إذا لم تكونوا مؤمنين ، بل كنتم معاينين مشاهدين ، وحينئذ لا يصح عليكم إطلاق المؤمنين فيما عاينتموه الا بالمجاز من حيث أن الايمان تصديق الغير وأنتم جاوزتم هذه الرتبة الى المعاينة ومشاهده سريان الوجود الحق فى كل موجود يخاف أم لا من غير حلول ولا اتحاد ، فخافوهم ، أي خافون فيهم فانهم مظاهر أسمائي ، وتعينات تجلياتي ، إذ لكل مخلوق وجه هو مؤثر بذلك الوجه الالهي لا بصورته المحسوسة ، فلذا يقول المحقق الذي هو فوق العارف ، المسببات تتكون عند الأسباب ، وبالأسباب ، فاذا رأيت عارفا بالله يخاف ملكا ، أو ظالما ، أو سبعا ، أو حية ، فليس خوفه من صورته المخلوقة المقدرة العدمية ، وإنما خوفه مما هي مظهر وصورة له وهي أسماء الضر والانتقام والقهر ، فبين خوف العامة وخوف العارفين فرق ما بين الأعمى والبصير ،

(الموقف المائة اثنين وثلاثون)

قال تعالي ، وهو معكم أينما كنتم ، إعلم أن الهو فى أصل الوضع اللساني كناية عن غائب يمكن أن يصير شهادة يوما ما فى حال ما ، وأما هنا فهو كناية عن البطون الذاتي الذي يستحيل أن يصير شهادة لمخلوق ما ، وفى حال مادنيا وآخرة فهو الغيب المطلق الذى لا يشار اليه باشارة إذ كل مشار اليه ذو جهة ، ولا يعبر عنه بعبارة تقيده أو تميزه ، أو تحصره ، ومع هذا فكل مشار اليه هو ، وكل معبر عنه هو ، فهو الغيب الشهادة والمعية فى أصل الوضع اللساني ، تطلق على مصاحبة شيئين مستقلين بالوجودية كزيد مع عمرو ، ولا تطلق على الجوهر والعرض ، إذ العرض لا استقلال له بالوجودية ؛ لأن قيامه بالجوهر

صفة نفسية له ، فحده ما لو وجد لكان في موضوع فلا يقال زيد مع البياض ولا مع الحركة كذا ، لا يقال علم زيد معه والمعية هنا معية وجود مع عدم ، فالوجود ليس الاّ تعالى ، أصدق كلمة قالها الشاعر ، الاّ كل شيء ما خلا الله باطل ، والباطل عدم وإن كان ما سوى الحق يوصف بالوجود فهو مجاز فانه وجود خيالي فليس الوجود الحقيقي إلاّ له تعالى ، وكل ما سواه يصح نفي الوجود عنه كما هو حقيقه النسب المجازيه ؛ فلولا معية الحق تعالى بذاته التي هي عين وجود ما صح نسبة مخلوق الى الوجود ولا وقع عليه إدراك حسي ولا خيالي ، ولا عقلي ، فمعيته تعالى هي الحافظة على الموجودات نسبة الوجود ، بل هي عين وجوداتها وهذه المعية عامه لكل موجود من جاهل وحقير ، وكبير وصغير ، فهي القومية التي قام بها كل شيء ، وهي محض الوجود الذي به كل شيء موجود ، فمعيته إذاً بذاته وهي المعبّر عنها بالهويه السارية من غير سريان ولا حلول ، ولا اتحاد ، ولا امتزاج ، ولا انحلال ، لأن هذه المذكورات تقال على وجودين كما هو عند العموم وليس عندنا إلاّ وجود واحد قديم منزه عن قيام الحوادث به وقيامه بالحوادث ، ومن قال معيته تعالى بعلمه كما هو الرأي المشهور عند الجمهور فان أرادوا بذلك تنزيه الذات عن معية المخلوقات فمعلوم أن ماثبت في النزاهه للذات ، هو ثابت للصفات ، وإن أرادوا أن الذات حقيقة أحديه لا تتجزأ ولا تتبعض ، والموجودات متعددة فكذلك العلم حقيقة واحدة لا تتجزأ ولا يتبعض ، والذي يزعم العلم مع جهله عما به يعلم فهو بالمعلوم أجهل ، وإذا سمعت من عارف أو رأيت في كلامه أن معيته تعالى بالعلم فلا يعنون العلم الذي يعنيه المتكلمون ، وإنما يعنون شيئاً آخر ، فيبهمون الأمر على المخالف المنقب ، قال شيخ العارفين

محي الدين ، القول بان معيته تعالى مع كل شيء بالعلم أقرب إلي الأدب ، والقول بأن معيته بالذات أقرب إلى التحقيق ، يريد بالأدب عند المحجوب وعلى زعمه أو أعم من حيث أنه ليس كل حق يقال ، ولا كل مايعلم ينقال ، وهذه المعية هي مثل قوله ، وهو على كل شيء شهيد ، وقوله ، من ورائهم محيط ، وقوله ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، أي ذاته إذ الوجه عبارة عن الذات ، ولفظ الآية يؤكد ما قلنا ويرفع احتمال غيره ، كما في قولك جاء زيد نفسه ، وجهه ، عينه ، وله تعالي معية خاصة بخاصة العامة ، وهي معية الامداد بمكارم الأوصاف وجميل الأخلاق ، كقوله تعالى ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وقوله ، إن الله مع الصابرين ، وقوله صلى الله عليه وسلم ، إن الله مع القاضي ما لم يجر ، أو كما قال ، ونحو ذلك مما ورد في الأخبار الالهية والنبوية ، وما هي إلا ظهور بعض كمالات الوجود في البعض دون البعض ، وله تعالى أيضا معية خاصة بخاصة الخاصة ، وهي للرسل والأنبياء ومن كان من ورثتهم صلى الله عليهم أجمعين ، وليست الأغلبية أحكام الوجود والوجوب والقدم ، على أحكام الامكان من حدوث وعدم ، كقوله تعالى لموسى وهارون ، إنني معكما أسمع وأري ، أي أسمع بكما وأرى بكما ، لأن معيتي غلبت عليكما فأنا أنا لا أنتما إلا من حيث الصورة فقط وهذا المقام معروف عند القوم رضوان الله عليهم ، بقرب الفرائض فهو ظهور الرب وبطون العبد ، وصاحب هذا المقام إذا نودي يا فلان ، يقول الحق نيابة عنه لبيك وهو أعلى من قرب النوافل فان صاحب هذا المقام إذا نادى منادو قال يا الله ، يقول هذا العبد لبيك ، نيابة عن الحق تعالي ومعية الحق تعالى مع كل شيء ثابتة وليس معه تعالي شيء لأن معيته ثابتة بالنص ومعية كل شيء معه ضمنا إذ من كان

معك فأنت معه ومع هذا لا نقول أنا معه فانه ماورد

(الموقف المايه ثلاثه والثلاثون)

ورد في الصحيح، أنه صلى الله عليه وسلم قال، من رآي منكم منكرا فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الأيمان، إعلم أن التغيير باليد هو للسلطان والحكام الذين جعل لهم ذلك، والتغيير باللسان هو للعلماء الذين عرفوا بالعلم والتظاهر به بين العوام، والتغيير بالقلب هو لعامة المؤمنين العارفين بالمنكر، وهو أن يكره بقلبه هذا الفعل أو القول المنكر في الدين، فان هذا من إيمانه بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وأما من لم يكن في هذه الطوائف الثلاثة وهو المشاهد للفاعل الحقيقي فانه لا يلزمه ذلك إذ في تغيير الحكام باليد، والعلماء باللسان فائدة تعود على العموم وعلى المتلبس بالمنكر، وأما التغيير بالقلب فلا فائدة فيه الا للمؤمن العامي لتصحيح إيمانه، باعتقاد حرمة المنكر حتي لا تميل اليه نفسه حيث ان عدم التغيير بالقلب ماهدم ركنا من الشريعة، ولا أباح محرما، قال إمام العارفين محي الدين عند ما تكلم على سر العدد، إن كان الانسان يحارب هوى نفسه فليغلب الزوج على الفرد، يعني يغلب شهود رب وعبد على الفرد الذي هو شهود رب فقط، وإن كان يحارب هوى غيره فليغلب حكم الفرد، على حكم الزوج، يعني شهود رب فقط إظهارا للتوحيد وقال بعض العارفين، من نظر للعصاة بنظر الشريعة مقتهم، ومن نظر اليهم بعين الحقيقة عذرهم، فان من حصل على التوحيد الخاص وعلم قوله تعالى، والله خلقكم وما تعملون، وقوله، لا يقدرون على شيء مما كسبوا، وقوله، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وقوله، وما تشاءون إلا أن يشاء الله، وقوله، ألا له الخلق والأمر، وقوله، قل كل من عند الله، وغير ذلك مما

يدل على انفراد الحق تعالى بالفعل، علم ذوق وشهود لا تخييل ولا تخمين، علم أن المخلوقات ظروف لما يخلقه الله تعالى فيها من الأفعال والأقوال والنيات ليس لها من الأمر شيء وإن كانت مخاطبة مكلفة مأمورة، وحينئذ لا يغار لله ولا لنفسه إلا أن يكون من ذوي السلطنة والحكم، أو من العلماء المتظاهرين بالعلم عند العوام، أو من عامة المؤمنين، فيغير اتباعا وامتثالا لأمر الشارع لما علمه المشرع من المصلحة في ذلك، فإن لم يكن واحدا من الثلاثة فتغييره إثبات للشركة في الفعل ونفي للتوحيد، فإن التوحيد يمنع من تغيير القلب فإنه إنكار الفعل على الفاعل وما ثم من يغير عليه لأحدية العين الفاعلة لجميع الأفعال المنسوبة إلى العالم، فلو كان هنالك فاعل غير الحق تعالى لم يكن توحيدا، إذ موجب التغيير بالقلب إنما هو الفعل ولا فاعل إلا الله تعالى، وهذه المسألة من أشكل المسائل عند القوم رضوان الله عليهم، ولكن العارف الأديب يعرف المواطن والأحوال وما يستحقه كل، فيوفي كل موطن ووقت ما اقتضاه.

(الموقف المائة وأربعة والثلاثون)

قال تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾ للحق تعالى ثلاثة ظلال الظل الأول هو الوجود الإضافي المسمى بنفس الرحمن، والتعين الأول، والوحدة المطلقة، والحقيقة المحمدية، وهو ظل مجمل غير مفصل، والظل الثاني هو المسمى بالتعين الثاني، ومرتبة الواحدية والإنسان الكامل، وهذا الظل مفصل تفصيلا معنويا علميا، والظل الثالث هو العالم كله ملكه وملكوته، المسمى بالصور الكونية والأعيان المفصلة والوجود الخارجي، ففي ثلاثة

ظلال في مقام الفرق، وظل واحد في مقام الجمع بل ولا ظل أصلا بالنسبة الى الوجود كما قيل

مراتب بالوجود صارت حقائق الغيب والعيان
وليس غير الوجود فيها بظاهر والجميع فان

فالظل الأول ظل الذات، والظل الثاني ظل الأسماء والصفات، باعتبار الذات، والظل الثالث، ظل الصفات والأسماء لا باعتبار الذات، فافهم أو سلم، وامتداد الظل هو تعينه وتميزه تمييز المقيد عن المطلق وليس للمقيد حقيقة مغايرة للمطلق والامتياز، والتعين أمور عدمية في الخارج كسائر النسب، ولو شاء لجعله ساكنا باطنا في الذات غير متميز عنها التميز النسبي لا الحقيقي، إذ ليس للظل وجود مغاير لوجود ما امتد عنه، والقضية الشرطية لا تقتضى الوقوع ولا الامكان، كما قال تعالى، ومن يقل منهم انى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم، ومحال أن يقول الملك انى آله، وقال، لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء، أى اتبناه، وقال، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين، وكل هذا محال فلا تتعلق به مشيئته تعالى، إذ لا يشاء إلا ما علم قبوله للايجاد، وما علم تعالى المحال قبول ايجاد، فلا يشاءه فلا تتعلق به قدرته، لأن اسمه تعالى الحكيم فيعطي كل مستعد استعداده، وليس للمحال استعداد قبول الوجود لا عجزا فانه على كل شيء قدير، فلا يقال أنه عاجز عن المحال فالمراد من قوله، ولو شاء لجعله ساكنا نفي الايجاب الذاتي، والعلية التى قالت بها طائفة من العقلاء واثبات الاختيار المعروف عند العموم فلا يمكن أن لا يمد الظل بان يبقيه باطنا ساكنا في العدم والعلم بل لا يكون الا مده وإيجاده لا لكون

الذات العلية علة كما قالت الحكماء ، ولا لسبق العلم كما قالت الأشاعرة ، لأن العلم صفة انكشاف ما هو صفة اقتضاء ، ولكن لاقتضاء الأسماء والصفات الآلهية ظهورها بآثارها وهو المسمى بالكمال الأسمائي ، لأن للوجود الحق كمالين ، كمال ذاتي وهو في هذا الكمال غني عن العالمين وعن أسمائه وصفاته أيضا ، وكمال أسمائي وهو المقتضي لظهور الأسماء والصفات بآثارها ، فالمقتضي هي الأسماء والصفات المؤثرة لا غير ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا علامة منصوبة لمعرفة أحوال هذا الظل المذكور فان الدليل قد يراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول ، ولهذا[1] يسمى الدخان دليلا على النار فكما أنه في الحس ، لولا نور الشمس ما ظهرت للشخوص ظلال ، فكذلك هذا الظل لولا الذات من حيث اسمه تعالى النور ما ظهر لهذا الظل عين ، وكما أنه في الحس لولا الشاخص الذي يرسم الظل ما ظهر للظل عين ، فكذلك هنا لولا مرتبة الصفات والأسماء ما ظهر هذا الظل ، وكما أنه في الحس لا بد من محل يمتد عليه الظل كالأرض والماء ، فكذلك هذا الظل لولا الأعيان الثابتة في العلم والعدم ما ظهر هذا الظل ، وكما أنه في الحس قرب غروب الشمس تظهر للشخوص ظلال ممتدة لا نهاية لها ، فكذلك هذا الظل لا نهاية لامتداده بحسب ما يمتد عنه من أحوال كل عين من الأعيان وقس على ما ذكرت ما لم أذكر ، ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ، فقبضه هو ما يلحق كل عين عند نهاية أمدها المقدر لها من عدم صورتها ، فقبض الظل هو رجوعه الى ما امتد عنه فيصير الى العلم بعد العين أعني صورته ، وأما حقيقته وجوهره فلا يلحقها عدم أصلا بعد الوجود ، وهذا القبض هو معنى قوله « اليه يرجع الأمر كله »

(١) وفي نسخة : ولذا

وقوله، إلينا ترجعون، وقوله ألا إلى الله تصير الأمور، وقوله، وإليه تقلبون، ونحو ذلك، ويصح ثم قبضناه أي الظل بعد أن مددناه، قبضا دفعيا في نظر بعض المخلوقين كالأرواح ومن شاء الله، أي جعلناه غير مشهود لهم، مستقلا من أول فطرتهم، وقبضناه قبضا تدريجيا لا بعد حال كما هو حال بني آدم فان الظل إنما ينقبض في شهودهم بعد امتداده شيئا فشيئا، وهو الانسلاخ من التعينات الخالية العدمية، إلى أن لا يبقى من الظل شيء في شهودهم فيبقى السر الآلهي وهو الذي يشهد الله من كل مشاهد. فما تشهد الله إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله

(الموقف المائة والخمسة والثلاثون)

قال تعالى، ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، إعلم أن نعم الله تعالى علي عباده عامة وخاصة، وخاصة بالخاصة، فهي أنواع ثلاثة دنياوية محضة، واخراوية محضة، وممتزجة، فالدنيوية هي قوله، سخر لكم ما في السموات وما في الأرض من ملك وفلك وريح وسحاب ومعدن ونبات وحيوان، فالعرش وما حوى ساع فيما يتنعم به الانسان في دنياه وهذه عامة لجميع بني آدم، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، والأخراوية هي قوله، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة، أي جعل نعمه عليكم سابغة، وافرة ظاهرة، بارسال الرسل وإنزال الوحي الجرائيلي بالشرائع والأحكام، التي هي وظائف الأعضاء والقوي الظاهرة وحليتها الموجبة للسعادة الدائمة، والنعيم الأبدي بالتمتع بالجنان وبما فيها من القصور العالية، والحور الغالية، وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ظاهر لظاهر، وهذه النعمة خاصة باتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي اخراوية محضة، وعليه والآية صريحة في أنه تعالى

لايجب عليه ارسال الرسل ولا الصلاح ، والا صلح كما قالت المعتزلة ، بل هو متفضل بذلك ، إذ لو وجب عليه شيء من ذلك ما امتن به ولا تمدح به تعالى ، لأن أداء الواجب لا امتنان ولا تمدح به ، و باطنه فهذه هي النعمة الممتزجة بالدنيا والآخرة ؛ وهي بارسال رسل الالهام بالعلوم اللدنيه ، والمعارف الكشفيه ، والحقائق الغيبيه ، الى قلوب ورثة الانبياء ، وهم العلماء العارفون المتحققون بالاقتداء بالانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم في أفعالهم وأحوالهم ؛ فتتحلى بها أرواحكم ، وقلوبكم ، ونفوسكم ، كما تزينت ظواهركم بالوظائف الشرعية الظاهرة ، وهذه العلوم والمعارف توجب السعادة الروحية والقلبية ، ودوام التلذذ بشهود الجمال الحقيقي والتمتع بشهود التجليات المتنوعة باطن الباطن ؛ وهذه النعمة في الدنيا والآخرة لمن أنعم الله عليهم بها ، فهي نعمه خاصة لخواص عباد الله ، وقد جعل الله تعالى بين ظاهر الانسان وباطنه اتصالا معنويا غيبيا ، فاذا قامت الأعضاء الظاهرة بما كلفت به من الطاعات على وجهها المشروع ، وتحلت بالأعمال الصالحات ، انعكس من تلك الأعمال نور الى القوى الباطنه ، فتقوت أنوار الباطن ، وإذا قامت القوى الباطنة بوظائفها من المراقبة والحضور والآداب المطلوبة منها ، انعكس من ذلك نور الي الأعضاء الظاهرة فاستحلت ظواهر الطاعات ، واستلانت مشقة العبادات ، ودأبت على نوافل الخيرات ، فصار كل واحد منهما للآخر سندا وعضدا ممدا

(الموقف المائة والستة والثلاثون)

روى في صحيح البخاري ومسلم رضي الله عنهما في حديث جبريل المشهور ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الاسلام والايمان

والاحسان ، فقال ما الاحسان ؟ فأجابه عليه السلام ، الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، فاعلم أن الاحسان مقام جليل ولذا تكرر في القرآن ذكره والثناء على المتصف به ، كقوله إن الله يحب المحسنين الذين أحسنوا الحسنى ، ونحو ذلك ، وهو مشتمل على مقامات ، وخص صلى الله عليه وسلم هذين المقامين لأنهما أساس لما بعدهما من المقامات ، فقوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله إلى آخره ، يريد وجوب إيقاع العبادة على النحو المذكور بعد ، كوجوب الاسلام والايمان ، فيجب السعي في تحصيل مقام الاحسان بتحصيل أسبابه ، وتحصيله غير بعيد لمن أراد الله تعالى به خيرا ، وذلك واجب باجماع العارفين بالله تعالى بل والفقهاء من حيث أنهم مجمعون على وجوب النية وهي القصد إلى العبادة ، ولا شك أن العابد لا يعبد من لا يعرفه ولو بوجه ، وإذا عرفه استحضره على حسب معرفته وذلك ضرب من الاحسان ومقام الاحسان أشرف وأعلى من مقام الايمان إلا من حيث التقدم ، فالايمان أشرف ومقام الايمان أعلى وأشرف من مقام الاسلام على القول بتباينهما ، فالاحسان باطن الايمان ولبه ، والايمان باطن الاسلام ولبه ، فالاحسان لب اللب ، وكما أن الاسلام لا يغني عن الايمان ، ولا يوجب السعادة ، فكذلك الايمان من غير إحسان لا يوجب السعادة أعني السعادة الخالصة ، وقوله كأنك ، كأن هنا هي للتحقيق كما هو الأمر عليه في نفسه وكما ذاقه من ذاقه من أهل الكشف والعرفان وهي هنا كما هي في قول الشاعر يرثي هاشما جد النبي صلى الله عليه وسلم

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

ويصح أن يكون جواب السائل تم بقوله ، أن تعبد الله كأنك تراه ،

وقوله ، فان لم تكن تراه فانه يراك زيادة منه صلى الله عليه وسلم لبيان أن بعد هذه المرتبة ثلاث مراتب ، أو قل إحدى مشاهدات الشهود ، الأوّل هو الذى وقع السوءال عنه ، والجواب الثاني أن يشهد العابد الحق تعالى جميع قواه التى يفعل بها ، ويقول الثالث أن يشهد العابد الحق تعالى فاعلا به ولا خروج لصاحب مقام الاحسان عن هده الثلاث المشاهدات ، الأولى ، تعليم وتدريج ، والثانيه والثالثة هما حقيقـة الأمر ، فقوله ، تراه أصله ترى به حذف الجار فاتصل الضمير بالفعل ، كما فى قوله ، والقمر قدرناه منازل ، أي قدرنا له ، وقوله ، تبغونها عوجا ، أي عنها عوجا وهو أن يشهد العابد نفسه حال العبادة بل وفى غيرها من سائر الأفعال والادراكات ، أنه بالله تعني أنه يشهد الحق تعالى قدرته وسمعه وبصره ، وجميع قواه وأعضائه الظاهرة والباطنه ، فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراك إلاّ بالله فيكون العبد ظاهرا ، والحق باطنا ، وهذا المقام هو المسمى عند القوم رضوان الله عليهم بقرب النوافل ، وهو ثابت ذوقا ووجدانا ودليله من السنه ، قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه وهو فى الصحاح ، ماتقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من آداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببتـه كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به إلى آخر الحديث ، فذكر قوى العبد الباطنه ، وأعضاءه الظاهره ، وصاحب هـذا المقام ما تخلص بعد ففيه بقيه نفس هي الفاعلة بالحق تعالى والسميعة به ، والبصـيرة به ، إلى آخر القوى والأعضـاء ، إذ لولا شهود نفسه ما جاء الضمير فى قوله سمعه ، بصره ، لسانه ، فان الضمير لا يعود على لاشيء ، قوله فان لم تكن تراه فانه يراك ، هو

تعريف المقام الثالث من مقامات الاحسان أي إن لم تكن لك نفس ولم تبق فيك بقية ولا لك مغايرة للوجود الحق ، ولم تكن لك حقيقة ترى به كما في المقام الأول، فانه يراك أي يرى بك حذف الجار واتصل الضمير كما تقدم ، وفي هذا المقام يشهد العابد نفسه وقواه الباطنه وأعضاءه الظاهرة ، آله والحق والحق تعالى المصرف لها ، المؤثر بها ، فيسمع بسمع العبد ، ويبصر ببصره ، ويتكلم بلسانه ، إلى آخر الادراكات ، فيكون الحق تعالى ظاهرا ، والعبد باطنا ، وهذا يسمى بقرب الفرائض ، ودليل هذا المقام بعد الذوق والوجدان ، قوله تعالى ، فاجره حتى يسمع كلام الله ، وما سمع هذا الأحد الكلام في ظاهر الأمر إلا من صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالمتكلم الله بلسان محمد ، وقوله ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، فالمعذب الله بأيدي الصحابة رضي الله عنهم ، وفي الصحيح إنّ الله قال على لسان عبده ، سمع الله لمن حمده ، وقد أخبر الوارد أن هذا المعنى لهذا الحديث ما تقدم لأحد كتابته والله أعلم

(الموقف المايه السبعة والثلاثون)

قال تعالى ، وهو معكم أينما كنتم ، الخطاب عام لكل مخلوق ، ومعيته تعالى مع مخلوقاته ليست كمعية المخلوقات بعضها مع بعض ، تعالى الله عن ذلك ، وإنما هي معية وجوده الذي لا يتعدد ، ولا يتجزأ ولا يتبعض ، ولا ينفصل ، ولا يتصل ، المفاض على كل مخلوق من العرش الى الذرة ، فمثال هذه المعية ولله المثل الأعلى كما ترى الصورة في المرآة ، فالذات المتوجهة على المرآة هي الحافظة الممدة بالبقاء ، والوجود للصورة في المرآة وليست الذات على الحقيقة غير الصورة في المرآة ، وإن كانت غيرا بحسب الوهم فله تعالى المعية كما قال ، ولنا

التبعية لا المعية ، إذ الصورة فى المرآة تابعة للذات المتوجهة على المرآة ولهذا تنعدم بمجرد الأعراض عن المرآة ، فهو معنا إذ لا يمكن أن نكون ولا هو ، ولسنا معه إذ كان ولا نحن ، وما خاطبنا تعالى بانه معنا إلاّ لكونه ثبت لنا عندنا وجود مغاير للوجود الحق بحسب حسّنا وعقلنا لافي نفس الأمر ، ولو خاطبنا تعالي بما هو الأمر عليه فى نفسه لخاطبنا بغير هذا الخطاب وأكثر ما ترد الخطابات الآلهية في الكتب المنزّلة على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بما تقرر فى عقول العامة وغلب على أوهامهم ، إذ ليس فى نفس الأمر والحقيقة إلاّ الوجود الظاهر بأحوال الممكنات وهو المقوّم لتلك الاحوال بمعيته التي هي عين وجوده الذي هو عين ذاته ، وهي تابعة له تبعية العرض للجوهر ، ولله المثل الأعلى ، فهو تعالي مع كل شيء لانه وجود كل شيء وحقيقته وبه كان ذلك الشيء هو هو ، وليس معه شيء إذ ليس لشيء وجود غير وجوده تعالى علي حسب ما هو الأمر عليه ، وأما بحسب الوضع اللساني وبحسب اعتقاد من يعتقد أن لكل شيء وجودا حادثا به ثبوته وحصوله وتحققه ، غير الوجود الحق القديم ، فمن كان معك فأنت معه لا محالة وليس الأمر هكذا عندنا فمعيته هي رحمته تعالى بكل شيء حيث يقول ، ورحمتي وسعت كل شيء ، وما وسع كل شيء الاّ الوجود والعلم اللذان هما عين الذات ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، وهي وجهه أينما نتولى ، حيث يقول ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ووجه كل شيء ذاته وهي قوميته على شيء حيث يقول أفمن هو قائم على كل نفس وهي علمه بكل شيء حيث يقول ، إن الله بكل شيء عليما ، وهي حفظه لكل شيء ، حيث يقول ، إن ربي علي كل شيء حفيظ ، وهي شهادته على كل شيء ، حيث يقول ، والله على كل شيء شهيد ، وهي إحاطته بكل شيء ، حيث

يقول ، وكان الله بكل شيء محيطا ، وهي قدرته على كل شيء ، حيث يقول ، وكان الله على كل شيء مقتدرا ، وهي خالقيته لكل شيء حيث يقول ، خالق كل شيء ، وهي وكالته علي كل شيء ، حيث يقول ، وهو على كل شيء وكيل ، وهي إقاتته على كل شيء حيث يقول ، وكان على كل شيء مقيتا ، وهي حسابه على كل شيء حيث يقول ، ان الله كان على كل شيء حسيبا ، فمعيته اذاً بذاته الجامعة لصفاته لا بصفة العلم على المعنى الذى يعرفه علماء الرسم ولو قالت به ألف فرقه ، وإلاّ كانت معيه الحق تعالي لنا بالمعنى الذي ذكرناه وهو معنى وحدة الوجود وانه لا وجود إلاّ وجوده تعالى ، ولاصفات إلاّ صفاته تعالى ، كان الوجود المنسوب الي المخلوق مجازا ، هو وجوده تعالى كما قال ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، وكان العلم المنسوب الى المخلوق علمه تعالى كما قال ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وكانت الأفعال والقدر المنسوبة الى المخلوق أفعاله تعالى كما قال ، والله خلقكم وما تعملون ، أي خلقكم وخلق أعمالكم وقال ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، وكانت المشيئة المنسوبه الي المخلوق مشيئته تعالى كما قال ، وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ، وكان السميع المنسوب الى المخلوق والبصر سمعه تعالى وبصره كما قال ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، إذ مفاد الآيه يقتضى الحصر أى كل سميع بصير هو وكان الحكم المنسوب الى الخلق حكمه تعالى كما قال ، إن الحكم إلاّ لله ، فهو تعالى مع مخلوقاته بالوجود وتوابع الوجود وقد ورد فى خبر ، كان الله ولا شيء معه ، أي كانت صفات الألوهية التي بها سمي إلها ثابتة له أزلا حيث لا شيء معه من المخلوقين المألوهين موصوف بالوجود

وإن كانوا موصوفين بالثبوت ولما كانت هذه العبارة يوهم ظاهرها أنه صار معه تعالى بعد ايجاد المخلوقات شيء أدرج الراوي وهو الآن على ما عليه كان دفعا لهذا التوهم ، بمعنى أن معيته شيء له تعالى منتفية أزلا وأبدا قبل نسبة الوجودية الشيء وبعدها ، والذي حمل الراوي على هذا هو فهمه ان كان ناقصة ، والأصوب أنها تامة ، وأنها للوجود كما هي عند سيبويه بمعنى الله وجود ولا شيء معه له وجود غير وجوده تعالى أزلا وأبدا ، إذ المعية تقال على شيئين ، كل واحد منهما له وجود غير وجود الآخر ، وهذا الخبر تداوله أئمة القوم رضوان الله تعالى عليهم ، وقال الحفاظ أنه غير ثابت في شيء من كتب الحديث ، والذي في صحيح البخاري ، كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ولا تتوهم إن كان الأولى والثانية في هذا الخبر بمعنى واحد لأن كان يكون ، معناها بحسب مدخولها ، فكان الأولى بمعنى الوجود ازلا لا رائحة للزمان فيها ، فهي الوجود ، وكانت الثانية بمعنى الكون بعد العدم ، إذ العرش حادث مسبوق بالعدم ، فهي للزمان ، فمن علم المعية على ما قلنا علما ذوقيا حاليا ، كان السيد الكامل ، ومن علمها علما خاليا ، كان العالم الفاضل ومن آمن وسلم كان المؤمن العاقل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

(الموقف المائة والثامنة وثلاثون)

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، امتثال النهي عن المنهي عنه يحصل بعمل العبد ، إذ لا تكليف الا بفعل يقال لها بالشيء ، أحبه ورضي به ، ولها عنه ، أعرض ، والمأمور في ضمن النهي صنفان من الناس مؤمن مخصص ، ومؤمن مجازا ، أو بالنظر الى الأصل أو

بالنظر الى بعض ما وجب الايمان به دون بعض ، أي لا تنظروا الى أموالكم وأولادكم نظرا يشغلكم عن ذكر الله ، فتلهوا وتعرضوا وتنسوا ، بل انظروا اليهم نظرا يكون ذكر الله تعالى ، فالمؤمن المحض منهي من مقام إيمانه وهو أن من ينظر الي أمواله وأولاده وجميع ما أنعم الله به عليه بذكر الله بحمده وشكره وانه تعالي متفضل منّان فيما أعطى ، وان أحدا لا يستحق علي الله تعالي شيئا ممـا أنعم ، والمؤمن مجازا منهي من مقام معرفته ومشاهدته ، مأمور بأن يرى أمواله وأولاده وجميع ما أنعم الله به عليه ، تجليات من تجليات الحق تعالى عليه ، وظهورات من ظهوراته تعالى لديه ، فيشاهد المنعم فى النعمه فهو لا يرى الاّ الحق تعالى ، ولا يلتذ الاّ بالحق ، فالأول يرى النعمة والثاني يرى المنعم أو قل الأول يرى الأثر ، والثاني يرى المؤثر ، أو قل الأول يري الأسم ، والثاني يرى المسمى ، أوقل الأول يذكره ذكر القلب واللسان ، والثاني يذكر ذكر السر ، فالأول النعمة فى حقه شهوة طبيعيه ، والثاني النعمة فى حقه لذة روحانيه ، فلا يلتذ الاّ بالله ولا يحب الاّ الله فى كل ما تجلى له وظهر ، وصاحب هذا الشهود لا يزهد فى شيء موجود ، وكيف يزهد فى شيء يشهد فيه محبوبه ، وطهارة القلب إنما هى بالمراقبه والحضور ، فالنعم واللذات كلها إذا لم تحل بين القلب وبين مراقبته وحضوره مع الله تعالي لا تضر ، والقلب باق علي أصل طهارته إذ المقصود من القلب حاضر ، وحينئذ لا يبالى بالشهوات كانت ما كانت ، بل ولو من حرام إذا كان معتقدا لحرمتها ، فانها لا تحجبه من حيث هى

(الموقف المائة التسعة والثلاثون)

قال تعالى ، إهدنا الصراط المستقيم ، أل فى الصراط للعهد والمعهود هو

صراط الله الذي يهدي اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعو اليه كما قال تعالى ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله ، وقال وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، وقال ، وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو صراط رب هود عليه السلام ، حيث يقول ، إن ربي على صراط مستقيم ، وهو صراط رب جميع الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم من المنعم عليهم من الصالحين والصديقين والشهداء ، كما قال أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وهذا هو الصراط الذي أمرنا بطلب الهداية اليه فى كل صلاة ، وأما ماعدا صراط النبيين ومن تبعهم فتلك سبل وهى سبل المغضوب عليهم والضالين ولا يقال فيها صراط ، ولذا قال تعالى ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وماقال ، صراط المغضوب عليهم وهي من وجه صراط الله من حيث جمعية الاسم الله ، ولكنها غير مستقيمة إذ جميع المخلوقات إما مشيها على سبل الأسماء الآلهية وهي فى قبضتها كما قال : مامن دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها ، وصراط الله المستقيم هو الذي جاءت الكتب والرسل عليهم السلام ، آمرة باتباعه والمشى عليه ، وناهية عن اتباع السبل والمشي عليها ، قال ، وان هذا صراطي مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ، خط لنا رسول الله صلى لله عليه وسلم يوما خطا ثم خط خطوطا صغارا عن يمين الخط وشماله فقال هذا صراط الله وهذه سبل على كل واحد منها شيطان يدعو اليه غالبا : فى صراطي ضمير المتكلم وهو الله تعالى فالصراط المستقيم مظهر الاسم الجامع وهو الله ، والسبل مظاهر جزئيات الأسماء الآلهية فكل سبيل هو سبيل الله من حيث الحقيقة وإن تعددت وتكاثرت كثرة لايحيط بها إلاّ هو

تعالى ، لأنه ليس في نفس الأمر الا أسماؤه تعالى هي الداعية للخلق وهي سبله المضلة ، كما قال ، يضل من يشاء ، وقال حكاية عن رسول موسى صلى الله عليه وسلم : إن هي الا فتنتك تضل بها من تشاء ، وهي مظاهر المضل وجزئياته ، كما أن صراط الله الذي هو الصراط المستقيم هو مظهر أسمائه الجمالية ، اسمه الهادي ، وجزئياته والكل راجع إلي الاسم الله ، وإنما خص صراط المنعم عليهم بتسميته بصراط الله تشريفا لهم بالنسبة إلى الاسم الجامع ، ولأن غايته الوصول الي الرحمة المحضة ، واسمه الرحمن مثل الاسم الله من حيث أن كلا منهما له الأسماء الحسني ، وعلى هذا فكل كافر عاصى مخالف امثل علي غير طريق الله المستقيم ، من حيث الأمر الشرعي التكليفي الوصفي ، فهو مطيع موافق ، ماش على صراط الله من حيث الأمر الارادى فما في نفس الأمر الا مطيع غير أن من كان محتده وربه المتوجه عليه أولا من أسماء الجمال والهدى كان خيرا سعيدا بالذات ، وان عرضت له عوارض في طريقه ضد السعادة والخير ، فانها تزول ، والنهاية لا تكون الا عين البداية ولابد ، وما بالذات لا يزول ، والعوارض أحوال تحول ، والعكس بالعكس ، ما يبدل القول لديه وما هو بظلام العبيد

(الموقف المائة والأربعون)

قال تعالى ، قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن الى ملتنا ، الخ الآية ، قيل لي في الواقعة ليس المراد من حكاية هذا الكلام عن الذين كفروا بشعيب عليه السلام ، وعن شعيب أنه عليه السلام ، كان معتقدا لمعتقدهم متبعا لملتهم قبل نبوته ، ثم خالفهم بعد النبوة ، حاشا وكلا ، فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

مهتدون الى الحق من أول نشأتهم ، مفطورون على محبة الحق وبغض الباطل ، ففي أول حصول التمييز لهم وادراك الضروريات التي يدركها جميع بني آدم تحصل لهم علوم التوحيد ، والمعرفة بالله ضرورة كسائر الضروريات ولا ننكر حصول العلوم الضرورية الا من فاتته علوم التجليات فما داوها ولا سلك طريقها ، فليس علمهم عليهم السلام بالله تعالى من طريق نظر عقلي ، ولا ببرهان خفي ولا جلي ، وما ورد عنهم مما يوهم الاستدلال العقلي كقول ابراهيم عليه السلام : هذا ربي ، هذا أكبر ، ونحو ذلك فالمراد منه غير الاستدلال المعروف والمقصود منه شيء آخر عرفه العارفون بأحوال الانبياء عليهم السلام ، وإنما المراد من حكاية ما حكاه الله تعالى ، أن قومه عليه السلام لما نشأ بين أظهرهم مدة طويلة غير مظهر لملة ولا داع الى عقيدة الى أن جاء الأمر الآلهي بالاظهار والدعوة . فتوهموا أنه كان منهم فخاطبوه والذين آمنوا معه بما خاطبوهم ، وقوله ، إن عدنا في ملتكم الخ الآية ، هو جواب منه عليه السلام عنه وعن اتباعه حيث كان خطاب الكفار متوجها اليه والى أتباعه ، وتوهموه كأتباعه ، كان في ملتهم ثم خالفهم الى غيرها ، فأجابهم حسب توهمهم وادخل نفسه مع اتباعه في الجواب ، وكذا قوله تعالى في الآية الأخرى ، وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، أي قال الذين كفروا من كل ملة لرسولهم ولمن اتبعه هذه المقالة ، متوهمين أن الرسول كان قبل الرسالة متبعا لما هم كاتباعه الذين آمنوا معه ، وأوحى الله تعالى إلى كل رسول لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، إذ لم يكن رسولان لأمة واحدة في وقت واحد غير موسى وهارون ، فضلا عن جماعة ، وقوله ، وما يكون لنا أن نعود فيها

إلا أن يشاء الله ربنا ، أي يصح ولا يستقيم لنا وهذا من جملة إدخال شعيب عليه السلام نفسه مع اتباعه المؤمنين تغليبا لهم ، واتباعه يجوز عليهم العود في الكفر بعد إظهار الايمان إذ الردة ممكنة في غير المعصومين ، وأما المعصومون إذا صدر منهم شبه هذا الاستثناء فالبس هو منهم كما هو من غيرهم ولكنهم عليهم الصلاة والسلام تارة يغلب عليهم شهود مرتبة التقييد ، وتارة يغلب عليهم شهود مرتبة الاطلاق ، فاذا غلب شهود الاطلاق خافوا وانقبضوا واضطربوا ، وقالوا ، أدري ما يفعل بي ولا بكم ، وقالوا ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما ، وقالوا ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ، وقالوا ، نفسي نفسي لا أسئلك غيرها ، ونحو هذا وإذا غلب عليهم شهود التقييد انبسطوا واستبشروا وبشروا وقالوا فلان من أهل الجنة وفلان من أهل النار ، وتحكموا في العالم فما كان خوفهم عليهم السلام من مرتبة الرحمن ولا من مرتبة الرب ، بحيث تحكم عليه العقول بأحكامها وإنما كان خوفهم من الله أعني مرتبة الغيب المطلق المسماه بالله التي لا يدركها عقل ولا يصح عليها حكم ، ولذا قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما ، ولسعة علمه لا يمكن أن يضبط ويحصر ويقيد فيحكم عليه بنفي أو إثبات ، ومن غلبة شهود الاطلاق كان صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع يوم بدر ويقول اللهم أن تهلك هذه العصابة ان تعبد بعد اليوم ، بعد ما وعده الله تعالى باحدى الطائفتين كما قال تعالى وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين إنها لكم وأبو بكر رضي الله عنه يقول يارسول الله بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجزك ما وعدك ، وكان الغالب على الصديق رضي الله عنه ذلك الوقت شهود مرتبة التقييد فكان بين شهوديهما ما بين مرتبتيهما أعني مرتبة النبوة والصديقية وروى أن الصديق بكى يوما

خوفا من الله تعالى فقيل له أنسيت فى بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بالجنة ، فقال لا ولكن خشيت أن يكون ذلك موقوفا على شرط لم اعلمه وهذا الشهود سعة علمه تعالى

(الموقف المائة واحد والاربعون)

قال تعالى : لله ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ، أخبر تعالى أن كل ما في السموات وما في الأرض من عالم المعاني الى عالم الأجسام ، إذ السماء كل ما علا حسا أو معنى وما بين ذلك من عالم الأرواح وعالم المثال وعالم الأجسام الطبيعية ظهورات وتعينات وهو تعالى الظاهر المتعين بجميع ذلك ، واللام للاختصاص الحقيقي فلا ظاهر ولا متعين بها سواه ، فهي شؤونه التي يتقلب بها وفيها ، كما قال تعالى : كل يوم هو فى شأن ، أي كل آن لا يتجزأ ولا ينقسم الى ماض ومستقبل هو تعالى ظاهر بشأن ومتعين بحال ، وان تبدوا ما فى أنفسكم ، أي تظهروا ما فى أنفسكم من نسبة الربوبية والحقية إذ لكل مخلوق نسبتان خفية وخلقية : فتتعلقون بنسبة الربية المحضة والوحدة المطلقة فتصيرون الي الالحاد والزندقة وتمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فتتركون الشرائع وما جاءت به الرسل من الأمر والنهي ، وتلغون حكمة الله تعالى فى التكاليف والأحكام الوضعية وتعطلون اسمه تعالى الحكيم ، بل وامام الاسماء العليم ، أو تخفوه ، أى تخفوا ما في أنفسكم من نسبة الربوبية والحقية وتتعلقون بما فيكم من نسبة العبدية والخلقية فتقيمون الأحكام الشرعية ، وتقفون عند الحدود الوضعية ، فتحلون ما أحلت الشرائع وتحرمون ما حرمت ، غير أن منكم مع هذا من يعتقد أنه يخلق أفعاله الاختيارية

أو أن له قدرة وكسبا في الفعل ، أو أن له جزأ اختياريا ، أو أن له قدرة تؤثر في صفة الفعل لا في الفعل نفسه أو أنه مجبور على الفعل أو نحو ذلك ، يحاسبكم به الله ، أي يحاسب الذين أبدوا ما في أنفسهم والذين أخفوه والحساب هنا أعم من قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم ، من حوسب عذب فيغفر لمن يشاء من الطوائف التي أخفت ما في أنفسها ويعذب من يشاء من الطوائف التي أبدت ما في أنفسها من الربوبية وهم الزنادقة ، وهم على فرق كثيرة وأما الطائفة الثالثة وهي مفهومة من تقسيم الآية إذ كل متقابلين لا بد أن يكون بينهما أمر ثالث جامع بينهما لا هو عينهما ولا غيرهما ومن قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فهم السابقون المقربون ، والطائفة التي أخفت هم المصلون ، والطائفة التي أبدت هم السكيتون الذين لا قسمة لهم في الخير ، وهذه الطائفة جمعت بين الأمرين ونظرت بعينين ، وطارت بجناحين ، فأبدت وأخفت ، أبدت ما فيها من النسبة الربية الحقية في بواطنها فتبرأت من نسبة الوجود والأفعال اليها من حيث صورها ، ونسبة الوجود وتوابع الوجود الى باريها ، فأعطت القوس باريها ، ونادى منادي الفنا على صورها هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، فلم يبق وجود وفعل الا لحقهم الفاعل الحق في بواطنهم وأخفوا ما فيهم من نسبة الربوبية والحصة فيما بينهم وبين الحق ، فالتزموا أوصاف العبودية ، وقاموا بتكاليف الربوبية ، فقاموا حتى تورمت أقدامهم ، وصاموا حتى لزقت بطونهم بظهورهم ، وشدوا عليها الحجارة من الجوع ، وبكوا حتى خضبت دموعهم لحاهم ، عضوا على الشرائع بالنواجذ ، وأعطوا كل ذي حق حقه من الشريعة ، والحقيقة ، فمن رأى ظواهرهم قال

قدرية ، ومن رأي بواطنهم قال جبرية ، ومن سمع كلامهم قال أشعرية ، ماتريدية ؛ فهذه الطائفة لا توقف لحساب ، ولا تكلف لسؤال ولا جواب

(الموقف المايه اثنين والأربعون)

قال تعالي : إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، أخبر تعالى مؤكدا لخبره ووعده الصادق ، ومن أصدق من الله قيلا ، ومبشرا لعباده الذين يخشون ويخافون ربهم ، أي حضرة الربوبية الجامعة للأسماء التي يربب تعالي بها عباده ، لا أن كل واحد منهم يخش ربه الخاص به فان أحدا لايخشي ربه الخاص به ، فانه عند ربه مرضى ، وهو راض عنه فى الدنيا ، ولذا كان كل حزب بما لديهم فرحون فى الدنيا فقط ، وكذا قوله ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ، وإنما كانت خشيتهم لأسماء الربوبية ، أي الحضرة الجامعة ، شعروا أو لم يشعروا ، وقال بالغيب ، أي يخافون ربهم مع اعتقادهم غيبته عنهم ؛ ومباينته لهم ، لايدركونه بشيء من مدركاتهم الظاهرة والباطنة ؛ وهذه مرتبة عامة المؤمنين ، أعني علماء الظاهر فاطبه والمتكلمين في التوحيد العقلي ، فهم يؤمنون ويخشون ربا غائبا عنهم ، بعيدا منهم ، والبس حضوره مع عباده وقربه منهم ومعيته إلاّ بعلمه وقدرته دون ذاته عندهم ، تعالى عما يصفون ؛ ولهذا كانت مرتبة هذه الفرقة من المؤمنين دون غيرها ، فبشّرهم تعالي بأنه يغفر لهم ذنوبهم يوم القيامة ، أي يسترها عن غيرهم من أهل المحشر ، ولكن لايسترها عنهم بل لا بد لهم من العرض والتقرير بذنوبهم ، كما ورد فى الصحيح ، أنه لما قال صلى الله عليه وسلم ، من حوسب عذب ، قالت عائشة ، يارسول الله ، أو ليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلي أهله مسرورا ، فقال ياعائشة ، ذلك

العرض وإلاَّ فمن نوقش الحساب يهلك ، وصفة العرض كما ورد : هو أنه تعالى يلقي كنفه أي ستره على عبده المؤمن حتى لايراه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فيقرره بذنوبه فلا يسعه إلاّ الاقرار ، فيقول له الحق تعالى ، قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، الحديث ؛ وكما بشّر تعالى هذه الفرقة من المؤمنين بانه يغفر لهم ذنوبهم ، بشرهم بأنه يعطيهم أجرا كبيرا ، أي جزاء عظيما بالنسبة اليهم ، من حور وغلمان ، وقصور ولذات ، ونعم متنوعة محسوسة ، وسمي ما أعطاهم أجرا أي جزاء لأعمالهم لأنهم كانوا يعملون لذلك ، والجزاء من جنس العمل ، وهذه الطائفة هي المعنية بقوله ، إلاّ الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ، وبقوله ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ، وأما الذين يخشون ربهم لا بالغيب ولكن بحضوره معهم وهم الطائفة الثانية أهل مقام الاحسان الذي عرّفه صلى الله عليه وسلم بقوله ، إن تعبد الله كأنك تراه فهم يخشون ربهم على حضوره معهم ، ويعبدونه على أنه مناج لهم ، وهم يناجونه ، وأنه في قبلتهم ، وبينهم وبين القبلة : ونحو هذا مما ورد في العلم النبوي وهم مع هذا يرونه غيراً لهم ومنفصلا عنهم ، وهذه الطائفة أعلا من الأولى درجة ، وأقرب الى الله تعالى منزلة ، وهم المعنيون بقوله ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ، وبقوله ، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ، وبقوله ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، وبين مغفرة هذه الطائفة والطائفة الاولى بون وان اشتركا في اللفظ ، أما مغفرة الطائفة الأولى فقد سبق بيانها ، وأما مغفرة الطائفة الثانية فهي أن يستر ذنوبهم

عن أهل المحشر وعنهم ، بحيث لا تبقى لذنوبهم صورة أصلا ، بل تبدل سيئاتهم حسنات ، كما قال ، أولئك الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات ، كما أن ما أمتنّ به على الطائفة الأولى غير ما أمتنّ به على الطائفة الثانية ، فسمي ما تفضل به على الأولى أجرا ، أي جزاء لأعمالهم لأنهم كانوا مستغرقين في نسبة أفعالهم لنفوسهم ، وإن كانوا يعتقدون أن الله خالقها وسمى متفضل به على الثانية رزقا كريما ، والرزق ما ينتفع به أعم من الرزق الحسي والمعنوي بالمشاهدة والعلوم والمعارف وهذه الطائفة وإن كانت مثل الأولى في نسبة أفعالهم اليهم ، ورؤية نفوسهم موجودة فاعلة : فهي من جهة حضورها مع الحق تعالى وتخيله رقيبا ما اجبا كأنها تراه أشرف من الذين يخشونه غائبا عنهم وإلى الطائفة الأولى الاشارة بقوله ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وإلى الطائفة الثانية الاشارة بقوله ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، بدخوله حضرة الاحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه . وقوله ، واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، إشارة إلى الطائفة الثالثة التي هي أعلا الطوائف . أي بعد أن دخل حضرة الاحسان إرتقى إلى حضرة الشهود والعيان ، وهي ملة إبراهيم أي طريقته المشار اليها بقوله ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، أي ظهر بهما وبكل ما فيهما ، وما أنا من المشركين ، فلا أرى غير وجهه تعالى في كل وجهة إذ رؤية الغير شرك ، وإلى الطائفتين الأولى والثانية الاشارة أيضا بقوله ، وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون ، وإلى الطائفة الثالثة الاشارة بقوله ، إلاّ عباد الله المخلصين ، فلا جزاء لهم غير مولاهم ومحبوبهم الذي تولاهم فغابوا به عنهم ، ولا مغفرة لهم إلاّ ستر نفوسهم عنهم ، بحيث لم يشهدوا لها أثرا فهم

لاموجودون ولا معدومون ، ولا ثابتون ولا منفيون ، ولا فاعلون ولا غير فاعلين ، فليسوا بطائعين ولا عاصين ، فلا مغفره ولا أجر ، بل هم كما قال ، هم درجات عند الله ، فيهم رفع الدرجات ، وبهم تغفر الذنوب ، وتعطي الأجور ، وتدر الأرزاق دنيا وأخرى ، فعلم من هذا أن الطوائف الناجية ثلاث ، وان تفاوتت في النجاة طائفة خشيت ربا غائبا ، وطائفة خشيت ربا حاضرا ، وطائفة لم تتقيد بغيبة ولا حضور ، ولا بطون ولا ظهور ، بل كانت برزخا جامعا

(الموقف المائة الثلاثة والأربعون)

قال تعالى ، فانظر الي آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير ، المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن المرادون أمر تعالى ان لا يصدق كل مدع ولا يتبع كل ناعق ، ولكن ننظر الى الوجود أثر الرحمة وعدمه فنصدق الدعوى أو تكذب فمن ادعى أن الحق تعالي اختصه برحمة من عنده وجعله من أهل حضرته ينظر في دعواه فان ظهر عليه أثر الرحمة وهو ادرار العلوم الربانية الوهبية والأسرار العرفانية الغيبية كما قال في الخضر عليه السلام ، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ، وقال نوح عليه السلام ، وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم فذلك الصادق في دعواه فليلبيه من ناداه فانه على بيّنة من ربه وتلاه شاهد منه ومن لم يظهر عليه أثر الرحمة الاختصاصية وكان بعد دعوى رحمة الحق تعالى اياه كما هو قبلها فهو مفتر كذاب كيف يحي الأرض بعد موتها أي حالة كونه تعالى يحي أرض أي نفس من رحمة الرحمة الاختصاصية بالعلم الآلهي من غير واسطة معلم مشهود ، وبعد أن كانت أرض نفسه ميتة بالجهل فحياة أرض

النفوس ابست الاّ بالعلم الربّاني ، قال استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ولا يحييهم إلاّ العلم ، وقال أو من كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم وهو النور الذي يمشي به في الناس ، فحيانه نفس جعل النور له كمن مثله في الظلمات وهي ظلمات الجهالات فما احييناه ولا جعلنا له نورا ، وأفرد تعالى النور وجمع الظلمة لأن النور الذي هو العلم يهدى إلى صراط المستقيم ، وهو واحد صراط المنعم عليهم أهل السعادة والظلمة التي هي الجهل متعددة لأنها تهدى الي سبل الغواية كما قال تعالي ، وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله إن ذلك لمحيي الموتى ، الاشارة الي من ظهر عليه أثر رحمة الله الاختصاصية وأحياه الله تعالى بالعلم الربّاني لمحيي بالعلم الموتى بالجهل بما حصل له من الرحمة التي ظهر عليه أثرها وهو على كل شيء قدير بقدرة الله تعالى لاتحاد ارادته بارادة الحق تعالى فهو يفعل ما يريد ويريد ما يعلم فأما ما لا يعلمه فلا يريده وهو الانسان الحقيقي الخليفة

(الموقف المائة الأربعة والأربعون)

قال تعالى ؛ وعلّم آدم الأسماء كلها ؛ الآية ؛ أطلع الحق تعالي آدم عليه السلام على الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأشياء الخارجية ؛ فالأعيان الخارجيه بمثابة الظلال لهذه الاعيان الثابتة واطلاعه عليها كان في الموطن الثاني من مواطن العالم المسمى بظاهر العلم والوجود فعرف من اطلاعه على الأعيان الثابتة الأسماء أي أسماء الحق تعالى المتوجهة على إيجاد الأعيان الخارجيـة إذ كل عين لها إسم يخصها والعارف يعرف الاسم الآلهي بأثره فيكون الاسم كالروح والأثر بمثابة الصورة وهذه المعرفة دون معرفة آدم عليـه السلام كما أن معرفة آدم عليه السلام دون معرفة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فبينهما

فرقان إذ محمد صلى الله عليه وسلم عرف الأسماء في موطنها الاول وهو المسمى بباطن العلم والوجود حيث تسمى شؤوناثم نزل الى الموطن الثاني الذي تسمى فيه أعيانا ثابته واستعدادات،ثم عرفها في موطنها الثالث حيث تسمى أعيانا خارجية فمحمد صلى الله عليه وسلم عرف الأصل ثم تدلى إلى الفرع بخلاف آدم عليه السلام، فانه عرف الفرع ثم ترقى إلى الأصل فبين المعرفتين من الشرف ما بين الأصل والفرع: شتان بين من يستدل به وبين من يستدل عليه،وتعليم الحق تعالى الأسماء لآدم عليه السلام ما كان بدراسة ولا انزال وحي ولا إرسال ملك، وإنما حصل له ذلك بأن كشف لآدم عليه السلام عن إنسانيته التي هي حقيقته، فوجدها مجموع الأسماء الآلهية والكونية في مقام الفرق وإلاّ فالجميع أسماء إلآهيه فما الكون جميعه إلاّ أسماؤه تعالى وإنما كانت حقيقة آدم بهذه المنزلة لكونه برزخا جامعا بين الوجوب والامكان،فهو البرزخ الجامع بين الطرفين المتقابلين،فعند ما عرف آدم حقيقته قال للملائكة إنكم أدعيتم الكمال وقلتم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فانبؤوني بأسماء هؤلاء أي خبروني بالأسماء الآلهية التي توجهت على إيجاد هؤلاء الأعيان الخارجيه المشار اليها، فالتفتوا الى الحق تعالى التفات عجز وافتقار،وأنابة واضطرار،وقالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا،فأمر الحق تعالى آدم عليه السلام أن يعلمهم تلك الأسماء، فقال: أنبئهم بأسمائهم، ليظهر فضل آدم عليه السلام عليهم، عليهم السلام، فضل الأستاذ على التلميذ فلما أعلمهم آدم عليه السلام بأسمائهم عرفوا حينئذ أن هناك أسماء كثيرة ما عرفوها، ولا نزهوا الحق تعالى ولا سبحوه بها: ولما علمهم ماعلمهم من أسماء الأعيان الخارجية والمعاني ما أخذوها كلها ذوقا، ولكن أخذوا بعضها علما ذوقيا،

وبعضها علما فقط ، فان الاسم الرزّاق مثلا يعطي الأرزاق الحسية والمعنويه، وهم ماذاقوا الاّ الرزق المعنوي بالعلوم والأسرار، وماذاقوا الأرزاق الحسية، فانهم لا يأكلون ولا يشربون، وكالاسم التوّاب والستّار والغفّار فانهم إنما علموها علما مجردا عن الذوق لأنهم ماذاقوا المخالفة والمعصية، إذ لا يعصون الله ماأمرهم فهم معصومون، فلم يذوقوا التوبة منها، والمغفرة لها، والستر عنها وكذا الاسم الخافض والرافع، فانهم ماذاقوا الخفض عن مقاماتهم ولا الرفع عليها ، إذ لا ترقى الملك ولا نزول عن مقامه الذى خلق فيه أول خلقه، قال تعالى حكاية عنهم، ومصدقا لهم، وما منا الاّ له مقام معلوم، وأما المرتبة فقد ينزل الملك من مرتبة عليا الى مرتبة أدنى، ومن هذا خوفهم في قوله، ويخافون ربهم من فوقهم، ومثل هذا كثير، وأما آدم وبنوه فقد أخذوا الاسماء علما ذوقيا حاليا ففازوا بالطريقين وظهرت فيهم الأسماء الجمالية والجلالية بالوجهين لخلقه باليدين، وليس من ذاق كمن علم علما مجردا، فان بين من علم أن الطعام تشبع الجائع ، والماء يروي الظمآن ، وما جاع ولا أكل ولا ظمىء ولا روى، وبين من جاع وشبع وعطش وروى فرقانا عظيما

(الموقف المائة الخمسة والأربعون)

قال تعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، أي لا يسأل أحد الحق تعالى عما يفعله به، ويوجده له، عند النظر الى الحقائق وبواطن الأمور، سواء العالم بالحقائق والجاهل بها، أما العالم بالحقائق فانه علم أن الحق تعالى ما فعل به الاّ مااقتضاه استعداده فما حكم الحق تعالى على أحد ولا فعل به الاّ ماطلبه استعداد ذلك المحكوم عليه، المفعول به، من الحق تعالى أن يحكم عليه، ويفعل به، فما حكم الحق عليه، وإنما هو الذي حكم على نفسه، ولهذا لما قالت الاشقياء

عند معاينة العذاب، ياليتنا نرد ولانكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، أكذبهم الحق تعالى فقال،ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون في دعواهم إنهم لا يكذبون بآيات الله وانهم يؤمنون لأنه لايمكنهم ، ثانيا فعل غير مافعلوا أولا لأنه مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم وقلب الحقائق محال. فالبرودة مثلا لا تنقلب حرارة أبدا، وإنما البارد يقبل أن يصير حاراً، وكذا الجاهل بالحقائق فان سؤاله غير متوجه الي الحق تعالى في نفس الأمر ، وإنما سؤاله متوجه إلي من فعل به مالا يلائمه فظلمه في زعمه، وليس ذلك هو الحق تعالي عن الظلم وإنما السائل هو الذي ظلم نفسه إن كان ما فعل به ظلم كما قال تعالى،وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون،وقال وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم قال الله، وما الله يريد ظلما للعباد ، وإرادة مجردة عن سؤال الاستعدادات لأنه لاغرض له في ضرر أحد، ولا في تعذيبه،ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وإنما حقائق العباد طلبت بلسان استعدادها إيجاد ما هو مقتضاها فأعطي الحق تعالي الوجود لذلك المطلوب لاغير ، إذ الحق تعالي جواد لا يبخل فكل ما طلبته الاستعدادات أعطاها أياه، وقوله مايريد أبلغ في النفس من قوله، لا يظلم، فانه إذا انتفت الارادة انتفى الفعل بالأولى والأخري ، وهم يسألون عما فعلوه من الكفر والعصيان والمخالفة الأوامر الشرعية،والأوضاع الحكمية،حيث أنهم ماخالفوا الا جهلا وعنادا وكفرا، ولو علموا استعداداتهم وماهي مقتضية لهما شقوا،فانهم حينئذ عملوا ما عملوا مما ظاهره مخالفة وعصيان بالأمر الارادي عن كشف،فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن شاء الله من كمّل الورثة أن يطلعه على مقتضى استعداده قبل أن يقع ما وقع منه.لا يسألهم الحق تعالي عمافعل بهم ، وخلق

فيهم ، للكشف الحاصل ولهذا كان ما يكون منهم لا يعد مخالفة في نفس الامر ، ولا يعاقبون عليه في الآخرة ، وإن عد مخالفة في ظاهر الشرع الحكيم ، وكان لهم أن يعتذروا ويحتجوا بالقدر ، كما ورد في الصحيح قال موسى لآدم عليهما السلام أنت الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك ، فقال آدم ، أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه تلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني ؛ وإلى هذا يشير العارف الكبير عبد الكريم الجيلي بقوله

وما ذاك إلاّ أنه قبل وقعه ... يخبّر قلبي بالذي هو واقع
فنأتي الذي نأتيه والقلب ناظر ... لمثبته في اللوح والجفن دامع
فإن كنت في حكم الشريعة عاصيا ... فإني في حكم الحقيقة طائع

وأما المحجوبون فليس لهم أن يعتذروا ويحتجوا بالقدر فإنه ما حصل لهم علم بما تقتضيه حقائقهم في الشر والكفر والعصيان ، وهذه المسألة في مبادىء سر القدر ، وقد نهى الشارع عن الخوض فيه مخافة على الضعفاء ، فإن الخوض فيه يصير بصاحبه الى الالحاد ورفض الشرائع ؛ نعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، آمين

(الموقف المائة الستة والأربعون)

قال تعالى ، إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون ، من اسمائه تعالى الوارث وهو الذي ترجع اليه الأملاك ، بعد فناء الملاّك ، وميراثه تعالى للأرض ومن عليها هو برفع نسبته الملكية التي كانت للمخلوقات ، وهي الانتفاعات ، وأما الأعيان فهي ملك خالقها تعالى ، لا ملك لمخلوق عليها فلا تُملك الاّ الانتفاعات ولا يباع ولا يشتري إلاّ هي لا الأعيان ولهذا منع

الشارع من بيع الأعيان إذا عدمت من الانتفاعات المقصودة منها ومنع من بيع جميع الأعيان التي لا ينتفع بها في شيء من أنواع الانتفاعات المباحة، وإلينا يرجعون وذلك يوم قوله تعالى: لمن الملك اليوم وذكر ثلاثة أسماء الله وهو الاسم الجامع وهو الوارث في الحقيقة لا الواحد ولا القهار؛ إذ أسماء الألوهية والربوبية تختفي باختفاء آثارها وهم المألوهون والمربوبون لأن بزوال المألوه تختفي نسبة الآلهية، وبزوال المربوب تختفي نسبة الربوبية، فلا رب ولا مربوب ولا آله ولا مألوه؛ تقديرا كما هو الأمر قبل إيجاد العالم والواحد وهو من أسماء الذات وذلك يفيد غناه عن العالمين، إذ ذلك مقتضي الذات العلية، والقهار وهو من أسماء الصفات وذلك يفيد إعدام العالم وفناءه، فإن ما أفناه الأ تتوجه عليه بأسماء الجلال كالقهار ونحوه، ثم تتجلى أسماء الرحمة والجمال، وتطلب ظهور آثارها فيعيد العالم لا إله الا هو العزيز الحكيم

(الموقف المائة السبعة والأربعون)

قال تعالى: فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، يرجو يحب فإنه لا يرجو الا محب ولا يرجى الا محبوب، لقاء ربه، رؤيته ومشاهدته ومكالمته ومسامرته في الدنيا قبل الآخرة، فليعمل عملا صالحا: من قولهم صلحت الثمرة إذا سلمت من العاهات والآفات، والعمل الصالح هو الذي لا شائبة فيه غير محض العبودية الذاتية، والعبودية الذاتية الآلهية، فإن الآلهية من حيث هي هي أهل لأن تعبد، والمألوهية من حيث هي هي أهل لأن تعبد، فإذا كانت العبودية على مقتضى الربانية الألوهية، والعبودية، كانت مقبولة وإن كانت على مقتضى العوارض والأغراض كانت مردودة على صاحبها، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، من أعظم الآحاد النفس

ولا يجعل لها في العبادة نصيبا، كنيل ثواب، أو دفع عقاب، أو حصول درجة في الدنيا والآخرة، أو نيل ولاية، أو اكتساب حال من الأحوال السنية، فهذه كلها وما يشبهها تشريك في العبادة، فإنه من الفضول عند المحققين ومانعة من لقاء الرب على الوجه المحبوب المراد، وأما اللقاء على كل حال فهو حاصل لكل أحد لمن يرجو ولمن لا يرجو، ولكن إذا لم تحصل الشعور به، والمعرفة له، فماذا عسى ينفع اللقاء كمن له مطالب مهم عند شخص وهو لا يعرف عينه، فبقي متعطشا لطلبه، وذلك الشخص بحيث يراوحه ويغاديه كل يوم، فماذا ينفعه ذلك ومن الشرك الذي يشير إليه النهي في الآية إدخال النفس في العمل ورؤية أن لها دخلا فيه بوجه من الوجوه المؤثرة فعلى العامل أن يرى أنه مفعول به لا فاعل، وأنه محرك لا متحرك، وأنه يقام به ويقعد ويركع به ويسجد، فإن قلت فأين العبد وعمله قلت: ألا يكفيه وجود إسم العبد ونسبة الفعل العدمية التي أثبتها الشرع إليه، حسبه شرفا أن يكون مفعولا به وأنه ظرف لما يخلقه الله فيه، فالمفعول به والمفعول فيه وهو المسمى ظرفا هو الإنسان، وكل مخلوق نسب إليه عمل والمفعول المطلق هو الفعل المنسوب إلى الإنسان فإنه لا وجود له في الخارج أصلا، وإنما هو أمر عقلي لأنه مصدر وهكذا جميع المصادر، والمفعول له وهو المفعول لأجله هو الحقيقة المحمدية كما ورد لولاك ما خلقت الأفلاك، ويصح أيضا ولا يشرك بعبادة ربه وإلهه الطالب لعبادته المتولي لتربيته، الأحد الذي هو اسم الذات من حيث هو غني عن العالمين، فإن الأحد لا يرب أحدا، ولا يطلب منه عبادة وأن توجه إليه عابد بعبادته مجردا عن رتبة الربوبية والألوهية، رمي به وما قبله بل يسحقه ويمحقه فإنه مقتضى الأحدية

(الموقف المائة الثمانية والاربعون)

قال تعالى ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، الاحاطة هنا ليست على اصلها من اكتناف الشيء من جميع جهاته ووجوهه، وإنما المراد بالاحاطة مطلق الادراك. وكل من أدرك معلوما وزعم أنه أدركه على وجه الاحاطة ومابقى له منه شيء غير ماأدرك فما أدركه ، فان من المعلومات ما لا يحاط به تعالى لذاته التي هي حقيقة كل معلوم وأسمائه، وهي لا تتناهي، وقوله تعالى، وعلّم آدم الأسماء كلها، المراد أسماء مرتبة الألوهية المتوجهة على العالم أعني كلياتها، وأما جزئياتها فانها أيضا لا يحاط بها، وقد قال السيد الكامل، أسألك بكل إسم هو لك، أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، وأما قول بعض العارفين وقد سأل أيحيط العارفون بالحق تعالي إذا حوّطهم به أحاطوا ، فمعناه أنه إذا أعلمهم انه لا يحاط به فقد حوّطهم إذ العلم إدراك الشيء على ماهو عليه فاذا كان ذلك مما لا يحاط به فقد أحاط به من بعض وجوهه ، وقال، من علمه، وما قال من معلوماته ، لأن معلومات الحق تعالى عين علمه، وعلمه عين ذاته، علم ذاته تعالى، فعلم العالم من علمه بذاته، فليس علمه بالعالم شيئا آخر غير علمه بذاته، فالعالم والعلم والمعلوم حقيقة واحدة تعددت بالاعتبار والعالم الذي يظهر لنا متعددا هو حقيقة واحدة، وروحه واحد، وهو المدبّر لجميعه كجسد الانسان الواحد، تعددت أعضاؤه وجوارحه وقواه، وروحه المدبّر له واحد فمن نظر إلى العالم رآه شيئا واحدا متصلا كجسد الانسان، وإنما قال شيء بالنسبة الينا فانه قد يكشف لنا بعض تلك الحقيقة فنعلم ما كشف منها ، ويستر البعض فيبقى مجهولا لنا، وماأوتيتم من العلم إلا قليلا، وأما بالنسبة اليه تعالي فالكل شيء

واحد وكل شيء تعلق به علمنا، أو إدراك من مداركنا إنما هو الحق تعالى لا غيره، وعلمنا هو علمه تعالى لمناسب الينا تقيد ببعض الأشياء دون بعضها، كما أننا باقون في العلم ماخرجنا من علمه تعالى من حيث حقائقنا وأعياننا فيه، نعلم وما خرجنا من العلم، والناس يظنون أنهم في هذا الموطن الذي يسمونه وجودا خارجيا خرجوا من حضرة العلم الآلهي إلى شيء آخر، وموطن غير العلم، وهم غالطون بل ما زالوا في حضرة العلم وما خرجوا منه ولا يخرجون أبدا وإنما الظاهر في هذا الموطن الذى توهموه وجودا لهم خارج العلم، هو الوجود الحق تعالى متلبسا بأحكام استعداداتهم التي هي حقائقهم، ومن صفة نفسها أن لا تخرج من العلم ولا تصير إلى هذا الأمر الذي يقال فيه وجود خارجي أبدا، والأحكام إنما هي نسب وإضافات لا وجود لها إلا في العقل وهي إعدام في الخارج عند أولي الأبصار، فما سمي العالم الأ مثل التجريد عند علماء البيان، جرد الحق تعالى من نفسه لنفسه في نفسه أشياء وقدرها في نفسه تقديرا، وهي عين الحق تعالى في الحقيقة وغيره في الحكم والمعاملة، فالعالم هو ذلك التجريد والتقدير المجرد في النفس المقدر فيها فأين العالم، وما هو العالم، فانظر ماذا ترى فما ترى عين ذي عين سوى عدم، فصح أن الوجود المدرك الله هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، لا شيء غيره من كل ما يقال فيه أول، أو آخر، أو ظاهر، أو باطن، وقد تحقق تعالى بهذه الآية الأغيار كلها

ورفض السوى فرض علينا لأننا ... بملة محو الشرك والشك قد دنا

ولكنه كيف السبيل لرفضه ... ورافضه المرفوض نحن وما كنا

(الموقف المائة التسعة والأربعون)

قال تعالى: فول وجهك شطر المسجد الحرام. أي وجّه وجهك الخاص بك، وهو الذي قال تعالى فيه: ويبقى وجه ربك، وهو سرك الذي قامت به روحك، كما قام جسدك بروحك؛ فإنه هو المراد من الإنسان المقصود بالأمر، فإن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم، وهي وجوه الحق تعالى التي لكم، ومنسوبة إليكم، وهي التي وسعت الحق منكم؛ وما وسعته الأرض ولا السموات؛ فما أمرنا الحق تعالى أن نستقبل إلا بهذه الوجوه ولا ننظر ولا نسمع إلا بها فمن توجه بجسمه الظاهر مجردا من هذا الوجه، فما توجه، ومن نظر ببصره مجردا عن هذا الوجه فما أبصر، كما قال: وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون، وما ذلك إلا أن نظرهم كان بأبصارهم لا بوجوههم الخاصة وأسرارهم، ومن تسمع بسمعه مجردا عن هذا الوجه فما سمع كما قال ولهم آذان لا يسمعون بها، ومن توجه بقلبه اللحمة الصنوبرية فما فقه ولا عقل، كما قال: لهم قلوب لا يفقهون بها، فمن نظر بعينه المقيدة لا يرى إلا الاشياء المقيدة وهي الأجسام والألوان والسطوح، ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطابق والجن، وكلها أكوان وحجب، ومن نظر بوجهه وهو سره رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء؛ فإنه لا يرى الله إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحدة اختلفت باختلاف مدركاتها، بالاحيرة وياللعجب لا يفرق الناظر بين نظره بجسمه وروحه وسره، وهو وجهه الخاص إلا بمدركاته، ولهذا الوجه قال تعالى: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، وجعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ولهذا الوجه قال تعالى: كنت سمعه وبصره، الى آخر القوى، ولهذا الوجه قال:

وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه، فانه هو الذي عبد في كل مخلوق، عبد في نار، وشمس، ونجم، وحيوان، وجن، وملك، فملاحظة هذا الوجه لازمة في كل عبادة وعادة، فاذا توجه إلى القبلة للصلاة يرى أن المتوجه حق والمتوجه اليه حق، وإذا تصدق يرى أن المعطي حق والمعطَى حق، كما قال تعالى: ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات، وفي الصحيح أن الصدقة أول ما تقع في يد الرحمن، وإذا تلا القرآن رأى أن المتكلم حق، والمتكلم به حق، وإذا استمع القرآن رأى أن الكلام حق والسامع حق، وإذا نظر الى شيء رأى أن الناظر حق والمنظور اليه حق، فأنه يرى الله بالله، واحذر ان تعتقد حلولا أو اتحادا أو سريانا أو تولدا، تعالى الله عن ذلك كله وأنا بريء من ذلك كله وانما هو كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... فمن أين تدري الناس أين توجهنا

وقوله: المسجد الحرام، هو وان ورد في المسجد المحسوس فيؤخذ منه أن المسجد هو الحضرة الجامعة للاسماء حضرة الألوهية فهي محل السجود، سجود القلوب لا سجود الأجسام، قيل لبعضهم أيسجد القلب؟ قال: ولا يرفع أبدا الحرام عن أن يدخله قلب لم يتجرد من محيط النفس ومحيط الأكوان، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم: أي حيثما كنتم في عاداتكم وعباداتكم شاهدوه في كل مأكول ومشروب ومنكوح، وعلى أنه الشاهد والشهود كما قال. وشاهد ومشهود، اقسم بالشاهد والمشهود وما اقسم الا بنفسه لا بغيره

(الموقف الثالث والخمسون)

قال تعالى: إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم، الضمير في قوله أنزلناه عائد على الكتاب المبين وهو القرآن العظيم

مثل قوله، إنّا أنزلناه في ليلة القدر، فالليلة المباركة هي ليلة القدر، ولبركتها نزل القرآن فيها وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم، محكوم مبيّن بجميع لوازمه، ولواحقه، محدود بمكانه، مؤقت بزمانه، كما قال تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر، أي من كل ما يقع في العالم العلوي والسفلي في تلك السنة يظهره الله تعالى لهم ويكلفهم بانفاذه وهذا من بركة تلك الليلة فان الأمور التي تقع في السنة في العالم العلوي والسفلي لا يحصيها الا خالقها، وهي كلها تترتب وتتبين في تلك الليلة وهذه الليلة ممتزجة لا ضوء محض، ولا ظلمة خالصة، كنت أنظر إلى ظل شخص فأراه متميزا وليس هناك نور زائد كما يتوهمه أكثر الناس، وذلك في الخامس والعشرين من شعبان فلا تختص برمضان، كما قال بعض العلماء، وبعض الناس تنكشف لهم أنوار في وسط السماء، أو في جوانبها، أو أنوار تشبه السرج، فيظنون أن ذلك علامة ليلة القدر وليس الأمر كذلك وإنما علامة ليلة القدر ما رواه مسلم في الصحيح ان الشمس تطلع صبيحتها ولا نور لها وقد شاهدت ذلك فكانت الشمس كالترس النحاسي لاشعاع لها ولو كانت فيها كتابة لأمكنني قراءتها من غير كلفة وقائم هذه الليلة يحصل له ما وعد الله به ولو لم تنكشف له، والناس يرغبون في معرفتها ويطلبونها لأجل إجابة الدعاء فيها وكان الأولى أن يطلبوها لما وعد الله تعالى به قائمها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ففي الصحاح، من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه، وأما الدعاء فلا يمكن الداعي أن يدعو تلك الليلة الا بما سبقت القسمة الازلية بحصوله وكان يطلبه بلسان استعداده، فهو مجبور على هذا، وقالت عائشة رضي الله عنها: يارسول الله إذا رأيت ليلة القدر ما أقول، فقال قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف

عنى ، وظاهر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمراقبتها وطلبها إنما هو لاقامتها طلبا لما وعد الله من مغفرة الذنوب فى حق عامة أهل الايمان والعباد لا فى حق الخواص الذين لا يريدون الا وجهه فلا يعاملون غيره

(الموقف المائة الواحد والخمسون)

قال تعالى حاكيا قول موسى لخضر عليهما السلام : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، إعلم أن المريد لا ينتفع بعلوم الشيخ وأحواله الا إذا انقاد له الانقياد التام ووقف عند أمره ونهيه مع اعتقاد الأفضلية والأكملية ، ولا يغني أحدهما عن الآخر ، كحال بعض الناس يعتقد فى الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه فى نيل غرضه وحصول مطالبه ، وهو غير ممتثل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به أو ينهاه عنه ، وهذا موسى عليه السلام مع جلالة قدره ، وفخامة أمره ، طلب اتباع خضر عليه السلام وسأل السبيل الى اتباعه ، وتجشم مشاق ومتاعب فى سفره ، كما قال ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ومع هذا كله لما لم يمتثل نهيا واحدا وهو قوله : فلا تسألني عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ، ما انتفع بعلوم خضر عليه السلام مع يقين موسى عليه السلام الجازم ، أن الخضر أعلم منه بشهادة الله تعالى لقوله تعالى عند ما قال موسى عليه السلام ، لا أعلم أحداً أعلم مني بلى عبدنا خضر ، وما خص علما دون علم بل عمم ، وكان موسى عليه السلام أولا ما علم أن استعداده لا يقبل شيئا من علوم خضر عليه السلام وأما خضر عليه السلام فانه علم ذلك أول وهلة فقال ، إنك لن تستطيع معي صبرا ، وهذا من شواهد علمية الخضر عليه السلام ، فلينظر العاقل الى أدب هذين السيدين ، قال موسى عليه السلام ، هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ، أي هل تأذن فى اتباعك لأتعلم منك ،

ففي هـذه الكلمات من حلاوة الأدب ما يذوقها كل سليم الذوق ، وقال خضر عليه السلام ، إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ؛ وما قال ، فلا تسألني ؛ وسكت ، فيبقى موسى عليه السلام حيران متعطشا بل وعده أنه يحدث له ذكرا ، أي علما بالحكمة فيما فعل ، أو ذكرا بمعنى تذكرا ، فانه قيل ، أن خضر أعد لموسى عليهما السلام ألف مسئلة مما كان وقع مثله لموسى عليه السلام ، فلم يصبر ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وددنا أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما أو كما قال ، فان خرق السفينة يشبه إلقاء أم موسى موسى فى البحر ، إذ كل من الفعلين ظاهره الهلاك ، وقتل الغلام كقتل القبطي ، وإقامة الجدار بغير أجر كالسقي لبنات شعيب من غير أجر ، ثم بعد الفعلة الثالثة من خضر تبين لموسى عليهما السلام ، أنه ليس فيه قابلية لحمل شيء من علوم خضر عليه السلام ، فطلب الفراق بسؤاله ، ثالثا كما ورد فى الصحيح ، كانت الأولى من موسى نسيانا ، والثانية شرطا . والثالثة عمدا ، وعند ما أزمع الفراق ، ووقفا للوداع ، قال خضر لموسى عليه السلام ، أنت على علم علمك الله لا ينبغي لى أن أعلمه ؛ وأنا على علم علمني الله لا ينبغي لك أن تعلمه ؛ يريد أنت على علم الرسالة وملاحظة الأسباب في الأفعال والتروك والحكم بالشاهد واليمين ؛ والاقرار والانكار ، ونحو ذلك من الوقوف مع ظواهر الأشياء مأمور بسياسة بني إسرائيل ، والنزول لعقولهم ؛ فلا ينبغي لى أن أعلمه ، يعني لا فائدة لي فى العلم به ، إذ العلم المتعلق بالأكوان إنما يراد للعمل به ، وأنا مأمور بالحكم بخلافه ، وهو الحكم بالكشف وملاحظة الأمور والأسباب الغائبة ، وبما يرد على القلب من الخواطر الربانية التي لا تخطئ ، فلا

ينبغي لك أن تعلمه لأنك مأمور بالحكم بخلافه ، وهذا الاختلاف بينهما إنما هو في العلوم المتعلقة بالأكوان ، وأما العلم بالذات العلية ، والصفات الآلهية ، فكل منهما على غاية الكمال ، كما يأتي بمقام النبوة . وبمقام الولاية العظمى مقام القربة وهو الأفراد ، والخضر عليه السلام منهم ، فان الخضر غير نبي بلاشك عندي ، وكما هو عند المحققين من علماء الباطن والظاهر ، وعلى ما قدمناه ، فأكملية الشيخ في العلم المطلوب منه ، المقصود لأجله ، لا تغنى عن المريد شيئا ، إذا لم يكن ممتثلا لأوامر الشيخ ، مجتنبا لنواهيه

وما ينفع الأصل من هاشم　　اذا كانت النفس من باهله

وإنما تنفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة الي المقصود والا فالشيخ لا يعطي المريد الا ما أعطاه له استعداده ، واستعداده منطو فيه وفي أعماله ، كالطبيب الماهر اذا حضر المريض وأمره بادوية ، فلم يستعملها المريض . فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب ، وعدم امتثال المريض ، دليل على أن الله تعالى ما أراد شفاءه من علته ، فان الله اذا أراد أمرا هيأ له أسبابه وإنما وجب على المريد طلب الأكمل الأفضل من المشايخ ، خشية أن يلقى قياده بيد جاهل بالطريق الموصل الى المقصود ، فيكون ذلك عونا على هلاكه

(الموقف المائة الاثنين والخمسون)

قال تعالي ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل ، كل من طلب منه العدل بين أمرين متضادين ، بحيث يكون إرضاء أحدهما إغضابا للآخر ، وإدخال السرور على أحدهما تحزينا للآخر ، اذا كانا على طرفي النقيض فلا يرضى أحدهما ، الا اغضاب الآخر ولا يسر أحدهما ،

الا بتخريب الآخر ، ولا تحصل عمارة أحدهما ، الا بتخريب الآخر وبقدر القرب من أحدهما ، يبعد من الآخر ، طبعا لا محيص عنه ، ولا مهرب منه ، فذانك الامران سواء في حقه ، يعني زوجين متقابلين ، كالنفس ، والروح ، والدنيا ، والآخرة ، فانك إذا أعطيت النفس أغراضها ، واتبعت شهواتها ، ومكنتها من مراداتها الطبيعية ، أرضيتها وأغضبت الروح ؛ فان الأمور الطبيعية ، والشهوات النفسانية ، تضر بالروح وتسود وجهها ، وتكسف شمسها ، وتمنع عنها وصول المعارف ، وتحجب عنها الأنوار والاسرار ، فاذا أرضيت الروح باستعمال الامور الروحانية والفروق عن أحوال الطبيعة الجسمانية ؛ أغضبت النفس ، كيف وهي مركب الروح عليها يدرك مطالبه ، وينال رغائبه ؛ وان كل ما يقوي الروح يضعف النفس ؛ وبالعكس ، وكذلك الدنيا والآخرة ؛ كلما التفت الي أحداهما أعرضت عن الأخرى ؛ وكلما سعيت في عمارة أحدهما أخربت الأخرى ، وان تستطيع إرضاء الجميع أبدا ، كما أخبر الله تعالى ولو بذلت جهدك ، وانفدت ماعندك ، فان جمع النقيضين محال ، فعلمنا الحكيم تعالى الخلاص من هذا المشكل ، والدواء لهذا الداء المعضل ، وهو أن لا نميل كل الميل ، فاننا وإن ملنا بقلوبنا إلى أحدهما فلا نميل في ظواهرنا بترك حقوق ما ملنا عنه رأسا ، ونعرض عن مطالبه ونتركه هملا ، إذ نحن مأمورون بالابقاء على كل واحد منهما ، والرفق بهما ، ولا غنى لنا عن أحدهما ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل في القسمة بين نسائه ، ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني بما تملك ولا أملك ، يعني القلب ومراد الحق تعالى منا ، وأمره لنا ، بارضاء الروح والنفس وعمارة الدنيا والآخرة على الحكمة التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، والحد الذي حده لنا كل واحد

بحسبه وما يقتضيه حاله : ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما فالميل المضر بالدنيا والآخرة ، أو بالنفس أو بالروح كله من اتباع الشهوات ، واستغواء الشيطان ، وتزيينه لبس من الدين في شيء : وإذا سمعت أو رأيت في كتاب حكايات القوم رضوان الله عليهم ، وما فعلوه بأنفسهم من الاضرار ، وما صنعوه بدنياهم من التخريب فانما ذلك كله ليحصلوا على عدم الميل المضر بأرواحهم وأخراهم ، ويكونوا على الحكم المشروع ، والقسطاس الموضوع ، وان كل شيء تميل اليه النفس الميل الكلي ، وتطلب التمتع به على الكمال والتمام ، جاء الشرع بذمه وتقبيحه والتنفير عنه ، مع أن النفس لا تتركه كله فذلك محال لأنه لا بقاء لها بدونه رأسا ، فيحصل الصلاح على ترك طلب النفس الكل ، وإبقاء البعض لها : ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، فالقوم متبعون حكمة الشارع فيما فعلوا ، وانظر أحوالهم في نهاياتهم عندما زموا أنفسهم بزمام الشرع والعقل ، كيف تجدهم يأكلون أطايب الطعام ، ويلبسون الأثواب ، ويركبون فاره الدواب ، ويقولون ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، والأقربون أولى بالمعروف ، ونحو هذا ، ويعمرون في الدنيا كل واحد على ما اقتضاه حاله ، وهذه سنة الأنبياء عليهم السلام والكمل من الورثة ، وقال صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وانام وآتي النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ، خرجه أصحاب الصحيح

(الموقف المائة الثلاث والخمسون)

قال تعالى ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، اليوم هو يوم القيامة وأوله يوم الموت ، وان من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الخبر ، إذ من يوم الموت يكون في نعيم أو عذاب برزخي خيالي : الى يوم البعث يصير العذاب والنعيم

حسباً كحال الدنيا ؛ وربهم الذي حجبوا عنه هو ربهم الخاص الذي تولاّهم في الحضرة الجامعة لأسماء الربوبية ، وهو الذي زين لهم أعمالهم الكفرية ، كما قال ، إن الذين لا يؤمنون بآياتنا زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون ، زيّن لهم من حيث الاسم الخاص بهم كما أنه قبّح وكرّه ذلك لآخرين ، من حيث الاسم الخاص بهم ، قال ، ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، وقال وكذلك زيّنا لكل أمة عملهم ، وقال وكذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون ؛ وهو الذي جعلهم فرحين بما لديهم ، كما قال كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو الذي زيّن لهم حب الشهوات كما قال ، زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، الآية ، وهو مشهود لهم في الدنيا ، غير متحجب عنهم ، وإن لم يشعروا وهم راضون عنه وهو راض عنهم ، وما قالوا في الآخرة عند ذوق العذاب ، ربّنا أخرجنا منها ، فإن عدنا فإنا ظالمون ، ولا قالوا ، يا ليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا ، ولا نادوا يامالك ليقض علينا ربك ، ولا تأوّهوا ولا تضجروا إلاّ من احتجاب ربهم عنهم ، فإن العذاب وإن تنوّعت مظاهره فمرجعه إلى الحجاب ؛ والنعيم وإن تنوّعت مظاهره فمرجعه إلى الشهود والرؤية ، ولو لم يتحجب عنهم في الآخرة وبقي مشهوداً لهم ما أحسوا بعذاب ، ولا تألموا بنار ، ولكانوا كما كانوا في الدنيا فرحين ، مستبشرين ، فكهين ، يضحكون من أهل السعادة ، يسخرون منهم ، يتغامزون ، كما قال ، إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، الآية ، وقال ، ويسخرون من الذين آمنوا ، وهذا كله منهم ، رضى بكفرهم ومخالفتهم في الدنيا التي تصورت لهم في الآخرة ، بصور نار وحيات ومقامع من حديد ، وغير ذلك من أنواع

العذاب ، فانها ليست إلا أعمالهم ، فكلما تخيلوا فعلا من أفعالهم الكفرية تصور لهم ذلك الفعل بصورة جعلها الله لهم من أنواع العذاب ، فأحسوا بالعذاب ؛ هذا في البرزخ فان الحكمة الالهية جعلت التخيل فيه مقدما على الاحساس ، فلا يحس بالشيء إلا بعد تخيله وفي الآخرة التخيل والاحساس مثلا زمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فما تعذبوا الا بتخيلات أعمالهم الكفريه التي عملوها في الدنيا ، فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فيتصور الزنا بتنور من نار ، وآكل الربا بنهر من دم ، والكذب بكلوب ، ونحو هذا ، والكفر والمخالفة عند أهل السعادة في الدنيا بمثابة النار والحيات والمقامع التي للاشقياء في الآخرة ، وذلك لأن ربهم الهادي ونحوه من أسماء الجمال والسعادة ، كرّه اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وهو مشهودهم وإن لم يشعروا به ، وليس ربهم المضل ونحوه من أسماء الجلال ، ولذلك ترى المؤمن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار ، كما ورد في الصحيح ؛ بخلاف الكافر فانه مستلذ بكفره مستحليه ، وإن المؤمن يرى ذنوبه كجبل يخاف أن يقع عليه ، فهو دائما متعذب بخوف وقوعه ؛ وانتظار العذاب عذاب ، ومن أهل السعادة من يستهين الموت في جنب معصية ربه . وقام تبنه وقطع يده ؛ كل هذا لأن ربهم ما زين لهم الكفر والمخالفات ، كما زين رب الأشقياء أعمالهم الكفريه لهم ؛ فاذا بعد الوعيد وأخذ الغضب الالهي حده وتمت كلمة ربك ، لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ؛ تجلى لهم ربهم الذي كان منحجبا عنهم ، فزالت الآلام بشهوده وحصلت اللذات ، وتوالت الأفراح ، كما كانوا في الدنيا ، فرحين بشهوده ، متلذذين بما يدعوهم اليه ، متحجبين به

مع بقاء جهنم على حالها، ودوام أهوالها، وأنكالها، ولو دعوا الى الجنة ونعيمها لهربوا وتأذوا، وقالوا النعيم ما نحن فيه لا غيره، كما كانوا يقولون، إن هؤلاء لضالون، وكما كانوا فى الدنيا يهربون من أحوال أهل السعادة وأعمالهم، وحينئذ يصدق عليهم، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وأعماله، لما وجدوا من اللذة والراحة والفرح على أحد محتملات، الآية، والتلذذ بالآلام مشهود عيانا، فقد رأينا بعض أهل الله تعالى ممن أخذوا عن عقولهم بمشاهدة مولاهم فى بلايا ومحن، تئن لها الحجارة وهم فى غاية السرور والبسط والمزح وعدم الاكتراث بما حل بهم، ولا يطلبون زوال ذلك، بل لا يحبون زواله: راودناهم على التطبب فامتنعوا: وما ذلك الا لغيبتهم عن الآلام بمشاهدة ربهم ومحبوبهم: وقد ورد فى الأخبار، أن أهل الجنة إذا رأوا ربهم تعالى غابوا عن الجنة ونعيمها جميعه من حور وقصور وغلمان ومستلذات، فليس للنعيم صورة مخصوصة وإنما هو بحسب المتنعمين واختلاف طبائعهم وأمزجتهم، فقد يكون النعيم عند قوم عذابا عند آخرين وبالعكس وهذا أمر موجود في الدنيا وهذه الآية فى أهل النار الذين هم أهلها لا الذين دخلوها بذنوب أصابوها، فانهؤلاء يخرجون منها بالشفاعات التي آخرها حثيات الرحمن: وقد ورد فى الخبر أنهم يموتون فى النار إماتة مدة بقائهم فيها حتى لا يحسوا بالآلامها، ثم أنهم اصالوا الجحيم، ثم تفيد الترتيب فما أحسوا بالجحيم وما فيها من الآلام الا بعد الحجاب

(الموقف المائة وأربعة والخمسون)

قال تعالى: له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع، لا غيب فى حق الحق تعالى بل الكل شهادة فى حقه: وإنما انقسمت الأشياء الى غيب

وشهادة بالنسبة الينا ، فالخبر في الآية محذوف تقديره غيب السموات والأرض ، شهادة أبصر به وأسمع ، أي ما أبصر الحق تعالى وما أسمعه إذ كل بصر بصره وكل سمع سمعه فما أبصر مبصر الاّ ببصره ، ولا سمع سميع الاّ بسمعه ، وهو السميع بسمعه والبصير ببصره ، فلا سمع ولا سميع الاّ هو ، ولا بصر ولا بصير الاّ هو ، فكيف يتصور في حقه غيب ، تعالى عن ذلك ؛ ويصح أن يكون الأمر على بابه ، والخطاب له صلى الله عليه وسلم ؛ والمراد نحن أمرنا الحق تعالى أن نعمل على الحصول والوصول الى مرتبة بي اسمع وبي يبصر ، الى آخر القوى ؛ وليس المراد أمره صلى الله عليه وسلم أن يبصر بالحق تعالى ويسمع به فانه قد حصل له ذلك لا محالة بل الحق يبصر به صلى الله عليه وسلم ويسمع به . كما هي المرتبة العليا فان صاحب المرتبة الأولى فيه بقية ، وذلك نقص بالنسبة لمقام النبوة الأسمى

(الموقف المائة خمسة والخمسون)

قال تعالى ، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ؛ لفظ الناس يعم الجن والانس ، والمؤمن والكافر ، والتقوى هنا على نوعين تقوى له وتقوى به ؛ أمر الحق تعالى الناس أن يجعلوا نفوسهم وقاية لربهم في موطن وحال ، وأن يجعلوه تعالى وقاية لهم في موطن وحال ، وذلك أن حضرة الربوبية مشتملة على أسماء جمال وخير وملائمة لمن توجهت اليه ، وعلى أسماء جلال وشر وعدم ملائمة بالنسبة الى من توجهت عليه فأمروا أن ينسبوا لربهم كل طاعة وإيمان وخير ، وبذلك يكون هو وقايتهم وهم متقون به ، كما قال ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وكما قال أحد الأدباء ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ،

نسب إرادة فعل الخير الي الرب ، وأن ينسبوا لأنفسهم كل كفر ومعصية وفعل شر ، فيكونون وقاية له كما قال ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وقال أحد الادباء ، فاردت أن أعيبها ، إذا كان ظاهر الفعل شرا ، ولو كان باطنه خيرا ؛ وبذلك يكونون عبيدا أدبا ، وإن كان فى نفس الأمر كما قال ، قل كل من عند الله والله خلقكم وما تعملون ، خلقكم من نفس واحدة حقيقة واحدة هي الحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول وبالقلم الأعلى ، فالحقائق كانها منها الى غير نهاية ، فهي الأصل والمنبع ، فهي ذرات العالم ، والعالم جميعه الحروف المستخرجة منها ، سواء المخلوقات الروحانية والجسمانية ، الطبيعية والعنصرية ، وخلق منها زوجها ، الواو لا تفيد ترتيبا فان خلق الروحة مقدم وهي النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ خلقها منه كما خلق حواء من آدم عليه السلام ، يقول الشيخ محي الدين رضي الله عنه ، النفس خطرة من خطرات العقل الأول وهى محل تفصيل ما أجمل فى العقل الأول من العلوم . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، فرّق ونشر فى العالم العلوى والسفلى منهما من النفس الواحدة وزوجها رجالا كثيرا ، أرواحا كثيرة فاعلة ، ونساء نفوسا جسمانية طبيعية منفعلة ، لما كانت الأرواح فاعلة سمّاها رجالا : فهى آباؤنا العلويات ؛ ولما كانت النفوس الجسمانية منفعلة ، سمّاها نساء ، فهى أمهاتنا السفليات ، فكل روح أب ، وكل جسم أم ؛ ولما كان الروح الذى هو الأب لا يتعين من الروح الكلى الذي هو النفس الواحدة الاّ بعد تسوية الجسم الذي هو الأم وتعديله كما قال ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ، صح أن يقال الجسم والد للروح واليه يشير الحلاج رضي الله عنه بقوله

ولدت أمي أباها إن ذا من أعجبات
وأبى طفل صغير في حجور المرضعات

(الموقف المائة سنة والخمسون)

قال تعالى : أفرأيت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم . الهوى ميل النفس الى ما يضرها أو يهلكها رأسا في الاصطلاح وأما بحسب الوضع فهو أعم قال تعالى ، ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدى من الله ، وهو وصف للنفس وهي موصوفة به ، وحيث كان الهوى صفة قاهرة ، أمرها نافذ ، وحكمها مطاع ، نوسيت النفس الموصوفة به وصار الذكر والحكم له : إتخذ آلهه هواه : أي جعل ما يجب على الانسان ويلزمه في حق آلهه وخالقه من الطاعه وكمال الانقياد ، وامتثال الأوامر لهواه وجعل ما يجب أن يقابل به الهوي من العصيان وعدم الانقياد والنفور عن سماع الأمر لآلهه فعكس القضيه ، فعظمت الرزيه ، فعلى نظم الآيه يكون المفعولان من باب كسا ، وعلى ما قيل من القلب يكون المفعولان من باب ظن إذ يقال الهوى آلهه من حيث أنه مطاع نافذ الأمر في الانسان ، ولذا قيل ما عبد شيء من دون الله تعالى أعظم من الهوي ، وهو الناثر على الروح في مملكته الانسانيه : فيفسدها عليه دائما ، فالهوى كالهواء فراغ من اتبع الهوى حصل على الهواء وأضله الله على علم والضلال من العالم عند العقلاء شيء بعيد ، وأما من غير العالم فغير بعيد ، بل هو كثير كما قال ، وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ، وهذا السياق إنما يؤتى به في الأمور المستبعدة أي أخبرني عمن عصى مولاه وأطاع هواه فاتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم أليس هذا بشيء غريب ، وأمر عجيب ، وذلك لأن العلم الذى هو وصف

العالم كما هو عند الجمهور غير موجب للسعادة ، ولا منقذ من الغوائل ، وإنما العلم الموجب للسعادة قطعا هو العلم الذاتي الذي يجده العالم به لذاته لا صفته ، فافهم وهو العلم الذي جمع الأشياء كلها فاتحدت به ، وتمايزت بتعينات عدمية ، فبحسب ما يحصل من الاتحاد بزوال الأمور الخارجية عن الحقيقة بين الشيئين ، يكون العلم قوة وضعفا ، قلة وكثرة ، فما دام العالم يعلم بعلم هو صفة له عنده فعلمه غير موجب لسعادته ، فاذا عرف أن علمه عين ذاته العالمة ذوقا فحينئذ يكون علمه موجبا لسعادته ، والناس كلهم إنما يعلمون بهذا العلم لانه حقيقة واحدة غير متعددة ، وحيث جهلوه ما فهموا ذلك والله يعلم وانتم لا تعلمون ، فافهم أو سلم ، فلا يفتك حفظ رأس المال إن لم تربح وتغنم

(الموقف المائة السابع والخمسون)

قال تعالى : وقال اركبوا فيها ، الآيات : قال نوح العقل الذي هو وزير الروح ومدبر مملكته الانسانية . لما خاف هلاك مملكة الخليفة عند ما فار تنور الهوى بالافساد ، وإيقاع الاختلاف فى المملكة ، لمن أطاعه واتبعه ، اركبوا فيها ، فى سفينة الروح الجامعة بين الشريعة والحقيقة ، فانها المنجية من كل هلاك فاستمسكوا بها ، وليس ركوبها إلا طاعتها واتباعها فيما تدعو اليه ، بسم الله مجريها ومرساها ، فبدايتها من الله ونهايتها الى الله ، وهي فيما بين ذلك مع الله ، إن ربي لغفور كثير الاستتار ، يظهر فى ملابس الأكوان ، فيسمى بأسمائها ، ويحكم عليه بأحكامها ، كظهوره بصورة السفينة ، فقيل انها منجية وهو المنجي لا السفينة ، كما أنه المغرق المهلك بصورة الماء لا الماء ، فركبوها وسارت تجرى بهم فى موج كالجبال ، هي أمواج الأكوان ،

تجري من كون الى كون ، من عالم الى عالم ، ومن وطن إلى موطن ، وشبّه الأمواج بالجبال ؛ لأن خروج النفس والجوارح عن الأكوان والمألوفات أثقل عليها من حمل الجبال ؛ ونادى نوح العقل ابنه الهوى ، سمّاه ابنا شفقة عليه ورحمة ، وكان الهوى فى معزل عن الروح والعمل ، وانه ضد الروح المنازع له الثائر الطالب أخذ المملكة من يده ، المفسد عليه صلاح زوجه ؛ إركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين : أطع الروح وانقد له ، وكن معه ، ولا تكن مع الساترين الجاحدين ؛ فصل الروح وشرفه وسعادته . وسعادة من كان معه ، قال الهوى سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، سأتعلق بكون من الأكوان العظيمة ينجيني من الهلاك ؛ واحصل على النجاة . كما يقول الفيلسوفى اسلك من عالم العناصر الى عالم العقول والطبيعة ، فذلك عنده النجاة وبه تحصل السعادة ؛ فيرحل من كون الى كون ، كحمار الرحى ؛ يدور والذى رحل اليه هو الذى رحل عنه ، فقال نوح العقل الكمال معرفته ونفوذ بصيرته : لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم ، لا ينجى من غرق الأكوان ، وطوفان الأغيار ، كون من الأكوان ، وإن علا وعظم ، فان الكون كله ممكن ، فقير عاجز ، فلا يعصم كون من كون

ووصف العجز عم الكون طرا فمفتقر بمفتقر ينادي
فحدّق أعين الايمان وانظر ترى الأكوان توزن بالنفاد

فلا نجاة لمن تعلق بالغير والسوى ، وإنما تحصل النجاة والسعادة لمن تعلق بالله تعالى ، والتحاش اليه ، وأفرد التوجه اليه ، والتوكل عليه ، فرحل من الاكوان الى مكوّنها ، وحال بينهما الموج ، فمرج الروح بمن أطاعه وتعلق

به الى حضرة الصفات . وبحبوحة الذات ، فنعموا وسعدوا سعادة الأبد ، وبقي الهوى ومن أطاعه في شرك العناصر وإسر الأغيار ، فكان من المغرقين الهالكين

(الموقف المايه الثامن والخمسون)

قال تعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، الآيات هذه الآيات تأديب وتعريف وإرشاد المرشدين ، إعلم أن السفيه عند العامة من يبذر الأموال ويضيعها ، ولا يحسن التصرف بها ، فلا يضع الاموال مواضعها المستحقه لها ، وعند الخاصه السفيه من يبذر الاسرار الالهية ، والمعارف الربانيه ، فيذيعها في غير مواضعها . ولا يستودعها أهلها فيضيعها ، فان من العلوم التوحيديه ما لا يجوز افشاؤه مطلقا ، بل هو سر بين الله وبين عبده الى الموت ، والمال مالان ، مال تميل اليه النفوس وعيلها ، وهو المال المحسوس ، مال العامة وبه قوام النفوس ، فلا بقاء لها بدونه ، ومال تميل اليه الأرواح وعيلها اليه ، وهو المال المعنوي ، مال الخاصة التى جعل الله لكم قياما ، أي قواما ، وحياة لأرواحكم ، إذ لا بقاء للروح ، ولا حياة إلاّ بالعلم الرّباني : أما السالك المبتديء فلا أضر عليه ولا أسرع بالهلاك اليه من إفشاء ما منحه الله تعالى ، من أسرار التوحيد مطلقا لاهله ولغير أهله إلاّ لشيخه ، وما زال المشايخ يحذرون من هذا كل الحذر ، وذلك لأن السالك إذا فتح الله تعالي عليه بشيء من أسرار التوحيد ، يرى الناس في عماية تائهين عن طريق الحق ، فيشفق عليهم ، ويرحمهم ويريد لهم الخير ، فيحمله ذلك علي كشف بعض أسرار الألوهية ، وفي ذلك هلاكه وحتفه ، فاذا كان السالك ممن حنّكته التجارب ، وهذبته العلوم ، فال كما

قال الأول

قد كان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر

قال بعض الكاملين في قوله تعالى ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير : هو المريد يتكلم بالحقائق قبل إدراكه ، أو أن الكلام والنهي الوارد في الآية هو للمشايخ الذين لهم أتباع ومريدون ، ربما وضعوا الأسرار غير مواضعها ، واذاعوها لغير أهلها ، مع الاذن في إذاعتها لأهلها ، إذ في إذاعة أسرار الربوبية لغير أهلها ضرران ، ضرر راجع الى المذيع ، وضرر راجع إلى المذاع له ، فالمذيع ربما رمي بالكفر والزندقة ، وربما أفضى الامر الي قتله ، وربما وصل الشر الى أصحابه ، ومن ينتسب اليه والمذاع اليه ربما افتتن أو حار أو فهم الأمر على غير وجهه ، فضلّ ، وكتب القوم مشحونة بذم هذا ، والنهي عنه ، وقد شاهدنا في زماننا من المريدين من سمع بعض أسرار الألوهية وبعض الحقائق من مشايخهم ، فصاروا يتكلمون بها في المجالس العامة ، وظهرت منهم أمور فظيعة من الجسارة والقباحة والتهجم على الجناب الأعلى الآلهي ، والتكلم بكلمات ما عرفوا لها أصلا ، ولا ذاقوا لها طعما ، بل نظن والعلم عند الله أن مشايخهم إنما تلقفوها من الكتب أو من غيرهم ، وما ذاقوا لها طعما ، ولا عرفوا لها حقيقة ، إذ لو عرفوا حقيقتها لصانوها ، وشحّوا بها كما شحّوا بالذهب ، وأمور الدنيا التى عرفوا حقيقتها ، ورضى الله عن سيدنا العارف الكبير احمد الرفاعي ، حيث يقول

ومستخبر عن سر ليلي رددته بعمياء من ليلي بغير يقين
يقولون حدّثنا فأنت أمينها وما أنا أن حدّثتهم بأمين

نعوذ بالله من الخيانة ، فان المنافق إذا إؤتمن خان ، والمؤمن إذا إؤتمن أدّى ، والقوم رضوان الله تعالى عليهم ما ألفوا فى الحقائق . وأذاعوا أسرار التوحيد ، وكشفوا بعض أستار الربوبية الاّ لأصحابهم ومن سلك طريقهم ممن عرفوا فيه الأهلية والثبات على الكتاب والسنة ، وما ألفوها للعامة الهمج الرعاع ، ولا تكلموا بها فى المجالس العامة كما هو الآن يتكلم المشايخ الجهال بالكلمة من الحقيقة ، يتبجح بها فيتلقفها منه من هم أجهل منه ، ويطيّرونها كل مطار بغير علم ، فضلوا وأضلّوا فقصد المؤلفون فى الحقائق نفع أهل طريقهم لا من يتضرر بها ويمرق من الدين مروق السهم من الرمية ، قد سبق الفرث والدم فانهم أهل نصيحة لعباد الله ، يحبون الخير لهم قد علموا أن الاستعدادات متفاوتة وأن الافهام مختلفة . فكان مقصودهم النفع فعرض الضرر من عدم قصد منهم ، وارزقوهم منها أي ذوقوهم من حلاوتها ، وأسقوهم من رحيقها ؛ واكسوهم من حللها المعنوية وأثوابها العلية ، ولباس التقوى ذلك خير ، ليشتاقوا الى الخروج من الحجر والتصرف والانتفاع بتلك الأموال من غير واسطة فيها ، أي فى المدة التي هم فيها تحت نظركم ، وفى حجوركم ، وقولوا لهم قولا معروفا ، خاطبوهم بما هو قريب لأفهامهم ، لا يحير عقولهم ، ولا يدخل عليهم شبها فى عقائدهم ، وكونوا ربانيين : علّموا الناس بصغار العلم قبل كباره ، وذلك بالاشارات والتلويحات ، وضرب الأمثال حتى تأنس عقولهم ، ولا تكاشفوهم بصريح الحقيقة فيهلكوا ، وابتلوا اليتامى ، اليتيم هو من عرف من استاذه بالفراسة النورانية ، الاستعداد والقابلية ، وأنه يكون منه رجل فيما يأتي ، من قولهم درة يتيمة ، أي ثمينة لها بال وقيمة ، وكل من ادخر له أبوه العقل الكلي كنزا فى استعداده ، مخبأ تحت جدار جسمه ، فهو يتيم ،

أعني فاضل بالنسبة إلي من دونه ، ولهذا أطلق الحق تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم اليتيم ، لأنه أعظم مدخر له ، وكنزه أشرف كنز مدخر ، أي اختبروهم مرة بعد مرة بالاشارات وقرائن الأحوال لتعرفوا ما ازدادوه من الأحوال الشريفة ، حتى إذا بلغوا النكاح أي أوان أن يحصل من نكاحهم نتيجة وتوحد ثمرة ، بمعنى خرج ما كان فيهم بالقوة والاستعداد ، إلى الفعل والظهور ، وصلحوا لأن ينكحوا وصاروا قابلين للبذر فيهم ، فالشيخ له رتبة الفاعلية ، والمريد له رتبة القابلية والمفعولية ، فالشيخ رجل ، والمريد زوجة ، فان آنستم منهم رشدا ، أبصرتم بفراستكم النورانية رشدهم وبلوغهم أشدهم ، وأنهم قدروا على استخراج كنزهم ، بأن صاروا يقبلون الأسرار التوحيدية ويتلقونها بنفوس زكية طاهرة ، وقلوب مطمئنة ثابتة على الأمر والنهي الشرعي ، واتباع الكتاب والسنة ، لا بقلوب زائغة ، ونفوس ضالة ، فتتبع ما تشابه منه أو تؤوله على غير المراد فتحرفه من بعد مواضعه : فادفعوا إليهم أموالهم ، الأسرار التوحيدية ، والمعارف الآلهية ، ولا يجوز لكم حينئذ أن تمسكوا عنهم شيئا نفعهم ، ويكون زيادة في أحوالهم إلاّ ما لا إذن فيه مطلقا

(الموقف المائة التاسع والخمسون)

ورد في الحديث ، أهل القرآن أهل الله ، رواه الحاكم في المستدرك والنسائي ، وابن ماجه ، وفي بعض الروايات ، حملة القرآن أهل الله ، المراد بأهل القرآن أهل التوحيد الخاص ، أصحاب تجريد التوحيد ، ومقام التفريد ، والأهل في اللغة ، الأقارب ، وأهل الله هنا القريبون منه القرب المعنوي ، المقربون عنده وهم أنصار الله الملبّون دعوته ، المستجيبون

الي طاعته ، وهو مقام النبوة والولاية الكاملة ، والقائمون به هم الداعون الى معرفة الله تعالى وتوحيده علي طريق الصوفية أهل الحقيقة والسلوك الى الأحوال من الفناء والبقاء ، والسكر والصحو ونحوها ، وقطع عقبات النفوس وطي المقامات الى الذروة العليا ، والوصول الى الوحدة الذاتية ، وهو القرآن العظيم وهؤلاء الحملة حاملون أحوال رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ومقابلهم أهل الفرقان فهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الداعون الى إقامة الشرائع الظاهرة ، والسلوك على سبيل السنة المطهرة ، التي هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ظاهرا ، والمشي على طريق أصحاب المعاملات ؛ وهذه مرتبة الرسالة والقائمون بها هم المجتهدون مطلقا أصحاب المذاهب ، والمرجحون من أتباعهم فاذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرة الذات ، دخل حملة القرآن أهل الله من ورائه ، ودخل حملة السنة أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم ، بالتبعية له صلى الله عليه وسلم ، حيث أنهم ما حاوها بأنفسهم وإذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرة الصفات ، دخل أهل الله من ورائه : ودخل أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم ، لا بالتبعية لأنهم دخلوها بأنفسهم وداووها ، فالفرق بينهما الذوق وعدمه ؛ فأهل الله كانت لهم حضرة الذات والصفات ذوقا ، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم حضرة الذات علما لا ذوقا وحضرة الصفات ذوقا ، ولا شك أن الذوق أشرف من العلم بغير ذوق ، ولا يفهم من هذا أن من كان من حملة القرآن أهل الله ، لا يكون من حملة الفرقان أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالعكس ، كلا وحاشا فان كلا منهما من عند الله قال ، نزل الفرقان ، كما قال ، أنزلناه قرآنا ،

قال حامل القرآن إذا لم يكن من حملة الفرقان كان زنديقا ملحدا مارقا من الدين فكيف يكون أهل الله ، وكذا حامل الفرقان إذا لم يكن من حملة القرآن كان فاسقا فاجرا عاصيا ، فلا فرق بينهما إلاّ ما ذكرنا . وكان الأمر هكذا في الصدر الأول ، فلما طال الأمد ، وبعد زمن النبوة والخلافة ، وانتشرت الأهواء ، صار الأمر أمرين ، والحزب الواحد حزبين ، وضرب بينهما بسور ، فتسمى أهل القرآن بأهل الحقيقة والصوفية والفقراء ، وتسمى أهل الفرقان بأهل الشريعة والعلماء والفقهاء ، فتباينوا ، الاّ من رحم ربك

(الموقف المائة والستون)

قال تعالى حاكيا قول إبراهيم لابنه عليهما السلام : إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، هذا تعليم من ابراهيم لابنه عليهما السلام ، وتسلية له لما أراد به من الذبح ، وإرشاد له أن لا بأس من الفرج بأن هذا الوطن الدنيوي ليس هو موطن الانتباه الحقيقي ولا هو موطن رؤية الحقائق على الوجه الأكمل وعلى ماهي عليه ، وإنما موطن الانتباه ورؤية الحقائق على ما هي عليه : الدار الآخرة ؛ وإنما نراه من صور هذا العالم خيال لأنا في مقام ، الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، فكما أن الذي رأيته أنا في الرؤيا خيال له تعبير أي عبور من ظاهره الى باطنه ، فكذلك ما تراه أنت خيال له تعبير عبور من ظاهره إلى باطنه ، فكلانا رأى خيالا في نيام ، غير أني أنا رأيت ما رأيت في الخيال المتصل ، وأنت ترى ما ترى في الخيال المنفصل ، وحقيقة الخيال واحدة ؛ كل هذا من ابراهيم ابرهيد ابنه عليهما السلام في حب الحياة : وكان الخليل عليه السلام عالما بأن الرؤيا لها تعبير غالبا ولكن لما كانت رؤياه فيها الأمر بذبح الولد ، تأدّب وفوّض تعبير رؤياه الى مولاه وقال إن كان لرؤياي

تعبير فالله أولى به ، وإن لم يكن لها تعبير فانا منفذ أمر ربي بجمع أسباب إنفاذ الأمر وما بقي إلا الفعل فعبر له ربه رؤيا بذبح عظيم وبذلك مدحه الله بقوله ، وابراهيم الذي وفى ، أي عمد الى ذبح ولده وفطامه كبده لرؤيا رآها قرّت عين أم ابراهيم ، كما قال الأعرابي المسمع ، واتخذ الله ابراهيم خليلا ، فانظر ما ترى فانك لا ترى إلا حقا ظاهرا بشهادة قوله ، هو الظاهر ، أي لا غيره فان رأيت غيره فهو خيال زائل ، ووهم باطل ، فانهم نفسك ، وحدّق بصرك ، فان الممكنات أما حقائق . وهي الأعيان الثابتة في العلم لا توجد إلا خارجا ، وأما أعراض لا تبقى زمانين فهي تمر كمر السحاب ، فما ترى إلا حقا ظاهرا متلبسا بخيال ساتر ، وذلك لأن الأسماء الآلهية تظهر متلبسة بأحكام الاستعدادات ، أعني حقائق الممكنات وهي لا تظهر أبدا ، وإنما تظهر الأسماء بظهور الذات محجوبة بالأسماء ، والأسماء محجوبة باحكام الممكنات ، فالمحجوب لا يرى إلا أحكام الممكنات ، والذي أعلى منه يخرق حجاب الممكنات ، ويصل الى الصفات والأعلى المحقق يخرق حجاب الممكنات والصفات ، ويصل الي الذات فيسمى الحق تعالى نفسه الظاهر الباطن ، بهذا فهو الظاهر لأن الأسماء نسب فهي إعدام وإنما المقوّم لها الذات ، فالظاهر الذات ، والباطن الاسماء ، وهو الباطن ، لان الأحدية الذاتية لا تجامع الكثرة الاسمائية ، فالباطن الذات والظاهر الأسماء

(الموقف الثالث واحد والستون)

قال تعالى ، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ، الآية هي إرشاد وتعريف ، وأمر وتكليف ، لمن حج الذات العلية من السالكين المردودين ووقف بعرفات الوحدة الذاتية ، حضرة القرآن العظيم إذا أفاض ورجع منها

الي حضرة الصفات وموطن الفرقان والتكليف ، أن يذكر الله تعالى بأمره ونهيه الذي هو أفضل من ذكر اللسان قائما عند ما حده وشرعه المشعر الحرام محمد صلي الله عليه وسلم ، إذ كل مأمور بتعظيمه من قبل الحق تعالى فهو مشعر ؛ كما قال ومن يعظم شعائر الله الآية ؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم من حيث حقيقته محل الشعور والمعرفة ؛ فليس لولي ولا لنبي يأتي بعده صلى الله عليه وسلم كعيسى عليه السلام أن يتعدى شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبدّل أو يغير شيئا منه ، فغاية الولي الكامل العظيم المنزلة في منازل القرب والولاية ، أن يعرفه الحق تعالى ما جهل الناس من شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، فيخبره بأن هذا الحكم من شرع محمد ؛ وغلط فيه النقلة ، فلم يعملوا به وهذا الحكم ليس من شرع محمد ، وغلط فيه النقلة فأدخلوه فيه ، ليس غير هذا فسلسلة الشرع المحمدي لا تنفك عن رقبة سالك ، ولا واصل ، ولا عالم بالله ، ولا جاهل ، فليحذر المؤمن المشفق على دينه من الزنادقة الملحدة الذين يقولون أنهم وصلوا إلى عين الحقيقة ، واستغنوا عن محمد صلي الله عليه وسلم ، أو عن العمل بشرعه الحرام ، عن كل مخلوق الوصول الى معرفة حقيقته كما هي فلم نعلم وان تعلم أبدا واذكروه كما هداكم أي أذكروا محمد بتعظيم وتوقير ، واعرفوا له قدر وساطته لأجل هدايتكم الى الله تعالى ، وإلى معرفته ، وإرشادكم الى الصراط المستقيم ، كما قال ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله ، فهو صلى الله عليه وسلم الممد لكل نبي وولي من لدن خلق العالم إلى غير نهاية ، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله ، فاذا قال الولي ، قال لي الحق تعالى كذا وكذا ، فليس ذلك إلّا بواسطة روحانيته صلى الله عليه وسلم ، والأكابر لا يجهلون ذلك ، وإن كنتم من قبله قبل التفاته اليكم

التفات عناية بالامداد والارشاد لمن الضالين الحائرين الجائرين عن صوب الصواب ومعرفة المدخل والباب، ولا يصح عود الضمير المتصل بقبل إلى الله تعالى، ولا إلى غيره إلاّ بتكلف، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، هو تأكيد وتفصيل للأمر السابق، أي إذا وقفتم عند ما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم، ظاهرا وباطنا، فقفوا حيث وقف الناس، وأفيضوا من حيث أفاضوا، فأقيموا معهم واجبات الشرع المعنية، وواظبوا معهم على سنن الجماعات، ولا تخالفوهم فى إقامة شعيرة من شعائر الدين، ولا تقولوا نحن الحمس أهل الحرم، وأصحاب الشرف، لا يلزمنا ما يلزم الناس، فان هذا القول هو الضلال البعيد، والخسران المبين، واستغفروا الله، أطلبوا منه الستر على أحوالكم التي تفضل عليكم بها، وخصكم بمزيتها، فان الظهور يقطع الظهور، إلاّ الكامل متمكن واحد الوقت، وفى الخبر لا يستويان مؤمن يشار اليه ومؤمن لا يشار اليه: فكما أن الرسول مأمور باظهار حاله ونشر دعوته والتحدي بالمعجزة، فالولي بضده مأمور بستر حاله، وإخفاء مواهب الله له، إلاّ لاخوانه أهل طريقته، فان أظهره الله تعالى رغما عليه فذلك إلى الله تعالى لا اختيار له فيه، ولو خيّر لاختار الاخفاء

(الموقف المائة إثنين والستون)

قال تعالى، وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر، أمره تعالى هو أول صادر بلا واسطة، فهو قديم وهو عبارة عن التوجه والارادة الكلية، فهو كلمته الكلية، وهو الحقيقة المحمدية المسماه بالروح الكلي وبغيره من الأسماء ولا تعرف المخلوقات جميعها من هذا الأمر سوى وجوده لا غير، فلا يعرف ماهو عليه إلاّ الله تعالي، كما هو أنه لا يعرف من الحق تعالى سوى

وجوده ومن رآه رأى الحق تعالي ، ومن عرفه عرف الحق تعالي ، وهو الحجاب الأعظم الذي لا يرتفع عن وجه الحق تعالي لا دنيا ولا آخرة ، وهو الأزار ، وهو الرداء ، كما ورد في الصحيح وليس بين القوم وبين إذ ينظروا إلى ربهم الاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، أخبر تعالى أن أمره الذي هو صورة علمه بالمعلومات إنما كان بكلمة واحدة ، وهي ، كن من غير حرف ولا صوت ، وإنما هو كلام نفسي ، فكن عبارة عن التوجه الارادي كما تتوجه أحدنا ، ولله المثل الاعلى : على المرآة فتنطبع صورته فى المرآة بمجرد التوجه ، فقام هذا التوجه مقام قوله لصورته ، كوني مطبعة ، وذلك كلام من غير حرف ولا صوت ، ولا يستحيل شرعا أن يكون بكلام لائق بجلالته ونزاهته ، كلمح بالبصر ، تشبيه فى السرعة وعدم المعالجة والمزاولة ، فاذا كان أمره الذي هو صورة علمه وهو محتو على جميع المعلومات إجمالا وتفصيلا ، من عالم الأرواح ، وعالم المثال ، وعالم الأجسام ، دنيا ، وبرزخا ، وآخرة ، جواهر وأعراضا صدر عنه كلمح بالبصر ، فكيف بغيره من المخلوقات الجزئية وما هي الاّ كما قال ، إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون بل أمر الله تقول للشيء كن فيكون كما قال ، إنما أمره ، أي أمر الحق تعالى المتكلم عنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون به تعالى

(الموقف الثالث والستون)

قال تعالى ، واذكر ربك فى نفسك ، أي استشعر وتذكّر معرفة ربك فى شعورك بنفسك ، وتذكرها بمعنى اعرف ربك في ضمن معرفتك نفسك فان معرفة الرب والنفس كاللازم والملزوم وأقل ، كالظل والشاخص ، أو قل

كالصورة في المرآة والمتوجه على المرآة ، وإلى هذا يشير خبر ، من عرف نفسه عرف ربه ، وهذا الخبر وان أنكره الحفاظ وقالوا إنه من كلام أبي بكر الرازي فقد تداوله القوم رضوان الله عليهم في كتبهم وبنوا عليه كثيراً من الحقائق فلعله صح عندهم كشفا ، بل قد صح عندنا شهوداً ووقوعا ، وأما رواية وورودا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ، ومعرفة الرب بمعرفة النفس أعلى وأشرف من معرفته بالعقل والعلم ، وأعلى منهما معرفته بالنفس مع الشرع ومعرفته تعالى بالنفس هي التي قطع الصوفية رقابهم في طلبها ، وضربوا اليها أكباد الابل ، تضرعا وخفية إذا حصلت لك معرفة ربك بمعرفة نفسك ، فعرفت من أنت وما نسبتك ، وإنك الكنز المخبأ تحت جدار الجسم فلتكن حالتك دائما مع هذه المعرفة التضرع والخوف ولا تقل عرفت ووصلت فحسب ، فان المعرفة الحقيقية من لوازمها الخوف والتضرع والاشفاق والانزعاج فمن زادت معرفته زاد خوفه كما قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ، وورد في الخبر ، إن الخليل عليه السلام كان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل عند شدة الغليان من الخوف ، والملائكة الكرام يخافون ربهم من فوقهم وهم من خشيته مشفقون ، فهذه حالة الرسل والأنبياء ، وكمل الأولياء عليهم الصلاة والسلام ، كلما أمنهم ازداد خوفهم فلا يأمن إلا جاهل أو صاحب معرفة وهمية خيالية ، أو صاحب حال ناقص ، كيف وهو تعالى يقول ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فهم وما خص ، ودون الجهر من القول ، أي وفوق الاسرار فليكن تضرعك وخوفك وسطا من غير إفراط ولا تفريط فانه كلا طرفي قصد الأمور ذميم ، فالأفضل الاعتدال في كل الأمور كما قالوا الخوف والرجا كجناحي طائر فمهما مال أحدهما سقط الطائر بالغدو والآصال ، فليكن تضرعك

وخوفات دائمين مادمت متقلبا بين الغدو والآصال ؛ يعني مادمت حيا مكتنفا بالصباح والمساء، فانه لا خلاص من التكليف بما يجب للربوبية على العبودية ، إلاّ بالخروج من الغدو والآصال، وليس ذلك إلاّ بالموت الاضطراري الطبيعي

(الموقف المائة الأربعة والستون)

قال تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ، إعلم أن للايمان بحسب هذه الآية ثلاث مراتب، كما أن للتقوى هنا ثلاث مراتب : فالمرتبة الأولى الايمان بالأشياء الغائبة عنا زمانا ومكانا . مثل الايمان بيوم القيامة والجنة والنار والدجال ويأجوج ومأجوج ؛ ونحو هذا فهذه المرتبة في الايمان لا تنكرها العقول الانكار الكلي وتهرب من التصديق بها، فلربما جعلتها في حيز الامكان ، فقبلتها النفوس ، المرتبة الثانية الايمان بالأشياء الحاضرة معنا زمانا ومكانا ؛ كالايمان مثلا بنزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن جالسون معه الى جنبه، وهما يتكلمان ويتحاوران ونحن لا نسمع ولا نرى ، وكالايمان بالملائكة الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار ، وكالملائكة الحفظة الذين هم ملازمون لنا دائما ونحو ذلك ؛ فهذه المرتبة تنكرها العقول وتشمئز منها النفوس ، كيف تكون أجسام متكلمة سميعة بصيرة حاضرة معنا بين أيدينا ولا حائل بيننا وبينها ولا نبصرها ولا ندركها ولا نحس بها، فهذه المرتبة الايمان بها أعلى مما قبلها ، لكون العقول تنكرها وتستبعدها ؛ ومن هنا أنكرت الحكماء الملائكة والجن ، وأنكرت المعتزلة الجن ، وقالوا اذا اجتمعت شرائط الابصار الثمانية لا بد من الابصار ، المرتبة الثالثة الايمان بما يجمع الضدين من جهة واحدة لا من

جهتين مختلفتين، فيكون عينهما كالحق تعالى فانه الأول، الاخر، الظاهر، الباطن، الغيب الشهادة، الشاهد المشهود، ونحو ذلك، كـكونه معنا أينما كنا. وأينما تولينا، فثم وجهه، فهذه المرتبة الايمان بها أعلى وأشرف من المرتبتين قبلها، فالايمان بها صعب جدا علي العقول حتي على المؤمنين بالمرتبتين الأوليتين، فكيف بغيرهم، ولهذا ترى علماءنا علماء الظاهر من المتكلمين وغيرهم، لا تطمئن قلوبهم الى الايمان بهذه المرتبة حتى يؤولوها فتقبلها عقولهم، وأما مراتب التقوي فالأولى أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالى، فينسب كل صادر منه من خير وشر الي نفسه فيفرح بطاعته ويحزن لمعصيته، وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم، المؤمن من سرته طاعته وساءته معصيته، وهذه مرتبة العباد والزهاد الذين خرجوا من الدنيا وقلوبهم مشحونة بالأغيار فما برحوا من الشرك الخفي فانهم يرضون عن نفوسهم ويثيبونها اذا صدرت منهم الطاعة، ويغضبون عليها ويعاقبونها اذا صدرت منهم المعصية، وما ذلك الا لشهودهم صدور أفعالهم من نفوسهم، المرتبة الثانية أن يجعل الحق تعالى، وقاية لنفسه في الخير والشر، فينسب الكل الى الله تعالى، يقول، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، والله خلقكم وما تعملون وهذه مرتبة علماء الظاهر أصحاب التوحيد العقلي، المرتبة الثالثة أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالى في الشر فينسبه لنفسه أدبا وتفننا لا فعلا، قال السيد الكامل معلم الأدب صلى الله عليه وسلم، والخير بيديك، والشر ليس اليك، وقال تعالى، بيدك الخير، ولم يقل والشر تأديبا لنا وتعليما، ويجعل الحق تعالى وقايته في الخير فينسب الخير اليه تعالى حقيقة وإيجادا، ولذا قال الخليل عليه السلام، واذا

مرضت فهو يشفيني : فجمع بين النسبتين ، نسبة المرض لنفسه ، ونسبة الشفاء الى الله تعالى ، وقد برقت المعتزلة بارقة من هذا الأدب ، وما عاودتهم فضلوا : قالوا بنسبة الخير الى الله تعالى فأحسنوا ، وقالوا بنسبة الشر الى العبد خلقا وإيجادا ، فأساءوا ، هكذا نقله المتكلمون عنهم والله أعلم بحقيقة الحال ، فان الظن بهم أنهم لا يصلون الى هذا الحد فينسبون الخلق للعبيد المخلوقين ، وهذه المرتبة الثالثة مرتبة السادة العارفين ، الذين خصهم الله تعالى باكتساب الآداب : وهم الذين اتقوا واحسنوا بدخول مرتبة الاحسان ، فحصلوا على محبته تعالى المحسنين ، فان الله يحب المحسنين ، وهي المرتبة الثانية من مراتب محبة الله تعالى لعباده ، وجاوزوها الى المرتبة الثالثة من مراتب المحبة : وهي مرتبة فاذا أحببته كنت سمعه وبصره .

(الموقف المائة الخامس والستون)

قال تعالى ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، أكثر الناس الكلام في التوكل وأسدها أنه ثقة القلب . وحصول الطمأنينة بوصول القسمة الأزلية للعبد ، بحركة أو سكون ، من خير وشر ونفع وضر ، دنيا ودنيا وآخرة ، قليلا أو كثيرا مؤقتا محدودا بزمانه ومكانه والناس هذا الا من مقام الايمان بانه تعالى لا يخلف وعده في قوله ، وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ونحو ذلك ، وأما العقل مجردا عن الايمان فانه لا يعطي التوكل ، بل يجوز أن الله يرزق عبده وأن لا يرزقه من حيث أنه تعالى لا يجب عليه شيء لأحد فليس التوكل الا الثقة والطمأنينة لا ترك الأسباب ، مع الشك والاضطراب ، فليس هذا من التوكل المطلوب في شيء ، ولو كان ترك السبب والحركة توكلا

للزم اذا وضع الخبز بين يدى هذا المتوكل أن لا يتناوله ويرفعه الى فيه ، فان هذا سبب وحركة لوصول الخبز الي بطنه ، وإذا وضع الخبز فى فيه يلزمه أن لا يمضغه ولا يحرك اسنانا ولا غيره ، فانها كلها أسباب لوصول الرزق الي البطن ، وما اعتني القوم رضى الله عنهم بمقام التوكل وعدّوه من رؤس المقامات وتكلفوا ترك الاسباب ، الاّ ليحصلوا على الثقة وعدم الاضطراب عند فقد الأسباب وهذه هي الثمرة والنتيجة لما تكلفوه ، إذ المقامات لا فائدة في أعيانها ، وإنما الفائدة فى ثمراتها فاذا حصلوا علي الثمرة رجعوا الي استعمال الأسباب العادية والحركات المعهودة لحصول ما يطلبون ، كسائر الناس فطلبوا وأجملوا فى الطلب ، فاذا لم يحصل المطلوب قالوا ، لو شاء الله لكان . فلا يقول بترك الأسباب الا صاحب حال أو جاهل بالطريق وبالسنه ، فتارك السبب مع التمكن منه مأزور بترك الحكمة وتعطيل صفة من صفاته تعالى ، فمن نظر الى باطن العارف وجده جبلا لا يتحرك ، ثابتا لا تتد كدك ، ليس له نظر الى الأسباب ولا عبرة له بها ، ومن نظر الي ظاهره رآه كالطائر من غصن الى غصن ومن شجرة الي شجرة ، فهذا سيد العارفين وأمام المتوكلين صلي الله عليه وسلم ، جنّد الاجناد وظاهر بين درعين ، وحفر الخندق ، وأدخر قوت سنة ، وتداوى واحتجم ، واكتوى ، وما ترك سببا الاّ فعله ، قال تعالى ، وما أرسلنا قبلك من المرسلين الاّ أنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ليبيعوا ويشتروا ، وقال ، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية الاّ من أقامه الحق تعالى فى مقام التجريد وعسر عليه الاسباب ، بحيث أنه لا يجد اليها سبيلا ، ولو سعى فهذا كامل ، ولو ترك الاسباب وكذلك الزهد يتصوره عوام أهل الطريق علي غير وجهه ، وإنما هو صرف القلب عن الرغبة

فيما سواه تعالى وفيما سوى ما يقرب اليه لا غير ، فان ما يزهد فيه ، أما أن يكون من نصيب الزاهد وقسمته أولا ، فاذا كان من قسمته تناوله أحب أم كره ، ولا يندفع عنه ولو استعان بأهل الأرض والسماء ، وأما أن لا يكون مقسوما له فزهد فيما ذا أيزهد في قسمة غيره : فما قدر الفكيك أن عضفاد لا بد أن عضفاه ، وعند ما ورد الوارد بهذا الموقف ، ترددت في تقييده وقلت في نفسي لا كبير فائدة فيه لاخواني وبعد زمان يسير حضرت لي أكله في غير زمانها ومكانها ، كنت عزمت وجزمت قبل ذلك إني لا آكلها ؛ وحين حضرت حصل لي يقين بأنها من رزقي بقرائن أحوال دلت علي ذلك فقلت صدق الله وكذبت ، وقيدت هذا الموقف وعلمت أن هذا تأديب ، فليعرف العبد العاجز الجاهل منزلته ويفوض أمره الى من يخلق ما يشاء ويختار ، ويترك التدبير معه والاختيار

(الموقف المائة السادس والستون)

قال تعالى ، وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ، وجوه ناضرة ناعمه مسرورة منبسطه تلوح عليها شواهد الفرح ، فانه لما كان الوجه هو العضو الذي يقابل به الانسان الأشياء ، جعله الحق تعالى ببديع حكمته ، ووسيع رحمته ، مثل المرآة تظهر فيه الأحوال القلبية والأمور الوجدانية المعنويه ، التي لا يمكن لصاحبها أن يعبر عنها بعبارة تصورها لغيره بل هو لا يتصورها فان الفرح والحزن ، والقبض والبسط ، والحياء والوقاحة ، والحب والبغض . ونحوها من الأمور التي لا تصورها العقول ، جعلها الحق تعالى تظهر في مرآة الوجه فيحكيها الوجه ويخبر عنها ، من غير سؤال ولا حرف ، ولا صوت ، والنعيم واللذة والفرح ، وأن تعددت مظاهرها فمرجعها الي

زوال الحجاب ، ورفع النقاب ؛ ولذلك عقب تعالى بقوله ، الى ربها ناظرة ، أي أنها كانت ناضرة ناعمة مسرورة بنظرها الي ربها . برفع الحجاب بينه وبينها فتمتعت برؤياه ، وشميم رياه ، ونظرها الى ربها لا يكون الاّ من وراء مظهر صوري ، أو معنوي ، دنيا وأخرى ؛ فان الرؤية بغير مظهر محال

كالشمس يمنعك اجتلاؤك نورها   فاذا اكتست برقيق غيم أمكنا

يعني لا بد في الرؤية من حجاب والحجاب أمر معنوي لاعين له قائمة ، وإنما هو معنى قائم بالصور الجسمية أو الجسمانية أو المعنوية ، فليس المراد من رفع الحجاب رفع أعيان الصور ، بل رفع المعنى القائم بها فانه الحجاب فاذا ارتفعت الحجابية من الأعيان ، صارت كلها مرايا لرؤية وجه الحق تعالى فيها وهي على حالها ، ماتغير منها شيء في الظاهر فكما كانت الحجابية قائمة بها ، تصير المرآتية قائمة بها ، فيرى الحق في كل مايرى كما أنه كان يحجبه عن الحق كل مايرى ، فسبحان الحكيم القهار ، فليعرف الطالب من الله تعالي رفع الحجاب مايطلب فانه إنما يطلب رفع المعنى الحاجب ؛ لا رفع الأعيان حتى لا يكون جاهلا بما يطلب ، فان الأعيان لا ترتفع ولو ارتفعت ماكانت رؤية لأنها مرايا رؤية الوجه، والانسان لا يرى وجهه بغير مرآة ونحوها أبدا ، وإن عينك ونفسك من أعظم الحجب ولا تعرف ربك إلاّ بها حين تزول حجابيتها و تصير مرآة، فلو إرتفعت من ذا الذي يرى، فاذا كنت في حجاب فليس الحجاب ماترى ، وإنما الحجاب ما لا ترى ، فاذا زال الحجاب فليست المرآة ما تري إنما المرآة ما لا ترى ومع هذا لابد من الصورة في حالة الحجاب وحالة الرؤية ؛ فان قلت سمي الحجاب قائم بالمحجوب ، صح لك ذلك ، وإن قلت الحجاب

لا قائم بالمحجوب ولا بالمحجوب عنه ، صح لك ذلك ، وقال الي ربها ناظرة ، أي ربها المضاف اليها إضافة إختصاصية ، لا رب غيرها فان أحداً لا ينظر الاّ ربه ، دنيا وآخرة ، ولا يعرف إلاّ ربه ، فان دائرة مرآة الربوبية واسعة ، فلا يأخذ أحد منها الا ما يخص صورته ، فلا يري الاّ استعداده أي حقيقته ، وهو ربه ، ولذلك يعبّر بعضهم عن هذا المعني بأن أحداً لا يرى الاّ نفسه فافهم واعرف ، والرؤية البصرية في الآخرة تابعة للعلم فكل من كان علمه في الدنيا أتم ، كانت رؤيته في الآخرة أوسع ، وأوسع المرايا مرآة السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، كما أن المشاهدة في الدنيا تابعة للعلم ، فلا يشاهد المشاهد في الحق تعالى إلا صورة علمه ، سواء كانت المشاهدة في مرآة نفسه أو في مرآة غيره ، وأكثر من هذا البيان ما أظنه يوجد في كتاب ، والقوم رضى الله عنهم ما فرقوا بين الرؤية والمشاهدة : كما هو مقتضى الوضع اللغوي إلى أن جاء الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ، ففرّق بينهما تفرقة اصطلاحية له ، فقال المشاهدة لابد أن يتقدمها علم بالمشهود ، بخلاف الرؤية فلا يشترط أن يتقدمها علم بالمرئي ، فكل مشاهدة رؤية ولا ينعكس ، يريد أن المنظور اليه إذا لم يتقدم للناظر علم به ، فان هذا يسمى رؤية لا مشاهدة ، ولا يقع في هذا إقرار ولا إنكار ، وأما إذا تقدم للناظر علم بالمنظور فانه يسمى مشاهدة ورؤية ، ويقع فيها الاقرار والانكار ، ولذا وقع الانكار من أهل الحشر ، لأنه تقدم لهم علم ربهم ، وهي العقائد التي كانت لهم في الدنيا فلو لم يتقدم لهم علم به ما أنكروه ، فكانت رؤية ، مثلا إذا حضر عندك إنسان ما كنت تعرفه ولا بلغك شيء من أوصافه وأحواله ، وقيل لك هذا فلان . فلا يتصور منك إنكار له ولا إقرار به ، فيكون

هذه رؤية لا مشاهدة وإذا كان إنسان آخر كنت تسمع باسمه وبلغك أخباره وأوصافه وأحواله ، حين تصورت في خيالك صورة له من سماع أوصافه وأحواله ، ثم حضر عندك وقيل لك هذا فلان الذي كنت تسمع بأوصافه وتبلغك أخباره ومناقبه ، فانك إذا وجدته على الصورة التي تصورتها أقررت به ، وإن وجدته على خلافها أنكرته ، فهذه رؤية ومشاهدة ، وانظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى ما يقع من التجلي في الآخرة رؤية ، وهو أيضا مشاهدة كما علم مما مر ، وتحصل هذه التفرقة إنما يكون بالنسبة إلى المتجلي له فان كان ممن علم الحق تعالى في معتقده ، وصوره بصورة ، واعتقد أنه لا يتجلى تعالى بغير تلك الصورة التي اعتقدها ، فهذا إذا تجلى له الحق تعالى بغير تلك الصورة أنكره ، وإذا تجلى له بتلك الصورة أقر به ، فهذه الحالة تسمى عند الشيخ رضي الله عنه مشاهدة ، ويقع فيها الاقرار والانكار ، ويشترط فيها تقدم علم بالمشهود وأما إذا كان المتجلي له ممن عرف الحق تعالى بالاطلاق ، وهو لا يحكم عليه بصورة خاصة ، فهو لهذا لا ينكر الحق تعالى في أي صورة تجلى له ، فهذه الحالة تسمى رؤية ولا يكون فيها إقرار ولا إنكار ، ولا يشترط فيها تقدم علم خاص بالمتجلي ، فكل مشاهدة رؤية ، إذ ليس المتجلي إلا الحق تعالى في حال الاقرار به والانكار له ، وما كل رؤية مشاهدة ، إذ المشاهدة يقع فيها إقرار وإنكار ، لشرط تقدم علم بالمشهود ، قال بعض العارفين ، الحق يشهده كل أحد ، ولا يراه إلا القليل

(الموقف المائة السابع والستون)

قال تعالى ، وإذا قرىء القرآن لأنفسكم أو قرأه غيركم لكم ، وهذه هي

النكتة في بنائه للمجهول ، فاستمعوا له وأنصتوا ، على أنكم تستمعونه من الله ، فالكلام كلام الله ، والمتكلم به الله ، وعلى أن سامعه هو الله ، فانه المتكلم والسامع من كل أحد . عرف أو جهل ، فاذا كان المستمع هو القارىء يكون كمن تحدثه نفسه وهو يستمع حديثها . فسامع القرآن بهذه الطريقة يأتمر لأوامره ، وينزجر لزواجره ، ويتعظ بمواعظه ، ويتيقظ لاشاراته ، وحينئذ تكون رحمة هذا المستمع محققة واجبة الحصول ، لأن لعل من الله واجبة ، كما قال العلماء ؛ وأما إذا سمعه بغير هذه الطريقة فلا يكون داخلا تحت هذا الوعد الكريم فلا تكون رحمته محققة ، وإذا كان القارىء غير المستمع فربما كان لا يسمع منه إلاّ نغماته وتمطيطاته ، وحسن صوته فلا يدرك المعاني فضلا عما وراءها ، وإذا كان هو القاريء ، فلربما كان ممن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رب قاريء والقرآن يلعنه ، يقول لعنة الله على الظالمين ، على الفاسقين ، على الكاذبين ، وهو منهم فمن أراد الحصول على الكنوز فليكسر الاقفال يظفر بما وراءها

(الموقف المائة الثامن والستون)

قال تعالى ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّابا رحيما ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بارتكاب المنهيات الشرعية ، وترك المأمورات الآلهية ، جاءوك أي جاءوا الى طريقتك وسنتك حيّا كنت أو ميتا ، عازمين على ترك ما كانوا عليه من المخالفات تائبين ، مجيء انقياد واتباع لك ، في الأقوال والأفعال والأحوال ، فاثمر لهم ذلك كشفا عن بصائرهم فنظروا الأشياء كما هي ، وعرفوا الحقائق على ما هي عليه ، فاستغفروا الله إذ حصلوا على هذا الكشف ، فقد استتروا بالله أي صار غفرا لهم ، والغفر

الستر ، وتبدلت نسبتها اليهم بنسبتها اليه تعالى ، كما هو الأمر في الواقع لأنهم عرفوا أن ما كان منهم إنما هو مقتضى استعداداتهم ، واستعداداتهم إنما هي صور الأسماء الآلهية ، والأسماء الآلهية إنما هي صور الذات العلية ، فاستتروا واستغفروا بالذات فدخلوا كما تدخل تحت الشخوص الظلالات ، حيث رجع الاقتضاء والفعل للذات ، فليس القضاء والحكم إلا ما اقتضته لذاتها الذات ؛ وحكمت به واستغفر لهم الرسول حيا وميتا ، طلب الستر لهم بالوصول الى هذه الدرجة العليا ، وذلك بامداده وارشاده صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، لوجدوا الله توابا كثير الرجوع من الغضب الى الرضى . ومن النقمة الى الرحمة ، فينسخ ما شاء بما شاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ؛ فيسمى ما كان سماه معصية شرعية ، طاعة إرادية أمرية ، ويبدل السيئة بالحسنة ؛ أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ؛ وسبب هذا هو الحصول على ما ذكرنا ، فان الواصل الى تلك المرتبة لا يشقى ، والتبديل إنما يقع على الصورة والحكم ، فالسيئة الكبيرة تبدل حسنة كبيرة ؛ والسيئة الصغيرة تبدل حسنة صغيرة ، وقد ورد في الخبر أن صاحب هذا المقام يقول يارب إن لي سيئات مالي لا أراها هاهنا ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(الموقف المائة الستة والستون)

قال تعالى : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، التي هي الله حقيقة فالكل من الله ؛ قل كل من عند الله فلا غيرية ، ولا سوائية ، وإنما غاير بينهما ليعلمنا الأدب القولي الذي يدركه العام والخاص ، والجاهل والعالم ، لا الأدب الاعتقادي ، فانه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ،

لا علينا ، إذ كل ما كتبه في اللوح إنما هو ما علمه منا ، وذلك مقتضى استعداداتنا التي هي نفوسنا فلذلك كان لنا لا علينا ؛ هو مولانا المنفرد بالخلق ، والايجاد للخير والشر ، والنفع والضر ، فهو الله في مرتبته الالهية ، الظاهر بالنفس ؛ في مرتبته النفسية ، وهو هو فالنفس ما هي شريرة ولا خبيثة ؛ بل نزيهة طاهرة وإنما هي متعددة الخبث بحسب القضاء الأزلي والحكم الآلهي بالجسم ، فلا يحمد الانسان بالخير والشر الا نفسه التي ليست مغايرة للحق تعالى الا بالاسم والحكم لا بالحقيقة فلا يحمد شيء شيئا غيره ، وإنما المدد صادر من باطن الشيء الى ظاهره ، خيرا وشرا ؛ وظاهر الشيء صورته الخارجية ، وباطنه هو صورته الاسمائية ، فلا يلوم أحد الاّ نفسه ، ما دام جاهلا بحقيقة الحال ، فإذا علم وجد ما ظنه غير ملائم لنفسه ، ملائما ومطلوبا لها ؛ بل لا تقبل غير ما حصل لها

(الموقف السابع والسبعون)

قال تعالى : إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء . الحق تعالى تارة يكلم عباده من مرتبة الفرق والفرقان ، وتارة يكلمهم من مرتبة الجمع والقرآن ، فمن الأول قوله : أفمن يخلق كمن لا يخلق ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فهم القادرون أحسن الخالقين : اعملوا فسيرى الله عملكم بما كنتم تعملون تفعلون تكسبون أقيموا الصلاة ، آتوا الزكاة ، لا تقربوا الفواحش ، لا تقتلوا النفس ، ونحو ذلك فإن الآمر الناهي لا يأمر نفسه ولا ينهاها ، وفي الثاني قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم يعذبهم الله بأيديكم ، إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ؛ إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ؛ هو غير الله إذ لا غير له تعالى فما تدعون من دونه من

شيء ، أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، له وجودا وهو الغير والسوا ، فما تدعون من الأصنام ، والشركاء ، والأرباب والوسائط والأسباب ، كل ذلك هو الله فما دعوتم في دعائكم أياهم الا الله سبحانه وتعالى عما يشركون . في اعتقاد غيرية شيء له تعالى في الأرض أو في السماء

(الموقف المائة واحد والسبعون)

قال تعالى : إن المتقين في جنات ونهر ، الآية التقوي جنس تحته أنواع وأصناف ، والمتقون هنا هم الذين اتقوا حقيقة التقوي ، فأل في المتقين للكمال ، جعلوا وجوده تعالى ستراً لهم ، مزقوا حجب الأكوان والأسماء والمراتب . الى أن وصلوا الى عين حقيقتهم ، فكانوا متقين بها ، وكانت لهم جنا من دون كل متقى في جنات ، ستور غابوا من ورائها فكانت دونهم وهي أستار الأكوان والأسماء ، فهم العرائس المخدرات ضنائن الله من خلقه لا يراهم الا محرم من حيث ظواهرهم ، وأما من حيث بواطنهم فلا يراهم الا الله : فانهم لا يبدون من زينتهم التي هي الخصوصيات الالهيه ، والكرامات العلمية العرفانية ، الا ما ظهر منها ، هم الذين دعاهم ربهم الى دخول جنته ، وهي ذاته اسابق عنايته بقوله القديم ، يا أيتها النفس المطمئنة أدخلي جنتي ، ونهر سعة وإطلاق وفضاء لا حد ولا قيد ولا حصر ، ما حدتهم حدود الأكوان ، ولا قيدتهم قيود الأسماء والصفات ، ولا حصرتهم المراتب ، جاوزوا القضاء والقدر ، فلم يكونوا تحت حكمه بل القضاء والقدر تحت حكمهم ، في مقعد صدق ، الاضافة بيانيه في المقعد الذي هو الصدق ، يعني الحق الثابت وهي كناية عن القرب الذي لا يتصور قرب بعده ،

كقوله زيد مني مقعد المقابلة وكل قرب قبله فليس بمقعد صدق ، أي ليس بمحل الحق الثابت إذ يجوز الانتقال عنه الا هذا فانه محل قعود وثبوت لا حركة منه ، فانه الغاية القصوى للطالبين ، وهو الموطن الأعلى محل الحقائق حيث لا موطن ولا محل ، بل شيء واحد لا مغايرة ولا ممايزة ، فمن وصل الى هذا فقد وصل مقعد الصدق عند مليك مقتدر ، والمندبة في حق هؤلاء المتقدمين مجاز ، بل لهم الميتة لا المندبة ، آه آه ، ولولا لجام الشرع قلت ما لم يقل

ولكن لجام الشرع أحكم حكمة لذلك تراني حائما ومموها

بآية لفظة تناسب حكمتي ، ومن لم يصل الى هذا الذى نقول عنه بنفسه ، فمن المحال أن يوصله اليه غيره ، فان المخبر ولو بالغ في الايضاح والبيان غاية ما يمكن لا يزيد السامع الجاهل رأسا الا حيرة وابهاما ، لأن الالفاظ وضعت للمعاني المتواضع عليها بين المتكلم والمخاطب فيتكلم المتكلم بما في نفسه فيعرفه مخاطبه ، والمعاني ليست محصورة بخلاف الالفاظ فانها محصورة متناهية في كل لغة . واذا كان المعنى مما لم يوضع له لفظ يدل عليه فيحتاج المتكلم في إفهام مخاطبه ما في نفسه الى أن يتطرق بالالفاظ المعروفة للمخاطب ، ما تقارب أو يناسب بالمجاز أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك ، فيعبر له به عن مراده وربما يكون المخاطب لا يلتفت ذهنه الى ذلك المعنى المراد المعبّر عنه بالمجاز ونحوه ، أو يكون لذلك المعنى لفظ عند المتكلم يدل عليه ولكن المخاطب لا علم له بذلك فيكون مثل العربي مع العجمي فيبقى ذلك المعنى كنزا مطلسما أو كنزا ضاع مفتاحه ، والباب مردوم ولكن في الأخبار فوائد على كل حال فلربما يكون السالك قارب الوصول اليه

فيشم رائحته بسبب ما وصله من الخير فيجد في الطلب وربما وصله فيتبين أنه هو الذي كان سمع خبره وربما أفاد الأخبار السامع تشوقا فانبعثت همته فان النفوس مجبولة على حب التشبه باهل الكمال فيما كان كمالا عندها

(الموقف المائة الثاني والسبعون)

قال تعالى ، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ؛ وورد في الأخبار الصحيحة أن ذلك اليوم هو يوم طلوع الشمس من مغربها ؛ فاعلم أن هناك شمسا حقيقة ، وشمسا مجازا ، وكلاهما بطلوعه من مغربه يغلق باب التوبة ولا ينفع نفسا إيمانها ، فاما الشمس مجازا فهو الكوكب النهاري الذي هو معدن الأنوار الحسية وطلوعه من مغربه وما يتبع ذلك مشهور عند الجمهور ، وأما الشمس حقيقة وهي أصل الأنوار الحسية والمعنوية ، كما قال : الله نور السموات والأرض ، فطلوعه من مغربه هو انكشافه ، وإشراقه من محل غروبه واحتجابه واستتاره ، وهي النفس فانها حجاب شمس الحقيقة ومغربها . وطلوعها من مغربها الذي هو النفس معرفتها منها ؛ من عرف نفسه عرف ربه ، فصار المغرب مطلعا ومشرقا ، وهذه الآية أعظم من كل آية ، ولا مغيب لشمس الحقيقة بعد طلوعها من مغربها . فان مغربها هو الذي كان يحجبها ويسترها ، وقد صار هو مشرقها ومطلعها فلا مغيب لها أبدا ؛ كما قيل ان شمس النهار تغرب بالليل ، وشمس القلوب ليست تغيب ، وحينئذ يغلق باب التوبة المعروفة عن هذا الذي طلعت عليه الشمس من مغربها ، لأن التوبة رجوع ، والذى طلعت عليه شمس الحقيقة من مغربها إلي من يرجع ، فانه انكشفت له المعية الآلهية ، والاحاطة الربانية ، فلم يكن له من

يرجع اليه ؛ فقد انمحقت الأغيار ، واتحدت الأنوار ، فلم يبق إلاّ الله الواحد القهار ، له الحكم واليه ترجعون ، فهذا قد رجع في الدنيا قبل الآخرة ، وقامت قيامته ، بل تلزمه التوبة من التوبة المعروفة عند العموم ، فانها قد صارت بالنسبة لصاحب هذا المقام خطأً وذنبا وجهلا ، إذ حسنات الابرار سيئات المقربين . ولا ينفعه إيمانه حينئذ ؛ فان نفع الايمان حالة الحجاب قبل الشهود والعيان ، وطلوع الشمس التي لا تحتاج معها برهان ؛ فاذا صار الغيب شهادة ، والخبر معاينة ، لا ينفع نفسا إيمانها ؛ وإنما ينفعها شهودها وعيانها . فتبدل أحوالها ونياتها ومقاصدها ، التي كانت لها حالة إيمانها ، إلى أحوال ونيات ، ومقاصد غيرها أعني تتغير أحوالها الباطنة ؛ وأما الظاهرة فلا يتغير منه ولا قلامة ظفر ، بل يبقى على أحواله الظاهرة المرضية شرعا ، وعلى طريقته الممدوحة عرفا وطبعا ، وعلى حرفته المباحة المناسبة لحاله ومقامه ، عند أمثاله ، هذه حالة العارفين بعد فتح باب المعرفة لهم ، وطلوع الشمس لهم من مغربها ، وغير هذا تصنع ولأن يلقى العبد ربه بجميع الذنوب سوى الشرك ، أهون من أن يلقاه بذرة من التصنع للخلق

(الموقف الثالث والسبعون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله إلا الله ، أمر تعالى نبيه صلى الله عليه سلم بالعلم في معرفة ألوهيته ونحن مأمورون بأمره اتباعا له ؛ والعلم على أصح الحدود ، كما قال المتكلمون صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو عليه انكشافا لا يحتمل النقيض أو حصول صورة الشيء في النفس ، على ما قالت الحكماء وعلى كل فالحاصل من النظر الفكري في حق الإله تعالى ما هو علم فان من المعلوم تواترا إن أكابر المتكلمين في التوحيد بالنظر العقلي يعتقد أحدهم

المسئلة فى جانب الآله عشر سنين مثلا أو عشرين ثم يبدو له بطلانها ، بل يعيش أحدهم مدة عمره على عقد فى جانب الألوهية وقبل موته بيسير يبدو له خلافه فيرجع عنه؛ومايدريه أن جميع ماعقده فى جانب الآله كذلك، فلو كان الحاصل لهم علما ، ما كان احتمل هذا وحيث كانت إدراكاتهم فى الجانب الآلهي تحتمل النقض والتشكيك اختلفت مقالاتهم ولعن بعضهم بعضا وكفر وخطأ بعضهم،فالآله الذى عرفه الأشعرى غير الآله الذي عرفه المعتزلي،غير الآله الذي عرفه الظاهرى،غير الآله الذى عرفه الحكيم الفيلسوفي ، وعليه فما زعموه علما بالله ليس بعلم ، بل هو تخيل وتوهم ، فالحاصل لهم إدراك ومن أفراده التوهم والتخيل ، فالعلم بالله إذاً فيما جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهذا ما اختلفوا فى آلههم ولا لعن بعضهم بعضا ولا خطا بل علمهم بالله واحد وأمرهم جميع كما قال شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى انأقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ، فالدين هو توحيد الآله وإقامته هو الاخبار عنه بما أخبرهم به تعالى عن نفسه مما تحتمله البشرية من نعوته وأسمائه فالآله الذى عرفته الأنبياء والرسل واتباعهم غير الآله الذى عرفه جميع الطوائف الناظرة بعقولهاوموازين أفكارها إسلامية وغيرها ، فان آله الرسل والانبياء عليهم السلام مع أنه ليس كمثله شىء يجيء وينزل ، ويهرول ويسعى ، ويضحك ويبشبش ، وله قدم ووجه ، وجنب وعين ، وأعين ويدان وأيدى ، ويجوع ويمرض ، وهذا الآله لاتعرفه جميع الطوائف ، ولا تصدق بوجوده الى تفكر ماجاءت به الرسل من نعوته إن كانت كافرة ، وتؤوله إن كانت مسلمة ، حتى ترتضيه وتقبله عقولها ، فاذاجاء رب الاشعري إلى المعتزلي أو الظاهري ،

أو الحكيم وقال لهم، أنا ربكم قالوا نعوذ بالله منك لست أنت ربنا، وهذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فاذا جاءنا ربنا عرفناه، وهكذا كل طائفة إذا جاءها رب الأخرى تعوذت منه وأنكرته، وذلك لأن أرباب أصحاب العقول مقيدة محدودة محصورة تحت أحكام العقول، فلا تعطيها العقول السراح ولا تطلقها من قيودها، حتى تضحك أو تزول، أو تجوع أو تتحول من صورة إلى صورة، ونحو ذلك بخلاف رب الرسل والأنبياء ومن تبعهم فانه مطلق لا قيد، ولا حصر، ولا حد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، إن الحكم إلا لله، فيتجلى كيف شاء كما شاء لمن شاء، وله أن يفعل جميع ما منعته منه العقول مما نعتته به آباؤه ورسله، مع أنه ليس كمثله شيء فانهم ما نعتوه إلا بعلم وإذن منه، ورب الأنبياء والرسل ومن تبعهم لا ينكره أحد منهم، إذا قال لهم أنا ربكم، بل لا ينكرون أرباب الطوائف كلها فانهم عرفوا الرب المطلق الذي يحكم ولا يحكم عليه، فمن نظر بعين الانصاف ورمى التقليد أو التعصب والاعتساف، عرف الحق فعرف أهله، أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، فمن أراد معرفة آله الرسل والأنبياء ومن تبعهم عليهم الصلاة والسلام، فليتبع سنتهم، ويقف عند حدودهم التي حدوها، ويقتد بهم ظاهراً وباطناً، ويستعمل الأسباب التي وضعها كمل العارفين الداعين عباد الله تعالى إلى معرفته على طريقة الأنبياء، فليواظب عليها فانه لا سبيل إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة منا إلا بهذه الطريق لا بغيرها من الطرق العقلية او الرياضية، على غير طريق الرسل وسنتهم اللهم أني قد بلغت النصيحة وأنا لكم ناصح أمين: وما أسألكم عليه من أجر، أنا النذير العريان، ولا خبر بعد عيان

(الموقف المائة الأربعة والسبعون)

قال تعالى: «أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله» الآية، نفي وإنكار على من يتقي ويخاف غير الله، ويرى نعمة الله من غيره تعالى فيرجو، وإذا مسه الضر، جئر إلى الله كما يجأر للبعيد من الغائب عنه، وإذا كشف الضر عنه أشرك به، ونسب الكشف إلى غيره تعالى، وفي الآية حذف من الأوائل لدلالة الأواخر، وحذف من الأواخر لدلالة الأوائل، فهي في التقدير أفغير الله تتقون، وما بكم من ضر[1] وشر فمن الله، أفغير الله ترونه منعما فترجونه، وما بكم من نعمة فمن الله، أنكر عليهم تعالى جهالتهم وكشف لهم ضلالتهم، أن يتقوا ويخافوا مخلوقا، مع اعتقادهم أنه غير الله، فإن غير الله لا يملك ضرا فلا يتقي، مع أنهم في نفس الأمر ما اتقوا إلا الله ولكن التبس عليهم الأمر إذ لا غير أصلا لوحدة الحقيقة، والغيران أمران وجوديان لا اشتراك بينهما في صفة النفس، وهذا شيء لا وجود له في مشرب التحقيق، فالأغيار أوهام وتخيلات، لأن الوهم من حقيقته أن ينزل النسب والاعتبارات والإضافات التي لا وجود لها، منزلة الحقائق المعقولة والمحسوسة، فجهلوا جهالتين، جهالتهم بالله وعدم معرفته، وجهالة اتقاء الغير مع اعتقادهم أنه غير، ولو عرفوا لاتقوا الله في مظاهر أسمائه الانتقامية، وهي مقدراته، ومصوراته، ومكوناته، التي جعلها محال لأن يخلق الضر عندها وبها، وما بكم من نعمة فمن الله، كما اتقيتم غيره تعالى مخافة ضره بأوهامكم الباطلة، كذلك رأيتم نعمه عليكم من غيره فرجوتموه طمعا في نعمه، وتوهمتم أن النعمة الواصلة إليكم بواسطة مظاهره تعالى هي

---

(١) لعله «وخير»

من غيره كلا وحاشا، ما بكم من نعمة فمن الله لا من غيره ، إذ غيره تعالى لا يعطي ولا يمنع ، ولا يضر ولا ينفع ؛ ثم إذا مسكم الضر ، حيث ما تفعكم اتقاء من اتقيتموه فأوصل اليكم ضره وشره ؛ على اعتقادكم ، أو خاب رجاؤكم فيمن رجوتموه فما وصلتكم منه نعمه ؛ جأرتم الى الله بالتضرع والدعاء جؤار الجهلاء ودعوتموه برفع أصواتكم دعوة الغفلاء لأنكم توهمتم بعده منكم ، وانفصاله عنكم وهو أقرب اليكم من جلسائكم ؛ ومن حبل وريدكم بل أقرب اليكم من أنفسكم ؛ فاذا أجاب دعاءكم وكشف الضر عنكم . مع هذه الجهالات والآداب السيئة والأوهام الباطلة ، إذا فريق منكم بربهم يشركون ، فينسبون ماحصل من كشف ضر ، ورفع شر ، وجلب نعمة . وافضال ورحمة ، الى الأسباب المعهودة ، والوسائط المشهودة ، وينسون الله تعالى مسبب الأسباب ، وخالق الوسائط . فحجب الأسباب أعظم بلية ، وأكبر رزية ، على أهل الحجاب . ولا تتوهم إذا رأيت عارفا خاف ، أو رجا مخلوقا ، أو اعتبر الأسباب في ظاهره أنه مثل المحجوب في هذا ، هيهات فالعارف إنما يخاف الله في مظاهره ، ويرجو الله منها ، إذ هو تعالى وضع الوسائط والأسباب وأمر بمراعاتها حكمة وعدلا ، فشرك العارف حكم لا حقيقة . إذ هو متحقق بالوحدة الحقيقية فهو موحد ، خالص التوحيد لا غير بالذات عنده فمراعاته للاسباب ، علامة كماله ، ورسوخ قدمه في المعرفة بربه ، والأدب معه تعالى

(الموقف الرابع الخامس والسبعون)

قال تعالى ، قل أعوذ برب الناس ، السورة ، الرب إسم المرتبة الجامعة للأسماء المتعلقة بالحق والخلق والمختصة بالخلق ، فالمتعلقة بالحق والخلق كالعالم والسميع والبصير ، فان علمه يتعلق بذاته وبمخلوقاته وكذا سمعه وبصره ونحو

ذلك ؛ والاسماء المختصة بالخلق هي أسماء الافعال كالخالق والمصور وأمثالهما فانها لا تعلق لها بالحق تعالى ، والرب والمربوب أمران متلازمان ، تلازم المتضايفين والمتنسبين ، فلا ينفك أحدهما عن الآخر ، رب بلا مربوب لا يكون ، ومربوب بلا رب لا يوجد ، والناس هم الجن والانس ، والناقص والكامل والمرادهنا الناس الكاملون ، فهو لفظ عام أريد به خاص ، كما في قوله ، الذين قال لهم الناس ، والقائل واحد فالناس هنا كلمات الله التامات ، التي يحق الله بها الحق ، ويبطل الباطل ، كما قال ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بهم ، كقوله أعوذ بكلمات الله التامه ، من كل شيطان وهامه ، وقوله أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . وإنما خصهم بهذه الاضافة وإن كان تعالى ربهم ورب غيرهم ، زيادة التشريف واعظامهم ، ملك الناس ، الملك اسم المرتبة التي تحتها أسماء الأفعال فقط ، وهذا هو الفرق بين مرتبة الربوبية والمالكية ، فان الربوبية كما قدمنا جامعة الاسماء المشتركة بين الحق والخلق ، والمختصة بالحق . والمالكية مختصة بالاسماء المختصة بالخلق كالقادر والمريد والمعطي والمانع والضار والوهاب ونحوها . فهو قادر على الممكنات لا على نفسه ، ومريد لها ، وقس على هذا جميع أسماء الأفعال فالملك لا يكون بغير مملكة ينصرف فيها ، فالملكية تحت الربوبية . كما أن الربوبية تحت الرحمانية ، كما أن الرحمانية تحت الواحدية ، كما أن الواحدية تحت الأحدية ، والناس هنا المراد بهم بعض ما شمله لفظ الناس وهم الجن ، فهو عام أريد به خاص أيضا . وإنما خصهم بالاضافة هنا لأن الجن لهم قدرة التطور في الصور والتشكل بالاشكال المختلفة ، والاقتدار على الأفعال العظيمة . والنفوذ في الأجسام ومنهم شياطين ومردة .

فربما يتوهم أن الحكم الربانى والاقتدار الآلهي غير نافذ فيهم فاخبر تعالى أنهم مع هذه الصفات المتقدمة من جملة المملكة التي يتصرف فيها الملك الحق ، وانهم فى قبضته وتحت قهر تصرفه : آله الناس . الآله إسم المرتبة الجامعة لجميع الأسماء ذاتية وصفاتية ، وفعلية جلالية ، وجمالية وكمالية ، وهذه المرتبة فوق المراتب كلها من حيث أنها مرتبة اعطاء كل ذي حق حقه ، من الحق والخلق . فلها الحيطة والشمول على كل مظهر حقي وخلقى . فهي الجامعة للضدين يظهر فيها القديم بصورة الحادث ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي فى صورة شاب أمرد له وفرة ، على وجهه فراش من ذهب ، وفى رجليه نعلان ، الحديث . ويظهر الحادث فيها بصورة القديم . كما فى قوله صلى الله عليه وسلم . إن الله خلق آدم علي صورته أو صورة الرحمن . روايتان . والناس هنا المراد بهم مايعمه لفظة الناس من الجن والانس . فهو تعميم بعد تخصيص . فانظر كيف ذكر مرتبتين من المراتب الخاصة ، وذكر لكل واحدة مايناسبها في لفظة الناس . ثم ذكر المرتبة العامة وذكر ما يناسبها وهو عموم الناس . وإن القرآن يجل عن تكرار لفظة لغير زيادة معنى : من شر الوسواس ، أل فى الوسواس للجنس . فان للشيطان وسوسة ، وللنفس وللشك وللظن وللوهم وسوسة . وللهوى وسوسة ، كما قال . وان كثيرا ليضلون بأهوائهم . وقال إن النفس لأمّارة بالسوء ، وقال أن يتبعون الاّ الظن ، الى غير ذلك فهذه كلها أمرنا تعالى بالاستعاذة منها فاذا حضر النور الحق ، وجاء العلم الصدق ، خنس وبطل أثرها وتأخر ، فانظر الى الوهم كيف يخنس عند النتيجة بعد المساعدة على المقدمات وما أمرنا تعالى بالاستعاذة من شر الوسواس ، على أننا نجعل الوسواس مقابلا له مقابلة

الضد ، فيكون بمثابه الشريك في المملكة وانما أمرنا أن نستعيذ به منه ، فانه المنفرد بالضر والنفع تعالى . نستعيذ باسمائه الجمالية ، من أسمائه الجلالية . كما قال السيد الكامل معلم الخير ، أعوذ بك منك ، فليس الوسواس الا مظهر المضل ونحوه ، وانه تعالى نهانا أن نخاف غيره ، من غير ما آية وحديث ، وحيث كانت هذه الأشياء المعبر عنها بالسواس من الأسباب التي جعلها الحكيم العليم وسائط لوصول الشر والضلال . والشرائع جاءت باعتبار الوسائط ومراعاتها ظاهرا ، مع اعتقاد أنه لا مؤثر الا هو تعالى ، حذرنا من الاغترار بها ، والركون اليها ، قال بعض الأكابر في قوله تعالى ، إن الشيطان لكم عدو ، وان طائفة لما سمعوا هذه الآية فهموا منها عداوة الشيطان فقط ، فاستعدوا لمداواته بالحذر منه ، والاشتغال بمراقبته ، وسداً بوابب هجومه ، والتيقظ لمكائده ، ففاتهم بذلك خير عظيم ، وطائفة فهموا منها الشيطان لكم عدو وأنا لكم صديق ، فتعلقوا به تعالى ، وانحاشوا اليه واشتغلوا بمراقبته ، فكفاهم شر العدو وحصلوا على خير عظيم ، فالطائفة الأولى العباد والزهاد ، والثانية العارفون بالله ، الذي يوسوس في صدور الناس صفة لجاس الوسواس من الجنة والناس ، بيان للناس الموسوس في صدورهم وهم الجن والانس ، وإن للجن وهماً ونفثاً وظناً وشكاً ، كما لابن آدم ، وما أضل أول ضال الحارث إلاّ نفسه ووهمه ، ولو كان له شيطان يوسوسه لدار أو تسلسل ، وذلك محال

(الموقف المايه السادس والسبعون)

قال تعالى ، وهو الخلاق العليم ، الخلاق الكثير الخلق والخلق قد يكون تقديرا مجردا في النفس ، وقد يكون مع إيجاد في المدارك الحسيه

فيكون خلقا بعد خلق ، كما قال الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

يريد أنت توجد ما خلقت وقدرت خارجا للحس ، وبعض القوم يهم ويخلق ويقدر في نفسه ولا يوجد خارجا ما خلق وقدّر فالحق تعالى خلاق على الدوام ، يوجد الأعراض التي هي صورفانها كلها أعراض سباله ، كما يقول ، الحكماء في الزمان ، وكما تقول الاشاعرة ، العرض لا يبقى زمانين فانها لو بقيت لاستغنت عن الحق تعالى وتعطلت أسماء الأفعال ، وتعطيل الأسماء محال ، وليس للحق تعالى في هذا الخلق إلاّ إعطاء الوجود لما تقتضيه حقائق الاشياء من الأحوال والأحكام ، وإلاّ فهي ثابتة في العلم كأعيانها ، فما يكون من الحق لها إلاّ الايجاد ، وهذا معنى قول سيدنا محي الدين ، الأشياء ما استفادت إلاّ الوجود وانقسام الخلق إلى تقدير في النفس من غير إيجاد ، وإلى تقدير مع إيجاد ، إنما هو بحسب المدارك والمشاعر الانسانية ، وأما بحسب ما هو الأمر عليه ، فليس الاّ الوجود الحق ، يظهر بتقاديره وتصاويره ، التي يقدّرها ويصوّرها لنفسه في نفسه ، ويظهر متعينا بها كالتجريد عند علماء البديع ، قيل لي في الواقعة ان محمد بن قايد الاواني ، كان لا يقول بالخلق الجديد ، وكتب في ذلك رسالة سماها ، الرشفة في بقاء النسخة ، هكذا قيل لي ومعني هذا أن ابن قايد فهم أو سمع أن من الناس من يقول بالخلق الجديد ، في كل ما يقال فيه صورة ممكنة ، وليس الأمر كذلك ، وإنما الخلق الجديد خاص بالصور المحسوسة ، وأما الصور العقلية والخيالية والروحانية فهي باقية أبدية لا يلحقها زوال ، فليس فيها خلق جديد ، وهذه الصور هي النسخة الحقيقية ، المنتسخة من الصورة الرحمانية ، المرادة

بقوله إن الله خلق آدم على صورته فهي باقية ببقاء النسخة المتسخ منها ، دون الصورة المحسوسة ، وهذا هو مراد القائلين بالخلق الجديد ، وحينئذ فلا خلاف بين ابن قايد وغيره من العارفين ، وبعد هذه الواقعة وقفت على كلام للقطب على وفا رضي الله عنه ، فى المعنى ففرحت به ، قال ، إذا كان وصف النقيض بالنقيض ، بديهي الاستحالة ، والوجود ذات الموجود ، فعدم الموجود محال ، وكذلك لو جعلت الوجود زائدا على ذات الموجود ، لأنه ليس موجودا إلا بالوجود ، فلو انعدم لقام به العدم ، وإنما الحدوث والزوال نسب عدمية ، الأول ظهور فى الادراك المقيد بعد بطون عنه ، والثاني عكسه والباطن الظاهر ثابت فى الحالتين ، وهكذا ببعض صورة دون بعض ، وبطونه بصورة منها ، وظهوره بأخرى ، كالماء يصير هواء وعكسه ، والغذاء بخارا وعكسه ، تحليلا وكونا ، فاللوازم والأمور الوجودية لا تبديل لها بخلاف الحادثة اهـ ، العلم الكامل العلم ، بما يخلق ويوجد فان العلم تابع للمعلوم فى مرتبة التعين الأول ، لأن المعلومات فى هذه المرتبة غير متميزة عن الذات ، ولا شك أن العلم متاخر عن الذات بالمرتبة ، ضرورة تقدم الذات على صفتها وان كان علمه تعالى عين ذاته ، ولكن تسميته علما يقتضى تبعيته ، ويطلق عليه فى هذه المرتبة علم فعلي ، من حيث أنه مبدأ تحقيق المعلوم ، وأما فى مرتبة التعين الثاني ، فالمعلوم تابع للعلم ، لأن المعلوم متميز عن الذات لنفسه فى هذه المرتبة ، ويطلق عليه علم انفعالي من حيث أنه مبدأ انكشاف المعلوم عينا قائما متميزا والانكشاف فرع التحقق إذ لا ينكشف إلا متحققا فى نفسه ، والعلم واحد فى المرتبتين ، والتعدد نسبى

(الموقف المائة السابع والسبعون)

قال تعالى ، فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى ، الآية ، أعطى نفسه وسلّمها لمشتريها بعقده إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فاستعملها فيما أمره به مشتريها وحاد بها عما نهاه عنه مالكها ، واتقى بنفسه كل مكروه ، وليس ذلك الاّ بتصريفها فيما أراد مالكها ويرضاه ، لا فيما يريده البائع ويهواه ، وصدّق بالحسنى : هي الطريقة المثلى طريقة الأنبياء وورثتهم عليهم الصلاة والسلام ، والمراد تصديقهم فيما وهبهم الحق تعالى بفضله ومنته من النبوة والولاية ، وما يتبع ذلك ويلزمه من المعارف والعلوم التي جاءوا بها وأخبروا عنها خارجة عن أطوار العقول والأفكار ، لا تصل اليها الأفهام والأنظار ، فسنيسره لليسرى ، ونستعمله في الأسباب الموصلة إلى النجاة ، والمعرفة بالله تعالى ، على طريق الأنبياء والاولياء التي توصل الى المشاهدة والمكالمة : لا على طريق العقلاء التي تقتضي البعد منه تعالى ، وتنزيهه عما اثبته تعالى لنفسه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، وإنما سماها يسرى : لأنها تؤول بسالكها إلى الأصل ، ورجوع الأشياء الى أصولها أسهل وأقرب ، ولذلك قبل الرجوع الى الأصل يكون بأدنى سبب وقبل الرجوع الى الأصل أصل ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهذه النفس التي يعطيها المؤمن ويقرّب بها هي وهم ، وما يعطيه الحق له على ذلك حق . فانظر الى هذا الفضل العظيم ، وأما من بخل بنفسه فلم يسلمها لمشتريها ولم يستعملها فيما أمر به المشتري ولا حماها عما عنه نهى ، واستغني عن الثمن ، ورضي بالمثمن ، ورجع في بيعه بعد عقده وكذّب بالحسنى طريقة الأنبياء وورثتهم عليهم الصلاة والسلام ، مما أخبروا به عن الله تعالى

ومما وهبهم وعلمهم من لدنه ، من العلوم وقال ماقال المكذبون ، ماهذا الا بشر مثلكم ، يريد أن يتفضل عليكم ، ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين إن هو الا رجل به جنة إن أنتم الا بشر مثلنا ، تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ، ونحو هذا وإنما كانت هذه الطريقة عسرى لأنها ضد الفطرة ونقيض الأصل ، إذ كل مولود يولد على الفطرة ، وهي طريقة النبوة والولاية ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وأبواه الهوى والشيطان وإنما سماهما أبوان لطاعته إياهما وقبول إشارتهما كالأبوين اللذين هما أنصح من كل ناصح لولدهما ، فالتيسير عام فى الخير والشر ، وليس هو الا إعطاء الوجود لما تقتضيه الأعيان الثابتة ، والحقائق الامكانية ، باستعداداتها فى الخير والشر ، قيل لى فى الواقعة من استراح تعب ، فقلت ، ومن تعب استراح ، وذلك أن الحق تعالى خلق الانسان وجعله ينتقل فى المنازل والأطوار ، ولا يستقر به قرار ، الا فى دار القرار ، إما فى جنة أو نار . وأعظم مواطنه موطنان ، موطن الدنيا وموطن الآخرة ؛ فموطن الدنيا موطن تكليف وتعب ، وضيق وعمل ، وحجاب وحجر ، وموطن الآخرة ، موطن تشريف وراحة ، واطلاق ومشاهدة وجزاء ، فمن استراح فى الدنيا باعطائه نفسه مناها ، واتباع مرادها وهواها ، فلم يعط الموطن حقه ، ولم يراقب حكمة الحكيم تعالى ، ولا بذل له من نفسه ما استحقه تعب فى الآخرة ، لأنها موطن جزاء واجتناء ثمرات ما غرس في الدنيا من الأعمال ومن تعب في الدنيا وأعطى الموطن حقه بالقيام بوظائف التكاليف والعمل بما رسم الشرع استراح فى الآخرة ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ،

وليس الخير فى الدنيا الاّ ما أمر به الشارع، ولا الشر فيها الاّ ما نهى عنه

(الموقف المائة الثامن والسبعون)

قال تعالى ، إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، الآية ، الامانة هي الخلافة ، كما قال ، إني جاعل فى الأرض خليفة ، وهو آدم عليه الصلاة والسلام ، أو معناها التحقق بجميع الأسماء الآلهية ، وهو الآله فى صورة آدمية من غير حلول ولا اتحاد ، ولا امتزاج ، فأنا برىء من ذلك كله ؛ وعرضها على السموات والأرض والجبال ، ليس لحملها بالفعل لأنها لا استعداد لها لحمل الخلافة ، والحمل بغير استعداد محال ، ويتعالى الحكيم العليم عن ذلك ، ولكن ليظهر فضل الانسان وشرفه ، حيث أبت السموات والأرض والجبال من حملها ، وأشفقن منها ، مع عظم السموات والأرض والجبال ، ومع كونها أكبر من خلق الناس ، كما قال ، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، لعلمها أن حاملها لا بد أن يظهر بالاضداد ، ويوصف بالأنداد ، ويشارك الحق تعالى فى المملكة ، إذ الخليفة ملك صغير ، فيكون حامل الأمانة بمعنى الخلافة ربا صغيرا ، فخافت من قبول هذا الأمر ، والأمر أن تكون على خطر ، فاختارت السلامة ، وأعرضت عن الربح حذر الملامة ، وأنشد لسان حالها

وقائلة مالي أراك مجانبا   أمورا وفيها للتجارة مربح

فقلت لها مالي بربحك حاجة   ونحن اناس بالسلامة نفرح

وحملها الانسان الكامل بالفعل لا مطلق المسمى انسانا اذ مسمى الانسان منه ما هو إنسان بالفعل والحقيقة ، ومنه ما هو إنسان حيوان ،

إنسان بالقوة والصورة فقط ، إنه كان ظلوما ، كثير الظلم لنفسه وهذا مدح له لأنه من المصطفين المختارين ، كما قال ثم أورثنا الكتاب كتاب الوجود ، الكتاب المسطور الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، لا ظالم نفسه فبين الظالم لنفسه والظالم نفسه فرق ، الأول ممدوح ، والثاني مذموم ، وهو المعني بقوله كانوا أنفسهم يظلمون ، ظلموا أنفسهم ونحوه جهولا كثير الجهل بنفسه وبربه لمعرفته بالاسماء الآلهية التي تتوارد عليه وتتعاقب على الدوام ، فكلما كانت الدولة لاسم كانت الغلبة والحكم له ، واستتر باقي الأسماء تحت استتار النجوم عند طلوع الشمس مع وجودها في السماء ، فتختلف عليه صوره لاختلاف الأسماء الآلهية ، فانها التي تتشكل فيعرف في حال جهله ويجهل في حال معرفته ؛ وإن كان يعرف أنه هو هو كما يقول الانسان أني أنكرت نفسي ، وكذا جهله بربه لكثرة التجليات الآلهية ، اذ لا يتكرر تجل أبد الآبدين ولا يشبه تجل تجليا أبدا ، فجهل العارفين هو حيرتهم ، بحيث لا يصح لهم ولا يمكنهم الحكم على المتجلي بحكم ، وهذا الجهل بمعنى الحيرة وعدم الضبط هو الذى سأل السيد الكامل صلى الله عليه وسلم الزيادة منه : فقال اللهم زدني فيك تحيرا لا حيرة الحجاب فكلما زاد العلم بالله تعالى زادت الحيرة والجهل بالمعني الذى ذكرناه . وقد قال امام العارفين محي الدين الحاتمي رضي الله عنه إن من أولياء الله من أزال الله عنه الحيرة فيه وأنا عبد الله ، مافهمت هذا ولا عرفته كيف يكون والذى عليه أهل الله بحسب ما وصل الينا ، أن من ادّعى المعرفة بالله ولم يحتر فذلك دليل جهله ؛ قال سيدنا محي الدين في الفتوحات

الله يعلم أني لست أعلمه ... وكيف يعلم من بالعلم يجهله

اي علمت وجودا لا يقيده نعت بحق ولا خلق يفصله
علمي به حيرتي فيه فليس لنا دليل حق على علم نحصله

(الموقف المائة التاسع والسبعون)

قال تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» خبر بمعنى الأمر ، فهو تعليم لنا وأمر لنا ، أن ندعوه بهذا الدعاء فليس المراد الاخبار بذلك فحسب : فلا نمر بالآية مرور الحاكي لكلام الله تعالى عن غير قصد الدعاء بالحصول على ذلك ، بل نقصد الانشاء والطلب كما أن جملة الحمد ، أول السورة خبرية لفظا ، إنشائية معنى ، وإلاّ فلا يسمى القائل الحمد لله حامدا ، والعبادة لغة الخضوع والانقياد والوقوف عند الأمر والنهي قال فرعون وملاؤه ، أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ، فأمر العبد المؤمن بسؤال ربه أن يجعله مشاهدا له في كل مظهر يحصل منه له تذلل وخضوع وانقياد ، بحيث تكون عبادته بمعنى تذلله وخضوعه وانقياده للظاهر ، تعالى بذلك المظهر الخلقي أي مظهر كان ولهذه النكتة جيء بالمعمول مقدما لافادة الحصر ، فاننا أمرنا أن نشهد الحق تعالى في كل مظهر ، ونعامله بحسب ذلك الظهور ، كما أمر تعالى وليس ذلك برياء فان الرياء لا يكون إلاّ مع رؤية الغير ، وأما رؤية الحق تعالى وشهوده في ظهوراته وتعيناته فلا رياء ولا سمعة ، والحاصل أننا أمرنا بطلب الخلاص من الشرك ، وإفراد الخضوع والانقياد لله تعالى ، ولا يكون ذلك إلاّ برؤية وجه الحق في كل شيء ووجهه ذاته المتعينة ببعض الأسماء ، فالتذلل والخضوع والانقياد لشيء ليس هو الحق في شهود الخاضع المتذلل شرك ، فالعارف خضوعه وتذلله وانقياده لا يكون الا لذلك الوجه الظاهر المتعين ، كما قال ، وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين بمعنى توحيد الطاعة

وتخليص الانقياد ، ولا يكون الا بهذا الشهود فانه لا بد لكل مخلوق من الخضوع والانقياد لمخلوق آخر ، فعلمنا تعالى الخلاص من الشرك ، وعثل ما تقدم أمرنا فى الاستعانة فنشهد الحق تعالى في كل شيء ، نستعين به في الاسباب والوسائط ، وسواء فى ذلك ما أمرنا بالاستعانة به أو أبيح لنا كقوله ، واستعينوا بالصبر والصلاة أو غيرها من إنس وجن . وملك وحيوان وجماد ، إذ لا بد لكل إنسان من الخضوع لمن تكون حاجته عنده من المخلوقات ، ومن الاستعانة بالمخلوقات ، فاذا رحمه الله تعالى بمعرفته وشهود وجهه ، فى كل شيء تخلّص من الشرك فكان لا يعبد الا الله ، ولا يستعين الا به ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله ذو الفضل العظيم والسلام

(الموقف المائة والثمانون)

قال تعالى ، يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادي وادخلي جنتي ، إعلم أن النفس لا يناديها ربها بهذا النداء ، ويصفها بكونها مطمئنة راضية مرضية ويأمرها أمر إباحة وإذن وتشريف بالدخول فى جملة عباده المضافين له ، المخصوصين به ؛ وهم الذين عرفوا نسبتهم من العبودية والربوبية ، فعلموا أن مسمى العبد إنما هو عبارة عن ظهور الرب ، منعينا بأحوال العبد ، فالحقيقة رب والصورة عبد ، فكان العبد ربا فى صورة عبد يعبد نفسه فى صورة العبيد ، وبالدخول فى جنته يعني ستره من الأجتنان ، وهي ذاته التي يستجن بها من وصل اليها بقطع حجب الأكوان والأسماء الآلهية ، وذلك عبارة عن الحصول والوصول إلي فناء التعينات الخامية الخيالية التي لا عين لها إلا فى المدارك الحسية ، ولولا هذه المدارك ماكان إلا الوجود المجرد

المحض وح تنتفى هوية الخلق حكما لا عينا حيث لبست الحق بخلاف هوية الحق إذا لبست الخلق فانها ثابتة على نزاهتها لا يلحقها تغيير على كل حال إلا بعد مجاوزة العلم اليقين إلى حق اليقين بالذوق الصحيح ، والكشف الصريح ، بشيئين أحدهما أن الحق تعالى فاعل مختار بفعل بعلم وحكمة ما ينبغي كما ينبغي بالقدر الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، بحيث أن لا يكون فى الامكان أبدع وأحكم من ذلك الفعل من جميع الوجوه والاعتبارات ، وبحيث لو اطلع العبد على تلك الحكم والمصالح لما اختار سوى ذلك الفعل وحينئذ يحصل على مقام الرضى عن الله فيكون مطمئنا ثابتا ساكنا تحت مجاري الأقدار ، ثانيهما أن يذوق كشفا أن الحق تعالى هو الفاعل المنفرد بفعل كل ما يصدر من كل مخلوق إلى آخر مخلوق كان ، ذلك المخلوق المنسوب اليه ذلك الفعل سببا أو شرطا أو مانعا ، وإنما الحق تعالى يتنزل من مرتبة اطلاقه مع اطلاقه حينئذ إلى صورة الشرط أو السبب أو المانع ، فيفعل ما يفعل بتلك الصورة مع غناه عن تلك الصورة لو أراد الفعل بدونها ، ولكن الاختيار والحكمة هكذا ، فينسب الفعل فى بادىء الرأي إلى الصورة وليس الفعل الا له تعالى وحده لا شريك له ، وحينئذ يكون عند ربه مرضيا ، لأنه لا فعل له حتى يخرج عن كونه عند ربه مرضيا ؛ إذ الرضى والمحبة من الحق تعالى لمخلوقاته هي الاصل وبها أوجدهم ، فهي السبب الأول فى الايجاد ، فمن علم أن لا وجود له ولا فعل فهو على الأصل من الرضي والمحبة ، جعلنا الله وإخواننا ممن شمله خطاب هذه الآية ، بمنه وكرمه آمين

(الموقف المايه الواحد والثمانون)

قال تعالي ، إن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين ، أخبر تعالى مؤكدا إخباره بأن واللام ، حيث كان الاخبار متوجها الى الشاكين في دعواه ، والقاطعين بصحتها ، فليس الاخبار متوجها الى المؤمنين إلاّ في ضمن غيرهم فان المؤمن متحقق بكذب هذه الدعوة بل علوه ، ودعواه الربوبيه والألوهية إنما كان في أرض النفوس ، عالم الطبيعة ، وكل نفس لها هذه الدعوة ، غير أن فرعون تجرأ على إظهارها ، وغيره ماتجرأ ولبس في المراتب الحاكمة أعلى من الألوهية إذ الإله هو الغني عن كل ما سواه ، المفتقر اليه كل ما عداه فله الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، فليست دعوى فرعون وعلوه في سماء الأرواح حيث يكون الناطق القائل حقا ، فان الأرواح لا تنطق إلاّ بالحق ، فالحق هو القائل إذاً ، كابي يزيد وأمثاله رضي الله عنهم ، فان القائل منهم أنا الله هو الحق تعالى الظاهر بصورهم ، الناطق بألسنتهم ، كما ورد في الصحيح ، إن الله قال على لسان عبده ، سمع الله لمن حمده ، فيكون صورة المحقق القائل أنا الله ، كصورة شجرة موسي عليه السلام حيث يقول تعالي ، فلما أتاها نودي من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة . إن ياموسى إني أنا الله رب العالمين ، وقد ذم تعالي من تكبر في الأرض بغير الحق إلاّ من يتكبر بالحق ، فان المتكبر حينئذ الحق تعالى ، والكبرياء له تعالى ، وهؤلاء لا عقوبة عليهم في الدنيا فانهم يعلمون أنفسهم بحالهم الصادق من تصرف الخلق فيهم ، ولا في الآخرة ، وأمّا من قال إنه الله بنفسه وحضور عقله كفرعون والدجال وأمثالهما ، فليس الناطق منهم الحق . ولذا نفذت فيهم العقوبة فعوقب فرعون بالغرق ، وسيعاقب الدجال بالقتل ، وكذا كل من قالها من غير أن يكون الناطق

حقه ، إون برقت لهم بارقة فهي برق خلب ، إذ الأحوال تحول ، والعوارض نزول ، فتطلب الصفة موصوفها ، ويبقى المدعي عاريا منها ، فينفذ فيه حكم الله تعالى ، وتتناوله سيوف الشريعة ، كما نالت الحسين بن منصور الحلاج رضي الله عنه ، فانه قتل بفتوى أهل الشريعة ، وأهل الحقيقة حتى مشايخه لأنه التبس عليهم حاله ، وما تحققت عندهم غاية سكره ، وهو من أولياء الله تعالى بلا شك ، وإنه لمن المسرفين المتجاوزين الحدود التي جاءت بها الشرائع ، فما كل حق يقال ، الا ما أذن فيه الشارع في دعوى الربوبية ، حيث يقول ، ما علمت لكم من آله غيري ، ثم نقص عليه بالطين وقال ، وإني لا ظنه ، يعني موسى ، من الكاذبين ، وكل عبد له نسبة إلى العبودية ونسبة إلى الربوبية ، وهي أحق نسبتيه ، ولكن مأمور بسترها في هذه الدار التي هي دار الحصر والحجر ، فلا يدعيها عاقل يتصرف بعقله وينطق بنفسه ، كيف وهو يرى نفسه دوما تحت القهر الالهي ، والتصريف الرباني ، لا يقدر أن يمتنع عن قرصة برغوث ، وإبرة بعوض ، وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، وهذا الغوث الجامع الخليفة الذي جعل الله له التصرف في العوالم كلها أرضية وسماوية ، يرى نفسه مثل الشيء الملقا في الحقارة والذلة والعجز ،

(الموقف المائة الثاني والثمانون)

قال تعالى ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، الاحصاء بمعنى العد والحساب ، وبمعنى العلم ، وعلى الأول لا تطيقوا عدها فانها لا غاية لها ، لان نعمة الامداد لابقاء الايجاد أبدية لكل موجود ، وكل موجود منعم عليه بابقاء وجوده ، وأول نعمة على المخلوق إعطاء الوجود هذا في العموم ، وأما في

الخصوص فهذه نعمة الايمان لها لوازم، ولوازم لوازم، وتوابع ومقتضيات، لانهاية لها، بل هي نعم متوالية أبدالآبدين، ودهر الداهرين، وعلى الثاني نعلم منها فان الحق تعالي لطيف ومن لطفه يظهر النعمة في صورة النقمة، وبالعكس، فتلتبس النعمة بالنقمة، ولا يفرق بينهما الاّ صاحب بصيرة نافذة وكشف صحيح، فكم لله من نعمة ورحمة في طي المكروهات النفسيه الطبيعية علي السعيد، فانه يشقى الشقاء الصوري في الدنيا بالبلايا والأتعاب بالتكاليف، والأمر والنهي، والضيق والحصر، كما يكون للشقي في السعادة الصورية في الدنيا، من الفرح والبسط، والسعة والراحة، لأن الدنيا دار مزج لا دار تخليص، حتى أنه يلتبس فيها السعيد في الآخرة بالشقي فيها، فاذا حصلوا في الدار الآخره حصل التمييز وزال المزج، ففي الصحيح «أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار» الحديث بطوله، وهو مشهور وذلك لكون الدنيا خيالا، وإن كنا نقول أن الكائن فيها محسوس الفاظ حجابنا من حيث أن الحقائق تظهر فيها بغير ما هي عليه في نفس الأمر غالبا، وبما هي عليه نادرا فلهذا يحتاج ما يظهر فيها الى تعبير كالذي يظهر في الرؤيا، أي عبور من الظاهر الى الباطن، ولا يكتفى بما ظهر في الصورة عن باطن الحقيقة

(الموقف المائة الثالث والثمانون)

قال تعالى «قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم» النار نار الطبيعة ومقتضيات النفس الحيوانيه، وهي مأموره بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم، وإبراهيم ما هو شخص جزئي حقيقة، بل هو شخص كلي، فان لكل حقيقة كلية شخصا كليا كآدم للحقيقة الكلية الانسانية ونحوه، ولذا قال تعالى «إن

إبراهيم كان أمه ، فابراهيم مجموع من اتبع ملته فهو أصل وأب لكل من اتبع ملته ، وهو تجريد التوحيد وافراد الوجه لرب العالمين ، كما أن آدم أصل وأب لكل إنسان وهو من كان حيوانا ناطقا ، ومحمد صلي الله عليه وسلم أب وأصل لابراهيم ولآدم ، فيما كانا فيه أبوين فكل من اسع ملة ابراهيم فهو ابراهيم ، والنار مأمورة بأن تكون بردا وسلاما علي ابراهيم ، وملة ابراهيم ، هي قوله يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، وقوله ، واعتزلكم وما تدعون من دون الله وقد أمر الحق تعالي باتباع ملة إبراهيم ، قال ، فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، وقال ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، فلم يجعل للحق تعالى شريكا في الوجود ، وتوابع الوجود ، وكل من أثبت لغيره تعالى وجودا حادثا أو قديما ، مغايرا للوجود الحق ، فما هو ممن اتبع ملة إبراهيم فما هو ابراهيم ، فليست النار مأمورة بأن تكون بردا وسلاما عليه ، بل هو ممن رغب عن ملة إبراهيم وخسر نفسه . كما قال تعالى ، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه وخسرها

(الموقف المائة الرابع والثمانون)

قال تعالي ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ، يعني لو تميز للعلم الذاتي الذي هو العلم الفعلي وهو علم حضرة الله أول التعينات ، خير من حقائقهم التي هم عليها واستعداداتهم التي لا يجرون إلا بها ، وهي الحاصلة بالفيض الأقدس لأسمعهم خلق فيهم ولهم سماع الهداية وهو ما يحصل بالفيض المقدس ولو على سبيل فرض المحال ، وهو غير

واقع وإنما هذا إخبار بأن شرهم إنما جاءهم من استعدادهم وإنه لا يقبل الا
ما أعطاه تعالى مما طلبه بلسان استعداده ، فلا يسمعهم ولا يخلق فيهم هداية
ورشادا ، لأنه خلاف المعلوم ، ولو أسمعهم ما قبلوا من حيث أن استعدادهم
بالضد من ذلك ، وإنما كان الأمر هكذا لأن العلم تابع المعلوم ، وهو وإن كان
تابعا المعلوم يقال فيه علم فعلي ، إذ المعلوم ما تحقق الا به ، فلا يخلق الا ما أراد ،
ولا يريد الا ما علم ، والمعلوم لا يتغير ، وبهذا كانت الحجة له تعالى على مخلوقاته
فمن وجد خيرا فليحمد الله فانه الخالق لذلك ، وهو أهل لأن يحمد على كل
حال ، ومن وجد شرا فلا يلومن الا نفسه كما ورد في الصحيح يعني نفسه التي
هي حقيقته واستعداده ، فاستعداد كل أحد هو الذي يكون عليه ، وهو الذي
ييسره الله تعالى اليه ، واليه أشار صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيح كل
ميسر لما خلق له ، فلا يعطي تعالى أحدا شيئا الا ما أعطاه استعداده ، ولا
يمنعه الا ما امتنع منه استعداده إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فلو أسمعهم
وأطاعهم خلاف استعدادهم فرضا وتقديرا لتولوا وهم معرضون عنه ، هاربون
منه ، لأنه ضد حقيقتهم وقلب لها ، وانقلاب الحقائق محال ، فانظر ما
أجلى هذه الآية لمن علمه الله تعالى الحقائق ، وانظر ماذا صار فيها من
الخبط عند علماء الظاهر ، لاحتجابهم بعقولهم ومعقولهم منهم من قال
إنها أعني لولا للدلالة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني ، ومنهم من قال أنها
لدلالة العدم على العدم ، كما في قوله ، لو لم يخف الله لم يعصه لا للدلالة على
انتفاء الثاني ، بسبب انتفاء الأول ، ومنهم من قال ، إنها تفيد الاستلزام ،
فأما انتفاء الشيء لانتفاء غيره فلا يفيده مساق الآية ، إذ لو أفاد ذلك للزم
التناقض فان قوله ، لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، يقتضي نفي الخير أي

ما علم منهم خيرا ولا أسمعهم ، وقوله ، ولو أسمعهم ، يقتضي حصول الخير أي ما أسمعهم ، وانهم ما تولوا ، وعدم التولي خير من الخيرات الي غير ذلك من الأقوال

(الموقف المايه الخامس والثمانون)

قال تعالى ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، الهجرة الى الله قلبية وهى الأساس الأول ، والأمر الذي عليه المعول ، وهي بحصول الزاجر الآلهي ، والعزوف عما كان عليه من المخالفات للأوامر الآلهيه ، والهجرة الى رسوله هي المقصد الثاني للدلالة وتعريف سلوك طريق المطلوب ، وهي هجرة جسمانية ، وكما كانت الهجرة لرسول الله صلي الله عليه واجبة قبل الفتح ، فتح مكه ، فهي اليوم باقيه لورثه أحواله وأسراره ، الدالين على الله تعالي ، الداعين الى معرفته ، ثم يدركه الموت قبل اجتماعه بالرسول أو وارثه أو قبل حصوله على المطلوب الذي هاجر لأجله ، فقد وقع ، ثبت أجره ، جزاؤه على الله أوجبه تعالى على نفسه تفضلا وامتنانا ، وان الله لذو فضل على العالمين ، فيبعث المهاجر لمعرفه الله تعالي والقرب منه في عداد العارفين بالله وفى مقاماتهم العليه ، فكم ترى فى الآخرة ممن لم يحصل علي معرفه الله فى الدنيا وقد حشر فى زمرة العارفين بالله تعالي ، ونال منزلتهم ، وكذلك طالب حفظ كتاب الله ، وطالب العلم لوجه الله ، يبعثان في عداد الحفاظ والعلماء ، وفى مقاماتهم بل هؤلاء أكمل نعيما فانهم لا يسألون عما حصل لهم فى الآخرة من الانعام ، بخلاف من حصل لهم فى الدنيا فانهم يسألون عن ذلك النعيم ، والهجرة الى الرسول أو وارثه واجبة على الأعيان ، الا اذا سبقت للعبد عنايه أزلية وكان من المرادين ورحمه الله

تعالى بجذبة رحمانية ، وخطفة ربانية ، فعرف نفسه فعرف ربه فاسقط عنه الهجرة ، كما ورد في الصحيح ، لا هجرة بعد الفتح ، لان العبد إذا رقاه الحق صار حقا ، فليس عليه هجره لطلب الدليل ، ولذا قال القوم رضوان الله عليهم ، ليس للشيخ على المريد بعد الفتح الا مرتبة الصحبة والأخوة والمشاورة ، لاغير وأما الهجره الي الله فالفتح بدونها مستحيل

(الموقف المائة السادس والثمانون)

قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود كل من بلغه الكلام القديم ، والقرآن الكريم ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالذي يظن موت الشهداء في سبيل الله ، نهى تعالى بهذه الآية عن ظن المقتولين في سبيل الله والمقتولون في سبيل الله أعم من المقتولين بسيوف الكفار ، أعداء الدين ، القتل الطبيعي الاضطراري ، ومن المقتولين بصواعق المجاهدات والرياضات القتل الاختياري من حيث أن كليهما انحلال تركيبه وفسد نظامه الطبيعي عينا حسا في الأول ، حكما كشفا في الثاني ، وفي الآية دليل علي التكليف بالمحال العقلي والعادي ، والجمع بين الضدين وقد جوز الأشعري التكليف بالمحال ومنعه المعتزلي ، فان الحس والعقل لا يصح عندهما حياة المقتول في سبيل الله ، ولا يدرك ان ذلك وسماه تعالى مقتولا تصديقا لادراك الحس مع النهي عن حسبان موته إيمانا ، فأنت منهي عن ظن موت المقتول في سبيل الله ، وفي ضمن ذلك الامر بالعلم بحياته إيمانا وكشفا ، كما أنك مأمور بالحكم بموته حسا وشرعا ، باجراء أحكام الأموات عليه كالميراث وتزويج الزوجة ونحو ذلك ، ولذا قال في الآية الاخرى : ولكن لا تشعرون ، أي لا يخطر لكم شعور بحياتهم من جهة الحس والعقل ، والشعور أول مراتب

وصول الادراك للنفس ، ولكن يحصل لكم العلم بحياتهم من جهة الايمان والكشف ، وليس حياة المقتولين فى سبيل الله حياة مجازية كما قال بعض المفسرين ، ولا إن المراد بحياتهم حياة أرواحهم ، كما قال آخرون ، إذ لا خصوصية لأرواحهم ، فان الأرواح كلها حية بالذات ، فان الذى نسميه فى الواجب القديم حياة ، هو الذي نسميه فى الممكن الحادث روحا ، فالروح لا تموت ، كما أن الذى نسميه فى الحادث الممكن نطقا ، هو الذى نسميه فى القديم الواجب كلاما ، وإنما حياتهم الخاصة بهم ، أنهم عند ربهم ، أى حياتهم حياة ربهم لا حياة أخرى كما هو الأمر عند غيرهم ، يرزقون فرزقهم ، عندية ربهم كما قال ، لهم ، وابتغوا عند الله الرزق ، وقال لغيرهم ، وفى السماء رزقكم ، فاعرف قدر من رزقه عند الله ، ومن رزقه عند السماء ، فلا تظن العندية هنا كالعندية المعروفة ، بل هى كما فى قوله ، إنما العلم عند الله ، وعلمه عينه ، فهي كناية عن رفع التعينات الوهمية ، والحجب الخلقية ، ونفي الغيرية ، والحصول على العينية ، وقد ورد فى الخبر الصحيح ، يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه ، يعني يستتر عنه الوجود المجازى والحياة الفانية ، ويحصل على الوجود الحقيقي والحياة الباقية ، وشهيد المعرك وشهيد المحبة فى ذلك سواء ، بخلاف غيرهم من الأموات فانهم وإن كانت أرواحهم حية ، فليسوا عند ربهم ، لأنهم ما رفع عنهم حجاب الغيرية بعد ، وإن رفعت عنهم بعض الحجب ، كوشفوا ببعض المغيبات كالجنة والنار وما أشبه ذلك

(الموقف المائة السابع والثمانون)

ورد فى الخبر الربانى قال الله تعالى ، ما وسعنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى

قلب عبدي المؤمن الهين الوادع ، هذا الخبر طعن فيه حفاظ الحديث وقالوا لا أصل له ومع هذا فسادات القوم ومحققوهم رضوان الله عليهم ، ذكروه في كتبهم ، وجعلوه أصلا لكثير من مسائل مواجيدهم ، فأقول ، ياء المتكلم في قوله ماوسعني كناية عن الذات المطلق وهو الشيء الذي تستند اليه الأسماء والصفات ، نفى تعالى عن الأرض والسماء وسعهما إياه ، أي إطاقتهما فهما لا يطيقان التجلي بجميع الأسماء الآلهيه ، وأخبر أن عبده المؤمن وسعه وأطاق تجليه بجميع الأسماء بل أطاق ، تجليه المطلق والمراد بالمؤمن المؤمن الكامل ، فأل فيه للكمال وليس الا الانسان الحقيقي ، فهو الذي وسع الحق لحصوله على رتبة الاطلاق عن الصفات والنعوت ، وأعنى بالاطلاق هو أن لا يكون مغلوبا لاسم ولا مقهورا تحت حكم صفة . بل له الظهور بجميع الأسماء في الآن الواحد كما هو ثابت لمن هو مظهره لأنه عين الكل ، والكل هو ، قيل لأبي يزيد كيف أصبحت ؟ فقال كيف سؤال عن الصفة وانا لا صفة لي ، فلا مساء لي ولا صباح ، وهذا الذي ذكرناه في معنى هذا الحديث الرباني هو أن القلب الذي وسع الحق هو قلب مخصوص ، لا مطلق القلب المؤمن ، هو الذي ورد به الوارد علينا وأعطاناه ، كشفنا ، وإن قال الامامان الكبيران قدوة العارفين محيي الدين الحاتمي ، وعبد الكريم الجيلي ، رضي الله عنهما ، بخلافه بادىء الرأي ، وانذكر كلامهما ، قال سيد المحققين محيي الدين ، في آخر الفص المحمدي من الفصوص ، آله المعتقدات تأخذه الحدود وهو الآله الذي وسعه قلب عبده ، فان الآله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه والشيء لا يقال فيه يسع نفسه اه ، يريد أن من ربط قلبه واعتقد في آلهه أنه كذا ولا يكون كذا فآلهه محدود محصور ، لأن الاعتقاد مأخوذ من العقد والربط ، فكما أن المعتقد

مربوطاً باعتقاده . فكذلك المعتقد فيه مربوط بحسب اعتقاد المعتقد ، وهذا حال عامة المخلوقات لأنهم ماعرفوا من الإله إلا ماتجلى لهم به من الأسماء ، وما تجلى بجميع الأسماء إلا للخليفة من بني آدم ؛ وهو الذي حمل الأمانة التي ماحملتها السموات والأرض ، وهو الذي وسع الحق تعالى قلبه قوله ؛ وهو الذي وسعه قلب عبده ؛ يعني آله المعتقدات هو الذي ورد في الخبر ، ماوسعني أرضي ولا سمائي الخ ؛ وهذا مشكل ؛ فإنه لو كان الإله المذكور في الخبر هو آله المعتقدات المحصور المحدود لوسعته الأرض والسماء ؛ فإنهما لهما عقيدة بحسب التجلي الحاصل لهما كسائر المخلوقات ، وإنما كان يقال في قلب المنزه فقط ، أو المشبه فقط ، وفي كل من لم يحصل له التجلي بجميع الأسماء الآلهية ولم يصل إلى الإطلاق الذاتي إنه وسع الحق ، وقوله مع أن من لم يصل إلى مرتبة الكمال لم يسع إلا بعض أسماء الإله الحق ؛ وقوله وإن الإله المطلق لا يسعه شيء ، لأنه عين الأشياء وعين نفسه ؛ والشيء لا يقال فيه أنه يسع نفسه جوابه أنه لما كان قلب العارف الكامل المحمدي الواصل يصير عين ماعرفه وعين ماحققه مع بقاء التمييز آله ومألوه رب وعبد ؛ جاء في الخبر التعبير بالوسع مع هذا ؛ فقد قال رضي الله عنه في الباب الثالث والستين وثلاثمائة عند الكلام على القطب السابع ، حال هذا القطب العظيم ، بحيث أنه يرى أن العالم لا يسعه ، لأن نذوقه كونه وسع الحق قلبه ، وقد ورد في الخبر أن الحق يقول ، ماوسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن ، وما كل قلب يسع الحق اهـ ؛ فهذا تصريح منه بأنه إنما يسع الحق بعض القلوب وهي قلوب الكمل الذين آلههم مطلق من الاعتقاد والربط ؛ فلا يحكمون عليه بحكم ، ولا ينكرونه في أي شيء تجلى وهو الذي قدمناه عن واردنا ، وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي ؛ في لوامع البرق

الموهن ، فى معنى ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، الباب الثامن فى ذكر تجلي الكمال المطلق للوجود الحق فى القلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاكيا عن ربه ماوسعني الخ ، اختلفت العلماء فى هذا الوسع فالجمهور أنه وسع بالايمان والعلم ، والمحققون ذهبوا إلى أنه وسع حقيقي من غير حلول ولا تكييف ، فقد علمت أيدك الله بالفهم أن العبد المؤمن بالله لابد له من العلم بأن آلهه موجود ، واجب الوجود لذاته ، غير مستند إلى غيره ، وله من الكمال ماتقتضيه الصفات الآلهية ، كما أخبر عن نفسه وأخبر عنه الصادق المصدق ، واقتضاه العقل بالدليل للواجب بالذات ، ولا شك ان هذا العلم موجود لك فى قلبك إذ لا خلاف أن معلوم هذا العلم متصور فى علمك ، ثم انه ليس له ثان ، فيكون الموجود فى علمك مغايرا للواجب ، هذا محال فتعين أن الموجود فى علمك هو عين الواجب بالذات بأسمائه وصفاته ، وهو بعينه الموجود فى علم غيرك ولا يعلم ذلك فى أحديته اه ، ومع هذا فان قوله الكمال المطلق الموجود الحق من القلب ، يميل إلى قولنا فان أكثر القلوب ليس عندها الكمال المطلق الذى هو للحق فى نفس الأمر ، وإنما عندها الكمال المقيد ؟ اعتقدته كمالا لا غير ، وكذا قوله أول الكتاب فهذا كتاب أذكر فيه بعض الحضرات القدسيه التى اتسعت لها القلوب المحمديه ، حيث التحقت به فى المكانة الصديقيه ممروجها فى أثره مستمسكة بما عليه من خيرة وخبرة ، وهذا التصريح بأنه ما وسع الحق إلا القلوب المحمدية ، لا جميع القلوب وعند كتابة هذا المحل ، ورد الوارد بالتعريف الآلهي مبينا لمراد هذين الامامين فى قولهما بعموم الوسع لجميع قلوب المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المايه الثامن والثمانون)

قال تعالى ، وجعلنا الليل والنهار آيتين ، الليل كناية عن النفس العنصرية الظلمانية ، والنهار كناية عن الروح العلوية النورانية ، آيتين علامتين على الموجد تعالى وكمال اقتداره ، واطلاقه عن ظهوراته وتعيناته ولو تقيد بظاهر وتعين لما ظهر وتعين بالضدين ، كالليل والنهار ، والنفس والروح ، مع تباينهما ، والتغاير الذي بينهما وصفا ، إذ العالم كله ظهوره وتعينه وما عرف الحق إلاّ بظهوره على الضدّين ، وتعينه بالنقيضين ، والنفس والروح ثابتان لكل إنسان ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ، هاتان آيتان أيضا دالتان على أنه تعالى يفعل بالارادة والاختيار فليس هو علة يكون منه الفعل دون الترك بل له الايجاد والاعدام تبديل الأوصاف ، فانه يرحم بعض عباده ، فيمحو آية ليلهم وهي أنفسهم الظلمانية الشهوانية السفلية ، ومحوها بزوال حكمها فلا يبقى لها حكم عليهم بظلمانيتها لتبدل أوصافها بغلبة النور الروحي على ظلمتها ، وانشراقه على عالمها ، وإن بقيت عينها ، لان الضرر ليس فى عينها ، وإنما هو في صفاتها ، ويجعل آية نهارهم مبصرة ، وهي روحهم العلوية القدسية ، وجعلها مبصرة ، هو بزوال قذى النفس الظلمانية الذي كان يمنع ما فى قوتها من الأبصار ، فخرج إلي الفعل بعد ما كان بالقوة ، لأن الابصار وجميع الكمالات ذاتي للأرواح ، ولكن الموانع النفسية الظلمانية تمنع من ظهور كمالات الأرواح ، ما دام الحكم والغلبة للنفس على البدن ، لتبتغوا فضلا من ربكم ، اللام لام العاقبة ، إذ عاقبة من محيت آية ليله ، وجعلت آية نهاره مبصرة ، أنه لا يبتغي فضلا من الله الاّ بفضله لا بشيء منه ، لأنه عرف كيف هو الأمر باطنا فهو يبتغي

فضل الله بفضل الله ، فانه علم إنه ليس له من الأمر شيء

(الموقف المائة التاسع والثمانون)

قال تعالى ، واصبر وما صبرك إلاّ بالله، الآية ، أمر أوّلا ، تعريف وتعليم ثانيا ، والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد نحن ؛ أمره تعالى بالصبر ثم أخبره بصيغة الحصر وأعلمه أن الصبر المحمود المرضى المطلوب من العبد هو الذي يكون بالله فتعمل في تحصيله ، وتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبك فاني إذا أحببتك صرت بي تسمع، وبي تبصر ، وبي تصبر ، وبي تعمل وهكذا ، في جميع قواك وأفعالك لا بنفسك وبين الصبر بالله والصبر بالنفس فرقان ، فمن كان صبره بالله فهو وإن تألم ظاهره واشتكت أعضاؤه وجوارحه ودمعت عيناه فتحمّل ذلك منه النفس الحيوانية ، وهو في باطنه ناعم البال قرير العين، مستنير الباطن لأنه واثق بحسن تدبير الله تعالى له . متحقق بأن ما ورد عليه وأصابه لم يكن ليخطئه وأنه لا بد من نزوله به ، لأنه من مقتضى استعداده ، وإن استعداده هو الطالب له بلسان حاله ، موقن بأنه تعالى حكيم لا يفعل إلاّ ما ينبغي ، كما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، بل يكون الحق تعالى هو الحامل لما أنزله عمن يكون صبره به تعالى . وأما من كان صبره بنفسه فانه وإن تجلد وحبس نفسه ظاهرا لما نزل به وأصابه فهو كسيف البال ، مظلم الأرجاء ، متألم الباطن ، متهم لربه فيما أنزله به ، مجور لما ورد عليه ونزل به ، أنه عكن أن لا يكون وهذا ليس هو الصبر المرضي المحمود المطلوب من العبد بل هذا مقاومة للأمر الآلهي . وتشجع على الله كما روي أن عليا عليه السلام أنّ في مرضه ، فقيل له اتئن وأنت علي ، فقال ، أما على الله فلا أتشجع . والآلام الطبيعية المحسوسة ليس في وسع الانسان رفعها بخلاف الآلام النفسية فان في وسعه رفعها والصبر

من المقامات التي لا يفارقها العبد إلى الممات وهو عام على الخير والشر إذ الكل ابتلاء وفتنة وتمحيص ، قال تعالى ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وقال ، لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، فالصبر على الخير هو الثبات فيه على الحد المشروع وإشارة المعقول ومن هذا الصبر على المعارف الآلهيه ، والأسرار الربانية ، بعدم إذاعتها لغير أهلها ، وقليل فاعله ، وأما الصبر على الشر فهو المعروف عند الجمهور ولا يتبادر إلى الأفهام عند ذكر الصبر مطلقا غيره ، وقد عد الامام محي الدين القول بدخول الصبر في النعم جهلا ، ومن نظر في حد الصبر وانه حبس النفس على ما تكره وذاق ما تكابده النفس من الشدة في كتم ما يهبه الله تعالى للعبد من العلوم والأسرار ، وكشف الحقائق حتى قال بعض العارفين ، سبعة أعشار السر تقول لصاحبه بخ بخ ، وفي بوحه هلاكه وحتفه ، قال بدخول الصبر في النعم ولا بد ، وهذه أمور ذوقيه وكل واحد إنما يعبر عن ذوقه ويحكي حاله ، وهذه عادة القوم جميعهم رضوان الله عليهم ، فلهذا لا يخطيء بعضهم بعضا الا في النادر ، والكلام على الصبر طويل الذيل

(الموقف المايه والتسعون)

قال تعالى ، إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ، الى قوله ، يشرب بها المقربون ، موضوع الآية بحسب ما يعطيه ظاهر اللفظ بحاله ، وفيها إشارة الي شيء آخر ، فأقول أخبر الله تعالى مبشرا ومؤكدا لأخباره الصادق ، ووعده الحق ، بأن واللام ، حيث كان الأبرار بين الخوف والرجاء ، إن الأبرار وهم أصحاب تجلي الأفعال والصفات الذين ما فارقوا الكثرة بعد ، ولا فازوا باستهلاك الكثرة في الوحده ، ولا تجلت لهم الوحدة في الكثرة لهم في

الآخرة كيت وكيت من الاكرام والانعام ، وانهم يسقون من رحيق ، من للبيان ، لأن المشروبات أربعة ، اللبن والعسل والماء والخمر ، وهى علوم الوهب لمن شربها ، تتصور العلوم بصور هذه المشروبات الأربعة ، كما ورد فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه شرب لبنا وناول فضله عمر رضي الله عنه ، فقالوا ما أولته يا رسول الله قال العلم ، وشرب الخمر علم مخصوص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الدار الدنيا ، فلا يسقي غيرهم منه وذلك لما خصهم الله تعالي به من القوة على حمله وإطاقتهم له ، فلا يخالفون بشيء من الأوامر والنواهى الشرعية الظاهرة ، ولو سقى غيرهم من هذا العالم ما أطاق حمله ، ولا خص بالأحكام الظاهرة ، وفى الدار الآخرة يكون الأولياء السقى منهم ، كما أخبر تعالى ، وإن القوم رضوان الله عليهم يشبهون ما يحصل لهم من التجليات المثمرة للعلوم والأسرار بالخمر ، وذلك لمناسبات بينهما فى بعض الأمور ، وإلا فالحقيقة مباينة للحقيقة كل المباينة ، منها أن العلم الحاصل بالتجلي له سلطان وغلبة على علوم العقل والوهم ، فلا يبقى لهما حكم مع العلم الحاصل بالتجلي فانه بمثابة الضروريات . وغيره بمثابة النظريات وغلبة الخمر المحسوس على العقل والوهم محسوسة ، ومنها ما يحصل لصاحب التجلي من اللذة والابتهاج والطرب ، وهذا محسوس فى الخمر المحسوس ومنها أن لذة التجلي تكون للقلوب والاوصال والعروق ، وهكذا الخمر المحسوس الى غير ذلك من المناسبات وهي كثيرة ، والابرار إنما يسقون الرحيق من كؤوس الأسماء والصفات ، بخلاف المقربين من عباد الله فانهم يشربون بلا كأس ، بمعنى أن لهم عين الذات فلم تقيدهم الاسماء والصفات ، ولذا وصف تعالى سقى الابرار بانه مختوم بمعنى محدود ، لتقيدهم واحتجابهم بالصفات والأسماء ، ختامه مسك مدح لهذا

الشراب وإن نقله مسك وهو أطيب الطيب كناية عن سمو هذا الشراب وعظمة شأنه ، مع أن آخر الشراب عادة بخلاف هذا ، ثم أخبر تعالى عن المقربين وهم السابقون السابقون ، أهل تجلي الذات الجامع المطلق فقال عينا يشرب بها المقربون ، عينا منصوب على المدح ، ولذا فصل عما قبله ، وتنوينه وتنكيره للتفخيم والتعظيم ، بمعنى أن المقربين يشربون العين الذات الجامع ، أخبر أولا عن الأبرار أنهم يسقون من بعض أسمائها ، ولذا قال يشرب بها ، ولم يقل يشرب منها ؛ لأن العين بمعنى الذات هي الشاربة من وجه محو آثار الغيرية حكما ، وهي المشروبة من وجه بقاء التمييز عينا ولهذه النكتة جاءت الباء صلة ، وهذه الآية مثل قوله في سورة الانسان إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله ، أخبر أيضا أن شراب الابرار من كاس ، وشرابهم محصور محدود بالكأس ، وهو أما صورة حسية أو معنوية أو علمية ، وأخبر أن المقربين وهم المعنيون بعباد الله أي الذات المسماة بالله الغني عن العالمين ، وعن الأسماء والصفات ، فالله في هذه الآيه ومثلها علم على الذات ، لا على المرتبة ، فهم يشربون عينا مطلقا ، لا باعتبار صورة أسمائية أو صفاتية ، وذلك لاطلاقهم . فهم غير مقيدين باسم أو صفة بل لهم جميع الأسماء والصفات

(الموقف المائة واحد والتسعون)

قال تعالى ، ليس كمثله شيء ، إن كان الكاف بمعنى مثل فقد تقدم الكلام على ذلك في هذه المواقف ، وان كانت الكاف صلة فالآية لنفي المثلية له تعالى من حيث الوهيته فالضمير المضاف الى مثل ، يعود على الاسم الله المتقدم الذكر ، وهو هنا اسم للمرتبة التي هي الألوهية التي هي صفة الذات

العلية ، الغيب البحت فنفي المماثلة إنما هو عن المرتبة فهي التي لا مثل لها فلا إله الا الله والله في الكلمة المشرفة كلمة التوحيد علم على الذات العليه لا صفة إذ لو كان صفة ما أفادت الكلمه المشرفه توحيدا وهي تفيد التوحيد إجماعا فالألوهية لا مثل لها ، ولها ضد وهو المألوه العابد، والمنفي في الآية هو المثل بسكون المثلثة لأن المشارك في الحقيقة كزيد وعمرو ، فهما مثلان لاشتراكهما في الحقيقة الانسانية وإن كانا غيرين إذ زيد غير عمرو ضرورة ، وأما المثل بفتح الميم والثاء فلم تنفه الآية ولا هو منفي لأنه لا يشارك في الحقيقة ، وإنما هو مظهر يظهر به وتعين يتعين به ولذا ورد في الخبر ، إن الله خلق آدم على صورته وفي رواية صححها ابن النجار على صورة الرحمن فآدم تعين الرحمن والرحمن تعين الله، والله تعين الهو فالتعين مثل بفتح الثاء لا مثل ، قال الله ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، فعلامة المثل العزة والحكمة : واما الذات فلا مثل لها ولا ضد ، إذ لا غير لها فلا مثل ولا خلاف ، فانها عين المثلين والضدين والنقيضين والخلافين ، ولولاها ما تصور شيء من هذه الأشياء ولا وقعت عليه عبارة معبر ، ولا إدراك مدرك ، ومع هذا فلا يحكم على الذات بحكم ، لأن كل حكم إنما يتوهم بها ولأنها لا تصور والحكم فرع التصور ، وقولي ، لا يحكم عليها منفي أيضا فانه حكم ولكن لضرورة التفهيم وكما أنها لا تعلم لأنها لا تتصور وأول مراتب العلم التصور ، فهي لا تجهل لأن الجهل لا يرد إلا على ما يرد عليه العلم كما هو شأن الضدين ولكنها تتوهم وتتخيل

(الموقف المائة الثاني والتسعون)

قال تعالى ، فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، الخ الآية ،

أي إذا قرأت القرآن ثم نزلت الي قراءة الفرقان فاستعذ، لأن حضرة القرآن حضرة الجمع، والوجود حضرة الذات، الجامعة الأحدية : وهو حال شهود حق بلا خلق ، وهو المعروف عند ساداتنا رضوان الله عليهم بوحدة الشهود وهذه الحضرة لا شيطان فيها ، ثم بعد قراءة القرآن رجعت إلى قراءة الفرقان ، مقام شهود خلق قايم بحق ، وهو المعروف عند السادة بوحدة الوجود ، حضرة الصفات والكثرة الاعتبارية ، فحينئذ يلزمك بعد قراءة القرآن والرجوع إلى الفرقان ، ملاحظة الحكم الآلهية ومراعاة الأسباب والوسائط ، حسب أمر الشارع بذلك فتتقي ما أمرك باتقائه، وتسلك حيثما سلك بك . فانه جعل للخير أسبابا وللشر أسبابا، ومن جملتها الشيطان الرجيم، فانه مظهر الاضلال والاغواء، فاستعذ بالله وتحصن منه به تعالى ، ثم أخبر تعالى أن الشيطان ليس له سلطان وغلبة بقوته الذاتية على الذين آمنوا وصدقوا بأن لا ضار ولا نافع ولا هادي ولا مضل إلا هو تعالى ، وأنه الخالق للشر والخير ، المنفرد بإيجاد كل شيء وحده لا شريك له ، فالآية مشيرة إلى أن المستعاذ به هو المستعاذ منه ولذا قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي أخرجه أصحاب السنن الأربعة ، بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أي أستعيذ بسم الله ، فذكر المستعاذ به وما ذكر المستعاذ منه إشارة إلى أنه هو هو فيستعاذ بأسماء الرحمة والجمال من أسماء القهر والجلال ، فذكر الله إسم الجامع لا ستعاذ به واستعاذ منه ، ثم زاد الاشارة إيضاحا بقوله ، الذي لا يضر مع اسمه ، الضار شيء مما ينسب اليه الضرر من شيطان ومن كل ماذرأ وبرأ في الأرض وفي السماء ، فلا تأثير لمخلوق في ضرر مخلوق أصلا ، وعلى ربهم يتوكلون ، يجعلونه وكيلهم حسب أمره لهم بقوله وعلى الله فتوكلوا فجعلوه

القائم منهم بجميع مهماتهم واستكفوا به فكفاهم ، ثم أخبر تعالى على طريق الحصر أن الشيطان إنما قوته وسلطانه بتسليط الله وأقداره على الذين يتولونه توليتهم اياه بمعنى اشتغالهم به اشتغال الولي بوليه ، والصاحب بصاحبه ، أما محبة ورضى بما يلقيه كالكافر الصريح ، أو خوفا من شره كحال المحجوبين من العباد والزهاد الذين هم دائما يترصدونه خوفا منه ، والذين هم به مشركون أي جعلوا الشيطان شريكا له تعالى في إيصال الضر والشر ، ولولا هذا لما خافوه ذلك الخوف فانه تعالى يقول ، فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين فلهذا أسلمهم الله الى الشيطان وجعل له سلطانا وغلبة عليهم ، ولذا ورد في الخبر من خاف من شيء سلط عليه ، أي جعل الله تعالى له سلطانه وغلبة عليه لأن من خاف مخلوقا فقد أدخل نفسه تحت حكمه وجعله محوطا له فيعاقبه الله تعالى على ذلك بتسليط ذلك المخوف عليه

(الموقف المائة الثالث والتسعون)

قال تعالى : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ، الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا الآية تهديد ووعيد وجهنم كل أحد بحسب حاله ومقامه إذ هي مأخوذه من البعد فمنهم من جهنمه الحجاب ، ومنهم من جهنمه العذاب مع الحجاب ، والكفر جلي وخفي ، وقد ورد في صحيح البخاري كفر دون كفر ، وهو مطلق الستر ولذا سمي الزراع كافرا ، والكفر الجلي هو ستر ماجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وجحده وهو المعروف والكفر الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل ستر الوجود الحق الواجب القديم الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما ، ونسبته للحوادث بمعنى أن لها وجودا مغايرا للوجود الحق ؛ الذين كانت أعينهم في

غطاء عن ذكري ، أي كانت أعينهم محجوبة مغطاة عن رؤيتي ولا يروني ولا يتذكرون وجودي مع مايرونه من صور المخلوقات وأشكالها وألوانها ، ولا قبلها ولا بعدها ، وكذا كانوا لا يستطيعون سمعا أي لا يقدرون أن يسمعوا مني مايسمعونه في ظاهر المخلوقات ، مع أني المتكلم من خلف جدار كل صورة ، انظر الى موسى عليه السلام سمع النداء من الشجرة وعرف أنه كلام الله ، مع أن الشجرة في جهة له والحق تعالى ليس في جهة ، والذى جعلهم لايرون الحق في مظاهره وتعيناته ، وكانت أعينهم في غطاء عن ذكره ، أي عن تذكره عند شهود المظاهر ، وكذا جعلهم لا يستطيعون أن يسمعوا كلامه تعالى هو وقوفهم مع التنزيه العقلي المحض الغير الممزوج بالتشبيه الشرعي وماعلموا أنه تعالى منزه مقدس عن الحلول والاتحاد والامتزاج ، عند ظهوره بالمظاهر من اسمه تعالى : الظاهر ، يحس بكل حس ، ويشعر به كل مشعر ، من القوى المدركة الظاهرة والباطنة ، فيرى بحاسة الرؤية ، ويسمع بحاسة السمع ، ويلمس بحاسة اللمس ، من حيث أن الظاهر عين المظاهر ، قال إمام العارفين محيي الدين

إن قلت أن الحق عنك منزه   فطريق شرعك أنه ملموس

ومنزه أيضا بشرعك فاعتبر   في الحالتين فعقلك المنحوس

فيوصف تعالى بأوصاف المحدثات ، ويحكم عليها بأحكامها ، ومن ذلك ماورد في الحديث الرباني في صحيح مسلم ، مرضت فلم تعدني واستطعمتك فلم تطعمني ، الحديث بطوله ، وقال تعالى : يد الله فوق أيديهم ، بعد قوله ، ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، ويسمى بجميع أسماء المحدثات ، كما قال تعالى ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال أبو سعيد الخراز ،

ما عرف الحق تعالى إلا بجمعه بين الضدين ، ثم تلا ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ؛ فكل ماورد في الكتاب والسنة من المتشابهات ، فمحله مرتبة الظهور والتعين بالمظاهر ، من إسمه تعالى الظاهر وكل ماورد في الكتاب والسنة من التنزيه فمحله مرتبة التجرد عن المظاهر من اسمه تعالى ، الباطن ماعرف هـذا مع اعتقاد التنزيه في التشبيه . فان الحق الذي لا يتمارى فيه إلا محجوب بعقل

(الموقف المايه الرابع والتسعون)

قال تعالى ؛ اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ، أمر تعالى آل داود بأن تكون أعمالهم كلها شكرا وآل داود المأمورون هنا المقصود منهم الأنبياء خاصة ، وهو عام أريد به الخصوص كما قال زكريا عليه السلام ، يرثني ويرث في آل يعقوب ؛ المراد بآل يعقوب الأنبياء خاصة لأن المطلوب لزكريا ميراث النبوة لا المال . وقليل من عبادي الشكور ، يعني والكثير غير شكور ، هذا في عباد الذات لا في عباد الأسماء ؛ فانهم غير مرادين هنا لأن الضمير في قوله عبادي ضمير الذات الجامع لجميع المراتب . فالعباد المضافون بين كامل وأكمل ، فالأكملون هم القليل الشكور ؛ ولا يكون العبد شكورا بصيغة المبالغة ، حتى تكون أعماله كلها شكرا . ويصرف جميع ماأنعم الله عليه المخلوق لأجله ، وأما من كان تارة وتارة فلا وهذا القليل هم الأنبياء والرسل وورثتهم الكمل عليهم الصلاة والسلام ؛ والكاملون هم الكثير القليلو الشكر ، وهم العارفون الذين ماوصلوا رتبة الأكملية . والأكمل لا يفهم منه شيء من الأعمال نافلة ، بل جميع أعماله فرائض لأنه إنما يعمل مايعمل شكرا ، وشكر المنعم واجب شرعا . عند السني وعقلا عند المعتزلي ، ولا يخلو إنسان أي انسان

في وقت من الأوقات ، ليلا ونهارا ؛ من نعمة أقلها دوام الامـداد ، لبقاء الايجاد ، فان الوجود الذى للانسان بمثابة الجوهر ، والامداد بمثابة العرض ولا بقاء للجوهر بدون تجدد الأعراض عليه ، فاذ خلو الجوهر عن العرض محال ، ولهـذا لما قام صلى الله عليـه وسلم حتى تورمت قدماه ، وقيل له ، أتفعل هـذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ، أفلا أكون عبـدا شكورا . فنوافل الأكملين صوره وحكما شرعيا نوافل ، وأما بحسب ما عنـدهم فهي فرائض هـذا حال الأنبياء والورثه الأكملين ، لانهم لايعملون إلاّ الافضل الاحسن ، وقد سمعوا قوله تعالى فى الحـديث القدسي ، ما تقرب اليّ عبدي بشىء أحب اليّ من أداء ما افترضته عليه وقد افترض تعالي على عباده الشكر ، فهم وان كان الحق تعالي هو الذى يتصرف بهم فى مشاهـداتهم التي لا تحصى ، فلا تغيبهم عن عبودتيهم التي بها شرفهم ، وأما غيرهم من الـكاملين . فقـد يكون لهم هـذا الحضور والشهود وقد لا يكون بل يكون غيره فافهم

(الموقف المايه الخامس والسبعون)

قال تعالى ، وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتي أبلغ مجمع البحرين . الآيات ، فى هذه القصه عدة مسائل تتعلق بالشيخ والتلميذ ، منها أن الشيخ ولو بلغ ما بلغ من العلم عند نفسه وعند أتباعه ، وسمع بمن هو أعلم منه ، فينبغي له أن يرحل اليه ليزداد علما ، ويستفيد حكمة ، فهذا موسى صلى الله عليه وسلم الحائز لـكمالات النبوة والرسالة لما أخبره الحق تعالى بان خضر عليه السلام أعلم منه ، سئل السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آيه ، وقال له ، إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه ، والقصة في صحيح البخاري ومنها أن الشيخ لا يردمن

جاءه بطالب علم ولو عرف عدم استعداده لما طلب : فان الخضر عليه السلام عرف عدم صبر موسى عليه السلام أول ما لقيه ، فقال ، إنك لن تستطيع معي صبرا ، ومع هـذا ما رده ومنها أن للشيخ أن يشترط على الطالب شروطا ويأخذ عليه عهودا بحسب ما يراه من المصلحة ، ولهذا قال خضر لموسى عليهما السلام ، لا تسألني عن شيء ، يعني فعلا ظهر لك منه مخالفي الحق ، ومنها أن للشيخ أن يأخذ العهد على من علم أنه ينقض العهد ، فان الخضر قال لموسى إنك لن تستطيع معي صبرا ، وبعده أخذ عليه العهد ، وقال تعالى ، وإذ أخذ ربك الآية ، وقال ، وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية ؛ ومنها أن للشيخ اذا رأى الطالب أخل بشيء مما اشترطه عليه ، أن يذكره الشرط والعهد ، فاذا اعتذر التلميذ قبل عذره أولا وثانيا ، فان خضرا قبل عذر موسى عليهما السلام لما اعتذر بالنسيان وقبل عذره ثانيا ، ومنها أن للشيخ أن لا يطارد الطالب إذا عاد الى الاخلال بالشرط ثانيا ، وإن لم يذكر عذرا اذا رأى منه انكسارا فان موسى عليه السلام اعتذر أولا بالنسيان وثانيا لم يذكر عذرا ولكنه اشترط على نفسه فقبله خضر عليه السلام ، ومنها أن للشيخ أن يفارق الطالب إذا أخل بالشرط ثالثا فلذا قال خضر في الثالثة ، هذا فراق بيني وبينك ؛ ومنها أنه يلزم التلميذ الصبر والثبات وعدم تزلزل العقد في الشيخ إذا رأى من الشيخ قولا أو فعلا خالف فيه الحق والأمر الشرعي ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال كما في صحيح البخاري ، وددنا أن يكون موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما ، ومنها أن التلميذ اذا ساء ظنه بالشيخ فالأولى له أن يفارقه ، وبقاؤه معه بعد تزلزل عقيدته فيه نفاق وضرر محض فلهذ قال صلى الله عليه وسلم كانت الثالثة عمدا ، يعني المسألة الثالثة من موسى ، ومنها أن للشيخ

إذا عزم علي فراق التلميذ لانكار التلميذ على الشيخ أن يبين للتلميذ وجه ما أنكره،من الشيخ في قول أو فعل ، ولهذا قال خضر لموسى عليهما الصلاة والسلام، سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، وأما إذا صبر المريد حين ما يرى من الشيخ ما يجهل وجه صوابه وما تغير عقده في الشيخ،فان الله تعالى سيرحمه بكشف حجاب جهله : فيعلم وجه ما كان صدر من الشيخ من قول أو فعل،ويظهر له صوابه ويجده الحق الذى لا محيد عنه،ومنها أن يجب علي التلميذ أن لا يقول للشيخ لمَ ولا كيف:في كل ما يصدر من الشيخ من أمر أوفعل أوترك ، ولهذا قال خضر لموسى عليه السلام ، فلا تسألني عن شيء فعلته لمَ فعلته:ولا عن شيء تركته لمَ تركته، ولكن قل له وجه أنا جاهل به . ومنها أن لمن أخذ علما من غير طرقه المعتادة بين الناس، أن يبيّن مأخده بشرط الاضطرار الى البيان،ولذا قال خضر عليه السلام، ومافعلته عن أمري بل عن أمر ربّاني ورد على كياني، وأما إذا لم يضطر للبيان فليس له أن يبيّن طريق أخذه، وكيفية تلقيه،وانما عليه بيان العلم الذي ورد عليه فقط اذا أمر بالبيان:ومنها أن الطالب مادام لا يجد في طلبه نصبا،ولا يحس في سفره تعبا، فهو مطلوب محمول مراد فاذا أحس بشيء من ذلك بعد،فقد تبدلت حالته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في الصحيح لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به،ومنها أن العالم الربّاني اذا أنكر عليه متشرع لاس من أهل طريقه لا يشغل نفسه به ولا يردوده بل يشتغل بواجب وقته في ظاهره،وباطنه،ولا يلتفت اليه وان كان ولا بد فليقل كما قال الخضر لموسي عليهما السلام أنت على علم علمكه الله:وأنا على علم علمنيه الله، ومنها ان المتشرع الصادق المخلص المحتسب أن ينكر على الصوفي ما ينكره

ظاهر الشرع ولكن فى الأشياء المجمع عليها لا فى الخلافيات مع إعتقاد كمال الصوفى فى الباطن فان موسى أنكر على خضر عليهما الصلاة والسلام ما خالف ظاهر الشرع ولا شك أنه كان يعتقد أكمليته وأعلميته ضرورة لأن الله تعالى أخبره أن خضر أعلم منه، اذ المتشرع طريقه أخص فله أن ينكر على الصوفى والصوفى طريقه أعم فليس له أن ينكر على المتشرع الى غير هذا من العلوم التى تشير اليها هذه القصة

(الموقف المائة السادس والتسعون)

قال الله تعالى، ان الله على كل شيء قدير . شيء بمعنى مشيوء، مراد فعله بمعنى مفعول، فهو تعالى يقدر على كل ما يريد فعله كما قال تعالى، فعّال لما يريد وقال إن الله يفعل ما يريد ولا يريد الاّ ما يعلم قبوله وانفعاله ويعلم المعلوم على ما هو عليه فى حقيقته من القبول وعدمه، والمحال غير قابل الانفعال وعليه فقول القائل هل يقدر الله تعالى على المحال ، سؤال فاسد وان كان ولا بد وليقل هل يريد الحق تعالى فعل المحال أولا ، فحينئذ فالعقلاء مجمعون على أن الحق تعالي حكيم وإرادة فعل ما لا يقبل الفعل فلا يفعل عبث تعالى الحق الحكيم عن ذلك فان تعلق القدرة بالمقدور متأخر بالذات عن تعلق الارادة به، كما أن تعلق الارادة بالمراد المشيوء متأخر بالذات عن تعلق العلم به، كما أن تعلق العلم به متأخر بالذات عنه، إذ العلم تابع المعلوم فهذه التعلقات مترتبة ترتبا ذاتيا عقليا لا زمانيا، لأن صفات الحق تعالى لا تدخل تحت الزمان فلو أراد فعل ما لا يدخل تحت قدرته كان جاهلا عاجزا، القاهر العزيز، تعالى العليم الحكيم القادر عن ذلك، ولو فعل ما لا يريد كان مجبورا مقهورا، تعالى الفاعل المختار عن ذلك. ان قال آخر ان الله على كل شيء قدير ، والشيء ما يصح أن يعلم

ويخبر عنه فهو أعم العلم وأنكر النكرات كما هو عند أرباب اللسان فلا يستحيل عليه تعالى فعل شيء من الممكنات العقلية والعادية. قال القطب علي وفا رضي الله عنه: استقرأ أهل الإشارة [illegible] كتابي فلم يجدوا في الكتاب الصمدي أنه قال لو شاء [illegible] بالإرادة أو الإرادة الربانية أو الإلهية أو البرهانية [illegible] أراد الله أن [illegible] لاصطفى مما يخلق [illegible] وافق [illegible] كقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا [illegible] هو واقع [illegible] [illegible] في الجنة [illegible] [illegible] في الجنة [illegible] ما تشتهيه في الأرض [illegible] [illegible]

([illegible])

قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون [illegible] أمر تعالى المؤمنين [illegible] الأساس [illegible] في [illegible] الوسيلة التي هو الأساس [illegible] [illegible] كما قال بعض [illegible] ما حرموا الوصول [illegible] وابتغوا إليه الوسيلة أي [illegible] أحكام مقام [illegible] الكامل [illegible] العارف [illegible] في الوصول إلى العلم بالله [illegible] [illegible] [illegible] أهل الله تعالى [illegible] وهو [illegible]

فى طريق العلم بالله تعالى ، ولا تغنى عنه الكتب ، وذلك عند ورود الواردات ، وبوارق التجليات والواقعات ، ليميز المريد المقبول من المردود ، والصحيح من السقيم ؛ وأما بداية السلوك فيكتفي بالكتب المصنّفة فى المعاملة والمجاهدة المطلقة ، وجاهدوا في سبيله ، أمر بالجهاد بعد الظفر بالشيخ ، وهو جهاد خاص يكون بحسب أمر الشيخ وما يراه للمريد ، فان المجاهدة بغير شيخ لا يعول عليها ، الاّ فى النادر فليس هو جهادا واحدا على طريق واحد ، لأن الاستعدادات مختلفة والأمزجة متباينة ، فربما يكون الأمر النافع لزيد مضرا بعمرو وبالعكس

(الموقف المائة الثامن والتسعون)

ورد فى صحيح البخاري وغيره ، من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له في أثره أي عمره فليصل رحمه ، ووردت أحاديث كثيرة فى الباب كلها ترجع الى أن فعل البر يزيد فى الرزق والعمر ، هذا مع قوله تعالى ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، ومع قوله صلى الله عليه وسلم كما هو فى الصحيحين فى أثناء الحديث الطويل ، ويؤمر الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، يعني فلا يزاد ولا ينقص من ذلك ، وقد سألني بعض اخواني كشف هذا الأشكال حيث ما أقنعه ما قال شراح الحديث فتوجهت الى الله تعالى فى كشفه ، ففهمني تعالى عن العالم وعن نفسي وألقى عليّ قوله ، وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وألقى عليّ ما نسمع، فهذا التعارض الباطل المدفوع وارد فى القرآن ، قال تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية ، وقال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، والقرآن لا اختلاف فيه ولا تعارض

لأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فمن كان القرآن شفاء له بيّن له تعالى الوجه المراد وانعدم الاختلاف عنده ، ومن جعل الله له القرآن خسارا ، أعمى الله عنه الوجه المراد فزاده القرآن خسارا ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، إذ لا اختلاف في القرآن وكذلك هذه الأحاديث ، فإن من الأمور ماله سبب واحد لا يكون غيره ، ومنها ماله أسباب كثيرة متعددة ، كما قال القائل ، تعددت الأسباب والموت واحد ، فمن سبق القضاء الأزلي ، ولا يكون القضاء الأزلي إلا تابعا للمقتضى لطالبه ذلك القضاء باستعداده ، ونفذ الحكم الآلهي بشفائه من أمراض القلوب ودواء العقول ، وهي المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة ، فلا سبب لشفائه إلا القرآن قل إن الهدى هدى الله ، أي لا هداية إلا هداية الله ، ولا هداية لغيره إلا بالمجاز ، ومن لم يسبق القضاء الأزلي والحكم الآلهي بشفائه زاده القرآن خسارا ، وكذا أعمال البر التي ورد في الأحاديث أنها تزيد في العمر والرزق ، المراد إذا سبق القضاء والحكم بزيادة عمر إنسان على أعمار أمثاله في الصفات والزمان والمكان ، وبزيادة رزقه على أشباهه في التكسب ومعاطاة أسباب الرزق فلا سبب لذلك إلا ما ذكر في الأحاديث ، ومرجعها كلها الى معنى واحد . وهو عمل البر . وأما إذا لم يسبق القضاء والحكم الآلهي بزيادة في عمر انسان ولا في رزقه ، فانه ، وإن عمل أعمال البر التي كانت سببا في زيادة عمر غيره ورزقه فلا تكون سببا له هو في ذلك إذ الشيء قد يكون سببا وقد لا ، لأن ذلك راجع الاستعداد . والاستعدادات متباينة متخالفة ، والاستعدادهو السبب الأول ، والقضاء مترتب عليه ، وهما غيب . والاسباب المشهودة لواحق مترتبة عليه ، والأشياء في عالم الغيب الذي هو العلم الذاتي

ليس فيها سبب ومسبب عنه ، ولا تقدم ولا تأخر ، ولا ترتيب ، وذلك لوسع هذا العلم ، وإنما كانت الأسباب والمسببات ، والتقدم والتأخر ، والترتيب كتقدم العلة على المعلول ، والشرط على المشروط ، والسبب على المسبب في هذا العالم لضيقه ، وهو عالم الشهادة المسمى بعالم الحكمة ، وعالم الأسباب ؛ فلا يوجد فيه موجود إلا عن سبب غالبا ولا يبقى وثبت إلا بسبب ، ولا نزول ويمحى إلا بسبب ، وهذا هو لوح المحو والإثبات ، كما قال تعالى ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . الذي لا محو فيه ولا إثبات ، فيمحو ما يشاء ويزيله بسبب كإزالة الأمراض بالأدوية النافعة ، ويثبت ما يشاء بسبب وهي الأسباب المثبتة للأشياء بعد إيجادها ، وهي لا تحصر كثرة ، وأما اللوح المحفوظ من المحو والإثبات الذي هو مظهر العلم الذاتي ، فهو العلم الغيبي ليس فيه شيء مما ذكر في لوح المحو والإثبات . وإنما لم يفصل صلى الله عليه وسلم هذا التفصيل لأن هذا الكلام خرج منه صلى الله عليه وسلم مخرج الترغيب والتنويه بعمل البر والترهيب بعلو مكانته ، أي هو بحيث أنه يكون سببا لزيادة الرزق والأجل ، إذا سبق القضاء بزيادة ذلك على أمثاله لا مطلقا ، وإذا لم يسبق القضاء بزيادة في ذلك ، فلا جرم أن له أجرا جزيلا وثوابا جزيلا ، وتمثيله صلى الله عليه وسلم بقوله ، من أحب اعتبارا لما جعله الشارع للإنسان من الكسب والاختيار ، إذ هو فاعل مختار في ظاهر الأمر وبادىء الرأي ، وإلا فالأمر كما ذكرنا ؛ وربك العليم الحكيم

(الموقف المائة التاسع والتسعون)

حصل لي أيام التوجه قبض واستبعاد للطريق لجهلي بنفسي واعتمادي

البعد من ربي فقرّبني الحق تعالى من نفسي وألقى عليّ قوله . والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، وقوله ، له الأسماء الحسنى يسبّح له ما في السموات والأرض ، وقوله ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، وقوله ، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ، أخبرني تعالى في الآيتين الأوليين ، إن الملائكة مع كثرتهم التي لا يحصيها الا خالقهم يسبحونه ويذكرونه ، فلا تتوهم أنك تذكره وحدك فتتدلل بعبادتك وذكرك ، فتريد أن يفعل لك ما تريد . لا ما يريد ، وفي الوقت الذي تريد ، لا في الوقت الذي يريد ، فاعرف قدرك وتأدّب ، فان العبد يفعل ما يليق بالعبودية ، والرب يفعل ما يليق بالربوبية ، وأخبرني في الآية الثالثة ، إن لله أسماء كثيرة لا يحصيها إلاّ هو . أسماء تنزيه وتشبيه ، وأسماء ذات ، وأسماء صفات ، وأسماء أفعال . وكلها حسنى فادعوه بها ، أي أعرفوه في كل إسم تجلى لكم به . وادعوه لأنه المتجلي بأسمائه . وهي مراتب ظهوراته وتجلياته ، ومن جملتها اسمه الفائض ، وهو تعالى يريد أن تعرف عباده في أسمائه فيعرفونه في كل إسم تجلى به على أي عبد شاء من عباده ، فمن عرف الحق تعالى في بعض تجلياته في أسمائه دون بعض فما عرفه في مرتبة إطلاقه ، وإنما عرفه مقيدا تعالى عن التقييد ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، اتركوا وباعدوا الذين يميلون الى بعض أسمائه دون بعض كالمنزهة ، فان ميلهم الى التنزيه فقط ، وكالمشبهة فان ميلهم الى التشبيه فقط . فكل واحد منهما إنما يعرف الحق فيما مال اليه من أسماء تنزيه أو أسماء تشبيه ، ويجهله إذا تجلى في غير ما مال اليه وكلاهما جاهل به تعالى ، هذا لمن لغير ما مال اليه من الأسماء وممن خلقنا أمة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكل رسول أمة ، لأن حقيقة كل رسول مجموع أمته التابعين

له يهدون بالحق هم وورثتهم ، بمعنى يدعون الناس ويهدونهم الى شهود الحق تعالي فى جميع أسمائه ، فانها مظاهر ذاته ، سواء كانت أسماء تنزيه أو أسماء تشبيه ، فلا يجهلونه فى شيء من ظهوراته مع اعتقاد ليس كمثله شيء وهو تعالى قدر فهم أنه الظاهر فى كل شيء من الاسماء وآثارها ، ولا يجهلونه فى شيء أبدا ، وأخبر تعالي فى الآية الرابعة ، أن القبض والبسط بمثابة الليل والنهار ، فالقبض شبيه بالليل لما فيه من الانكماش والانقباض وسكون النفس بالقهر ، الذى نزل عليها وتحققها بعجزها عن دفع ما نزل بها فهي لا تمرح ولا تدعى ولا تسترسل فى الأماني والطلب ، فلا حظ للنفس فى القبض أصلا ، فلهذا كان الانسان وقت القبض أقرب الى السلامه وتوفية الربوبية حقها ، والأدب معها منه فى وقت البسط ، وأما البسط فهو شبيه بالنهار لما فيه من نشاط النفس وتسريحها بعدم حصول قاهر لها ، واسترسالها فى الأماني والدعاوى الباطلة ، ولهذا كان وقت البسط أقرب الى العطب من وقت القبض ، قال بعض السادة ، لا يقوم بحق الأدب فى البسط الا القليل

(الموقف المايتان)

روى مسلم فى صحيحه وغيره ، إن الحق تعالي يتجلي لأهل المحشر في أدنى صوره من التي رأوه فيها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يتحول لهم في صورة أدنى من الصوره التي كانوا راؤه فيها ، فيقول لهم أنا ربكم . فيقولون نعم أنت ربنا الحديث بطوله ، إعلم أن الناس فى تحول الحق تعالي في الصور ثلاث فرق ، فرقة تنكره في الدنيا والآخرة ، وتؤول الأحاديث الواردة في التحول في

الصور الى أمور تليق بعقولهم وهم علماء الظاهر ، وفرقة تنكره في الدنيا وتقره في الآخرة تفويضا على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما يليق بجلاله تعالى من غير تأويل وهم عامة السلف الصالح ، وفرقة تقره في الدنيا والآخرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، ولا تولد مع اعتقاد ليس كمثله شيء ، وهم العارفون بالله تعالى أهل التجلي والشهود في الدنيا ، فان كنت سالك طريقهم فأي صورة اشهدك الله تعالى نفسه بها أو عندها أو فيها فهي صورة تحول لك الحق تعالى فيها من غير حلول ولا اتحاد ، رأى صورة لم يشهدك الحق تعالى نفسه بها أو عندها أو فيها فهي صورة احتجب الحق تعالى عنك بها ، ولقد رأيت سائلا في الجامع كلما وقف على انسان يسأله تقول ، لا تقصد الا الله ، فقلت هذا السائل إما أن يكون من أهل هذا الشأن ، وإما ان يكون الحق تعالى أجرى على لسانه هذه الحكمة العظيمة : فيلزم السائل سواء سائل الدنيا أو سائل العلم أن لا يسأل إلا الله من كل صورة مسؤولة ، فانه لا يعطي السائل مطلوبه إلا هو تعالى ، فلا يسأل الا الله تعالى ولا يأخذ الا منه تعالى ، يروى أن عارفا كان يسأل فأعطاه عارف شيئا وقال خذه لا لك ، فقال السائل آخذه لا منك ، والتحول الوارد في الحديث هو لأهل الحشر الخاص والعام منهم فينكره العوام أولا ، لأن كل واحد منهم ما عرف آلهه الا مقيدا بالصورة التي اعتقده عليها حسية أو معنوية ، ويعرفه الخواص العارفون به في الدنيا لأنهم عرفوا آلها مطلقا مجردا عن جميع القيود والحدود ، فلا يجهلونه في شيء من تجلياته عرفهم ذلك ذوقا اختصهم به ، فاقتطعهم عن الخلق بسببه

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالنفس يشريه

والتحول في الصور في الدنيا والآخرة إنما هو في نظر الناظر والا فجل الحق تعالى أن يتحول أو يتغير أو يتبدل أو تحدث له صفة لم يكن عليها

(الموقف المائتان وواحد)

قال تعالى: «أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى» الآية، الاستفهام إنكاري معناه النهي أي لا تشهدوا صورة عبدت أنها عبدت مع الله أي صورة كانت حسية أو معنوية، إذ المعية في اللسان المتواضع عليه تقتضي وجودين، وليس الوجود إلا واحدا، وقد قضى أن لا نعبد إلا إياه، فلا يمكن أن يعبد معه سواه ولا يلزم من تعدد الصور تعدد الحقيقة، فإن الحقيقة الإنسانية واحدة بإجماع العقلاء وصورها لا تحصى كثرة، فإن السمع والبصر والشم واليد والرجل: كلها صورها، قل لا أشهد ما شهدتموه من تعدد الآلهة وإنما أشهد إلها واحدا تعددت مظاهره، والعين واحدة كالأسماء المتعددة المسمى الواحد، فهل ذلك قادح في وحدة المسمى ولهذا قال إنما هو إله واحد، أي المعبود في كل صورة هو إله واحد عينا وحقيقة ووجودا، فليس هنالك آلهة مع الله كما قال تعالى في آية النمل، أإله مع الله، أي لا إله مع الله وهو إله واحد تعددت تعيناته ومظاهره. بل هم قوم يعدلون عن شهود الوحدة الحقيقية، إلى الكثرة المجازية الاعتبارية، فالعارف يرى جميع الصور المعبودة غير المعبود ليس لها وجود مع الله، وإنما وجودها هو وجود الله الواحد العين: والحقيقة والصور ظهوراته وتعيناته، والظهور والتعين والتعدد اعتبارات عقلية لا وجودية خارجية، ولكن الحجاب صيرها كما يراها المحجوب، وهذا التوحيد الذي فاتناه

هو الذي أمر الله تعالى به عباده، وجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنه تعالى أمر بتوحيد حقيقة ألوهيته، فإنها واحدة وجد الموحّد أو عدم، وما أمر بتوحيد الصوره والتعينات، فإنها إعدام اعتبارية؛ وإنما أمر بشهود وحدانيته في ألوهيته، وسريان هويته في مظاهره المتعددة، وتعيناته المتكاثرة، وحينئذ يكون هو الذي وحّد نفسه بنفسه، فيصح قوله لا إله إلاّ الله، بمعنى نفي تعدد الإله في ألوهيته، وإن تعددت مظاهره ولا وجود إلاّ وجود الله

(الموقف الثالث والثمانون)

قال تعالى في تعداد صفات السيد الكامل صلى الله عليه وسلم، وسراجاً منيراً. إعلم أن الإنارة لازمة للسراج، وكما يصح أن يكون منيراً صفة كاشفة، يصح أن يكون بمعنى جعل الغير منيراً، فإنه ورد متعدياً ولازماً، فهو صلى الله عليه وسلم السراج المنير لكل سراج، أي يجعله سراجاً منيراً، وكما أن السراج الحسي إذا أسرجت منه سرج كثيرة فلا شك أن ذلك السراج الواحد كان متضمناً لتلك السرج الكثيرة كلها، فكانت فيه بالقوة ثم خرجت إلى الحس وانفصلت عنه في الوهم، فهي هو في الحقيقة والعلم، وهي غيره في الوهم والحكم. هكذا الحقيقة المحمدية هي المنيرة لكل سراج منير حساً ومعنى، من نبي وولي، وملك وشمس، وقمر ونجم، فإنها الدرة الأولى العلمية الكلية الجامعة، والسرج المنيرة كلها فيها بالقوة وتظهر بالفعل آناً فآناً لأن أعيان السرج متميزة بعلم خاص، ومتميزة ممتازة، فالسرج المنيرة غيرها بحسب المعاني والتميز الاعتباري، وهي عينها بحسب الحقيقة والمعنى. كالرجل الواحد يبرز في الملابس المتعددة المختلفة،

فهو هو من حيث الحقيقة في كل لبسة، وهو غيره بحسب اختلاف الملابس وتعددها

(الموقف المائتان وثلاثة)

قال تعالى ، الحمد لله رب العالمين ؛ إلخ الفاتحة ، أشار إلى هذا الجود العظيم والعناية الكبرى بهذا العبد الكريم على ربه ، فانه تعالى أولا أمره بحمده وعلّمه كيفية الحمد . فقال قل الحمد لله رب العالمين ، بالجملة الاسمية المفيدة الدوام والاستمرار ؛ وبأل العهدية التي معهودها حمد الحق تعالى نفسه بنفسه في أزله ؛ وقال لله باللام المفيدة ان الحمد صادر منه تعالى راجع إليه ، فهو الحامد وهو المحمود ، وهو معنى ما ورد في الخبر الصحيح ؛ واليه يرجع عواقب الثناء ؛ وما قال بالله لأن الباء لا تفيد هذا ؛ ولهذا قال بعضهم . اللاميون أفضل من البائيين ، وبعد ما خلق تعالى هذا القول في العبد . قال تعالى ، حمدني عبدي أمر وعلم وخلق ، ونسب ذلك للعبد فهذا هو الفضل الذي إذا أراد أن يظهر فضله على أحد خلق ونسب إليه ، ثم علّمه تعالى كيف يثني عليه ، فقال . قل الرحمن الرحيم ، وبعد ما خلق ذلك في العبد قال . أثنى علي عبدي . ثم علمه كيف يمجده ؛ فقال ، قل مالك يوم الدين ، وبعد أن خلق هذا القول في العبد قال تعالى . مجدني عبدي ؛ ثم لما حصل الحمد والثناء والتمجيد من العبد دل على كمال الأدب فاطلعه تعالى ا انه يبعد بالسؤال والطلب ، وعلمه تعالى كيف يسأل وماذا يسأل . فقال له ، قل إياك نعبد ؛ أي اجعلني لا أعبد ولا أستعين وأسأل الا إياك ، لأن العبادة لغة الخضوع والتذلل ؛ والانسان مهما ارتفعت منزلته ، وعلت مكانته . فلا بد أن يذل ويخضع لبعض المخلوقات التي يراها أعلى منه ؛

والتعبد والتأمل لغير الله تعالى شرك ، فأمر الحق تعالى عباده أن يسأله شهوده فى كل مظاهر ، عبده بمعنى تأمل وتوسل له : فيكون تعبده مع الظاهر تعالى لا المظاهر فيتخلص من الشرك . بل يحصل على غاية الكمال فى الأدب . فإنه أعطى الظاهر تعالى حقه ، والمظاهر مستحقه ، وقام بحق الشريعة والحقيقة وهو المراد بما ادعاه من قوله . قوله وإياك نستعين . أى اجعلني لا أستعين إلا بك ، لأن الخلق كلو اغترر من الأفراد والمظاهر فلا بد أن تستعين بغيره من إنس أو جن أو ملك أو إسم آلهى ، فإذا لم يشهد وجه الحق تعالى فيما استعان به كان مشركا . فأمر الحق عباده أن يسأله شهوده فى كل شيء استعان به حسيا أو معنويا ، وحينئذ يتخلص من الشرك فإذا تخلق تعالى هذا القول بالسؤال فى العبادة . قال تعالى هذا بيني وبين عبادى ، ولعبادى ما سأل ، يعني ما شاءهم وما يأتي ثم بعد التفصيل أمره اجمال السؤال الجامع لأسباب السعادة ، فقال : قل إهدنا الصراط المستقيم . صراط الله الرب الموصل إلى رضوانه تعالى ودار سعادته . ثم زاده بيانا فقال ، صراط الذين أنعمت عليهم ، وهم محمد وإخوانه من المرسلين والنبيين صلوات الله عليه وسلامه وعليهم أجمعين وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، أترى بعد أن أمره بسؤاله وعلمه كيفية السؤال وأدب المناجاة ووعده بإجابة سؤاله يرده صفر اليدين ؟ كلا فإنه تعالى أكرم من أن يرده خائبا ولو لم يأمره بالسؤال ولا وعده بالإجابة ، كيف وقد أمره وعلم ووعد ، والحمد لله رب العالمين

(المؤمن الإنسان وإرادته)

قال تعالى : كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس ، الآية ،

إعلم أن لكل إنسان نفسين : نفس مجردة ، وهي النفس الروحانية الربانية العلوية ، ونفس مدبرة إياه منفعلة ، وهي النفس الطبيعية المعبر بها بالنفسية الحيوانية ؛ وحقيقتها كيفية تعرض بين النفس الروحانية الكلية وبين الجسم فهي مثلا كالصورة في المرآة عند المقابلة ، بواسطتها يحصل تدبير النفس الروحانية للجسم ، وباختلاف القوابل التجلي النفس المقبول تعددت النفوس وتميزت وصح الإطلاق على المقبول الواحد بالعدد ، فمن قال بزوال الصورة الحاصلة في المرآة مثلا هو الموت ، قال الموت أمر وجودي ، ومن قال عدم التجلي هو الموت قال الموت أمر عدمي ، أي عدم الحياة فتقابل الموت والحياة إما تقابل عدم وملكة ، وإما تقابل تضاد عند بعض سادات القوم ولما كانت النفس واحدة للعالم جميعه ، والقوابل تقبل بحسب استعداداتها من ذلك التجلي كان من قتل نفسا أي من كان سببا في إبطال تصرف النفس الكلية في الجسم بغير نفس أي بغير إذن شرعي ، وإنما وقع النص على النفس والفساد في الأرض ، لأنه الغالب فكأنما قتل الناس جميعا ، ودخل في الناس جميعا نفس القاتل فكان قاتل نفسه بمعنى كان عليه وزر من قتل جميع الناس ومن قتل نفسه ، وذلك لوحدة النفس الكلية وهذا معنى قوله في سورة البقرة ، وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ؛ إلى أن قال : ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وما قتلوا أنفسهم في الحس ، وإنما قتلوا أعداءهم بالظلم والحمية الجاهلية ، وانصرف الإنسان بحسبه الحق تعالى منها ، وإلا فالقياس أن يكون هذا الحكم عاما في كل من كان سببا في منع تجلي النفس على جسم من الأجسام بغير إذن شرعي من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، إذ لكل منها نفس تليق به تظهر آثار النفس المدبرة فيه بحسب استعداده ، ومن أحياها

أي كان سببا في إبقاء وحصول تجلي النفس على الجسم الانساني بمعني دفع الهلاك المتوجه على الانسان بحيث أنه لولا هو في بادىء الرأي لهلك ذلك الانسان كاطعامه في مسغبة وسقيه عند عدم الماء وتخليصه من حيوان مفترس أو دفع ظالم يريد قتله ؛ فكأنما أحيى الناس جميعا فيكون له أجر من أحيا جميع الناس لما تقدم من وحدة النفس

(الموقف الماثتان والخامس)

قال تعالى : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، هذا الفتح فتح الولاية لا فتح الرسالة ، فان فتح الرسالة متعلق بالأوامر والنواهي الوضعية المتعلقة بمصالح الخلق ، والنظر الى ماينفعهم في معادهم ومعاشهم بحسب أزمانهم وأحوالهم وارتباط الأسباب بعضها ببعض وترتب الأشياء على شرائطها فهو خاصة التجلي بضده ومعارضة نقيضه ؛ والنظر الى الأمر الشرعي دون الارادي ، وفتح الولاية ليس كذلك وهو فتح مطلق لا تعلق له الا بحقائق الأشياء ومبادئها ونهاياتها ، لا تعلق له فيما بين ذلك ، وليس فيه أسباب ولا شروط موانع ولا أوضاع شرعية ولا حكمية بل هو سكون تحت الأمر الارادي ومراعاة التجليات الى أن تنقضي دولها لا معارضة ولا منازعة ولا منافضة وهذا دون النبوة والرسالة والوراثة الكاملة التي هي مقام الدعوة الى الله تعالى : ليغفر لك الستر عنك ، ولك ومن أجلك الله ما تقدم قبل هذا الفتح وما تأخر عنه من ذنبك ، أي ذنب أمتك وإنما نسبت ذنوب أمته اليه صلى الله عليه وسلم لأن حقيقة كل رسول هي مجموع حقائق أمته ؛ فهو الكل وهم أشخاص ذلك الكل ، وكيف به صلى الله عليه وسلم الذي هو كل هذا الكل

وعنصر العناصر ، والجنس الأعلى ، وجوهر الجواهر ، وحقيقة الحقائق ، وروح العالم كله ومحركه ، وقد ورد إذا دخلت الشوكة في رجل أحدكم أجد ألمها ، ويتم نعمته عليك بهذا الفتح المبين والكشف اليقين فتقر عينك وتطمئن نفسك إذ كان صلى الله عليه وسلم كثير الاهتمام بأمته أمة الدعوة فضلا عن أمة الاجابة ، ولذا أشفق عالى منه وقال له ، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ، وقال . فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وهذا في حق أمة الدعوة ، وقال في حق أمة الاجابة ، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، فأراحه الله بهذا الفتح المبين ، واعلم أن مآل من أذنب منهم المغفرة والوصول الى السعادة المطلوبة ، والغاية المرغوبة ، وإن حصل لبعضهم تخليص وتهذيب ، فهو غير قادح في المغفرة لهم بالنسبة لما يحصل لغيرهم بتلك المعاصي نفسها ، ويصح أن يكون هذا الفتح أعم وأوسع بأن يكون المراد إطلاع الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم والرسل كلهم نوابه وخلفاؤه من أول رسول الى آخر رسول ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيما خرجه الحاكم والبيهقي ، إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، يعني الشرائع ، فهو الآتي بها أولا بمظاهر روحانيته ، وهم الرسل وهو المتمم لها آخرا بظهوره بصورته العنصرية صلى الله عليه وسلم ، فإنه كما روى أبو نعيم في الحلية ، كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، ومن هذا الفتح المبين الذي امتن الحق تعالى به على رسوله صلى الله عليه وسلم حصل لورثته الكمّل نصيب ، فتكلموا بشمول الرحمة وعموم السعادة لكل من دخل النار كمظاهر الصفة العلمية محي الدين الحاتمي ، وعبد الكريم الجيلي . والقطب علي وفا ، وأضرابهم ، رضي الله عنهم ، ولا يظن أن القول بعموم الرحمة اختص به أهل الكشف فيكون قولهم خرقا للاجماع بل لا إجماع في هذه المسئلة كما ستراه ،

قال شرف الدين المناوى ، قال الحافظ شيخ الاسلام ابن تيميه إنه قد جاء فى بعض الآثار ما يدل على خلاص الكل آخرا وإن النار تفنى ويزول عذابها ، نقل ذلك عن ابن عمر ، وابن مسعود ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد وغيرهم ، وأخرج عبد بن حميد باسنادين رجالهما ثقاة لو لبث أهل النار فى النار كعدد رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه ، وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار ، قال أعنى ابن تيميه ، وإنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها ، أما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا هم أنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه ، ولفظ أهل يختص عن عدا المؤمنين كما يشير اليه عدة أحاديث ولا يناقضه ، خالدين فيها وما هم منها بمخرجين ، بل ما أخبر به الحق هو الحق الذى لا يقع خلافه ، ولكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق نار فلم يبق عذاب ، وورد فى عدة طرق عن ابن عمر رضى الله عنهما ، ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ، وجاء نحوه عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وأخرج عبد بن حميد عن الثقاة ، جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا ، وأخرج ابن مردويه عن جابر رفعه فى قوله تعالى ، فأما الذين شقوا ففى النار ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن شاء الله أن يخرج إناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل اهـ ، فأين الاجماع فما ظن الاجماع الا من جهل الخلاف والنزاع ، وقد ذكر ابن القيم هذه الأحاديث ، وصحح طرقها ، ورد طعن الطاعن فيها وهو من أئمة الحنابلة مشهور بالعلم والدين وهم يدلك صراطا مستقيما ، يوصلك ، فهى هداية توصيل وكشف وفتح مبين ، حتى تعلم نهاية أمتك ، وتشاهد ما لهم فتجده صراطا مستقيما ، واستقامة هذا الصراط هو

كونه ترجع نهايته إلى بدايته ، فان استقامة كل شيء بحسب المقصود المراد منه ، فاستقامة الدائرة المرادة هي كونها يتصل آخرها بأولها على أول نقطة ، فلو مدت خطا من غير استدارة ما كانت مستقيمة ، فلو كان هذا الصراط خطا لوصل إلى العدم ، لأنه خرج من الوجود ، فاستقامته عوده إلى ما منه ابتدأ عود آخر الدائرة إلى بدايتها وبذلك استقامتها

(الموقف المائتان والستة)

قال الله تعالى ، وما الله يريد ظلما للعباد ، وقال وما ربك بظلام للعبيد ، وقال ، ولا يظلم ربك أحدا ، وقال ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، وقال ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، ونحو هذا ، إعلم أن الظلم ورد بمعنى النقص ، قال ظلمت الثمرة إذا نقصت ، ومنه قوله تعالى ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وورد بمعنى وضع الأشياء غير مواضعها التي تستحقها بالحكمة والعلم ومجاوزة الحد ، وكلا المعنيين منفي عنه تعالى ، مستحيل عليه فانه إنما يتصرف عطاء ومنعا ، ضرا ونفعا ، بالعلم والحكمة والعدل ، لأنه العليم الحكيم المقسط بيده الميزان يخفض ويرفع ، فلا يمنع من يستحق الكل بعض ما يستحق ، ولا يعطي من يستحق البعض أكثر مما يستحق ، دنيا وأخرى حسا ومعنى ، تعالى عن ذلك فعطاؤه ومنعه ، وضره ونفعه ، تبع الاستحقاق والاستعداد . والاستعدادات الكلية ، هي حقائق الأشياء ، فلو ظلم أحدا ونقصه مما يستحقه باستعداده لكان نقصه من حقيقته التي هو بها هو ، وذلك محال غير معقول ، ولو زاد أحداً فوق ما يستحقه باستعداده لكان زاد له على حقيقته التي بها هو هو ، وهو محال أيضا ، هذا حكم الاستعداد الكلي ، وأما الاستعداد الجزئي فالبس له هذا ،

ولا هو موجب لحصول مايطلب ، مثلا ترى في خدمة الملك رجلا عاقلا عالما سائسا مستجمعا للكمالات عندك . ويكون عند الملك في مرتبة ترى أنت أنه مستعد لأعلى منها ، ومستحق لأكبر منها وتقول أن الملك قصّر به عن استعداده واستحقاقه، وليس الأمر كما ظننت فان هذا الاستعداد جزئي لا أزلي فالاستعداد الكلي غير معلول ولا مجعول ، بخلاف الاستعداد الجزئي فانه معلول مجعول ، فلا تظن أن الحق تعالى العليم الحكيم يمنع أحدا مما يطلبه باستعداده الكلي الذاتي ، وليس هذا إلاّ من اقتضاء الأسماء الالهية التي هذه الأعيان الثابتة صور لها ، فما يقتضيه الاسم الذي هو حقيقة هذا المخلوق هو استعداده ، وكيف يتوهم متوهم أنه تعالى ينقص أحدا من استحقاق استعداده ، أو يزيده فوق استحقاق استعداده ، وهو تعالى له ثلاث نسخ غيبية والرابعة شهادية ، النسخة الأولى هي موطن كون العالم شؤونا ذاتية له تعالى وهو التعين الأول ، والنسخة الثانية هي موطن كون العالم أعيانا ثابتة وهو التعين الثاني ، والنسخة الثالثة موطن كون العالم مكتوبا مسطورا في اللوح المحفوظ ، والنسخة الرابعة موطن كون العالم أعيانا خارجية شهادية فما كان في النسخة الأولى وهو العلم الذاتي المحيط المتعلق بما لا يتناهى فلا يصل اليه علم أحد إلاّ أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم وعلى آله فانه صاحب أو أدنى ، أعني باطن الوجود والعلم ، وأما ما كان في النسخة الثانية فانه يصل اليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وبعض الكمّل من الورثة المحمديين كالأقطاب والأفراد ، فان التعين الثاني الذي هو قاب قوسين منتهى عروجهم ومسراهم ، وأما ما كان في النسخة الثالثة وهي اللوح المحفوظ فيصل الله كثيرا من الأولياء ، وهو مقصور على ما قبل يوم القيامة وبعد يوم القيامة ليس فيه علم ذلك ،

ومع كون علوم اللوح محصورة فقد قال مظهر الصفة العلية الآلهية محي الدين الحاتمي رضى الله عنه ، لم يحط أحد من الأولياء بعلوم اللوح المحفوظ ، وأما النسخة الرابعة فهي هذه المشهودة المحسوسة فمحال أن يكون شيء في النسخ الثلاث الغيبية ولا يظهر في النسخة الرابعة ، ومحال أن لا يكون هناك شيء في النسخ الثلاث ويكون ويظهر هنا في النسخة الرابعة : قال بعض الأكابر . خوف العامة من سوء الخاتمة ، وخوف الخاصة من سوء السابقة ، ونظر العارفين الى السابقة تختلف ، فمنهم من نظره الى ما خطه القلم في اللوح المحفوظ ، ومنهم من نظره الى عينه الثابتة ، ومنهم من نظره الى مقتضى استعداده ؛ وهو إعلاهم . فاحفظ هذا الموقف فانه يريحك من أتعاب كثيرة تفضى لك الى الجهل وسوء الأدب ، ويهبه الحق تعالى ؛ ويحط عنك أثقالا عظيمة ، يحكى عن الامام ابن الحسن الشاذلي رضى الله عنه أنه قال ؛ صحبني إنسان وكان كلا علىّ فباسطته يوما فانبسط ، فقلت له ما تريد مني ؟ وما حاجتك عندي ؟ فقال لى ياسيدى سمعت أنك تعلم علم الكيمياء فجئتك لتعلمني ، فقلت له صدقت وصدق من أخبرك ، ولكن أرى ذاتك لا تحتمل هذا العلم ، فقال بلى أحتمله ، فقلت له ، إنى نظرت الى الخلق فوجدتهم قسمين : أعداء وأصدقاء ؛ فتعلقت بأصدقائي ليعطوني فوجدتهم لا يقدرون أن ينفعوني بشيء لم يقدره الله لى ، فصرفت نظري عنهم ؛ ثم تعلقت بأعدائي حذرا من شرهم فوجدتهم لا يقدرون على ضرى بشيء لم يقدّره الله تعالى ، فصرفت نظرى عنهم وتعلقت بالله تعالى ، فقال لى ، إنك لا تصل الى حقيقة هذا الأمر حتى تيأس منا ، إنا لا نعطيك الا ما قدرناه لك في الازل كما يئست من أصدقائك وأعدائك فهذه هي

الكيميا التي أعرفها ، خذها أودعها

(الموقف المائتان والسابع)

قال تعالى . يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ، خاطب تعالى الناس ويدخل معهم سائر العالم بالاحرى أخبرهم تعالى أنهم الفقراء الى الله أي الطالبون منه ما أنتم محتاجون اليه ، راغبون فيه . في كل نفس وحال ، حال إمكانكم وعدمكم ، وفي حال اتصافكم بالوجود فتطلبون منه حالة الامكان والعدم اعطاء الوجود لكم وبعد ه طلبكم استمرار الوجود وما به بقاء الوجود عليكم فالاسم الله في صدر الآية إسم المرتبة التي له تعالي كرتبة الخلافة للخليفة والقضاء للقاضي ، فهو صفة مشتق لا إسم الذات لأن الذي تفتقر اليه الممكنات وتطلب حوائجها منه ، إنما هو المرتبة المسماه بالألوهية مرتبة الصفات والأسما التي تنسب وتسند اليها جميع الآثار ، فهي مرتبطة بالممكنات ، والممكنات مرتبطة بها ارتباطا على تقابل ومؤثر فالطلب من الجهتين والارتباط في الجهتين ، ففي الآية حذف الواو مع معطوفها للعلم با عند العلماء بالله تعالى ، والنكتة في هذا الحذف أنه تعالي عبّر بالفقر في حق الناس فعلمنا الأدب القولي كما هو واقع في آيات كثيرة ، ولذلك فسرنا نحن الفقر بالطلب حتى لا ينفر السامع لذلك في حقه تعالى ، وإن كان من هو أعلم وأفضل وأكثر أدبا عبر بالافتقار في الجهتين حيث يقول في الفصوص ، فالكل مفتقر ما الكل مستغن : هذا هو الحق قد قلناه فلا نكني ، فالكل بالكل مربوط وليس له عنه انفصال ، خذوا ما قلته عني بعد أن بين الطلبين والافتقار بين بونا بعيدا ، فلذا أوردت الآية بصيغة الحصر أي أنتم الفقراء الفقر الحقيقي لالأسماء التي تطلبكم لتفعل وتؤثر فيكم ، لأن معنى الطلب مرتبة الألوهية

للناس وغيرهم إنما هو لتظهر آثار الأسماء بظهور مؤثراتها، فإن ظهور الأثر مستلزم ظهور المؤثر ضرورة ، وإنما كانت المرتبة طالبة للعالم ؛ لأن للحق تعالى كمالين ، كمال ذاتي وكمال أسمائي ؛ فالكمال الأسمائي موقوف ظهوره على ظهور الأسماء بظهور آثارها ؛ فإن محي ومميت ، وقادر ومعطي ، وخالق ومصور ، من غير ظهور آثارها قوة وصلاحية لا فعلا ، فهي تطلب الخروج من القوة والصلاحية الى الفعل ، وليس الارتباط بين الأسماء والعالم والطلب المذكور موقوفا على وجود العالم ، كما قد يتوهم بل الناس والعالم جميعه مفتقر الى الله ، أعني مرتبة أسماء الألوهية وجودا وتقديرا ، حال العدم وبعده أزلا وأبدا ، ولهذا كانت اسماؤه تعالى قديمة أزلية ، والله هو الغني الحميد ، لفظه هو تأكيد ، لأن الله هنا إسم الذات لا باعتبار مرتبة، فهو إسم جامد غير مشتق، أي الذات الذي هو الغيب المطلق ، غني عن الناس وعن جميع العوالم ، وعن الأسماء وعن الوصف ، بالغنى والحمد ، ولكن لضرورة التفهيم وصف لا بالأصالة وهذا هو الكمال الذاتي والغنى المطلق ، وهو تعالى في هذا الكمال الذاتي يشاهد جميع كمالاته الأسمائية شهودا علميا غيبيا جمعيا ، فهي كمالات مستهلكة في الذات غير متميزة عنها ، يشهدها شهود مفصل في مجمل ، كشهود النخيل الكثير والثمار والأغصان في النواة الواحدة ، ولله المثل الأعلى ، فلفظة الله في صدر الآية مثل لفظة الإله في الكلمة المشرفة ، كلمة الشهادة ، ولفظة الله في عجز الآية مثل لفظة الله الواقعة بعد أداة الاستثناء ، فأين ما ذكرناه من التغاير بين لفظي الله في الآية ، مما ذكره المتكلمون في كلمة الشهادة في الكلية والجزئية وغير ذلك ؛ فما أبرد الحقائق على أكباد القلوب المنورة وما ألذها

(الموقف المائتان والثمانية)

قال تعالى : وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ، كل من حمل أمرا ليوصله الي غيره فهو رسول لغة ، فالرسول في الآية من باب الاشارة أعم من الرسول الذي يوحى اليه بشرع مستقل وأحكام جديدة ، كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ومن الرسول الذي يوحى اليه باتباع شريعة من قبله ويبين له الوحي ماهو من تلك الشريعة وخالفه الناس وتركوه وما انسى منها وأدخله الناس فيها ويؤمر بدعاء الناس الى تلك الشريعة والعمل بها ، وإن كان يوحى اليه بامور تخصه في نفسه لا يؤمر بالدعاء اليها ، وهو في العرف النبي كجميع أنبياء بني إسرائيل الذين بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام . فانهم كلهم متعبدون باحكام التوراة مأمورون باتباعها والعمل بها والدعاء إليها ، وليس واحد منهم بمستقل ، ومن ادعى أن واحداً منهم بدل شيئا من أحكام التوراة إلي عيسى عليه السلام فعليه البينة ، ويسمون رسلا لغة ، كما قال تعالي : واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، أجمع المفسرون على أنهم رسل عيسى عليه السلام ، وقال : وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ، ونوح عليه الصلاة والسلام هو أول الرسل إلى أهل الأرض ، كما في صحيح البخاري في حديث الشفاعة ، فالمكذبون رسل نوح ، ومن الرسول الذي الهم ونسميه إلهاما تأدبا مع مقام النبوة ، وإلا فما يحصل للأولياء كذلك هو وحي ، لكن من غير واسطة ملك مشهود ، وبواسطة ملك غير مشهود ، وهو الوارث المحمدي الذي يؤمر بدعوة الناس الي معرفة الله تعالى وتوحيده التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام لا التوحيد العقلي ، والى اتباع محمد صلى الله

عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، وهو المعنى بقوله ، هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، أي التابع لي على طريق مخصوص يدعو الى الله على بصيرة كدعائه صلى الله عليه وسلم ، لا يدعو الناس على عمايه وجهل ، فما أرسل الله تعالى رسولا مستقلا أو نبيا أو وليا إلاّ بلسان قومه ، ولسان قومه هو استعدادهم الذي يفهمون عنه ما يكلمهم به ، إذ المقصود من الكلام والخطاب إفهام المخاطب ، ولا يكون الفهم إلاّ بالاستعداد ، ولو خاطب أحدا منهم بغير لسانه الذي هو استعداده ما فهم عنه ما يقول ، وبطلت فائدة الخطاب ، وأما اللسان الذي يكون سماعه بالاذن فقط فغير كاف في المقصود من الخطاب وهو الفهم ، ولذا قال تعالى ، أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، وقال تعالى ، وتعيها أذن واعيه . وقال تعالى ، إنما يستجيب الذين يسمعون ، وقال تعالى ، لهم آذان لا يسمعون بها ، وقال ، إنك لا تسمع الصم الدعاء ، وما كان صممهم من جهة آذانهم وإنما كان صممهم من جهة استعدادهم وعدم قبولهم وفهمهم لما يدعوهم اليه ، وقوم كل رسول أنواع ثلاثة ، عامة وخاصة . وخاصة الخاصة ، فلو خاطب الرسول العامة بلسان الخاصة الذي هو غير لسانهم لأفسدهم ونفّرهم ، ولو خاطب الخاصة بلسان خاصة الخاصة الذي هو غير لسانهم لأفسدهم وأدخل عليهم ضررا عظيما وشرا كثيرا . إذ كل نوع لا يفهم إلاّ الخطاب الذي يكون بلسانه ، وهو استعداده ، ولا يفهم إلاّ منه الفهم المقصود من الخطاب ، وهذا على سبيل الفرض ، وإلاّ فلا يكلم رسول أي رسول أحدا من قومه بغير لسانه أبدا ، وإنما يكلم كل واحد بلسانه الذي هو مستعد لفهمه وقبوله ، إذ لا يرسل الله تعالى رسولا إلاّ بالعلم والحكمة فاذا رأيت من يدعي الأمر الآلهي بدعوة الناس إلي الله

وهو على غير ماذكرناه ، فاعلم أنه كاذب أو ملبس عليه ؛ فإن الحكيم العليم يزرع كل بزر فى الأرض القابلة لانباته فما كل أرض تقبل كل بذر

وهل ينبت الخطى إلاّ وشيجه   وتغرس إلاّ فى منابتها النخل

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّا معشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ، أي استعدادهم ؛ وفى حديث آخر ، ما كلّم أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة عليهم ، وفى صحيح البخاري عن علي عليه السلام ؛ حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، فلسان العامة الذي يرسل به الرسول اليهم فيكلمهم به فيفهمون عنه هو الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات ، وما هو من هذا القبيل مما تظهر الحكمة فيه لأكثر العقول العامية ، ولسان الخاصة الذي يرسل به الرسول اليهم فيكلمهم به فيفهمون عنه ، هو ما تقدم مع الأمر بتصفية الأعمال من الشوائب كالعجب والرياء والسمعة ؛ واجتناب المهلكات كالحسد والبخل والجبن وطول الأمل وحب الدنيا ؛ وتحلية القلب بالمنجيات كالصبر والرضى ، وتقصير الأمل والسخاء ونحو ذلك ، ولسان خاصة الخاصة الذي يرسل به الرسول اليهم فيكلمهم به ، هو ما تقدم مع كشف الحقائق الوحدانية لهم على حسب مراتبهم فى الاستعداد فيبدى لهم من العلوم التي يجدها أهل الله تعالى بالوحي الالهامي من فوق طور العقل ، أعنى انه لا تصل اليها العقل بفطرته وآلاته التى من عادته اقتناص العلوم بها ، وإنما يدركها بالوهب المجرد عن الآلات ، لانه لا يدركها بوجه ولا حال ، فان المدرك لكل ما يطلبه القوة البشرية هو العقل ، لكن اما بالآلات فى مرتبة ، وذلك للعقلاء حكماء ومتكلمون وفقهاء ، وأما بالفيض والوهب فى مرتبة وذلك للرسل والانبياء والاولياء ، فانهم لا يأخذون علومهم من المحسوسات ولا من

النظار والقياسات ، وإنما هو منزل روحاني على قلب كياني ، ليبين لهم ، أي ليظهر لهم ما هو مستجن في صورهم وكامن فيهم من الاستعداد ، وانه لا يرقى أحد فوق استعداده ، فمن كان استعداده في مرتبة العامة فقط ، فلا يمكن أن يرقى الي مرتبة الخاصة ، ومن كان استعداده في مرتبة الخاصة فقط ، فلا يمكن ان يرقى الي مرتبة خاصة الخاصة ، ولو استعان بأهل السموات والأرضين ، وإن كان الانسان يظن أنه مستعد لكل مرتبة من مراتب الكمال ، فاذا جاءهم الرسول تبينت لهم مراتبهم ، وإن كان كل رسول يعلم مراتب الناس في الاستعداد كشفا أو فراسة أو بما شاء الله ، فيجب عليه مع هذا أن لا يكافح الناس بذلك صراحة ، ولكن إن كان فبالاشارة ولسان الحال ، ومن الورثة المحمديين المختصين بوراثة قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم ، من يكلم الانواع الثلاثة من قومه بالكلمة الواحدة في المجلس الواحد ، فيأخذ كل نوع استعداده من تلك الكلمة الواحدة فيضل الله من يشاء ، أي بعد إرسال الرسول بلسان قومه وتبيينه لهم اختلافهم في الاستعداد يضل الله من يشاء ، أي يحير من يشاء وليست الحيرة هنا بهذا المعنى إلا للنوعين الأولين فانهم لا يهتدون ولا يعرفون ما فقدهم عن مراتب الكمال ، وما سبب نقصهم ويهدي من يشاء لذلك ولا يشاء إلا ما علم ، وما علم إلا ما هو المعلوم عليه في مرتبة استعداده ومقتضي حقيقته وهو العزيز المنيع أن تدرك وجوهه الخاصة في مخلوقاته التي هي منشأ التفاوت والاختلاف في الاستعداد ، الحكيم فيما يعطي ويمنع ، فانه يضع كل شيء موضعه الذي يستحقه باستعداده

(الموقف المائتان والتاسع)

قال تعالى ، وكلم الله موسي تكليما ، وقال ، تلك الرسل فضلنا بعضهم على

بعض منهم من كلم الله ؛ وقال ، ونادیناه ان یا إبراهيم، وقال ، وإذ قلنا للملائكة ونحو ذلك مما يثبت الكلام له تعالى ؛ فاعلم أنه مضى عصر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وهم مجمعون على أنه تعالى متكلم وأن القرآن وهو ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى كسائر الكتب المنزلة من غير خوض في شيء وراء ذلك ، فما قالوا متكلم بذاته ولا بصفة وجودية زائدة على ذاته ، ولا أن معنى متكلم خالق الكلام فيمن يتكلم من المخلوقات ولا أن كلامه نسبة من النسب ولا فرقوا بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء ، والكتابة والمكتوب ، ثم لما كان أوائل القرن الثالث نبغت المعتزلة فقالت ؛ هو تعالى متكلم بمعنى خالق الكلام فيمن يريد به التكلم بما يريد من الكلام ، فموسى عندهم سمع كلام الشجرة بما خلقه الله فيها من الكلام ولم يسمع كلام الله تعالى ولم يثبتوا لله تعالى كلاما ، ولا غيره مما أثبته الصفاتيون من الأشاعرة وغيرهم إلا أبا هاشم ، فانه أثبت لله تعالى أحوالا خمسة ، وقالوا ما ينشأ عن الصفات من الآثار عندكم هو للذات من غير زائد عليها ، وقالوا القرآن وهو ما بين دفتي المصحف الذي نتلوه بألسنتنا ، ونحفظه في صدورنا ، مخلوق حادث كسائر المحدثات ، ثم جاء الأشعري إمام السنة والجماعة فقال ، كلامه تعالى هو المعنى النفسي القائم بذاته تعالى ، والقرآن وهو ما بين دفتي المصحف كلام الله غير مخلوق ، فابدع قولا ثالثا فان السلف الصالح كانوا على إثبات القدم والأزلية لما بين دفتي المصحف من القرآن دون التعرض لصفة أخرى وراء ذلك مع عدم التعرض لكنه ذلك ، وكانت المعتزلة على إثبات الخلقية للقرآن ، وهو ما بين دفتي المصحف دون التعرض لأمر آخر ، ثم كثر اللغط وارتفعت الأصوات بالخلاف بين فرق الأمة المحمدية ، إلى أن فسق بعضها بعضا ، ولعن بعضها

بعضا ، الى هلم جرا ، فاذا سمعت هـذا فأقول غير مقلد ولا متقيد وإنما أقول ما فهمني الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالتفهيم الربانى

خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

إن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، كالامام أحمد وأمثالهما تحملوا أنواع الأذى وضروب المحن ، وصبروا على السجن والتغريب والهوان ، ولم يتفوهوا بالقول بخلق القرآن إلا لما ثبت عندهم من نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ان القرآن وهو مابين دفتى المصحف محكوم له بجميع أحكام من أضيف ونسب اليه وهو الله تعالى من القدم والأزلية والتقديس والتنزيه عن أوصاف المحدثات . كما هو ذلك المعني النفسي القائم بالذات العلية حكما آلهيا شرعيا لا لمناسبة بين المعنى النفسي القائم بالذات وبين ماتقرؤه وتحفظه وتكتبه ، ولا مشابهة بينهما ولا مماثلة ، ولا لحلول ولا اتحاد الا من الدلالات ، كما قيل ، وكما أنه تعالى لا يسأل عما يفعل لا يسأل عما يحكم ، إن الحكم إلا لله لا معقب لحكمه . وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، هم أهل الآراء الصائبة والعقول المنورة بالطاعات واجتناب المنهيات ، وبالزهد في الدنيا لا يمكن أن يخفى عنهم ماورد في حق القرآن وهو مابين دفتى المصحف من الأنزال والتنزيل والانشاء ونحو ذلك ، وانه أنزال مخلوق إلى مخلوق ، وإيصال محدث الى محدث ، ولكن الحكم الشرعى والأمر الآلهي شرك بين مابين دفتى المصحف وبين المعنى النفسي في الحكم بالتنزيه والتقديس ألا ترى الاحاديث القدسية الربانية فانها كلام الله تعالى بلا ريب ، إذ هي رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ، بلا واسطة ملك بل من الوجه الخاص ، وحيث !

بحكم لها الشارع بحكم الكلام النفسي لم يكن لها هذا الحكم ، كيف وهو تعالى يقول ، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وقال ، ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ، كما أنه لا يعزب عن قلوبهم المنورة رضوان الله عليهم ؛ إذ الكلام المنسوب إليه تعالى معنى من المعاني كالعلم ونحوه ، وانتقال المعاني عن محالها محال في الحادث ؛ فكيف بالقديم تعالى ؛ فلا ينتقل كلام أحد إلى أحد ، ولا علم أحد إلى أحد ، بعينه وذاته وإنما يخلق الله تعالى عند السامع والمتعلم معنى آخر يكون مثلا كالظل لما عند المتكلم والعالم ؛ فهذه الظلال التي الكلام القديم هي مدلولاته وكما أن العلم صفة العالم والصفة لا تفارق موصوفها ، كذلك الكلام صفة المتكلم لا يفارقه ، وكما أن الخارج الى العقل والخيال والحس هي ظلال المعلومات . كذلك الخارج هي مدلولات الكلام لا عينه . فلا قديم إلا الكلام النفسي وما حكم الشارع بقدمه كالقرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة ؛ فالأمر استأثر به الشارع ؛ وكما أن حقائق المعلومات في العلم ، أزلا وأبدا ؛ كذلك حقائق الكلمات المدلولات في الكلام أزلا وأبدا فاذا أراد تعالى إظهار معلوم أظهره بالكلام القديم ؛ فالعلم قديم ، والمعلومات منها قديم وحادث . والكلام قديم ؛ والمدلولات منها قديم وحادث ، وكما أن المعلومات في العلم ليس لها تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ، فاذا ظهرت الى الوجود العيني أو العقلي أو اللفظي أو الرسمي ، حصل فيها تقديم وتأخير وترتيب ، فكذلك مدلولات الكلام القديم ليس لها في الكلام النفسي تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ، كلامه النفسي يدل على مدلولاته التي لا نهاية لها في آن واحد ؛ فاذا ظهرت بالكلام القديم الى الوجود حصل لها ذلك ، فالكلام القديم تخصيص مراد بمراد تخصيصا بيانيا كشفيا ، كما أن الارادة تخصيص معلوم

بمعلوم تخصيصا تميزيا ؛ فليس الكلام الا ترجمة عن الارادة والعلم ، أعني عند إظهار المعلوم المراد ، والاّ فالكلام حقيقة قديمة كسائر الحقائق الآلهيه ، فليس كلامه عن سكوت بل لم يزل متكلما ولا يزال ولا يشغله شيء عن شيء فكما أن علمه تعالى يتعلق بمعلوماته في الآن الواحد كذلك كلامه يدل على مدلولاته التي هي معلوماته في الآن الواحد وما ورد من كون بعض الأمور الحادثة سببا في كلامه كقوله ، أذكروني أذكركم ، وكقوله ، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه ، وكقوله ، إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي ، الحديث ، فانما هذا إخبار بانه يظهر ذكره لعبده عند ذكر العبد إظهار إيجاد فان إيجاد كل شيء من أعيان ومعان إنما هو بالكلام كما قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه الآيه ، وإلاّ فالكلام النفسي كما قدمنا ليس فيه ترتيب وتقديم وتأخير وسبب وشرط ؛ وإنما جاء الشرط والمشروط والسبب والمسبب في الايجاد العيني الخارجي ، وصل ، زعمت الاشاعرة أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع الكلام النفسي القائم بالذات العليه فما أدرى كيف تصوروا هذا والكلام النفسي عندهم حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ فلو سمع موسى المعنى النفسي لزم أنه سمع ما لا بداية له ولا نهاية وقد روى النسائي في سننه أنه تعالى قال لموسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان كما زعموا أن الكلام النفسي يتنوع الى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وخبر واستخبار ، الى غير ذلك من أنواع الكلام الحادث وما تفطنت أن التنوع إنما هو للكلمه الصادرة عن المصدر الواحد ، وهو الكلام الأزلي الأبدي ، فانه واحد مطلق قديم ، والكلمات مقيدة بالزمان والمكان متعددة متكثرة متنوعة الى معان من

أمر ونهي ونحو ذلك ، والى أعيان وأعراض ونحو ذلك ، ولا يقدح تعدد هذه الأنواع وحدوثها في وحدة المبدأ والمصدر لها وقدمه الذي هو الكلام النفسي كما لا يقدح تعدد متعلقات الصفات كلها وحدوثها في وحدة الصفات وقدمها فكلامه تعالى واحد وكلماته كثيرة كما قال ، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ، وكلماته منها التامة والناقصة بالنسبة اليها ، وكلامه تعالى لا نقص فيه كسائر ما ينسب اليه تعالى ، فليس الكلام النفسي الا مبداء الايصال مراد المتكلم الي المخاطب وكيفما وصل سمي كلاما كما هو لغة ، ولهذا كان من ضروب الوحي أن يخلق الله تعالى في قلب الموحي اليه علما ضروريا بادراك ما شاء الله تعالى ادراكه في الكلام النفسي من غير اختصاص بجهة ولا إذن وهذه الحالة هي حالة الوحي بغير واسطة الملك ، وهي التي أشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ، لما سئل كيف يأتيك الوحي ، كما في صحيح البخاري ، فقال : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، والمراد من صلصلة الجرس الأزمة وهو الشدة والدهش والهول والصعق والغيبة عن كل شي حتى عن نفسه ، وهذا الضرب هو المشار اليه أيضا بقوله ، وما كان لبشر أن يكلم الله الا وحيا ، ومن أولياء الامة المحمدية من يذوق تنزيل القرآن العظيم الى اليوم فاذا أراد الله تعالى انزال شيء من القرآن على الولي يجد ما أنزل عليه عنده منظوما ، كما هو من غير أن يسمع صوتا أو يرى واسطة ولا شيئا من الكيفيات ، ولا تكون لهم هذا الا حال صعقهم وغيبتهم عن العالم وعن أنفسهم ، وقد رأينا من أصحاب هذا الحال والحمد لله ويتكرر عليهم إنزال الآية بحسب ما يريد الله منهم ، وهم حالة هذا التنزيل

معصومون ، إذ كلام الله تعالى ما تنزّلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، روى عن أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال متمدحا ما مت حتى استظهرت القرآن ، يريد بهذا التنزيل تدقيق ليس الكلام الاّ اظهار المعلوم ، وليس المعلوم الاّ عين العلم ، وليس العلم الاّ عين الذات العالمة ، فليس الكلام الاّ ظهور الذات ، فهي الظاهرة بكلامها ، فكلامها وجودها ، وكلماتها موجوداتها ، لأن الأسماء مرائي الذات بها تظهر وفيها تنظر ، فالمتجلي قديم ، والمتجلي به له وجهان ، وجه الى المتجلي فهو قديم أزلي ، ووجه الى المتجلى له ، فهو حادث كالمتجلي به ، ولا حلول في هذا وإنما هو كمتجلي المعاني في الحروف والألفاظ ، قال تعالى ، فاعلموا إنما أنزل بعلم الله ، أي القرآن المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، نزل ملتبسا بعلم الله ، وعلم الله عين ذاته ، وقال ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وقال ، ويرى الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك ، والذين أوتوا العلم بأن القرآن كلامه تعالي وهو تجليه وظهوره بذاته ، كلماته هم الملائكة ، وانه قال ، والملائكة يشهدون ، أي يشهدون هذا التجلي ، وكذا الانبياء والرسل والأولياء المحمديون عليهم الصلاة والسلام ، قال في العلم في قوله ، أوتوا العلم للعهد ، وهو العلم الناشيء عن التجليات وهو علم الذوق لا مطلق العلم ، فانه ليس كل علم ولا كل عالم يحصل له هذا ، ليس هذا بعشك فادرجي ، تدقيق الكلام نسبة ولا تحقق لنسبة الاّ بالمنتسبين ، فهي عينهما ولكن عين القائل ، كن وعين المقول له ليكون فافهم ، نقص وصل ، كل كلام هو كلام الله فلا كلام لغيره تعالى ، إذ الكلام من توابع الوجود ، فما لا وجود له الاّ بالمجاز ، فلا كلام له الاّ بالمجاز ، ولا وجود الاّ له تعالى ، فلا كلام

الاّ كلامه تعالى ، كما أنه لا سمع الاّ هو تعالي ، فهو المتكلم السميع كلامه ،
(تنبيه) الكتب والصحف المنزلة على الرسل ما عدا القرآن الكريم إنما
أنزلت عليهم معاني مجردة ، وهم عبروا عنها بلغاتهم كالعبرانية والسريانية
وغيرهما فلذا قبلت الكتب الآلهية التحريف ما عدا القرآن العظيم ، حيث
أن ترجمتها كانت من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والترجمة تقبل التحريف
بخلاف المعنى فانه لا يمكن تحريفه ، وأما القرآن الكريم فان الله تعالى أوجده في
قلب جبريل وسمعه منظوما عربيا معجزا كما هو عندنا ، قال تعالى ، نزل به
الروح الأمين ، الى قوله بلسان عربي مبين ، فالباء باء الملابسة ، وقال ، وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا ، وقال ، وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ، وحيث كان
ناظمه الله تعالي ولم يترجمه عن الحق مخلوق كان محفوظا من التحريف ، ذكر
الأسيوطي رضي الله عنه في الخصائص أنه حضر مجلس المأمون بن الرشيد
في خلافته يهودي فتكلم فأعرب عن بلاغة وبيان ، وذلاقة لسان ، وقوة جنان ،
فاعجب به المأمون فعرض عليه الاسلام فامتنع ، وبعد برهة من الزمان حضر
اليهودي مجلس المأمون لمصلحة ، فرآه المأمون مسلما فسأله عن سبب إسلامه ،
فقال له ، إنك لما عرضت عليّ الاسلام حصل عندي اضطراب فعمدت الي
التوراة فكتبت منه عدة نسخ فبدّلت وغيّرت ، وقدّمت وأخرت ،
وذهبت بها الي مدارس اليهود فتساقطوا عليها واشتروها . ثم عمدت الى
الانجيل فكتبت منه عدة نسخ وفعلت بها ما فعلت بالتوراة وذهبت بها الى
البيعة ، فتساقط النصارى عليها واشتروها ، ثم عمدت الى القرآن فكتبت منه
عدة نسخ وفعلت بها ما فعلت بالتوراة والانجيل وذهبت بها الي الكتبيين
فكل من رأى نسخة منها ضربني بها وقال ما هذا بقرآن ، فعرفت الدين الحق

فاسلمت ، (فائدة) ما من رسول ولا نبي ولا ولي الا ويكلمه الحق تعالى بما شاء كيفما شاء : تارة بغير واسطة وتارة بواسطة مشهودة وغير مشهودة ، فاذا كلمهم بغير واسطة أو بواسطة غير مشهودة سمعوه بقلوبهم ، واذا كلمهم بواسطة مشهودة سمعوه بآذانهم وقلوبهم ، لأن الكلام النفسي محل سماعه القلوب والأذهان ، واللفظي محل سماعه الآذان ، ويعلمون كلام الحق علما ضروريا كسائر الضروريات التي لا يطرقها ريب ولا تردد بعلامات ، جعلها لهم في معرفة تجلياته وسماع كلامه ، يقول الشاذلي رضي الله عنه ، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة ، ويقول محيي الدين الحاتمي رضي الله عنه ، إذا كلمك لم يشهدك ، واذا أشهدك لم يكلمك ، فالشاذلي طلب دوام المشاهدة في الصور بحيث لا يرى الا الله ، ولا يكلم الا الله ، ولا يكون الا مع الله ، في جميع ما يكون منه كما روي عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال ، لي ثلاثون سنة أتكلم مع الله والناس يظنون أني أتكلم معهم ، والحاتمي كلامه في المشاهدة التي هي غيبة محض وفناء صرف ، فلا تكون فيها مكالمة لأن المقصود من الكلام الافادة ، والفاني الغائب لا يسمع ولا يحس ولا يفهم فمكالمته عبث ، ويتعالى الحكيم عن العبث ، فالمشاهدة بهذا المعنى لا مكالمة فيها ، وإنما حضر موسى من بين الرسل والانبياء علي جميعهم الصلاة والسلام ، بالكليم لذوق اختص به كما قال إمام العارفين محيي الدين رضي الله عنه ، ولعل فقيها قحا يقف على هذه الكلمات فيقول هذه كفر وردة وزندقة ومروق من الدين ، فان الفقهاء أهل الفتاوي أجمعوا على أن من أدعي رؤية الله أو سماع كلامه فهو مرتد مباح الدم ، فالله يغفر لي ولهذا الفقيه وللفقهاء أصحاب الفتاوي (فائدة) كل كلام ينسب لموجود فذلك الكلام بحسب مرتبة ذلك الموجود ، فاذا كان الموجود

مطلقا كان كلامه مطلقا ، لا يتقيد بقيد ولا يحكم عليه بحكم ، كوجوده وليس الا الحق تعالى ، وإذا كان الموجود مقيدا ببعض القيود دون بعض ، أو مقيدا بجميع ما يدرك من القيود فكلامه كذلك ، فالكلام المنسوب الى الحيوانات التي لها صوت وليس لها مخارج الحروف ، والتي لا صوت لها كالنملة ، وإلى الجمادات كالشجرة والحجارة ليس هو ككلام الآدمي إصالة كما لا يسمعه السامع بحروف وأصوات فإنها ليست لها آلات ذلك ، ولهذا لما سرت الروح في عجل السامري خار وما تكلم كالانسان ولا كغيره من سائر الحيوان ، لأن المراتب حاكمة فلا يظهر الروح فيها الا بحسبها ، وإن الله قادر على إخراج الثمر من الحجر ، ولكن بعد جعل الحجر شجرا ، وإنما تكلم النبي أو الولي بكلامها الذي هو لمرتبتها الحيوانية أو الجمادية فيخلق الله تعالى في قلب النبي أو أذنه أو أذن من شاء من عباده مرادها بكلامها ، فيسمعه بحرف وصوت أو بغير صوت ولا حرف ، وان تخصيص السماع بالأذن أمر عادي والا فكل قوة يمكن أن يكون لها ما لغيرها من سائر القوى ، والأشياء كلها متكلمة وكلامها بحسب مراتبها ، وإذا خرق العادة في المكاشفة للنبي والولي بسماع كلامها بالقلب أو الأذن الذي ليس هو من جنس كلامنا ، تتمه مما غلط فيه المتكلمون قولهم بعد اثبات الصفات الثبوتية والسلبية التي أثبتوها لله تعالى ، ويستحيل عليه تعالى أضدادها مع أن الأمر ليس كذلك ، فان صفات الله تعالى لا ضد لها ، لأن الضدين إنما تواردان حيث لا يخلو المحل عن أحدهما ، وإنما ذلك في الحادث القابل للكمال والنقص ، وأما الحق تعالى فان ذاته لا تقبل النقص ، فصفات الكمال الثابتة له لا ضد لها ، فعلمه تعالى لا ضد له ، وكذا قدرته وارادته وكلامه وسمعه وبصره ، ونحوها تكمل الصوفية الذين هم سادات طوائف

المسلمين ، لا ينفون الصفات التي أثبتها الأشاعرة كما نفاها المعتزلة والحكماء ، ولا يثبتونها كما أثبتها الأشاعرة ، فان قول الأشاعرة في صفات المعاني أنها موجودة في نفسها زائدة قائمة بالذات ، بحيث لو كشف لنا رأينا قيامها بالذات يلزم منه استكمال الذات بالزائد ، ولولا ذلك الزائد لكانت ناقصة وهو تعالى كامل الذات ، فمحال استكماله بالزائد ، فان فيه نقص الذات ، والنقص محال ، فالاستكمال بالزائد محال ، وقولهم . أعني الأشاعرة في الصفات ، لا عين ولا غير ، وتفسيرهم الغيرين بما يصح الانفكاك بينهما كلام لا روح له ، خال عن التحقيق ، ولا تسمي الصوفية ما ينسب اليه تعالى من الكلام وغيره بالصفات الا على سبيل المجاراة والتنزل في مقام التفهيم والتعليم ، وإنما تسمى ذلك بالأسماء ، فانه تعالى ما أطلق في كتبه ولا على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، لفظة الصفة ولا النعت ، وإنما ورد الاسم ، قال تعالى ، سبح اسم ربك ، وقال ، له الأسماء الحسنى ، بل نزه نفسه عن الصفة فقال ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وتسميها أيضا بالنسب لأن النسب أمور معقولة ، لا موجودة ولا معدومة ، فكل ما ينسب اليه تعالى يقولون فيه نسبة كالعلم وغيره ، وهي عندهم لا موجودة خارجا ، ولا معدومة عقلا

(الموقف الثامن والعاشر)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله ، متعلق الأمر بالعلم إنما هو المرتبة الألوهية فانها كالخلافة للخليفة هي التي تعلم ولا تشهد من كل وجه والعلم المأمور به ، العلم الزائد على ما في الفطرة لأن الامر بتحصيل الحاصل محال إذ ما جهلها أحد من كل وجه ، وقال تعالى ، ويحذركم الله نفسه ، متعلق

النهي والتحذير ، إنما هو الذات فانها التي لا تعلم ولـكن تشهد ، فاذا علمت فلا تقل إنك شهـدت فما كل معلوم يشهـد ، وإذا شهـدت فلا تقل إنك علمت ، إذ العلم يقتضي الاحاطة والاحاطة محال ؛ فالعلم محال ، وكل حقيقة العلم بها غير الجهل بها ، الا هـذه فان الجهل بها عين العلم بها ، فهي النكرة التي لا تتعرّف ، والمعرفة التي لا تتخلف ؛ إنمـا ننـكر لو كان هناك شيء سواها ولا يكون وإنمـا تعرف ، ولو عرف مبدأها ومنتهاها ، ولا يكون بالاحيرة العمياء ، والداهية الدهياء ، والمهلكة الفيحاء ، الصفات هي المدركة لأنها الظاهرة بآثارها ، فليس المدرك المشهود الا الصفات لا الذات ، بل الذات هي المدركة المشهودة لا الصفات ، إذ الذات هو المقومة للصفات عنـد ما أراد العقـل أن يطير في هـذا الفضاء الواسع المظلم ، قيل له الزم مكانك واعرف مقامك ، فانه لا رسم ثمة ولا آثر ، ولا حديث ولا خبر ، مضى وطار فما وجـد أثرا ولا عين ، ولا من ولا الى ولا أين ، فرجع مكسور الجناحين ، مكفوف العينين ، يخفي حنين ؛ وقيل له قد قيل لك من قبل ؛ ويحـذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ، فمـا حـذرك الا رأفة ورحمة بك ؛ فعصيت وأبيت ، وزعمت وتعنيت ، فارجع الى طريق غـير طريقك ، واصحب فريقا غير فريقك ، فمـا كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمره

(الموقف الثاني والحادي عشر)

قال تعالى ، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون : الأمن من مكر الله كبيرة كاليأس من رحمته ، وكلما اتسع نطاق معرفة العارف اشتد خوفه ، فالخوف من الله تعالى من لازم المعرفة وبقدرها ، كما ورد ، أنا أعرفـكم إني

لأعرفكم بالله وأشدكم له خشية ، خرجه الشيخان وخرج عبد الرزاق إني لأرجو أن أكون أتقاكم بالله وأعلمكم به ، وقال تعالى ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، أي العلماء بالله لا مطلق العلماء ، إذ ما كل عالم يخشى ، ولا كل علم يورث الخشية ، وهو من المقامات الملازمة المستصحبة الى جواز الصراط وان اختلفت عليه الأسماء فسمي عند أهل البدايات خوفا ، والمتوسطين قبضا ، وأهل النهايات هيبة واجلالا ، فان النبي أو الولي وان أطلعه الله على حاله ونهايته في اللوح المحفوظ ، أو على عينه الثابتة ، فانه لا يطلع على ما وراء ذلك وفوقه ، ولا على ما استأثر الله به ، كما قال السيد الكامل ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، وفي الصحيح ، في حديث الشفاعة تقول الرسل يومئذ في الموقف ، نفسي نفسي ، وكل شيء يمنحه الله تعالى أولياءه يجوز أن يكون باطنه سرا واستدراجا ومكرا ، كالأحوال والمقامات ، والمكاشفات وخوارق العادات ، الا العلم فانه أفضل ما منح الله به أولياءه ، إذ لا يمكن أن يكون حبالة للمكر والاستدراج ، أعني علم العلماء بالله تعالى ، لأنه يشهدك امكانك وافتقارك في كل نفس الى الله تعالى ، وذلتك وعبوديتك ، ولو غفلت أو نسيت أو متى رجعت في ذلك الى أصل صحيح لا يمكن أن يتبدل أو يتغير أو يتقلب ، فان انقلاب العلم جهلا محال ، دخلت مرة خلوة فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت علي الأرجاء وفقدت قلبي ، واذا المعرفة نكرة ، والأنس وحشة ، والمطايبة مشاغبة ، والمسامرة منا كرة ، فكان نهاري ليلا ، واملي محوا وبلا ، ومكن الشيطان بالتمريج والتخليط وأي قربة اردتها أبعدت بها ، فلم يبق معي من أنواع الصلاة الا الصلاة ، وفي أثناء هذا الابتلاء رأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم في المنام ، دخلت عليه بيتا كان صلى الله عليه وسلم جالسا فيه مع جماعة ، فبنفس ما رآني أخذ بطرفي مسبحة كانت في يده ورفعهما الي وقال والدعاء ، فعرفت أنه يريد أني مشتغل بالذكر والدعاء فانشدته

أتصحك بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما فعل الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

فسر صلى الله عليه وسلم بانشاد البيتين والتفت الي الحاضرين معه يمدحني لهم ففهمت من اشارته صلى الله عليه وسلم بالدعاء ان الخطب جسيم والأمر عظيم ، فكان بعد ذلك شغلي الدعاء والتضرع وكشف الرأس ، فكنت أدعو بقوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علي نفسك ، وبقوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، وبقوله صلى الله عليه وسلم ، ياحي ياقيوم برحمتك استغيت ، اصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وكانت ترد علي الواردات في الوقائع مبشرة وآمرة بالصبر ، ورأيت في المنام جارية بارعة الجمال ، فلما أفقت عتبت أني سألتها عن اسمها ولمن هي ، فلما عاودت النوم رجعت الي فسألتها لمن هي ، فقالت لك ، وعن اسمها ، فقالت ، الناجية ، فتفاءلت بالنجاة من هذه المحنة ، وطالت هذه الأيام فكانت كأنها أعوام

أرى ساعة الهجران يوما ويومه ... يخيل لي شهرا وشهره عاما

بعد ما كنت أقول

أرضى طوال الليالى ان خلوت بهم   وقد أديرت أباريق وأقداح

الى أن تنفس صبح الفرج فانجاب الضيق والحرج فقلت

فما أحلى الأمان بعيد خوف   وما أحلى الوصال بعيد هجر

وما أحلى التدانى(١) بعيد بعد   وما أحلى اليسار بعيد فقر

الخ الأبيات ، وفى آخر أيام هذه الخلوة بشرت ، فورد علي أولا فى الواقعة قوله تعالى ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، ثم بعده قوله تعالى ، وإذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الأرض خليفة ، ثم بعده قوله ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، والحمد لله رب العالمين .

(الموقف المايتان واثنى عشر)

قال تعالى ، وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك ، الآية بطولها ، كل كلام وقفنا عليه لمتكلم على هذه الآية ، إنما يجعل قول الملائكة هذا قدحا فى آدم وبنيه . والذي ورد به علينا الوارد الآلهى غير هذا وهو أنهم عليهم الصلاة والسلام علموا أن نوع الخليفة لا الخليفة يقع من بعضهم ما ذكروه من الفساد وسفك الدماء ، وأما الخليفة آدم ومن ورث الخلافة من بنيه فمحال أن يقولوا فيه ذلك بعد أن أعلمهم الحق تعالى بقوله ، إني جاعل في الأرض خليفة ، فانه لا يخفى عن عاقل أن الملك لا يجعل خليفة الا من علم أنه على غاية من الكمال والطاعة ، وعلم الحق تعالي

(١) ح : التلاقي

لا يتخلف ، فقولهم ، أتجعل فيها ، استفهام واستعلام لما جهلوه من الحكمة في جعل الخلافة في جنس بني آدم ، وبعضهم علي ما ذكروه دون جنس الملك وهم على ما ذكروه ، فقالوا مستفهمين عن الحكمة في كون الخليفة من الجنس الذي منه مؤمن وكافر ، ومطيع وعاص ، وعالم وجاهل ، دون الجنس الذي هو خير محض كله ، ونور صرف وطاعة لا تشوبها معصية ، وكان اختلج في عقولهم الميل الى أن الحكمة تقتضي أن يكون الخليفة من الجنس الملكي ، غيرة على الجناب الآلهي في قصدهم ، فاعلمهم الحق تعالى بجهلهم فيما مالت اليه عقولهم قبل ظهور وجه الحكمة ، بقوله ، وما كنتم تكتمون ، وأزال جهلهم فيما استعلموه ، وبيّن لهم أن الحكمة تقتضي كون الخليفة من جنس الآدمي لا الملك ، فانه الكون الجامع للحقائق الآلهية والكونية المختص بالصور الرحمانية ، وأقام لهم البرهان بتعلمه الاسماء التي جهلها الملائكة فما سبّحوا الحق تعالي بها ، ولا نزهوه ، والكون نشأة الملك لا تقتضيها لا غير ، و أما آدم وبنوه الخلفاء فنشأتهم تقتضي تعلق الاسماء كلها بها لخلقها باليدين وجمعها للصورتين ، الصورة الآلهية من حيث الباطن ، والصورة الكونية من حيث الظاهر ، وليست هذه الجمعية لجنس الملك ، فلهذا كان الخليفة الأول آدم ومن ورث الخلافة من بنيه لظهور بجميع الأسماء الكونية والآلهية . فليس قولهم أتجعل فيها الخ ، استفهاما انكاريا فانه لو كان كذلك لكان هنا بمعني النهي ، وهو إنما يكون ممن يجوز له أن نهي من يجوز نهيه ، وهذا محال أن يتصور من الملائكة للحق تعالي ، وهم الأدباء الأمناء ، الأتقياء الأبرياء ، كيف والحق تعالى يقول في حقهم ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل

والنهار لا يفترون ، ويقول ، ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ، فانظر الى هذه المنقبة وشرفها وما يقتضيه نظم هاتين الآيتين من التشريف والتعظيم ، إن كنت من أهل الذوق العربي الظاهري فاحري إذا كنت من أهل الظاهري والباطني ، ويقول وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويقول ، وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ويقول ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويقول ، بأيدي سفرة كرام بررة ، الى غير ذلك فقد زكاه الله تعالى لهم ، ونزههم من كل عيب ونقص ، ووصفهم بكل كمال يسوغ أن تحمل الآية على ضد ذلك ، الا أن يكون المراد بالملائكة على ما قاله الشعراني عن الخواص رضى الله عنهما ، ملائكة الأرض وهم غير معصومين فحينئذ يسهل الخطب ، ولكن الجمهور من أهل الظاهر والباطن على خلاف هذا ، والله أعلم

(الموقف المايتان والثالث عشر)

قال تعالى ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ذكر تعالى ذلك فى مواضع من القرآن أثبت تعالى العلم له ونفاه عن غيره ، أعنى من أثبت نفسه غيرا ، ومن أصدق من الله قيلا ، فهو تعالى العالم لا غيره يعلم علما مطلقا عام التعلق بكل ما يصح أن يعلم فى مرتبة تجرده عنكم وهي مرتبة الله ويعلم علما مقيدا بكم ومنكم فى مرتبة تقيده وتعينه بكم وهذه مرتبة العلم المذكور فى قوله تعالى حتى نعلم ولنعلم ويعلم وأنتم لا تعلمون من حيث غيريتكم وسوائيتكم فلا علم لكم قديم ولا حادث وكما أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فكذلك فالله يريد

وأنتم لا تريدون ، والله يقدر وأنتم لا تقدرون ، والله يتكلم وأنتم لا تتكلمون ، والله يبصر وأنتم لا تبصرون ، والله يسمع وأنتم لا تسمعون ، لأن هذه كلها توابع الوجود ، وحيث لم يكن الوجود من أنفسكم وذواتكم لم يكن لكم شيء من توابعه ، فاذا توهمتم ، وتخيلتم ، إن شيئاً من ذلك لكم ؛ فهو خيال باطل ، وإنما ذلك لوجودكم ، الذي به أنتم ، أنتم ومن جهل ما منه يعلم ، فكيف يصح أن يعلم ، أو يسمى عالماً فالواجب على الطالب أن يطلب معرفة ما به يعلم ؛ ثم يطلب أن يعلم ما يعلم ، فمن كشف عنه الغطاء عرف نفسه فعرف ذلك ، ومن بقي في حجابه بقي جاهلاً ، مركباً جهله بنفسه وجهله بجهله بها ، وهذا على سبيل التحدث بالمألوف ، وإلاّ فكما أنه لا يعلم كذلك لا يجهل ، لأن الجهل والعلم إنما يتواردان على محل قابل

(الموقف المائتان والأربعة عشر)

قال تعالى ، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكرة لمن يخشى ، هذا نداء من الحق تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، واشفاق عليه ، واخبار له ، واشارة بانه تعالى ما أنزل عليه القرآن ، أي ما تجلى عليه وكشف له ، وأنزل عليه القرآن إنزال كشف : وهي حضرة الجمع والوحدة المطلقة لتشقى ، كان صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل من شهادة حضرة القرآن والجمع إلى حضرة الفرقان والتعدد ، رأى أن ذلك الشهود أعني شهود القرآن نقص في مقامه ، وهو مقام رسالته صلى الله عليه وسلم فحل بواسطته قادح في كمال عبوديته ، فكان يحس ستر ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وهو معنى ما ورد في صحيح مسلم وغيره ، أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في

اليوم مائة مرة ، فهو غين أنوار كما قال العارف لاغين أغيار ، فاخبره الحق تعالى أنه لا يشقى بهذا ، يعني أنه لا ينقصه شيئا من مقام رسالته ومرتبة وساطته ، وخدمته وعبوديته وجه آخر ، خاطبه تعالى بهذا ، حيث كان الغالب على ظاهره صلى الله عليه وسلم شهود الفرقان وهو مقام الرسالة ، فكان يتعب ويشقى بغلبة هذا الشهود ، فانه يقتضى من العبودية الوفاء بحق الربوبية،والوفاء بما تقتضيه الربوبية من العبودية على الكمال محال ، حتى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ، وجاع حتى شد الحجر على بطنه ، إلاّ تذكرة لمن يخشى ، أي ما أنزلنا عليك القرآن أو على غيرك نزول كشف وهي حضرة الجمع إلاّ تذكرة لروحك بما تقدم لها من العلم والكشف ، ثم نسيت تلك الحضرة بنزولها الى حضرة الفرقان ، فغلبت خشيتها على أمنها وضيقها على سعتها ، إذ بمشاهدة حضرة القرآن يخف الحرج ، ويحصل الفرج ، والراحة والسعة طبعا باطنا ، وان أعطى شهود الفرقان ضد ذلك ظاهر شرعا ، فان حضرة القرآن حضرة الذات ، وهي ظلمة محضة لا نور فيها أصلا والأكمل اعتدال الشهودين وهو المراد بالخطاب بهذه الآية ونحوها ، وهو مقام الرسل والورثة الكمّل صلى الله عليهم أجمعين ومن لم تغلب عليه الحسية لا ينزل عليه القرآن ولا تتجلى له تلك الحضرة ، فلا يكون من أهل الشهود والعيان ؛ فمقام الرسالة إنما هو من حضرة الفرقان : رب وعبد ، عابد ومعبود ، قال تعالى : تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، فعلق تعالى نزول الفرقان بالنذارة وهي مقام الرسالة ، وحضرة القرآن هي شهود كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه

كان ، وقوله ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، على قراءة رفع كل

(الموقف المائتان والخامس عشر)

قال تعالى : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون ، إعلم أن الحق تعالى يضرب الأمثال بأفعاله كما يضربها بأقواله ، لأن المقصود من المثل التوصل الى الافهام حتى يصير المعقول مثل المحسوس ومن جملة الأمثال المضروبة بالأفعال ، خلق الحروف الرقمية ، فان في أرقامها من الأسرار مالا يحيط بها الاّ العليم الحكيم ، ومن جملتها لام الف ، ففيها اشارات خفية وأسرار ورموز كثيرة واعتبار منها أن تركب هذين الحرفين لام والف ، كتركيب الوجود الحق مع صور الخلق فهما حرفان باعتبار ، وحرف واحد باعتبار ، كما أن صور الخلق هي شيء واحد باعتبار ، وشيئان باعتبار ، ومنها أنه لا يدري أي الشعبين الألف ، وأيهما اللام ، فان قلت اللام هو الشعب الأول صدقت ، وان قلت الألف هو الشعب الأول صدقت ، وإن قلت بالحيرة صدقت ، كما أنك إن قلت ، الوجود الحق هو الظاهر والخلق الباطن صدقت ، وإن عكست صدقت ، وإن قلت بالحيرة صدقت ، ومنها أن الحق والخلق اسمان والمسمى بهما واحد ، وهو الذات الظاهرة بهما ، كذلك قولنا لام الألف إسمان والمسمى بهما واحد ، لأنهما علامتان على حرف واحد ، ومنها أنها لا تظهر صورة هذا الحرف المسمى لام الف بأحد الحرفين دون الآخر ، كذلك لا يظهر كل واحد من الوجود الحق أو الخلق بدون الآخر ، فان حقا بلا خلق لا يظهر ، وخلقا بلا حق لا يوجد ، ومنها أن شعبتي لام الف يجتمعان ويفترقان ، فكذلك الحق والخلق يجتمعان في الذات الحقيقية الكتابة ، ويفترقان في المرتبة ، فمرتبة

الا آله الخالق غير مرتبة العبد المخلوق ، ومنها أن الراقم تارة يبتدىء الرقم من الشعب الأول فى الصورة ، وتارة يبتدىء من الشعب الثاني فى الصورة ، فكذلك معرفة الحق والخلق . تارة تتقدم معرفة الخلق على الحق ، وهي طريق من عرف نفسه عرف ربه ، طريقة السالكين ، وتارة تتقدم معرفة الحق على الخلق ، وهي طريقة الاجتباء والجذب طريقة المرادين ، ومنها أن الادراك العامي لا يدرك الأحرف لا ، وهو المسمى وهما شيئان فى نفس الامر ، لام والف ، فكذلك الادراك العامي لا يدرك الاسمى الخالق وهما شيئان فى نفس الامر حق وخلق ، ومنها أن اللام والألف لما امتزجا وتركبا بصورة خفيا معا ، وكذلك الوجود الحق لما تركب مع الخلق تركيبا معنويا خفي فى نظر المحجوبين ، فانهم لا يرون الا خلقا كما أن الخالق خفي فى نظر أرباب وحدة الشهود ، فلا يرون الا حقا ، فقد خفي الحق والخلق معا ، لكن من جهتين ، ومنها أنه إذا اختلط شعبتا لام الف ولم يبق لصوره لا وجود فى نظر الناظر زال معنى لا ، وكذلك العابد والمعبود ، والرب والمربوب ، إذا حصل الفناء وهو الاتحاد عند القوم رضوان الله عليهم زالا معا ، إذ بزوال العابد يزول المعبود ، وبزوال المربوب يزول الرب ، كما هو الشأن فى كل متضايفين يزول أحدهما بزوال الآخر ، فيزولان معا وعلى هذا قس واعتبر

(الموقف المائتان والستة عشر)

ورد فى صحيح البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم ، الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه ، يعني عن قيام تلك الليلة والتهجد فيها وإنما كانت لهما هذه الفضيلة العظمى والمزية الكبرى لأنه ورد فى صحيح

البخاري وغيره أيضا ، ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول ، هل من داع فاستجيب له ، هل من تائب فاقبله ، هل من مستغفر فاغفر له ، الى طلوع الفجر وهاتان الآيتان جامعتان لهذه الأشياء الثلاثة التوبة فى قوله سمعنا وأطعنا، والاستغفار فى قوله غفرانك ربنا ،والدعاء فى قوله ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا، الى آخر السوره

(الموقف المائتان والسابع عشر)

قال تعالى ،إنا أعطيناك الكوثر فصلى لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ، صدر هذه السورة بشارة وآخرها بشارة وأكد الحق تعالي فيها تبشيره وأخباره وما بينهما أمر بشكر هاتين البشارتين،والنعمتين الجسيمتين وبيان كيفية شكرهما فقال له صل لربك أى كن مصليا لربك لاحقا به لحوقا معنويا وقريبا منه كذلك وليس اللحاق به تعالى والقرب منه الا بالتحقيق باسمائه وصفاته بعد التخلق والتعلق بها والأعراض عن كل شيء فان المصلي لا ينظر إلاّ الى السابق ولا همة له الاّ فى اللحاق به وانحر شاحج على ذلك ونقدم على غيرك بعزم قوى وهمة عالية،ونافس كل منافس،وصدرها بشارة بأعطاء الخير الكثير ومنه الكوثر نهر الجنة المعروف وعجزها بشارة بدفع كل شر جليل وحقير والتأمين من كل مخوف ، يقول تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم،إن المسمى كافرا بك ومنافقا معك،وشانئا لك،كله هو والهو عبارة عن الحقيقة الغيبية السارية فى كل موجود من حيث أن الموجودات كلها مظاهر أسماء مرتبة تلك الحقيقة وهي الألوهية فما كان من مظاهر تلك الأسماء مظاهر جمال وخير فهو محب لك صلى الله عليه وسلم،وما كان منها مظاهر جلال وشقاوة فهو شانيء لك من حيث المظهرية لعدم المجانسة لك

والمناسبة ولكنه أبتر بالنسبة اليك بمعنى أنه لا أثر له فيك ، ولا له قدرة على أيصال الضر اليك، وما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم سحر وكان يخيل اليه أنه فعل الشيء وما فعله، وكان الشيطان يعترضه صلى الله عليه وسلم بشعلة نار، وكان يشد عليه في الصلاة ليقطع صلاته عليه ونحو ذلك مما في الاخبار الصحيحة ، فانما هي عوارض زائلة غير قادحة في البشارة بالتأمين ، وحكمة عروض هذه العوارض وأمثالها بيان أنه صلى الله عليه وسلم من حيث صورته العنصرية البشرية من جملة البشر ولكنه تعالى أكرمه ، ومن كل مكروه عصمه ، كما أنه من كل مخلوق أمنه فالضمير هو على حسب هذه الاشارة خبر لا ضمير فصل، والأبتر نعت له من هذه الجهة فقط وان الثانية ليست لتأكيد الأخبار بان شانئك هو ، فان هذا معلوم عنده صلى الله عليه وسلم لا يعتريه تردد فيه ولا انكار له وإنما هي لتأكيد المبشّر به وهو ان شانيه لا أثر له فيه ، ولا يصل اليه منه شر كما يصل الى غيره

(الموقف المايتان الثامن عشر)

قال تعالى ، إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ، أخبر تعالى أن من وصل الى المرتبة الوسطى من مراتب التقوى ، وحصل عليها بان صار يتقي بالحق تعالى في كل فعل وترك ، وورد وصدر بمعنى أنه تعالى هو وقاية هذا المتقي فلم ينسب لنفسه شيئا مما يصدر عنه، من طاعة ومعصية، وحسن وقبيح، لا على طريق الجبرية، ولا على طريق الكسبية، لأنه شاهد الفاعل الحقيقي، والمصدر الكلي : فشاهد نفسه من حيث مخلوقيته كسائر الجمادات فكما لا ينسب العقلاء الى الجماد فعلا أو تركا إلا على جهة المجاز فكذلك هو في شهوده هذا وأما النسبة التي أثبتها الشارع في قوله افعل أو

ادرك ، أو فعلت أو تركت ، فهو لا ينفيها بل يسلمها مع الجهل بحكمتها ومع هذا الشهود وهذه المعرفة الحاصلين لهذا المتقي فانه بصير على أداء المامورات الشرعية ، وترك المنهيات الوضعية ، فلا يتعدى الحدود الشرعية بل لا يقربها لأنه من حيث هذا الشهود ، صار من الصنف المخاطبين بقوله تعالى فلا تقربوها ، يعني الحدود الشرعية ، كما أن قوله تعالى فلا تعتدوها ، يعني الحدود الشرعية ، خطاب لصنف آخر ، فالصنف الأول يعاقبون على مقاربة الحدود ، والصنف الثاني لا يعاقبون على المقاربة ، وإنما يعاقبون على اعتداء الحدود ومجاوزتها ، لأن كل من علت رتبته وأزلفت منزلته يعاقب على ما لا يعاقب عليه من هو أسفل مرتبة وأبعد منزلة ، كما هو في الشاهد في خاصة الملك ورعاياه بل صاحب هذه المرتبة إن كان من الصابرين فهو أشد حذرا وخوفا وتوقيا وقياما بالأمر والنهي الشرعيين من الذي ليس له هذا الشهود من العباد والزهاد عناية من الحق تعالى به وهذا المقام والشهود وسط وفوقه مقامات كما قيل

وهذا مقام في الوصول وفوقه   مقامات أقوام على قدرهم قدري

وبعد الوصول الى هذا المقام تتميز السعداء من الأشقياء . فمن اتقى وصبر ، كما قال ، أنه من يتقي ويصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي فقد صار من المحسنين ، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، وما على المحسنين من سبيل ، فضلا منه تعالى ومنه ، وأما من يتقي ولا يصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي وبتعدي الحدود الشرعية فهو من الأشقياء المحرومين ، والزنادقة الملحدين المعنيين بقوله : إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، وهو ممن أضله الله على علم من حيث علمهم مرتبة الأشقياء بالله تعالى وعلى

جهل من حيث جهلهم بحكمة الحكيم العليم تعالى فيما شرّعه من الأمر والنهي ، وفيما رتّبه من الحدود والزواجر ، عرفوا شيئا وفاتهم أشياء، فتخيلوا وظنوا أن الاوضاع الشرعية خاصة بمن لم يصل الي مقامهم ، فقيل لهم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، نعوذ بالله من الجور بعد الكور ، وأما من جاوز هذه المرتبة وعلاها فقد جاوز الصراط وتخلص فلا رجوع له ، ولذا قال العارف ، ما رجع من رجع الا من الطريق ، ولو وصلوا ما رجعوا

(الموقف المايتان والتاسع عشر)

قال تعالى ، ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ، الآية ، إعلم أن الرحمة ذاتية وصفاتية ، وكل منها عامة وخاصة ، فالذاتيتان هما المذكورتان في البسملة في قوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصفاتيتان هما المذكورتان في الفاتحة في قوله ، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، فاسم الرحمة في قوله ، ورحمتي أعم من الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية ، فاسم الرحمة يتناولهما لفظا ، أعني الرحمة الذاتية العامة ، والرحمة الذاتية الخاصة ، ولذا أضيف لفظة الرحمة الى الضمير الذي هو كناية عن الذات الذي تضاف الأشياء اليه ولا يضاف هو الى شيء ، وهو غيب الغيب وحقيقة الحقائق وتسمى الرحمة الذاتية بالامتنانية الحبية لأنها عبارة عن التجلي الذاتي الأقدس ، الذي كانت به الاستعدادات الكلية للأشياء لقبول التجلي ، وهي الوجود من حيث انبساطه على الحقائق العلمية والاعيان الشهودية ، وهذه الرحمة واحدة بالذات ، متعددة بتعدد النسب والاعتبارات ، والتعدد عين المتعدد وعموم هذه الرحمة شمل كل شيء ، حتي

الغضب والآلام والعذاب ونحو ذلك مما يتخيل أنه مناف لها ؛ لأن التجلي تجل من تجليات هذه الرحمة العامة التي وسعت كل شيء : فإنه تعالى أطلق ، ولفظ الشيء يعم كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه لغة . فبهذه الرحمة إيجاد كل موجود ولا يقال في هذه الرحمة أنها اسم الحق تعالى أولا نسم ، لأننا قدمنا أنها عين الوجود ، والوجود عين الذات . والشيء لا اسم لنفسه ولا يضيق عنها ، ومن هذا قوله . ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما . فرحمته هنا عين ذاته كعلمه ، ولسعة هذه الرحمة وشمولها وسعت أسماؤه تعالى بظهور آثارها بظهور الكائنات ، وأما الرحمة الذاتية الخاصة فهي الرحمة الرحيمية المقيدة بالمتقين وبالمحسنين ، كما في قوله تعالى ، إن رحمة الله قريب من المحسنين ، وهي التي أوجبها نفسه على نفسه في قوله ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وبما قررناه تعلم أن الضمير المتصل في قوله فسأكتبها عائد على الرحمة الخاصة الذاتية المفهومة من لفظة الرحمة المضافة الى الياء التي هي كناية عن الذات ، لا على الرحمة الذاتية العامة التي وسعت كل شيء ، فيها المساق يشبه التوزيع ولولا أن الأمر على ما ذكرناه لتناقض صدر الآية مع عجزها ، إذ السعة تقتضي الاطلاق ، وقوله فسأكتبها الخ . نص في التقييد ، والتناقض محال للذين يتقون ، أي يطلبون التقية والستر به تعالى بأن يصير الحق تعالى تقيتهم ووقايتهم من كل شيء وذلك بالدخول في جنة الذات المشار اليها بقوله ، يا أيتها النفس المطمئنة ، الى قوله وادخلي جنتي ، وأما الرحمة الرحمانية الصفاتية العامة فهي الرحمة التي أخرجها الحق تعالى الى أهل الدنيا ، فبها يتراحمون ويتواصلون حتى ترفع الدابة حافرها على ولدها ولا تضره ، كما ورد في الخبر ، أن لله مائة رحمة أخرج منها الى الدنيا رحمة واحدة ، الحديث ،

والمائة هي أسماؤه تعالى ، وأما الرحمة الرحيمية ، الخاصة الصفاتية ، فهي التي رحم بها تعالى من يشاء من عباده ، وهي التي تتوقف على المشيئة الربانية ، كما قال ، والله يختص برحمته من يشاء ، ونحو ذلك . وهي التي يتخلق بها المتخلقون ، ويتحقق بها المحققون من رسول ونبي وولي كامل ، وهي التي وصف الحق تعالى بها محمد صلى الله عليه وسلم في قوله ، بالمؤمنين رؤوف رحيم

(الموقف المائتان والعشرون)

قال تعالى ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، الآية ، تسلية من الحق تعالى لعباده الصابرين على ما أصابهم ، بأنه هو عوض وخلف لهم مما فقدوه مما يلائم طباعهم ، إذ الصبر حبس النفس على ما تكره ولا تكره النفوس إلاّ ما لا يلائمها حاضرا ، ولو علمت أنه خير لها في الآجل فلا بد للنفوس من التألم النفساني الطبيعي ولا تقدر على دفعه الاّ إذا طرقها حال غالب قاهر يغيبها عما به تتألم ، كما يغيبها عما به تتلذذ ، ولكون التألم النفساني الطبيعي لا يقدر الانسان على دفعه ، بكت الأكابر وتأوهت ، وأنت واستغاثت ، وسألت رفع الآلام ، بخلاف التألم الروحاني فان الانسان يقدر على رفعه ، ولهذا ترى الأكابر مبتهجة في بواطنها ، مسرورة راضية واثقة بحسن اختيار الله تعالي لها ، مطمئنة عند نزول الآلام والموجعات بها ، وليس هناك شيء غير ملائم بالذات ولا شر بالذات ، وإنما ذلك بالنسبة إلي القوابل والاستعدادات الجسمانية ، وأما الحقائق الغيبية فكل شيء نزل بها فهو ملائم لها بل لا ينزل بها غير ما هي طالبة له بلسان حالها ، فأخبر تعالى الصابرين على فقد الملائم كالصحة والغناء ، والعز والأمن ، والمال والولد ، إنه هو تعالى خير لهم مما

فقدوه إذا عرفوا أنه هو تعالى وجودهم الملازم وبدهم اللازم ، وما فقدوه من الأشياء الملائمة إنما هو أمور وهميه خياليه ؛ وقال تعالى ، لهو والهو هو الحقيقة الذي لايدري ولا يعرف ، ولا يسمى ولايوصف ؛ وهو غيب كل شهادة ، وحقيقه كل حق ، لا يزول ولا يحول ؛ ولا يذهب ولا يتغير ، فليس المراد بالهو ضمير الغائب المقابل المتكلم والمخاطب ، وما قال تعالى ، لأنا لاز الانا متعين بالحضور وكل متعين متقيد من حيث ذلك التعين وخير أصله أخير ؛ فهو يدل علي المشاركه والمفاضله ؛ ولا مشاركه ولا مفاضله ، ولكنه تعالى يخاطب عباده بالمعروف ويعاشرهم علي النهج المألوف ، وإلاّ فاي مشاركه بينها الوجود والعدم . وأي مفاضله بين الحقيقة والوهم ؛ فمن وجد الله لم يفقد شيئا ؛ ومن فقد الله لم يجد شيئا ؛ وفي المناجاة العطائية ماذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك

(الموقف المايتان واحد وعشرون)

قال تعالى ، ألا الي الله تصير الأمور ، وقال ؛ واليه يرجع الأمر كله ، وقال ، واليه ترجعون ، وقال ؛ اليه مرجعكم ؛ ونحو هذا ، إعلم أن مصير الأمور كلها إلى الله ورجوعها اليه ، ورجوع المخلوقات اليه تعالى إنما يكون بعد القيامه ؛ والقيامة إنما تكون بعد فناء المخلوقات ، ومن مات فقد قامت قيامته علي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم . والموت موتان موت اضطراري عام ، وموت اختياري خاص ، وهو المأمور به موتوا قبل أن تموتوا . على لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم ؛ فمن مات اختيارا فقد قامت قيامته وصارت الأمور عنده الى الله ؛ فرجعت أمرا واحدا ورجع الى الله فرأى الله بالله ، إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ، علي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم خرجه

الطبراني ، وذلك افناء المخلوقات في شهود هذا الميت المبعوث فما بقي عنده الا أمر واحد ، أي وجود واحد ، وما من شيء يكون بعد الموت للعموم الا وفي هذه الدار يندرج منه للخصوص ، قل أو جل ، وصيرورة الأمور كلها الى الله تعالى إذا اعتبرت من جهة صورها ، إنما يكون ذلك حكما لا عينا ، فيرى من مات وقامت قيامته الكثير واحدا لوحدته الحقيقية ، والواحد كثيرا الكثرته النسبية الاعتبارية ، والأعيان التي هي الجواهر لا تنعدم أبدا ، والخلق الجديد دائما دنيا وآخرة ، إنما هو في الصور التي هي أعراض وكل شيء سوى الوجود الذي هو أمر الله فهو عرض

(الموقف المائتان الثاني والعشرون)

قال تعالى : والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ، الذين اهتدوا بالايمان وعمل الصالحات زادهم هدى بكشف ما آمنوا به وإظهار أسرار ما عملوا من الطاعات ، كما قال ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ؛ وفي الخبر : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ، فالذين يعلمهم الله اياه إذا عملوا بما علموا هو كشف سر ما عملوا به ، فليس على المكلف الا الايمان والعمل بالوارد من التكاليف فعلا وتركا والوقوف عند الحدود مع اعتقاد حقية ذلك كله جزما وعدم التعرض للكيفيات والتأويلات ، والحق تعالى يكشف المؤمن العامل عن بواطن الأمور وحقائق الأشياء ، ويرفعه من مرتبة الايمان الذي هو تصديق المخبر فيما أخبر به ، وهو علم اليقين الى عين اليقين وحق اليقين ، فيصير ماكان ايمانا مشاهدة وعيانا ، وهذه هي زيادة الهدى وهي المعبر عنها بزيادة الايمان في غير ما آية وحديث ، من باب تسمية المسبب باسم السبب حيث كان الايمان الذي هو قول وعمل واعتقاد سببا في زيادة

اليقين والحصول علي عينه وحقه كما أن الكفر وعدم الأعمال الصالحة سبب في زيادة الضلال والحصول على الطبع والرين ، كما قال . وأما الذين كفروا فزادتهم رجسا الى رجسهم ، وقال . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، وقال ، بل ران علي قلوبهم ، ونحو ذالك ، والعين مرتبة لا يقبل صاحبها الزيادة في مشهوده وان قبل زيادة الظهور والكشف ، والفرق بين هذه الثلاثة هو أن علم اليقين يحتاج في اثباته الى دليل ويقبل التشكيك ، وعين اليقين يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك ، وحق اليقين لا يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك ، وجميع علوم الأذواق وهي العلوم الحاصلة بالتجليات لمن شاء الله تعالي من عباده من القسم الثالث فزيادة الهدى إذا ليست زيادة اشياء يؤمن بها ، وإنما هي زيادة فيما يؤمن به ، أي زيادة كشف فعلوم الاولياء ليست بزيادة على ماجاء به محمد صلي الله عليه وسلم ، إذ لا يأتون بأمر ولا نهي جديد ولا خطر ولا وجوب ، وإنما بكشف الحق لهم عن أسرار ما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم وحقائقه وبواطنه وحكمه ، فان لكل ظاهر باطنا ، فظاهره ملكه وباطنه ملكوته ، قال تعالي ، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلا يحصل الايقان الزائد علي الايمان في الاشياء الا بكشف بواطن الاشياء والاطلاع على ملكوتها

(الموقف المايتان الثالث والعشرون)

قال تعالى ، قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، الخ السورة ، أل في الكافرون للجنس المخصوص وهم الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون أى لا يرجعون عن كفرهم بحسب مرتبة كفرهم وهم المعنيون

بقوله ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين ، وقوله ، إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، الخ ، الآية ؛ ونحو هذا ، والكفر الستر لغة ، فكل من ستر شيئاً وجحده فهو كافر ساتر بالنسبة لما ستره وجحده ، وهو أنواع كالشرك وقد يطلق كل منهما على الآخر ، وفى صحيح البخارى ، كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ؛ وكما أن الكفر أنواع فالداعون الى الخروج من هذه الأنواع أنواع ؛ منهم من يدعو الى الخروج من الكفر الأعظم . ومنهم من يدعو الى الخروج من الكفر الأصغر الي ما بينهما ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون وحدانية الآله تعالى ، الداعون معه إلها آخر ، أما استقلالا كالقائلين بالاثنين ، وأما تقريبا كالقائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، لا أعبد ما تعبدون من الشركاء ، ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الآله الواحد الأحد لما حقت عليكم كلمة العذاب ، وما يبدل القول لديه تعالى ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون تنزيه الحق تعالى ، القائلون بتشبيهه بخلقه مطلقا ، كالمجسمة والحلولية والاتحادية المنكرون والمؤولون لقوله ، ليس كمثله شيء ، لا أعبد ما تعبدون وهو الآلة المشبه بمخلوقاته مطلقا فانه إله مخلوق اخترعه عابده فى تخيله ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهو الآله المنزه فى تشبيهه ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون تشبيه الحق تعالى ، القائلون بتنزيهه مطلقا فى جميع المراتب ، المنكرون والمؤولون لما ورد فى الكتب وسنن الرسل من تجليه بصور مخلوقاته من غير حلول ولا اتحاد ، ونعته بنعوت المحدثات كالنزول والهرولة ، والقدم والضحك ، والوجه والعين ، والجنب والجوع والعطش ، ونحو ذلك لا أعبد ما تعبدون وهو الآله المنزه مطلقا فى جميع المراتب المحكوم عليه بأنه على كذا ، ولا بد ولا يكون على كذا ، المحجور عليه بالعقول والافكار ، ولا

أنتم عابدون ما أعبد ، وهو الآله المنزه المشبه أعني منزه حالة تشبيهه ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون انفراد الحق تعالى بايجاد كل موجود ، القائلون بتأثير الطبائع والأفلاك ، أو لأسباب العاديه بطبعها ، أو بقوة أودعها الله تعالى فيها ، أو أن العبد يخلق افعاله الاختيارية كما يقوله المعتزلي ، لا أعبد ما تعبدون ، وهو الآله الذي له شريك في فعل من أعماله ، أو حكم من أحكامه ، فقوله ، لا أعبد ما تعبدون ، ما أعبد ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، المقصود به أهل الكفر الأكبر ، وقوله . ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، المقصود به ما عدا أهل الكفر الأكبر من سائر الطوائف والملل والنحل ، فما في كلام الحق تعالى تكراره ولكم دينكم الدين الجزاء أي لكل طائفة منكم جزاء بحسب مرتبة كفرها ، فكما أن الكفر أنواع فالجزاء أنواع ، فلكل كفر جزاء ، ولي دين ، أي لي جزاء عام وهو التلذذ والنعيم بنعيم كل معتقد حيث كان آلهي ومعبودي مطلقا لا حكم عليه ولا تحجير ، والعابد للآله المطلق له النعيم المطلق

(الموقف الثلاثمائة الرابع والعشرون)

قال تعالى ، ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وقال في السورة نفسها ، ومن دونهما جنتان ، إعلم أن العبادة على قسمين اشقياء وسعداء ، والسعداء على قسمين أبرار أصحاب اليمين ومقربون سابقون ، فالأشقياء لاخوف عندهم ، والسعداء لهم خوف ، وخوفهم نوعان ، خوف الاجلال والتعظيم والمهابة ، وهو المقربين السابقين ، فان الخوف منه تعالى على قدر المعرفة به ، فمن كانت معرفته أتم كان خوفه أكمل ، ولذا قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، انى لأعرفكم (١) بالله

(١) وفي نسخة : أنا أعرفكم بالله

تعالى وأشدكم له خشية ، وخوف النار والأغلال والعذاب والنكال هو الأبرار أصحاب اليمين وليس الخوف من لازمة الاجلال والاعظام ، فان الانسان يخاف الحية والعقرب من غير تعظيم ولا اجلال ، ولما كان خوف الابرار والمقربين مختلفا فى النوعية كان جزاؤهما مختلفا فى العين والماهية فجزاء المقربين دخول جنتي الذات والصفات وهو جزاء معنوي ودخول معنوي، حيث كان خوفهم معنويا جزاء وفاقا إذ الجزاء من جنس العمل وهما الجنتان المتقدمتان في الذكر فى السورة فهما مقدمتان رتبة وذكرا وجميع ماذكر فى هاتين الجنتين هو من الأمور المعنوية فقوله ، ذواتا أفنان ، إشارة الى كثرة التجليات الذاتية والصفاتيه وتشاجرها وتباينها ، بحيث لاتشبه تجلي تجليا أبد الآبدين ، وقوله فيهما عينان تجريان ، إشارة الى جريان العلوم اللدنية والالهامية وتتابعهما على الدوام لمن دخل هاتين الجنتين ، فالعلم اللدني هو الوارد من الوجه الخاص الذى لكل إنسان ، والعلم الالهامي هو الوارد بواسطه الملك الغير المحسوس ، فبين العلمين فرقا الواسطة وعدمها وقوله ، فيهما من كل فاكهة زوجان ، إشاره الى أن فى هاتين الجنتين من كل ما تستلذه الارواح ، وتنعم به القلوب نوعين كالمشاهدة والمكالمة ، والحضور والغيبه ، والسكر والصحو ، والبقاء والفناء ، والجمع والفرق ، ونحوها ، وقس على هذا مالم أذكر ، وهاتان الجنتان لا نهاية لها ولا حد ونعيمهما لمن دخلهما دنيا وبرزخا ، والآخرة واللذة فيهما أتم والنعيم أكمل ، بل لانسبه بينهما ، وبين الجنتين المذكورتين بعد ، وجزاء الابرار دخول جنتين محسوستين ، لأن ما خافوه محسوس وهما المذكورتان فى قوله ، ومن دونهما جنتان ، فهما دون الأولين فى القدر والسعة واللذة بل هاتان كلاشيء ، بالنسبة للأولين فانهما لا يدخلان

تحت الكم والكيف ، وما ذكر فى الجنتين الأخيرتين كله محسوس ولهما نهايه وحد فى أنفسهما لا فى نعيمهما ، وهما الجنتان اللتان ورد الخبر بهما كما فى صحيح البخاري جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما : فمن فى قوله ، ولمن خاف مقام ربه ،واقعه على الصنفين الخائفين من الأبرار والمقربين مع اختلاف خوفهما ، فهو مقول بالتشكيك كما أن المقام هو بالنسبه الى المقربين بمعنى الحضرة الربانيه ، وبالنسبة الى الأبرار مقام العباد بين يدى الحق تعالي ، وقوله ، جنتان ومن دونهما جنتان ، هو على طريقة التوزيع فان الاخبار واقع على الصنفين من المقربين والأبرار

(الموقف المائتان الخامس والعشرون)

قال تعالى ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، أي لولا وجود دفع الله الاسم الجامع لأسماء الجلال والجمال والرضى والغضب الناس الذين هم مظاهر أسماء الجلال والجمال والرضى والغضب ، بعضهم بعنى مظاهر أسماء الجلال والشر والغضب ببعض ، بمظاهر أسماء الجمال والخير والرضي ، والاسم الجامع هو الدافع والمدافع فى الجهتين من حيث الناس الذين هم مظاهر الصنفين كما قال ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وإن هذين الصنفين أعنى مظاهر أسماء الجلال والجمال المعبّر عنهما باليدين فى الآيات والأحاديث دائما فى مدافعه ومغالبه ومشاقه حتى فى الشخص الواحد ، كما ورد أن الملك لمه وللشيطان لمه ، فالمطاردة والمدافعه بين مظاهر الجلال والجمال لا تنقطع دائما ، كطارده الليل والنهار بالنور والظلمه ، لفسدت الأرض أخل نظامها وزلزلت زلزالها اذ لولا وجود دفع الله أهل الكفر بأهل

الإيمان وهم مظاهر الاسم الله الجامع للجلال والجمال لاستولى الكفر على أهل الأرض وقد قضى تعالى أنه اذا لم يبق على وجه الأرض من يقول الله الله قامت القيامة فانفطرت السماء وطويت الأرض، وانقلب الامر الى الآخرة كما أنه لولا وجود مدافعة الله الشيطان بالملك لفسدت الأرض، أرض النفوس التي هي محل البذور والالقاء كما قال، فألهمها فجورها وتقواها، ولكن الله ذو فضل على العالمين :أي ذو إفضال وامتنان بوجود مدافعة مظاهر الخير لمظاهر الشر كمدافعة أهل الكفر بأهل الايمان،ومدافعة الملك للشيطان، ويكون العالمين على هذا عاما أريد به خاص إشارة أخرى،ولولا دفع الله الناس الآية ، الناس هم الجن والانس والجن هم الملائكة وجميع الأرواح والعالم كله ذو روح فيكون دفع الله الناس بعضهم ببعض هم العالم كله أعلاه وأسفله ، أعني مدافعة الأسماء بعضها ببعض الى العالم كله مظاهرها،لفسدت الأرض لأنحلت واضمحلت، المرتبة الامكانية التي هي الأرض القابلة لظهور الأسماء المدافعة المتغالبة بل ولا كانت ولا وجدت فانه لا قيام ولا بقاء لهذه الأرض الا بمدافعة أسماء الجلال والجمال التي اشتملت عليها مرتبة الألوهة المسماة بالله بعضها ببعض ومغالبتها ومداولتها في الغلبة لأن العالم كله إنما كان عن الطبيعة والعناصر وهي مظاهر الأسماء ومدافعة بعضها لبعض ومغالبتها ضرورية ولولا ذلك الميل ما حدث شيء لأن الاعتدال لا يكون عنه شيء ولكن الله ذو فضل على العالمين ، ذو افضال على العالمين ، وهو كل ما سواه تعالى أمتن على جميع العالم بوجود مدافعة الله الناس الذين هم مظاهر أسمائه فتم إيجاد مظاهر الجمال والجلال إذ الممكنات تطلب الايجاد والتأثر ، كما أن الاسماء تطلب الظهور والتأثير والوجود

كله خير والشر هو العدم فالعالمين على مقتضى هذه الاشارة على أصل وضعه

(الموقف المايتان السادس والعشرون)

قال تعالى ، ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، المطلوب من الواقف على هذا الموقف أن يعطيه ما يستحقه من التأمل والانصاف فانها مسئلة تكسرت في البحث عنها أظافير كثيرين ليعلم أن الأشياء الممكنة معلومة للحق تعالى حالة عدمها بعلم محيط اجمالى و تفصيل لا تناهى . والشيئية المذكورة في هذه الآية هي الشيئية الوجودية ؛ أعطى كل شيء أي موجود خلقه طبيعته واستعداده كما هي في قوله ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ، أي موجودا لا الشيئية الثبوتية كما هي في قوله ، إنما قولنا لشيء . الآية ، وهي الشيئية المعلومة المجردة عن الوجود العيني ولحقائق الممكنات استعدادات كذلك معلومة له تعالى . ثابتة معدومة وكما أن عدم الممكنات السابق على وجودها غير مراد ولا مجعول ، فكذلك استعداداتها وطبائعها الكلية غير داخلة تحت الارادة والجعل ، لأنها اقتضاءات أسمائية آلهية التي هي حقائق أول ، وهذه حقائق ثواني ، والممكن من حيث هو ممكن بالنظر الى حقيقة الامكان لا يقتضي شيئا لذاته ، فلا بد له من مرجح ، إذ وقوع أحد المتساويين بلا مرجح محال لما يلزم من التساوي وعدم التساوي ، والمرجح لا يرجح الا بالعلم والإرادة المتقدمين على الترجيح وبالنظر الى كون علمه تعالى قديما محيطا لا يقبل التغيير لاستحالته فالممكن المعلوم حالة عدمه لا يقبل التغيير لما يلزم من انقلاب العلم جهلا ، إذ المحال كانت معنوية أو عينية تعطى الحال بها أحكاما لا يسع له بمجرد النظر الى ذاته فلزم من هذا أنه تعالى لا يعطي حقيقة

وذاتا من ذوات الممكنات حالة ايجاده من الأحوال والصفات الا ما علمه منه حالة عدمه لطالبه ، لذلك باستعداده وطبعه الذي هو مقتضى حقيقته إذ انقلاب الحقائق محال وصح قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ، ليس في الامكان أصلا أحسن ولا أتم ولا أكمل مما كان ، أي مما هو عليه كل ممكن في الحال ويكون عليه في الاستقبال من الأحوال والصفات دنيا وأخرى ، يعني أنه ليس في الممكن الجائز أن يكون في حق أفراد كل حقيقة وذات نسبت الى الوجود في العالم أعلاه وأسفله أحسن وأتم وأكمل مما كان ، أي مما أعطيت أشخاص كل حقيقة من الأحوال والصفات والأوضاع ، لأنه تعالى فعل بها وأعطاها ما تطلبه باستعدادها وتستحقه بطبعها الذي علمه منها حالة عدمها ، فكما أنه تعالى أخبر أنه لا يعطيها في النهاية إلا وصفها بقوله ، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ، ولا يظلم ربك أحدا ، لأنه علمهم على تلك الصفات والاحوال في الدنيا ، فكذلك في البداية لم يعطهم من الأحوال والصفات إلا ما علمهم عليه قبل وجودهم وهي استعداداتهم لأنه علمهم متى وجدوا يكونوا على تلك الأحوال والصفات والهيئات والأوضاع لأنها مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم أو لوازم حقائقهم ومن البين أن العلم ظل المعلوم وحكاية عنه ، فهو تابع له ولا أحسن ولا أكمل ولا أتم ولا أبدع ولا أحكم من إعطاء كل مستعد ماهو مستعد له فانه لا يطلب غيره بل لا يقبله ، فانه لا يصلحه ولا يمشي به على حقيقته إلا ذلك ، ألا ترى مثلا إلى استعداد الشمعة للانطفاء بالنفخ ، واستعداد قبضة الحشيش اليابس للاتقاد به ، ولو أراد النافخ إذا كان غير عالم بالاستعداد ولا حكيم فيعطي كل شيء ما يستحقه اتقاد الشمعه بالنفخ ماقبلت ذلك ، لأنه خارج عن استعدادها كما أنه إذا أراد اطفاء

وبضه الحشائش بالنفخ ما قبلت ذلك كذلك ، والفعل والفاعل واحد ولكن الاستعدادات مختلفة والطبائع متباينة فالتجلي الإلهي واحد وحقائق الممكنات تقبله بحسب استعداداتها وقوابلها فمن الاستعدادات ما يعم جميع أشخاص الحقيقة الواحدة كالتغذي مثلا لحقيقة الحيوان والنبات وقد تنفرد كل نوع من انواع الجنس الواحد باستعداد وطبيعة كاستعداد أنواع الحيوان المصوت ، كل نوع الى صوت يخالف الآخر ، وما ذاك إلا لاختلاف الاستعدادات وقد لا تنحصر الاستعدادات فى أشخاص النوع الواحد ، ولا فى أنواع الحقيقة والجنس الواحد ، والحق تعالى واسع عليم بالاستعدادات على اختلافها ، حكيم يضع الأشياء مواضعها التي تستحقها ، جواد يعطي كل مستعد ما يطلبه باستعداده ، وهو معنى أعطى كل شيء خلقه أي طبيعته واستعداده ، ثم هدى ، أي بين ويسر وساق كل شيء بعد إيجاده الى ماهو مستعد له قبل ايجاده ، فليس له تعالى الا إعطاء الوجود للأحوال والصفات لكل مستعد حسب استعداده وطلبه لذلك بلسان حاله الذي هو الاضطرار ، وهو تعالى يقول ، أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ، فكلام حجة الاسلام رضي الله عنه ، إنما هو فى بيان انه تعالى ماظلم أحدا من خلقه ولا عدل به عما علمه منه حالة عدمه ولا نقصه خردلة مما طلبه باستعداده وخلقه وطبيعته ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، إن نقصا فنقص ، وإن كمالا فكمال ، وبهذا كانت له الحجة البالغة على مخلوقاته ، وفى بيان ان الأحوال والصفات والأوضاع المجعولة التابعة للحقائق والذوات والماهيات الغير المجعوله لا يمكن ان تكون أعلا مما هي عليه ولا أدون ، لأنها مقتضي استعدادات الحقائق والذوات من غير تعرض لشيء آخر وراء ذلك أصلا ، ولو قيل لحجة الاسلام ، هل فى

الامكان العقلي أن يخلق الله تعالى حقائق أحسن واتم واكمل مما خلق أعني قدّر : لقال هو ممكن عقلا اذا أرادوا ما كشفنا فهو محال ، لأن العالم مخلوق على الصورة الآلهية ، وحجة الاسلام إنما يتكلم مع الجمهور واصحاب العقول فهو يقرّب الأمر الى عقولهم ولو قيل له وهل فى الامكان ان يعطي تلك الحقائق صفات وأحوالا أعلى أو أدون مما تقتضيه استعداداتها التي علمها عليه قبل نسبة الوجود اليها ، لقال لا يمكن لأن القدرة إنما تتعلق بالممكن ووقوع خلاف العلم الآلهي مستحيل ، ولو قيل له ، وهل فى الامكان ان يخلق الله تعالي حقائق تقتضي باستعداداتها احوالا وصفات هي أحسن وأكمل وأتم مما كان ؟ لقال نعم ، كيف وهو تعالى يقول ، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، فاطلق فجاز أن يكون أعلا وقال ، إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، فاطلق كذلك وقال ، يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ، فقيّد بعدم المثلية وقال ، إنا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم ، فقيّد فى هذه الآية البدل بالخيرية يؤيد حمل كلامه رضي الله عنه على ماذكرناه لا غير قوله ، الذي بنى عليه هذه المقالة عند ما تكلم فيها ثمر التوكل مانصه باختصار بعض الكلمات هو أن تصدق بهذا ان الله لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم ، وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفه ثم كشف لهم عن عواقب الأمور واطلعهم على أسرار الملكوت ، وأمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم ان يزاد فيما دبّر الله به الخلق فى الدنيا والآخرة جناح بعوضة ، ولا ان ينقص منه جناح بعوضة ، ولا ان يرفع عيب أو نقص ، أو مرض أو ضر عمن بلي به ، ولا ان يزال غنى ، أو صحة أو كمال ، او نعم عمن انعم عليه ؛ بل

كل ماخلق الله من السموات والأرض وكل ماقسم الله بين عباده من رزق وأجل، وسرور وحزن، وعجز وقدرة، وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، عدل لاجور فيه، وحق لاظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ماينبغي، وبالقدر الذي ينبغي، وليس في الامكان أصلاأحسن منه ولا أتم ولا أكمل. ولو كان، وادّخره مع القدرة، لكان بخلا يناقض الجود، وظلما يناقض العدل، ولو لم يكن قادراً لكان عاجزا والعجز يناقض الألوهية يعني رضي الله عنه أنه تعالى أعطاهم ما أعطاهم وكشف لهم عن علمه بالأشياء في العدم فعرفوا استعداداتها وطبائعها التي تقتضيها له، وحقائق الاشياء طالبة لصفاتها واحوالها وأوضاعها التي تعرض لها بعد الايجاد العيني، طلبا طبيعيا لزوميا، ورأوا تلك الصفات والأحوال على اختلاف أزمنتها وامكنتها، مترتبة ترتيبا اقتضائيا، بحيث تكون الحالة الأولى جاذبة للتي بعدها، مستلزمة لها، كحلق السلسلة يجذب بعضها بعضا جذبا طبيعيا وان الكثيف الثقيل استعداده وطلبه يقتضي أن يكون اسفل، ولا يليق به ويصلحه الا ذاك، كالأرض وماخلق منها من حيوان وانسان، وان اللطيف الخفيف استعداده وطبيعته يقتضي أن يكون أعلا كالسموات وما خلق منها من ملك ونحوه وإن البارد اليابس كالارض لا ينتظم أمره الا بمجاورة البارد الرطب كالماء، وإن اليابس الحار كالنار لا ينتظم أمره الاّ بمجاورة الحار والرطب كالهواء، وقس على هذا: فلو عكس هؤلاء الذين أمرهم الله تعالى أن يدبروا الخلق بما أفاض عليهم وأعطاهم من العلم والحكمة خردله ما انتظم العالم بل لا يمكنهم زيادة خردله ولا نقصانها، لانه قلب للحقائق وهو محال وتغيير لمعلوم العلم أزلا، وهو محال أيضا إذ العلم لا بد له من معلوم ومتى ما ظهر ظهر طبق ما تعلق به العلم القديم لا أزيد

ولا أنقص بزمانه ومكانه ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فهو تعالى يخلق ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الا ما علم من كل معلوم حال عدمه وهو ما عليه كل ممكن حالة وجوده من جميع أحواله وصفاته التي لانهاية لها في الدار الدائمة فلا يصح أن يقال الحق تعالى يعجز عن شيء بل هو القادر المطلق ، لكن يقال الحق تعالى لا يفعل الا ما أراد واختار ولا يريد ويختار الا ما علم والمعلوم لا يتغير ، فلو كان في الامكان خلاف الواقع بحسب ما عليه كل ممكن من الاحوال والصفات مع طلب الممكن أي ممكن كان من الممكنات باستعداده ولسان حاله الأحسن والا كمل بالنسبة الى ما أعطى من الصفات والاحوال على سبيل فرض المحال ، إذ لا يطلب شيء غير ما هو مستعد له البتة ، لكان بخلا يناقض الجود ، وظلما يناقض العدل ، والبخل والظلم محال ، فاللازم وهو منع المستحق ما هو مستحق له طالب له باستعداده محال ، والظلم وضع الأشياء غير مواضعها التي تستحقها باستعداداتها ، والعلم والحكمة ولو لم يكن قادرا على ما يريد لكان عاجزا والعجز محال ، فهو تعالى عالم قادر مريد مختار ، ولعلمه وارادته واختياره لا يعطي شيئا في الممكنات الا استعداده لانه مقتضى الارادة المترتبة على العلم المترتب على المعلوم فتبين من هذا أنه لا اعتزال ولا فلسفة ، ولا جبر ولا إيجاب في قول حجة الاسلام في هذه المسئلة بل هو كلام صفة الصفوة من أهل السنة والجماعة والحاصل ان حجة الاسلام رضى الله عنه رمز بهذه المقالة الى سر القدر المتحكم في الخلائق ، وهو الذى تنتهى اليه الاسباب والعلل ، وهو لا سبب له ولا علة ، فلا يقال فيه لم ولا كيف ، قال رضي الله عنه بعد ما قدمناه من كلامه وهذا الآن بحر زاخر عظيم عميق واسع الاطراف مضطرب

الامواج غريق ، فيه طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض ولا يعقله الا العالمون، ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ، ومنع من افشاء سره المكاشفون ، الى آخر المقاله فاعتاص هذا الرمز على الافهام،من الخاص والعام ، وتباينت فيه الآراء من لدن عصر صحابة الاسلام الى هلم جرا حيث كان هذا الرمز موزعا بين طريقة المكاشفين ، وطريقة المتكلمين ؛ فهم بين معتقد مجيب ، ومنتقد غير مصيب ، أما العارفون بالله فقد عرفوا صحة معناها وأصل مبناها ، غير أنه ما استقام لهم تطبيق اللفظ على المعنى المراد الا بتعمل الحال ه عن نكاف المساله من الاعتراض ، وكنت أنا الحقير أقول عند المذاكرة مع الاخوان في هذه المسأله المعنى صحيح واللفظ مشكل الى أن ورد هذا الوارد ، وأما غير العارفين من مجيب ومعترض فهم يتخبطون بين كلام أهل السنة والاعتزال،والكل في ناحية عن مرمى حجة الاسلام ، وأكثر من بسط الكلام، في هذه المقاله من الدين وقفنا على كلامهم الشيخ المفتي احمد بن مبارك السجلماسي ثم الفاسي في كتابه الابريز ، وقال انه فعل ذلك نصيحة للمسلمين ، والله ينفعه بقصده فانه معذور . وهو من القادحين في هذه المقالة ، وممن لم يشم رائحة للمعنى الذي ذكرناه ولولا خشية التطويل لجلبنا أجوبة المجيبين واعتراض المعترضين . ولا يحجبنك أيها الواقف على ما كتبناه جلالة المتكلمين في هذه المسئلة وحقارة هذا الكاتب عن أخذ ضالتك عند من وجدتها فتكون ممن حرم الافادة وحجر على الله أن يتفضل على من شاء ، وجرى دأبها غابات آيه وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك

(الموقف المائتان السابع والعشرون)

قال تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، إعلم أن الحق تعالى له الفعل والاختيار المطلق مالم يتقيد بمظهر وتعين بتعين ، فانه حينئذ لا يكون فاعلا مختارا في المظاهر الا بحسب استعداداتها وطبائعها فان التقيد بالأعيان يحكم على الوجود الحق فلا يظهر فيها الا بحسبها فله تعالى في كل عين فعل ، واختيار ، هو مقتضى تلك العين فان الاستعدادات الكلية غير مجعولة ، ففعله تابع لعلمه وعلمه تابع لمعلومه رتبة فهو تعالى قادر أن يخرج من الحجر ثمرا ولكن بعد أن يجعل الحجر شجرا ، هكذا فلتعرف الحقائق وتفهم الدقائق

(الموقف المائتان الثامن والعشرون)

قال تعالى ، ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ، أي وعد الله حق ثابت ووقوعه لمن وعده ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ، فقالوا بخلف الوعيد كذلك ، وهو خطأ لأنه تعالى تمدح بالمدح كما ورد في الصحيح ، فحيثما ذكر تعالى الوفاء بالوعد فانما ذكره للتمدح والامتنان والوفاء بالوعيد ليس هو مما يتمدح به فانه دليل اللؤم والجفاء والغلظة ، وليس في الخلاف الوعيد نقص ، كما توهم بل هو من الكمال ، ولا يسمى خلفا عادة وإنما يسمى عفوا وغفرانا وسماحة وكرما ، وقد قال بعضهم يمدح نفسه بخلاف الوعيد.

وإني اذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

كيف وهو تعالى يحث على الخلق ويأمر بابه ويرغب فيه في غير ما آية وحديث ، ويعد حسانه ولا يفعله هذا محال ، إذ لا أحد أحب اليه المدح من الله تعالى ، كما في صحيح البخاري ، ولو لم يفعله أدخل تعالى نفسه تحت قوله أتأمرون الناس بالبر

وتنسون أنفسكم ، والعقل إذا نظر إلى أنه تعالى لا ينتفع بطاعة كما قال، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولا يتضرر بمعصية فإنه غني عن العالمين ، لا يحكم بعقوبة ولا مثوبة وإنما الشارع جاء بتعيين هذا وهذا ترجيح لأحد الجائزين في العقل مع توقف ذلك على المشيئة الإلهية من غير إيجاب. ولا يوجد في الكتاب ولا في السنة دليل نص لا يتطرق إليه احتمال في عقوبة العاصي ولابد بحيث لا يرجى له عفو ولا سماح ولو بعد حين ، وأنه تعالى لا يخلف وعيده ، فله تعالى أن يخوف عباده بما شاء من قول أو فعل ؛ وقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ، الآية ما هو دليل نص على أن المشرك مطلقا يسرمد عليه العذاب أبد الآبدين وإنما دلت الآية على أنه لا يغفره بمعنى أنه لا يستره بل لابد من عقوبته وتعذيبه وهل بعد هذا التعذيب والعقوبة عفو وسماح أولا ؛ ليس في الآية دليل على أحدهما وما ثم نص يرجع إليه في تسرمد العذاب على أهله . كما هو في تسرمد النعيم لأهله فلم يبق إلا الجواز ؛ ودعوى الإجماع باطلة ، وقد تقدم ذلك في موقف . إنا فتحنا لك ، وقال تعالى ، يا أيها الناس إن وعد الله حق ؛ وما قال ووعيده ، وقال إن وعد الله حق ، وما قال ووعيده ، مع أن هذه الآية ذكرها عقب التهديد والتخويف . وهو قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما ، الآية ، وقال في طائفة من الملائكة ، ويستغفرون للذين آمنوا ، وقال في طائفة أخرى منهم ، ويستغفرون لمن في الأرض ، يعني بني آدم فعمم ، وقال حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام ، فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ، وقال حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ؛ ولملاحظة هذا المعنى العظيم وغيره ردد صلى الله عليه وسلم هذه الآية ليلة كاملة ، كما

وردق الحبر فلو لم يكن العفو والسماح جائزا ولو بعد حين مافوّضه اليه الانبياء
ولا سألته الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام فان الانبياء والملائكة أعرف
الخلق بالله تعالى وبصفاته وأفعاله فكل ذنب يجوز العفو عنه بترك العقوبة
عليه إصالة إلاّ الشرك ولا كل شرك بل ما كان عن تقليد كما حكى تعالى عنهم،
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، وقولهم إنّا وجدنا اباءنا على أمة وأنا على آثارهم
مقتدون، فان هؤلاء مانظروا ولا اعتبروا ولا اجتهدوا بل عطلوا نعمة العقل
التي هي اعظم نعمة انعم الله بها على الانسان، وأما اذا كان الشرك بعد النظر
والاجتهاد وبذل الطاقة فادّاه نظره القاصر الى الشرك فهذا لا نص فى القطع
إنه لا يغفر له، قال تعالى، ومن يدع مع الله آلها آخر لا برهان له به، وهذا
له برهان فى زعمه وان كان ليس ببرهان فى نفس الأمر، فان النظر الصحيح
المستوفي الشرائط لا يصل به صاحبه الى الشرك كيف وقد قال تعالى لا يكلّف
الله نفسا الا وسعها، وقال، لا يكلّف الله نفسا الا ما آتاها، وهذا عمل جهده
وبذل وسعه، وأهل الله العارفون به مجمعون على أن المجتهد فى الأصول وهي
المسائل التي لا يكفي فيها الا القطع أعني العقائد العقليات معذور، كما هو فى
الفروع وهي المسائل التي يكفي فيها غلبة الظن وهي العمليات، ووافق أهل الله
حجة الاسلام الغزالي نظرا فى كتابه التفرقة بين الايمان والكفر والزندقة،
وإلا فهو من أكابر أهل الله ووافقهم أبو الحسين البصري والجاحظ من
المعتزلة، ولا تقل انما الواقف أسرفت وأفرطت، فانه والله توقفت فى
كتابة هذا الوارد ثلاثة عشر شهرا بعد وروده إلى أن أذن الله تعالى فى
كتابته ومن اطلعه الله على شرف هذا النوع الانساني وعناية الله به
وماخصه به من تسخير الافلاك وسجود الاملاك، قال بما قلناه وما استبعد

في حقه فضلا من الله تعالي وفي صحيح البخاري فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة

(الموقف المائتان التاسع والعشرون)

قال تعالى حكاية قول العبد الصالح خضر عليه السلام: وما فعلته عن أمري ، إعلم أن المخلوقات منقسمة الى عالم أمر وعالم خلق. فلكل فرد من أفراد عالم الخلق حتى الذرة أمر يخصه من عالم الأمر يدبره وعالم الخلق هو السبب في ايجاد عالم الأمر من الأمر الكل ، قال امام العارفين محي الدين رضي الله عنه

وما الفخر إلا للجسوم وكونها مولدة الأرواح ناهيك من فخر
ألا ان طيب الفرع من طيب أصله وكيف يطيب الفرع من خبث النجر

هكذا قال وقال أيضا ، هل الصورة سبب في وجود الروح الأمدي ، أو الروح الامدي سبب في وجود الصورة ، فانه قال تعالى في خلق عيسى عليه الصلاة والسلام : فنفخنا فيه من روحنا يعني فكانت صورة عيسى عليه السلام وقال في خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ، يعني وان كانت الواو لا تقتضي الترتيب لكنه يحتمل ان تسوية الصورة مقدمة على نفخ الروح ، والذي عندي انهما متلازمان بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر وان ورد في الصحيح في ذكر اطوار الخلقة الانسانية ، نطفة ثم علقة ثم مضغة ، ثم ينفخ فيه الروح فيحتمل أن يكون المراد بنفخ الروح هنا ظهور آثار الروح وهو الحس والحركة والتغذي ، فمنذ ابتداء صورة الانسان تكون روحها روحا جمادية بمعنى أنها لا تفعل الا فعل روح الجماد وهو إمساك اجزاء الصورة وجواهرها بعضها على بعض ، ولا يظهر عنها فعل غير هذا

وعند ماتصير الصوره تنمو وتتغذى تكون روحها روحانياتيه، بمعني أنها تعمل ماتعمل روح النبات، وهو النمو والتغذى لاغير وعند مايظهر فى الصوره الاحساس والحركه، تكون روحها روحاحيوانيه بمعنى انها تعمل فعل روح الحيوان وهو الحس والحركة والتخيل، وعندما تظهر منها الآثار التي لاتظهر إلاّ من الانسان وهي الفكر والتدبير ونحوهما، فهي إنسانيه اختلفت اسماؤها باختلاف مايظهر عنها من الآثار زيادة ونقصانا وهي واحدة لاتتعدد فى ذاتها ولكن فى صفاتها ولا تتجزأ ولكن تكون آثارها وتظهر بحسب استعداد الصور لظهور آثار الروح عنها، فصورة بغير روح لاتكون، وروح بغير صورة لاتكون، إما عنصريه أو طبيعية أوخياليه أو روحانيه كما يقول الحكيم فى الصور الجسمانيه انها مركبه من جوهر الهيولى وجوهر الصوره، وكلاهما لايوجد بدون الآخر فالصورة الجسمية مركبة منها والروح لاتدرك نفسها فى غير صوره أبدا لادنيا ولا برزخا ولاأخرى، ولو لم يكن لها مركب تدبّره لالتحقت بالعدم، فنفس إرادة الحق تعالى من الطبيعة التي هي ظاهر الأمر الرّباني، نفس إرادته تعالى من الأمر الكلى روحا يختص تدبيرها بتلك الصورة فى عالم الأجسام وعالم الأمر أمر واحد يجمعه قال، وإليه يرجع الأمر كله، وقال وما أمرنا الاّ واحده، كما أن لعالم الاجسام جسما واحدا يجمعه هو الجسم الكلى. وعالم الأمر حاكم على عالم الجسم ومسلط عليه، والكل تحت تدبير الحق وتسخيره، قال تعالى، الا له الخلق، والأمر. وقال يدبر الأمر، وكل فاعل فى عالم الخلق إنما يفعل مايناسب له من الافعال بأمر عالم الأمر أعنى أمره الخاص به فاذا فعل الفاعل أي فاعل كان من عالم الخلق فعلا ما بأمر أمره الخاص به، المضاف اليه، فقد يكون ذلك الفعل صوابا

وقد يكون خطأ، وقد يكون طاعة، وقد يكون معصية، فإن الأمر الخاص بالمخلوق الخاص هو منفذ لأمر الحق تعالى في ذلك شرا كان أو خيرا، نفعا كان أو ضرا، وأما إذا فعل الفاعل فعلا ما بأمر الأمر الكلي الجامع للأمور كلها فلا يكون إلا صوابا وطاعة. وهذا لا يكون إلا لنبي أو وارث فلهذا قال العبد الصالح خضر قاطعا لاعتراض الكليم عليهما السلام ما فعلته عن أمري، بمعنى ما فعلته فعلا ناشئا عن أمري الخاص بي، المضاف إلي بل فعلته فعلا ناشئا عن الأمر الكلي الذي لا يأمر بالفحشاء، ومراده بقوله ما فعلته الأفعال الثلاثة، خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، إلا العمل الأخير فقط. ولما كان الكليم عليه الصلاة والسلام على علم وهو أن من كان فعله بأمر الأمر الكلي لا يكون إلا صوابا وطاعة، سلم واستسلم. ولما كتبت هذا الموقف رأيت أني أوتيت بكتاب، وقيل لي هذا كتاب الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه الذي ألفه في الروح فتصفحته، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المائتان والثلاثون)

قال تعالى. وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما. وجوه الحق تعالى هي أسماؤه ونسبه سميت نسبا من حيث أنها لا موجودة ولا معدومة، وسميت أسماء لأنها تدل عليه دلالة الأسماء على مسمياتها وإن كان لا يخلو إسم منها عن رائحة الوصفية لأنه تعالى إنما يذكر بها على وجه الثناء والثناء لا يكون بالاسم العلم المجرد عن الوصفية وسميت وجوها من حيث أن ظهور الحق تعالى لمن ظهر له لا يكون إلا بها ولذا سمي العضو الذي هو أول ما يظهر من الإنسان لملاقيه وجها لأنه يظهر به أولا ووجوه الحق تعالى

أعني أسماؤه لا نهاية لها ولا يحاط بها بنص قول السيد الكامل صلى الله عليه «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك» يعني لنا والا فأسماؤه تعالى قديمة بالنسبة اليه «أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وبقوله في حديث الشفاعة كما هو في صحيح البخاري «فأحمده بمحامد يعلمنيها لا تحضرني الآن» والحمد لا يكون الا بالثناء بالوصف الجميل وبقوله «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» رواه البخاري، وبقوله لا أحصي ثناء عليك لا أبلغ كل ما فيك فليس عند العالم من الاسماء الا ما تطلب العالم ويطلبها وما عدا ذلك فاختصاص لبعض الخواص، ومع كون وجوه الحق تعالى لا نهاية لها فهي ترجع الى أصول سبعة، وهي أئمة وأمهات وكليات، وأصول لجميع الوجوه، وهي القادر، والمريد، والعالم، والمتكلم، والسميع، والبصير، والحي، عند المتكلمين، والحي، العالم المريد القائل القادر الجواد، المقسط عند الطائفة العلية وإمام هذه السبعة هو الوجه الحي فهو إمام الأئمة بإشارة هذه الاية الكريمة، فله عنت الوجوه وخضعت، لأنه الشرط في المسمى بكل واحد منها والشرط مقدم على المشروط رتبة وطبعا فاسم الحي منبع الكمال الذي يستوعب كل كمال لائق به بحسب ما اقتضته ذاته ومرتبته فهو عين الكمال المشعر بجملته، الشامل لجميع الوجوه من حيث ما تضمن من الكمالات إذ معنى الحي في حقه تعالى هو اقتضاء الوجود للفعل والادراك، فجميع الوجوه داخلة تحت هذا واخص الوجوه وأشدها لزوما للوجه الحي الوجه القيوم ولم يرد في القرآن، وأكثر السنة ذكره الا مقرونا به حتى قال بعض سادات الطائفة، الحي القيوم اسم واحد مركب تركيب مزج كبعلبك ونحوه كما قال بعضهم ذلك في الواحد الأحد والرحمن الرحيم ومعنى

القيوم القائم بنفسه المقوم لغيره، فهو قريب من الوجه الحي، فانه تعالى حي لذاته وحياة كل شيء إنما هي من حياته، ويلي الوجه الحي من هذه الوجوه التي هي أئمة وأصول الوجه العليم حتى جعله بعض القوم إمام الأئمة وقدمه على الوجه الحي نظرا إلى عموم تعلقه بأقسام الحكم العقلي كلها وإشارة هذه الآية نرد هنا القول ونقرع صاحبه «وقد خاب من حمل ظلما» أي أخطأ صوب الصواب من آخر الوجه الذي تثبت الوجود له وهو الحي القيوم، وتقدم غيره من الوجوه، فان الظلم وضع الشيء في غير موضعه اللائق به الذي يستحقه

(الموقف الثاني والواحد والثلاثون)

قال تعالى «والله لا يهدي القوم الكافرين الظالمين» وقال «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون». وقال «أليس الله بأعلم بالشاكرين» وقال «ويؤت كل ذي فضل فضله» وقال. «وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا» وقال «وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها» في هذه الآيات ونحوها اشارات الى ما يقوله القوم رضي الله عنهم من الاستعداد الثابت الممكنات حال عدمها فهي لا تجري إلا اليه ولا تمشي إلا عليه بعد ايجادها العيني قوله «إن الذين كفروا» الخ الآية أي الذين كفروا باستعدادهم لا يمكن إيمانهم بعد إيجادهم بمعنى أن الرب تعالى لا يرجح ولا يريد إلا كفرهم لما علمه منهم ووقوع خلاف المعلوم محال، ولا يخرجهم استعدادهم عن إمكان إيمانهم بالنظر الى حقيقة الممكن فانه ما يصح وجوده وعدمه، ولكن إيمانهم غير ممكن بالنظر الى جهة أخرى لا بمعنى إيمان لما خطه القلم الأعلى في اللوح المحفوظ لأنا نقول ومن أي حضرة استمد القلم ما كتب في اللوح فرادنا بحضرة الاستعداد الحضرة التي استمد القلم منها ما كتب وهي

حضرة العلم بالمعلومات واستعداداتها، وأحوالها التي تكون عليها إذا وجدت، وقوله، إن الله لا يهدي القوم الظالمين، ليس المراد انه لا يحب هدايتهم ولا رضاها، بل لا يرضى لعباده الكفر ولكنه لما علم استعداداتهم وما سيكونون عليه من عدم قبولهم للهداية أرادهم ما علمه منهم فلم يخلق لهم الهداية، وقوله، أليس الله بأعلم بالشاكرين، جواب للكفار القائلين، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فما علل اختصاص هؤلاء الضعفة بالايمان الا بكونه تعالى تعلق علمه القديم بانهم من الشاكرين، يريد أنه علمهم على هذا فاعطاهم اياه وأوجده لهم لاستحقاقهم إياه باستعدادهم وقوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ولا أحقية ولا أهلية قبل الاسلام، وإنما أحقيتهم وأهليتهم كانت باستعدادهم الذي منه استمدون، وعليه يعتمدون، وقوله، ويؤت كل ذي فضل فضله، أي يعطي تعالى كل صاحب فضل فضله بمعنى يوجده له، اخبر تعالى أن الفضل ثابت لصاحب الفضل قبل اعطائه تعالى له ثم هو تعالى يعطيه له أي يوجده فللممكن الاستعداد وللحق تعالى الايجاد، وقوله. وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم أن تسمع الا من يؤمن بآياتنا يعني لا يبصر ولا يسمع دعائك ويهتدي بهداك الا من كان له استعداد أزلي أنه يؤمن بآياتنا عند ايجاده وارسال الرسل اليه واعلم أن كل ما تقوله الطائفة العلية رضي الله عنها له دليل من الكتاب والسنة عرفه من عرفه وجهله من جهله لأن طريقتهم مؤسسة على الكتاب والسنة غير أن من علومهم أموراً وجدانيات لا يمكن أن يقام عليها دليل ولا يحد بحدود الوجدانيات المحسوسة لأحد فكيف يحده على أن كلامهم في العلوم الخاصة بهم إنما يكون مع ابناء جنسهم وأهل جلدتهم المؤمنين بهم وبكلامهم فلا يطالبونهم بدليل وعدم الدليل لا يوجب

عدم المدلول فقد اتفق أهل النظر على أن عدم الدليل لا يوجب عدم المدلول اذ العالم عندهم دليل على وجود موجده تعالى واتصافه بالصفات الأربعة التي لا يمكن الفاعل أن يفعل الا بعد الاتصاف بها وقد كان تعالى ولا عالم وذلك ان القوم رضوان الله عليهم لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على الطاعات واتباع السنة قولا وعملا وحالا قوي نور إيمانهم فتنوروا أي بحثوا قاموس القرآن والسنة إذ ذلك بستانهم الذي فيه يتنزهون وفي ارجائه يترددون ، ظهرت لهم منها اشياء كانت مندمجة مستورة عن العموم وماهي بخارجة عن الأصل الذي هو الكتاب والسنة ولا زائدة عليه حتى يقال الحقيقة غير الشريعة كلا وحاشا وإنما ظهرت اسرار الكتاب والسنة واشاراتهما ظهور السمن من اللبن عند ماخض وحرك ، فهل يقال السمن ليس من اللبن وإنما كان السمن باطنا في اللبن فظهر منه عند ماخض بصورة غير الصورة المعروفة من اللبن وهو هو فاقبل يا أخي ماجاءك من كلام أهل الله تعالى أعني الصادقين لا كلام كل ناعق هام مته على وجهه فتلك الفتنة البارزة ؛ وما اعتاص عنك فهمه فكله الى أهله كما تفعل في متشابه الكتاب والسنة مع التصديق به إلى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده بدلالة على من يملك لك معناه ويفصح لك عن معناه ولقد رأيت في الرؤيا رجلا تعلق بي وقال شممت منك رائحة حتى الآن فقلت له : ما أنا منهم ولكني من المؤمنين وجودهم المصدقين بكلامهم ، فقال لي كيف السبيل اليه ، فقلت له اذا أرادك خلقك فيك الطالبية وفي مطاوعك المطلوبية وكأني أردت بها أن الحق تعالى يخلق في المطلوب الذي هو الشيخ بهمة المريد ووقت صدقه ما يطلبه المريد منه وما تذكرت هذه الرؤيا الا سبقتني دموعي فاياك يا أخي أن يصدك صاد أو يعارضك معارض

عن محبة هذه الطائفة العلية والتصديق لكلامهم فان محبتهم عنوان السعادة والأعراض عنهم عنوان الشقاوة

(الموقف المائتان الثاني والثلاثون)

قال تعالى : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، هذه محبة مخصوصة منه تعالى لهؤلاء القوم كما أن محبتهم له تعالى مخصوصة ولمحبته لهم ومحبتهم له آثار مخصوصة ، وثمرات منصوصة ، والا فالحق تعالى يحب جميع مخلوقاته كما أن جميع مخلوقاته يحبونه وذلك أن الميل والحركة معنوية أو محسوسة في كل متحرك لا تكون الا لمحبوب فهو تعالى ما مال الى إيجاد شيء وتحرك الحركة الارادية المعنوية الا محبة في ذلك الشيء كما أن كل مخلوق يحب المحسن اليه ولا محسن الا هو تعالى فهو يحب الله تعالى وان لم يشعر ويسمى محبا لله في نفس الأمر وأما بغضه تعالى لبعض الخصوص كقوله، ان الله لا يحب كل كفار أثيم ، لا يحب الكافرين ، لا يحب المفسدين ، لا يحب المسرفين ، فذلك بغض مخصوص لأهل صفات مخصوصة فهو في مقابلة محبته تعالى لأهل صفات مخصوصة كقوله ، ان الله يحب التوابين والمتطهرين ، يحب المحسنين ، يحب الصابرين ، ونحو ذلك فهذه محبة مخصوصة منه تعالى لهم جزاء محبته منهم له تعالى مخصوصة فانه تعالى جعل الأمر تارة منه البدا وتارة منا اليه ، كما قال ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، وقال ، يحبهم ويحبونه، وقال ، فيما منا اليه أوفوا بعهدي أوف بعهدكم . وقال إن تنصروا الله ينصركم ، فتارة تكون البداية منه والجزاء منا وتارة تكون البداءة منا والجزاء منه ولكل من المحبتين ثمرة أعني محبة الخواص له ومحبته للخواص ، فثمرة محبتهم له القيام بمطالبه تعالى سواء كان الطلب جازما أو غير جازم والكف عن نواهيه

سواء كان طلب الكشف طلبا جازما أو غير جازم وثمره محبته تعالى لهم أن يكشف لهم عنهم فلا يجدون غير أولا سؤالهم كما ورد فى الخبر فاذا أحببته كنته وفى رواية كنت سمعه وجميع قواه الحديث

دا فند لى رب عبد وعبده وهلا الدنيا لم يكن غير واحد

وحينئذ تتضاعف محبتهم وتتزايد تقرباتهم

وارح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

قال إمام المحبين وسيد المحبوبين وجعلت قرة عيني فى الصلاه

(الموقف المائتان الثالث والثلاثون)

قال تعالى ، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، وورد فى الخبر أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على وجه الأرض ، وما عليه خطيئة ، أخرجه الامام احمد فى المسند له والترمذي وابن ماجه ، وورد فى خبر آخر ، أشد الناس فى الدنيا بلاء نبي أو صفي ، رواه البخاري فى التاريخ ، وورد فى خبر آخر ، أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء ، رواه الحاكم فى المستدرك والترمذى والنسائى هذا فى الغالب والا فقد ورد فى بعض الأخبار أن لله عبادا يحييهم فى عافيه ويميتهم فى عافية ويبعثهم فى عافية ويحشرهم فى عافيه ويدخلهم الجنه فى عافيه ذهب عنى مخرجه ، واعلم أنه لا إشكال ولا تعارض فيما بين الآية والأحاديث فان الآية واردة فى مسمى المصيبه حقيقة وهو الذى لا تكفر به خطيئته ولا ترفع به درجة ، والأحاديث وارده فى مسمى

المصيبة مجازا بحسب الظاهر وهو المسمى ابتلاء واختيارا وتمحيصا وبهذه الأسامي ورد في الكتاب والسنة بكثرة وجاء بلفظ المصيبة قليلا مجازا فلهذا نقول ما يحل بالانسان من الآلام التي لا توافق الطبع ثلاثة أنواع مصيبة وهو ما يصحبه السخط والاعتراض وهو خاص بالكفار وبعض ضعفة الايمان وابتلاء وتمحيص واختبار وهو الذي يصحبه الصبر وعدم السخط ، وهو لأهل الايمان الكامل ، ورفع درجات وهو ما يصحبه الرضى ويحصل به الترقي في درجات القرب وهو خاص بخاصته الخاصة من الأنبياء والكمل من ورثتهم فلبس للأنبياء وورثتهم كسب يوجب أن يكون ما يحل بهم مصيبة وما يكتسبه الانسان أما كفرا ومعاص كفارا وأما معاص أهل قطيعة ممن ينسب الى الايمان وأما معاصي لا يخلو أهل الايمان منها غالبا وما معاصي صورة لا حقيقة وهو ما سماه الله تعالى معصية في حق الأنبياء وسموه هم كذلك أدبا لكمال معرفتهم بالله تعالى وعلو مرتبتهم على من سواهم عليهم الصلاة والسلام ولو صدر من غيرهم ما جرى عليه اسم المعصية شرعا ولا خاف فاعله عقوبة عليه أصلا كمعاصيهم التي خافوها يوم القيامة وذكروها في ذلك الموقف الهائل مثل الأكل من الشجرة ناسيا والناسي لا يدخل تحت حد العاصي ، فانه الفاعل التارك بقصد المخالفة وقد قال تعالى : وعصى آدم ربه ، ومثل كذبات الخليل عليه الصلاة والسلام الثلاث وهي قوله لسارة أنها أختي : وقوله بل فعله كبيرهم هذا : وقوله اني سقيم وهذه معاريض فيها مندوحة عن الكذب ومثل دعوة نوح عليه الصلاة والسلام على قومه عند ما يئس في ايمانهم وسؤاله ربه ما ليس له به علم وهو قوله رب إن ابني من أهلي ومثل قتل الكليم عليه السلام القبطي الكافر ونحو هذا

مما خافوه وبكوا منه ولو صدر منهم غير هذا لذكروه فى ذلك اليوم الذى تبلى فيه السرائر فما يحل بالكفار ، وضعفه الايمان فهو مصيبة وما يصيب خاصه المؤمنين فهو تكفير سيئات كما ورد فى الأخبار الصحيحة ، وما يصيب خاصة الخاصة كالأنبياء والصالحين الأمثل فالأمثل : فهو ترقي درجات ونعم خفيات ؛ وقد أمر الله تعالى رسوله الأكرم محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول للكفار ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، أى لا علينا لحسن عاقبته وعظيم فائدته وفي ضمنه ان يصيبكم الا ما كتب الله عليكم لا لكم لشؤم عاقبته كشؤم بدايته وسوء باطنه كظاهره فما يحل بالانبياء والامثل فالأمثل ظاهره محنه وباطنه منحه ، وهو تعالى قادر أن يرفعهم [1] درجات الكمال من غير ابتلاء ولكن حكمته اقتضت هذا فلا يسئل عما يفعل فانظر يا أخى ما أوضح الحقائق ، وما أجلاها وما أبردها على القلوب المنورة ، وما أحلاها .

(الموقف المائتان الرابع والثلاثون)

قال تعالى ، إنّا كل شيء خلقناه بقدر ، قراءة أبي السمال برفع كل أي كل شيء خلقناه بتقديرنا له وتصورنا إياه فى علمنا هو نحن لان التصور ليس بزائد على المتصور فوجوده وجوده ولا وجود المصدر المصور اسم مفعول غير وجود المتصور اسم فاعل ، رأيت كأنى دخلت مسجدا للصلاة فيه فكلمني انسان وجاورني فتبعته وقلت له إنك كلمتني فماذا قلت لك أتقول الوجود غير الموجود فقلت الوجود عند الطائفة العلية حقيقة واحدة ذات لا صفة ، لا تتجزأ ولا تتبعض ولا تتعدد ، وتعدد الموجودات لا يؤثر فيه تعددا لأنها نسبه واضافاته واسم الوجود هو الحصول ولا الثبوت ولا

(١) ح ، يرفعهم

التحقيق كما هو عند المتكلمين والغير أن عند المتكلمين أمرين وجوديين بمعنى أن كل واحد من الغيرين له وجود مستقل بنفسه وعند الطائفة العلية الغيرية لفظية مجازية لا حقيقة لها ولا وجود الا فى اللفظ والموجود اسم مفعول هو الذى وقع عليه الوجود فلا يجوز اطلاق لفظة موجود على الحق تعالى الا لضرورة تعليم ونحوه ، واذ قلنا الوجود ذات لا يقبل التعدد فقولنا فى المحدث موجود معناه له نسبة الى الوجود أو اضافة أو نحو ذلك فالموجودات ما استفادت الوجود من الوجود الحق تعالى وإنما استفادت المظهرية للوجود الحق بمعنى أنها محال لظهوره وهو الظاهر بأحوالها ونعوتها فوحدة الموجودات حقيقة لوحدة العين وهو الوجود الذات الحق وتعددها مجاز لأنها ما تعددت الا بتعينات وتميزت بتميزات ونسب عدميات فهو الظاهر وهو الصور بحسب ما تعطيه استعداد كل عين ممكنة فظهر بذلك الاستعداد ولما ظهر الوجود الحق منعوتا بنعوت المحدثات الممكنات احتجب عن البصائر والابصار فظن الظانون وتوهم المتوهمون أن الوجود التي ظهرت به هذه الصور فى المدارك البشرية وقامت به هذه النعوت والصفات هو وجود حادث خلقه الله تعالى للممكنات وهو وهم باطل لانه لو كان فاما أن يكون جوهرا أو عرضا ولا جائز ان يكون جوهرا أو عرضا ولا جائزا أن يكون جوهرا ولا عرضا وقد تقدم برهان ذلك فى أثناء هذه المواقف فالموجودات كلها ليست الا تجريدات جردها الوجود الحق فى نفسه من نفسه لنفسه فالوجود المنسوب اليها وجوده وليس الوجود بصفة للموجود كالبياض والسواد مثلا فيكون غيرا زائدا كما أن العدم ليس هو بشيء زائد على المعدوم فيكون غيرا وإنما هو نسبة واضافة لهما ولم نتعرض لمذاهب المتكلمين والفلاسفة فى غيرية

الوجود وزيادته أو عدمها، لأنهم وان اختلفوا في عينيته وغيريته فهم متفقون على أن الموجودات موجودة في نفس الأمر كما هي في المدارك البشرية إما بوجود حادث عند المتكلمين، وإما بالوجود القديم عند بعض الفلاسفة، وليس هذا بمذهب الطائفة العلية فإن الموجودات عندهم لا وجود لها إلا في المدارك لا في نفس الأمر، وإنما الوجود لله تعالى، والموجودات نسبة واعتباراته وتعيناته وظهوراته، وكلها أمور عدمية ظهرت في المدارك البشرية للحجاب الذي وصفت به، وهو الجهل والوجود الذي نسبت اليه الموجودات وجود خيالي ، فليس هو عند التحقق عينها ولا غيرها كما أنه ليس عين الحق تعالى ولا غيره فليس الوجود الحقيقي الا لله تعالى والعالم كله أعلاه وأسفله له الوجود الخيالي المجازي

(الموقف المائتان الخامس والثلاثون)

قال تعالى ، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، كل شيئين متقابلين فلابد أن يكون بينهما حاجز معقول يفصل بينهما بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر يسمى برزخا لا يكون عينهما ولا غيرهما وفيه قوتهما معا بمعنى أنه لا يكون عين كل واحد من المتقابلين من كل وجهيه بل له وجه الى هذا ووجه الى هذا ، مع أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، ولا ينقسم يكون بين محسوسين كالخط المعقول الفاصل بين الظل والشمس، وقد يكون بين معقول ومحسوس ، وقد يكون بين موجود ومعدوم وبرزخ البرازخ كلها وأجمعها الحقيقة المحمدية ولها أسماء متعددة باعتبارات وتنزلات وظهورات وهي هي لا غيرها وهذه الحقيقة البرزخية هي أحد الأشياء الثلاثة التي تتعلق العلم بها ، وما عدا هذه الثلاثة فعدم محض لا يعلم ولا يجهل

ولا توصف بوجود ولا عدم فى حد ذاتها ولا بحدوث ولا قدم ، ولا بتقدم على العالم ولا بتأخر عنه ، وهي حقيقة جميع الموجودات وهي فى القديم قديمة وفي الحادث حادثة كالحقائق الكلية المعقولة ، مثل العالمية والقادرية والارادية ونحوها فليس هي الحق تعالى بوجه ، ولا العالم الحادث بوجه ، وهي الحق تعالى بوجه وهي العالم بوجه ، كل هذا تصدق فيه إذا حكمت به ، فهي البرزخ بين الوجود المطلق والعدم المطلق ، ومرتبة الانسان الكامل برزخ بين مرتبة الالوهية والمخلوقات فهو برزخ بين معقول ومحسوس والبرزخ من حيث هو لاموجود ولا معدوم ، ولا مجهول ولا منفي ، ولا مثبت كالصور المدركة فى المرايا وفى كل جسم صقيل ، فانك تعلم أنك أدركت شيئا بوجه وتعلم أنك ماأدركت شيئا بوجه ، فأنت صادق إن قلت أدركت أو قلت ماأدركت ، والصورة ما حلت فى المرايا وفي غيرها من الاجسام الصقيلة ولا هي بينك وبين المرايا ، وليست تلك الرؤية بانعكاس صورة المرئي الى العين ، وإنما الحق تعالى أجرى العادة بخلق رؤيه الصور البرزخيه الخياليه عند مقابله الصور الجسمانيه للاشياء الصقيله كالمرآه ونحوها من الاجسام الصقيلة ، وليس البرزخ غير الخيال ، فهو هو عينه وله أربع مراتب ، وحقيقة البرزخيه الخيالية فى الجميع واحدة ، الأولي البرزخ المسمي بالخيال المنفصل ، وبالخيال المطلق ، وبالعماء وبالحق المخلوق به كل شيء ، وهو البرزخ بين المعاني التى لا أعيان لها فى الوجود كالعلم والثبات ونحوها وبين الأجسام النورية والطبيعة وفيه تظهر الصور المرئية فى الأجسام الصقلية مثل المرايا ونحوها وشأن هذا البرزخ الخيالى العمائي تكثيف اللطيف المطلق وهو الحق تعالي فانه من هذا البرزخ الخيالى ظهر موصوفا بصفات

المحدثات منعوتا بنعوتها كما ورد في الكتب الآلهية وسنن الانبياء من المتشابهات وتلطيف الكثيف المطلق، ومنه اتصف الممكن المحدث بالصفات الآلهيه كالحياة والعلم والقدرة ونحوها ، فالبرزخ المثالي هو الخيال والصور المرئية فيه هي المتخيلات ، وفي هذه المتخيلات ما يرى بين الحس ومنه ما يرى بعين الخيال، كرؤية تحول الحرباء في الألوان التي تمر عليها . فهذه رؤية بعين الخيال لا بعين الحس، وذلك أن العين الباصرة لها الادراك بعين الحس وبعين الخيال، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كان يري جبريل في صورة دحيه الكلبي بعين الحس فيعرف أنه جبريل وأنه روح متجسدة ، ويراه غيره بعين الحس فلا يعرف أنه جبريل ولا يشك أنه دحيه الكلبي نفسه ، وأهل الشهود أرباب التخيلات يشهدون العالم متحولا متبدلا منتقلا في كل لحظه لأنهم يشهدونه بعين الخيال وبهذه العين يدركون جميع التخيلات الحاصلة لهم في الدنيا والآخرة، وأهل الحجاب يشهدون العالم ثابتا على حالة واحدة لأنهم يشهدونه بعين الحس لأن موطن الدنيا موطن النظر بعين الحس ، وإنما خص الحق تعالى بعض الخواص بالنظر بعين الخيال في الدنيا أحيانا لأنهم تجاوزوا موطن الدنيا حكما ووصلوا الي البرزخ الذي هو موطن النظر بعين الخيال، وصور جميع الجسمانيات هي في هذا البرزخ الخيالي صور روحانية خيالية على وجه لطيف لا يمتنع فيه التداخل ولا التزاحم ولا ايراد الكبير على الصغير، بل ولا الجمع بين الضدين، ولا وجود شخص واحد في مكانين ، وفيه رأي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ، ورآه في السماء السادسة كما في الصحيح . ولا يقال لشيء إنه مستحيل وجوده في هذه الحضرة أبدا، ففيه تتجسد المعاني كتصور الموت

في صورة كبش وفيه توزن الأعمال، وفيه تجادل سور القرآن عن صاحبها كما جاء في الأخبار الصحيحة، وفيه تتروحن الاجسام الكثيفة. كما ورد في حديث الاسرا الذي أنكره كثير من الفلاسفة المتعقلة، الثانية البرزخ المسمى بالخيال المتصل والخيال المقيد ويسمى بأرض السمسمة وأرض الحقيقة وهو البرزخ الخيالي تظهر فيه الصور الجسمانية الكثيفة التي تقبل التجزؤ والتبعيض والخرق والالتئام، وهي المركبة من العناصر صورا مركبة لطيفة، لا تقبل التجزؤ ولا الخرق ولا التبعيض، ولا يمتنع فيها ايراد الكبير على الصغير ولا تصور المحال، ومنه ورد «اعبدالله كأنك تراه»، ومن شأن هذه المرتبة تلطيف الكثيف المقيد لأن المحسوسات الكثيفة تظهر فيها بصور لطيفة روحانية كما قدمنا، وتكثيف اللطيف المقيد ومنشأ هذه المرتبة البرزخية الخيالية مقدم الدماغ وهي التي تمسك صور المحسوسات عند غيبو بتها كما يرى الانسان مثلا مدينة ثم يغيب عنها، فاذا تذكرها رآها كما كان رآها، فيظن أنه رآها في موضعها في غير هذه المرتبة الخيالية وهو ما رآها الا في هذه المرتبة البرزخية الخيالية الدماغية، والفرق بين البرزخ المسمى بالخيال المنفصل والبرزخ المسمى بالخيال المتصل هو أن المتصل يذهب بذهاب المتخيل اسم فاعل كما هو في أنواع السحر والسيميا ونحوهما، كما قال تعالى «يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى»، وهي لا تسعى في الحقيقة وانما هي تسعى في خيال المسحور بسبب السحر لا غير، والخيال المنفصل لا يذهب ذهاب المتخيل له فانه حضرة ذاتية قابلة لتجسد المعاني والارواح دائما، الثالثة البرزخ الخيالي النومي، وهو البرزخ بين الموت والحياة فان النائم لا حي ولا ميت بل له وجه الي الموت ووجه الي الحياة، وفي هذه المرتبة يرى الانسان ربه منصورا بصور المحدثات

ومنه ما ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة وفي رجليه نعلان، وعلى وجهه فراش من ذهب » فهو من صور البرزخ المسمى بالخيال المقيد ويرى الانسان نفسه في مكان غير المكان الذي هو فيه ، فهو في مكانين وهو هو لا غيره وأمثال هذا من الحالات المنامية، والكل صحيح، الرابعة البرزخ الخيالي الذي تنتقل اليه أرواحنا بعد الموت الطبيعي وهو المسمى بالصور في قوله فاذا نفخ في الصور ،وبالناقور في قوله، فاذا نقر في الناقور ؛ فانه مثل المراتب المتقدمة في كون صوره خيالية وكل ماندركه في البرزخ من نعيم لاهله وعذاب لاهله فانما يدركونه بادراكات هذه الصور البرزخية الخيالية كما قال تعالى ، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب

(الموقف المايتان السادس والثلاثون)

قال تعالى ، سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، الآيات هذا كلام حق أريد به باطل، أي لو شاء الله عدم اشراكنا ما اشركنا ولو شاء عدم تحريم شيء مما حرمناه مافعلنا،فانه لا يقع منا إلا مايشاء وهذا حق ووجه إرادتهم الباطل بهذا الحق أنهم جعلوا كلما شاءه الحق بعباده هو مرضي له ، محبوب لديه،وهذا باطل ، فان الحق تعالى يشاء بعباده ماعلمه منهم أزلا والذي علمه منهم أزلا هو ماتقتضيه حقائقهم ويطلبونه باستعدادهم من خير وشر ، وتوحيد وكفر ، فمشيئته تابعة لعلمه، وعلمه تابع لمعلومه ، ومعلومه منه مهتد وضال ، وموحد ومشرك ، وشقي وسعيد ، وصادق وكاذب ، فان مخلوقاته تعالى مظاهر أسمائه، وأسماؤه منها مايقتضي الجمال والرحمة وهو حظ أهل السعادة أصحاب القبضة اليمنى، ومنها مايقتضي

الجلال والقهر وهو حظ أهل الشقاوة أهل القبضة الشؤمي ، فمشيئته تعالى لأمر ليست عنوانا على محبته له ورضاه به، فانه لا يرضى لعباده الكفر وقد شاء كفر كثيرين منهم، وإنما المشيئة عنوان على أنه سبق علمه أزلا بما نشاؤه أبدا، فلو كان كل مايشاؤه بعباده خيرا للازم ان يكون إرسال الرسل وتشريع الشرائع عبثا ، فانها جاءت بالأمر والنهي وبيان قبضة اليمين وقبضة الشمال ، كما قال تعالى فمنهم شقي وسعيد ، وهذا الذي حكاه الحق تعالى عن المشركين ، وان كل مايشاؤه الله تعالى بعباده فهو خير عقد ثالث ، فان عقيدة أهل السنة أنه تعالى يشاء بعباده الخير والشر ، وعقيدة المعتزلة أنه تعالى لايشاء بعباده إلا الخير ، ومشيئة الشرور هي من العباد لا من الحق تعالى ، فلو كشف الله تعالى لعبد من خواص عبيده عن سابق علمه منه وعما تقتضيه عينه الثابتة لصح له وقبل منه أن يقول فعلت مافعلت بمشيئة الله وأمره الارادي الذي هو أعم من المحبوب والمكروه له تعالى ، ولهذا قال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، أي هل عندكم علم بما تقتضيه استعداداتكم وكشف عن اعيانكم الثابتة فبينوه لنا ، وانكم ما أشركتم وحرمتم ما حرمتم وفعلتم مافعلتم إلا بعد أن كشف الحق تعالى لكم عن مشيئته بكم ، التابعة لعلمه ، وهذا هو العلم المتعلق بسر القدر الذي هو سبب الأسباب وعلة العلل ، وحيث لم يكن عقدهم من هذا القبيل فما فعلوا مافعلوا إلا بالظن ولهذا قال ، إن تتبعون إلا الظن ، أي ماأشركتم وحرمتم ماحرمتم إلا بالظن والظن أكذب الحديث فانه خطرات نفسانية يوحيها الشيطان إلى أوليائه ، وحيث كان الأمر كما أخبر الله عنهم فلا حجة لهم بمشيئة الله تعالى لشراكهم وافترائهم عليه بتحريم ماحرموا ، بل له تعالى الحجة عليهم ولهذا قال، قل فلله الحجة البالغة عليكم ، في شرككم

وجميع أفعالكم المخالفة لأمره ونهيه تعالى فانه تعالي ما شاء بكم إلا ما طلبته أعيانكم الثابتة بالسنة حالها، وهو تعالي الجواد المطلق فلا يرد سؤال الاستعدادات وهي الاقتضاءآت الاسمائية والوجوه الخاصه التي هي حقائق أول لحقائق المخلوقات فما حكم عليكم إلا بكم ومنكم بل أنتم الحاكمون على أنفسكم فان الحاكم محكوم عليه أن يحكم فى القضية بما تقتضيه ذات القضية

(الموقف المايتان السابع والثلاثون)

قال تعالى ، وما كنا عن الخلق غافلين، أى ماوجدنا غافلين عن شيء خلقناه من عالمي الخلق والأمر بأن تركنا أمداده عما يكون به بقاؤه، ومدة ارادتنا بقاءصورته بل نمد كل مخلوق بما تبقى به صورته، وليعلم أن الحق تعالي ماخلق صورة من الصور الطبيعية أو العنصرية إلا خلق لها أرواحا تدبرها مده ارادته تعالي بقاءها فاذا أراد تعالى انحلال تركيب صورة من صور المخلوقات قطع عنها الامداد الذى يكون به بقاؤها فتداعى أركان تلك الصورة الى الخراب ويحصل الحادث الأعظم المسمى بالموت كما فى الحيوان أو تفرق الاجزاء كما فى النبات والجماد ولهذا يقول بعض المتكلمين، إن القدرة الالهيه لاتتعلق بالاعدام وأن الاعدام ما هو إلا قطع المدد الذى يكون به بقاء صورة المخلوق، فذلك اعدامه لاغير كالسراج مثلا فان صاحبه مادام يريد بقاه مشتعلا عده بالزيت،فاذاأراد انطفاءه قطع عنه الزيت فينطفيء السراج بنفسه لابفعل فاعل فأما الصور العنصرية، فان الحق تعالى جعل لها أرواحا كثيرة تدبّرها أعظمها تدبير الأرواح الأربعة المسماة بالحرارة والبرودة والرطوبه واليبوسه، ومجموعها يسمى بالطبيعة والروح المسمي بالدافعة، والروح المسمى الماسكة، والروح المسمى بالغاذيه، وغيرها من الأرواح الي تسميها الحكماء

القوى الجسمانية وجعل تعالى هذه الأرواح متضادة متباينة الأفعال لحاجة الصورة الجسمية لذلك، فمتى ضعف روح عن فعله وأداء وظيفته طلب الامداد من الحق تعالى بروح مناسب له ليتقوى به ويدفع الغلبة عن نفسه، فيهيء له الحق تعالى غذاء أو دواء، ولهذا جعل الحق تعالى الأغذية والأدوية، فليست الأغذية والادوية الا أرواحا تحملها صور جسمانية دوائية أو غذائية الى الأرواح الأصلية ليتقوى بها من حصلت عليه غلبته من مقابله مثلا إذا ضعف الروح الدافع عن فعله، وغلبه الروح الماسك طلب الروح الدافع غذاء مناسبا له يتقوى به حتى يفعل فعله ويؤدي وظيفته أو دواء مناسبا له ولهذا كانت الأدوية المسهلة، وكذا إذا ضعف الروح الماسك عن فعله وأداء وظيفته وغلبه الروح الدافع طلب غذاء مناسبا له أو دواء مناسبا، ولهذا كانت الأدويه القابضة وقس على هذا ، وإذا أدت الصورة الغذائية أو الدوائيه روحها إلى الروح الذي طلبها فسدت وخرجت من الجسم أما بالقيء أو الغائط أو البول أو غير ذلك، فلا تشتهي الأرواح وتطلب الا أرواحا مناسبة لها ولا تطلب الصور الجسمانية الدوائية أو الغذائيه إلا بالغرض لكون الأرواح المناسبة لها تصل اليها بواسطة الصور الغذائية أو الدوائية ، فسبحان العليم الحكيم له الخلق أي خلق الصور والأمر ، أي تدبير الخلق بالأمر ، وهي الأرواح الامرية الموجودة لا عن مادة، ولولا التضاد بين افعال هذه الأرواح الجسمانية ما استقامت صورة الجسم أي جسم كان من الأجسام العنصرية ولهذا إذا غلب واحد منها الغلبة التامة، حتى لم يبق لمقابله أثر فسدت الصورة ، كما إذا غلبت الحرارة ولم يبق للبرودة والرطوبة أثر أو العكس ونحو ذلك من أفعال الارواح الجسمانية فما قامت الصورة إلا بوجود هذه الأرواح المتضادة الأفعال

(الموقف المائتان الثامن والثلاثون)

قال تعالى، وما بكم من نعمة فمن الله، أي ما من نعمة متلبسة بكم منسوبة لكم بالمجاز إلاّ وهي صادرة من الله تعالى راجعة إليه بالحقيقة، فإن أعظم نعمة على كل موجود وجوده، وتوابع وجوده، وإمداده بما به بقاء وجوده والكل من الله إلى الله حقيقة، ولما يقال فيه مخلوق وسوى وغير مجازا، فالوجود المنسوب إلى المكوّنات، المفاض على المخلوقات، هو وجوده تعالى مفاض منه عليها لا كالإفاضة المعروفة فإن ذلك محال على الوجود الواجب القديم، والحياة المنسوبة إلى كل حي هي حياته تعالى لا غيرها، والعلم المنسوب إلى كل عالم هو علمه تعالى لا غيره، وكذا الإرادة والقدرة والسمع والبصر وباقي الكمالات كل ذلك منه وإليه بلا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، ويا عجبا ممن يرمي الطائفة العلية بشيء من ذلك فكيف يحل الوجود في العدم، أم كيف يتحد الحدوث بالقدم، أم كيف يتصور امتزاج المعاني بالكلم، فلا وجود قديما ولا حادثا إلاّ وجوده تعالى، ولا حياة قديمة ولا حادثة إلا حياته تعالى، فإن الحياة هي اقتضاء الوجود للفعل والإدراك، فدخل في الفعل جميع ما هو من قبيل الأفعال وفي الإدراك جميع الصفات الكمالية وحيث كان الوجود ليس إلاّ له وتوابع الوجود ليست إلاّ له حقيقة، فمحال أن يكون الوجود لغيره حقيقة، لأن الوجود حقيقته واحدة لا تتعدد ولا تتبعض، كما أنه من المحال أن تكون الصفات التابعة للوجود لغيره تعالى حقيقة إذ الصفات لا يظهر بها غير من هي له أبدا، فالكل منه له، والمسمى خلق الله وغير الله إنما هي تجريدات جرّدها الحق تعالى من نفسه لنفسه في نفسه، كتجريد البيانيين يخاطب الإنسان نفسه بنفسه بما يريد ويسمعها بها، ويجيبها بها، ويحاورها بها، ويعاتبها بها،

وبنصحها بهاء فيقبل بها أو يرد بها، وهو هو لا ثاني له فانه واحد بالحقيقة غير متعدد، كرجع الصدا فانه ليس هناك إلا الصوت حقيقة وعلما وهو اثنان مجازا ووهما

(الموقف المائتان التاسع والثلاثون)

قال الله تعالى «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد» الى آخر السورة، ورد في أسباب النزول أن المشركين أو اليهود، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، انسب لنا ربك الذي تدعو الناس الى عبادته، أي بيّن لنا أصله وهو مرادهم بنسبه فنزلت هذه السورة في بيان نسب الرب تعالى وزادت على بيان النسب بيان الحسب، وهو ذكر الصفات الجميلة والكمالات الجليلة فالنسب قوله، قل هو الله أحد، والحسب قوله الله الصمد الخ السورة؛ لأن الحسب مأخوذ من الحساب، وهو تعديد صفات الكمال. قل أمر له صلى الله عليه وسلم، فجوابهم تلاوة هذه السورة الشريفة عليهم، قوله هو الهو هنا مبتدأ لفظا ومعنى فانه يشار به الى الذات الغيب المطلق فهو غيب الغيوب الذي لا شعور به لأحد إلا من حيث أنه لا شعور به بمعنى أنه يشار به الى الذات من غير ملاحظة شيء من غيبه أو حضور أو خطاب، كما هو في الاصطلاح وإلاّ فالذات من حيث هو لا دلالة للفظ عليه ولا علم لاحد به، فليس الهو هنا بضمير يطلق على كل غائب، كما هو عند النحويين بل هو إشارة الى كنه الذات الذي لا يعلم ولا يدرك، حيث كان شأن ما لا يدرك ولا يعلم أن يكون غائبا لا غير، وإلاّ فهو الغائب الحاضر عند التحقق كما أن المراد بالهو هنا الهوية المجردة لا الهوية السارية إذ للهو اعتباران فباعتبار التجرد عن المظاهر والتعينات يسمى هوية مرسلة ومطلقة، وباعتبار

سريانه في المظاهر وقوميته لكل موجود يسمى هوية سارية ويسمى الذات في مرتبة إطلاقها بالمعجوز عنه عند أرباب هذا العلم، فلا يتعلق به علم من كل مخلوق، وعن هذه المرتبة أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه وحيث لا يتعلق به علم في هذه المرتبة فلا يصح عليه حكم، إذ كل علم وعالم ومعلوم وحكم وحاكم ومحكوم به إنما هو متقوم بالذات فليس هو الذات المشار اليه بالهو، فلا يتصور، ولا يعلم، فلا حكم عليه: وكما أنه لا يعلم لا يجهل، إذ التصور أول مراتب العلم والجهل لا يرد الا على ما يرد عليه العلم ولا يقال فيه معلوم ولا مجهول، ولا موجود ولا معدوم: ولا قديم ولا حادث، ولا واجب ولا ممكن فهو مادة العدم والوجود المقيدين، أو المطلقين اذ حقيقة العدم المطلق هو الذات المتجرد تجردا أصليا أي غير نسبي، كما أن العدم المقيد هو الذات المتجرد تجردا نسبيا. فلولا تقوّم العدم المطلق والعدم المقيد بالذات ما صح عليهما حكم ولا استقامت عليهما عبارة، ولا كان لهما تصور حتى قيل هذا مطلق وهذا مقيد، وحكم المطلق عدم قبول الوجود العيني، وحكم المقيد قبول الوجود العيني، الى غير هذا والعدم المطلق وان لم تكن له صورة علمية كالعدم المقيد فله وجود في بعض مراتب الوجود الأربعة، كما أن حقيقة الوجود المطلق هو الذات المعين تعينا أصليا أي غير نسبي وحقيقة الوجود المقيد هو الذات المتعين تعينا نسبيا، والتعين غيب محض في الذات المتجردة فاذا اقتضت ظهورها بتعينها به صار ما كان هو الذات العدم هو الذات الوجود، وما كان غيبا تعينا وظهرا، فظهور المعدوم من العدم هو تعيّن الذات الوجود وتسمى الذات عند هذا الاقتضاء الذات الوجود، وتسمى القضايا موجودات ومراتب فالوجود المطلق عندما يتجلى

على أعيان الممكنات وتنصبغ بنوره وينصبغ باحكامها ، يصير وجودا مقيدا بالنسبة الى الممكن مع اطلاقه حالة تقييده بها ، فهو المطلق المقيد ، المتجرد المتعين، قوله الله بدل بعض من كل، باعتبار كون الذات ماده الوجود والعدم، وبدل شيء من شيء باعتبار كون الوجود عين الذات، وهو هنا اسم الذات الوجود المطلق، كما أن الرحمن اسم الذات باعتبار الوجود المنبسط على أعيان الممكنات الثابتة: فالجلالة هنا علم مرتجل وليس بمشتق ولا رائحة فيه الوصفيه ولا اعتبار نسبة، فهو دال على الوجود الذات لا من حيث نسبة ما يوصف بها كالاسماء الجوامد للأشياء، فليس هو الجلالة المشتقه المذكورة بعد، فان تلك اسم المرتبة لا اسم الذات ولهذا قال من قال من أئمة هذا الشأن لا يصح التخلق بالاسم الله من حيث أنه اسم ذاتي لا يتوهم معه دلالة على غير الوجود الذات، وله قال الأشعري رضى الله عنه، قد يكون الاسم عين المسمى نحو الله فانه علم على الذات من غير اعتبار معنى فيه يعنى لأنه اسم الوجود والوجود عين الذات فانه يقول الوجود عين الذات وله قال سيبويه رضي الله عنه، الله أعرف المعارف فلا أعرف من الوجود لأنه بديهى ، والأشعرى وسيبويه وان لم يشعرا بما قلناه ، ولا قصدا المنحى الذى نحوناه، فقد يبرق على بعض القلوب بوارق فتصدر منها من غير قصد بعض الحقائق، وما انتشر الخلاف فى الجلالة الا لعدم العلم بالفرق بين الجلالين، قوله أحد هو بدل ثان، وهو اسم الذات الوجود باعتبار تعين ولا ظهور لشيء من اسم أو صفة أو كون، فانها نسب والأحد من كل وجه لا يقبل النسب فالمراد بالأحد ما يكون واحد من جميع الوجوه فهو البسيط الصرف عن جميع أنحاء التعدد عدديا أو تركيبيا أو تحليليا، فهو اسم الذات الوجود بشرط لا شيء مع الذات

والهو المتقدم الذكر يشار به الى الذات فى مرتبتهما المشعور به لا بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء فالأحدية اسم الذات الوجود المطلق عن الاطلاق والتقييد ،لأن الاطلاق تقيد بالاطلاق،والمراد أنه لاشيء من قيد واطلاق، ولهذا جعل الأحد بعض سادات القوم رضى الله عنهم أول الأسماء ، لأن الاسم موضوع للدلالة؛وهى العلامة الدالة على عين الذات لامن حيث نسبة من النسب أو صفة من الصفات، فلا يعقل معه الاّ العين من غير تركيب ، فاسم الاحد نعت وإنما هو عين ، ولهذا منع أهل الله رضي الله عنهم أن يكون لأحد من ملك أو بشر تجل بهذا الاسم، لأن الأحدية تنفي بذاتها أن يكون معها ما يسمى غيرا وسوى ، وهي أول المراتب والتنزلات من الغيب الي المجالى المعقولة والمحسوسة ، كما أن أول التعينات الوحدة وهي الذات مع التعين الأول وهي الحقيقة المحمدية،فهي البرزخ بين غيب الغيوب الذات المجرد وبين الكثرة النسبية وهى مرتبة الاسماء ، وبين الكثرة الحقيقية وهي مرتبة الأكوان،وقولنا الأحد أو الوجود اسم الذات تقريب للامور الوجدانية للأفهام لأن اسمها معنى قائم بها فهو صفتها وصفتها عين ذاتها ، فهذه المرتبة أحدية جمع جميع الأشياء الآلهية والكونية المتكثرة بنعوتها وكل ما تتحد به الامور الكثيرة فهو أحديه جمع جميعها : كالحقيقة الانسانية فانها أحدية جمع جميع بني آدم،والبيت فانه أحدية جمع جميع السقف والجدران وما ينفصل البه البيت قوله الله هو خبر عن المبتدأ والجلالة هنا مشتقة فهو اسم المرتبة المسماة بمرتبة الصفات المحيطة التعلقات، اذ كل موجود قديما كان أو حادثا فله ذات ومرتبة ، فذاته حقيقته التى تقوم بها مرتبته ، والمراتب أمور اعتبارية،ومرتبته هي حقيقته من حيث جمعها الأسماء والنسب

والاعتبارات اللائقة بها ؛ وهي التي تضاف اليها الآثار دون الذات الوجود المطلق من حيث هو مطلق عن كل اسم ووصف ونسبة لما تقرر أنه لو كان التأثير للوجود المجرد عن النسب لكان تأثيره إما بإيجاد مثله أو ضده وكلاهما محال، فنعين التأثير المرتبة وهي الألوهية التي أمرنا بتوحيدها بمعنى اعتقاد أحديتها وعدم الشركة فيها ، ولا يفهم من الأمر بالتوحيد ما يدل عليه لفظه فقط ، بل المأمور به هو توحيد الخاصة وتوحيد العامة إنما يقبل بمحض الفضل، قيل لي في واقعة من الوقائع، التوحيد ابطال التوحيد بمعنى أن التوحيد الحقيقي المطلوب هو الذي يبطل معه ويرتفع منه ، ما يدل عليه لفظ التوحيد فانه يدل بجوهره على موحد اسم فاعل وعلى موحد اسم مفعول ، وفعل قائم بالفاعل وهذه كثرة لا وحدة فيها فاذا لم يبق إلاّ واحداً يعلم أنه واحد لاشريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أحكامه ولا في أسمائه ، فهناك يصدق التوحيد وتبطل الكثرة بابطال ما يدل عليه التوحيد وزواله، والى هذا أشرت من قصيدة

وما الدين الا توحد وما غيرنا ... يوحدنا فغيرنا الشرك والرجس

وما التوحد المقبول قولا وإنه ... لفعل فلا يغررك جن ولا إنس

وما هو الاّ أن تصير الى الفنا ... وتصعق ليس ثم روح ولا حس

فلتنظر الوحدة من حيث هي لا من حيث الموحد لها ، فان كانت عين الموحد بها فهي نفسه ، وان لم تكن عين الموحد فهو تركيب لا توحيد وما هو مطلب الرجال ولا مقصودهم، أخبر تعالى إن سئت أي اصل رب محمد الذي يدعو الناس إلى عبادته هو الذات الغيب المطلق ، غيب الغيوب مادة العدم والوجود المشار اليه بالهو المتنزل إلى مرتبة الوجود المطلق المجرد عن

كل مايحكم بزيادته المعبر عنه بالله الجلالة الغير المشنفة من شيء المتنزل الى
مرتبة الأحديه التي هي مجلي ذاتي لابس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من
الكائنات فيها ظهور وهي المسماه بالأحد المنزل إلى مرتبة الأسماء والصفات
وهي الألوهة وهي مرتبة اعطاء كل ذي حق حقه من الحق والخلق المسماة
بالجلاله المشنفه، وهو الله رب محمد الاسم الجامع لمعاني أسماء الآله جميعها فهو
متضمن جميع الأسماء ولا تتضمنه وينعت بها ولا تنعت به؛ فلذا كان أحديه
جمع جميع الأسماء قوله الصمد هو المصمود المقصود في الحاجات الطالب نفع
ودفع ضر، وليس هذا لغير الله تعالى قوله لم يلد أي لم ينفصل منه تعالى جزء
فيتكون منه شيء كما تنفصل النطفة من الأب فيتولد منها الابن وكما ينفصل
الريح من بعض الحيوان فيتولد من ذلك الريح مثل ذلك الحيوان؛ وكما تنفصل
النواة والبذرة فيتولد منها أمثال أصولها التي انفصلت عنها فليس في شيء
منه تعالى شيء؛ وإنما تكون الاشياء عنه تعالى بالتوجه الارادي المعبر عنه
بكن لا باتصال ولا بانفصال ولا بمعالجة ولا بمزاولة، ولم يولد أي لم يتولد تعالى
عن شيء فيكون منفصلا عن شيء فانه الأول بلا بدايه فليس فيه تعالى شيء
من شيء، ولم يكن له كفؤاً أحد الكفؤ المثل بكسر الميم والأحد بمعنى الواحد
موضوع للعموم في النفي؛ فلا مثل له تعالى في ألوهيته كما قال ليس كمثله شيء
على زيادة الكاف وعدم زيادتها أيضا لأنه على فرض وجود المثل فهو مجعول
له تعالى لأنه بجعله وخلقه كما ورد أن الله خلق آدم على صورته وهو في
التحقق مثل بفتح المثلثة كما قال ولله المثل الأعلى في السموات والارض
وهو أي المثل العزيز الحكيم فمرتبة الألوهة التي للذات العليه لا مثل لها
ولا ثاني وهي التي أمرنا بتوحيدها وجاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام

للعباد طالبه منهم أن يقولوا لا إله إلا الله لقول الرسل لهم قولوا لا إله إلا الله فلا تجعل لله تعالى كفؤا ولا مثلا، وأما الضد فله ضد من حيث أنه المعبود وضده العابد، وأنه الرب فضده المربوب، وأنه المالك فضده المملوك، وأنه الرحمن فضده المرحوم إلى غير هذا، هذا شأن الجلالة المشتقة التي هي اسم المرتبة كالسلطنة والقضاء ونحوهما من المراتب، وأما الجلالة التي ليست بمشتقة وهي إسم الوجود الذات فلا مثل لها ولا ضد، ولا تنزه مطلقا، ولا تشبيه مطلقا، فانها عين الضدين والمثلين والشيء لا يشبه بنفسه ولا ينزه عن نفسه فلا تشبيه في العالم ولا تنزيه من هذه الحيثية، وقد ورد في الخبر بروايات متعددة أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه السورة تعدل ثلث القرآن ووجه ذلك أن المعلومات منحصرة في ثلاث من وجه حقيقة فاعله وهي الحق تعالى الآله وما يتعلق به من ذات وصفات وأفعال وأحكام، وحقيقة منفعلة وهي العالم وهو اسم لما سوي الحق تعالى جميعه أسفله وأعلاه، وحقيقة جامعة بين الفعل والانفعال وهي حقيقة الانسان الكامل البرزخ بين حقيقة الفعل والانفعال، وكل مادل عليه الكلام القديم وهو القرآن لا يخرج عن هذه المعلومات الثلاث وهذه السورة تضمنت الكلام على الحقيقة الأولى فهي ثلث القرآن لهذا

(الموقف المايتان والأربعون)

قال تعالى: بسم الله، إعلم أن القائل بسم الله في أول أفعاله لا يخلو إما أن يكون سعيدا فالباء في حقه معناها الاستعانة قال بهذا المعنى أو خلافه لجهله بحقائق الأمور وموارد المعاني، فانه يرى الفعل لله تعالى من حيث الخلق وله من حيث الكسب ان كان أشعريا ومن حيث الجزء الاختياري إن كان

ماتريديا وله دخل في الفعل ولا بد، ويستعين بالله تعالى عليه حيث أمر تعالى بذلك ؛ قال تعالى ؛ استعينوا بالله ، وقال ، وإياك نستعين ، وفي الصحيح ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، وإن كان عارفا بالله تعالى فالباء في حقه بمعنى من، فانه لا تشهد له فعلا وإنما يشهد صدور الأفعال من الله الوجود الحق المقوّم لكل صورة تظهر الأفعال عنها بادىء الرأي فيرى نفسه وكل مخلوق آلات يفعل الله بها ما يشاء، وأقلاما يحركها فيما يريد ويقدر، المتعلق مما يناسب الفعل الذي جعلت البسملة مبدأ له واذا سألنا أجنبي ولنا تقديره خلق الشيء الفلاني صادر من الله فاذا قدّرناه لأهل طريقنا فاننا مثلا التلاوة صادرة من الله أو الذكر أو الصلاة أو غير ذلك، فان تلاوتنا من أفعالنا، وأفعالنا مخلوقة له تعالى وكل فعل من أفعالنا له اسم يخصه من أسماء الحق تعالى التي لا نهاية لها، وإن الحكمة في تشريع التسمية في أول كل فعل مباح أو مشروع هي اظهار التبرئة بالقول من دعوى الفعل للانسان كما هو في نفس الأمر فاذا كان الفعل غير مشروع ولا مباح، لم تشرع التسمية أدبا من نسبة صدور ما عليه اعتراض من الشارع منه تعالى، هذا حظ العارف فان كان محققا فهو فوق العارف فانه يزيد مراعاة الادب فاذا كان الفعل عليه اعتراض من الشارع ولو في الظاهر فانه ينسبه لنفسه كالمعتزلي ويصير قدريا في ظاهره، وقوله دون باطنه واعتقاده كما قال أحد الأدباء؛ فأردت أن أعيبها يعني السفينة. وقال الآخر؛ وإذا مرضت فهو يشفين؛ وهذا النوع من اعتزال عين الكمال وإما أن يكون أعنى القائل بسم الله معتزليا فالباء في حقه معناها الملابسة لا أثر لدخولها في الفعل ؛ وكذا قال صاحب الكشاف وإن قال معناها خلاف هذا فهو مكابر لأنه يرى أنه خالق الافعال الاختيارية ولهذا عنده ترتب الثواب على الطاعة، والعقاب

على المصاحبة، فباء بسم الله عنده للمصاحبة والملابسة كما في قولهم دخلت عليه بثياب السفر، فإن المعتزلي يعتقد أن الله تعالى أعطاه القدرة على أفعاله الاختيارية وفوّض إليه بعد ذلك إن عمل صالحا فلنفسه وإن أساء فعليها، فهو هالك وأهلك معه من قال أن القدرة والفعل له معا كمدعي الربوبية من الهالكين

(الموقف المائتان واحد والأربعون)

قال الله تعالى ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، التوبة أنواع باعتبار ماهية المتاب، وطائفة تتوب من المعاصي وطائفة تتوب من الطاعات أي من نسبتها إليها مع فعلها، وطائفة تتوب من طلب الأعواض والأجور وطائفة تتوب من التوبة قال ابن العريف الصنهاجي رضي الله عنه

قد تاب قوم كثير وما تاب من التوبة إلاّ أنا

فالتائبون عام وخاص، وخاص الخاصة ، ولفظ التوبة يعم الجميع لغة ، ولكن إشارة الآية الكريمة على ما أعطانا الالهام الالهي فرقت بين توبة العموم ، سمتها تطهيرا ، وبين توبة الخصوص سمتها توبة، إذ لبست أدناس مخالفات ، وأوضار نسب طاعات ، فالمحبوبون الأولون المقدمون في الذكر المقدمون رتبة هم الخاصة وخاصة الخاصة التائبون من التوبة ، فالخاصة وهم العارفون بالله توبتهم الرجوع منه إليه تعالى، وخاصة الخاصة وهم العلماء بالله تعالى توبتهم الرجوع إليه من رجوعهم أي من نسبة الرجوع إليهم ، إذ لا راجع إلاّ موجود حقيقة ولا وجود لهم فتوبتهم من دعوى الوجود ، وإليه يشير قائلهم

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فليس في الحقيقة إلاّ هو الراجع والمرجوع إليه، فهو التائب كما قال تاب

عليهم ؛ فالتوبة فعله والفعل قائم بالفاعل وهؤلاء التائبون هم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم ، إن الله يحب كل مفتن تواب. وفتنتهم إنما هي طروّ الغفلة عليهم من هذه المشاهدة لما هو لازم البشرية من الغفلة والنسيان، فاذا تذكروا تابوا توبتهم الخاصة بهم، فهم أحق وأولى بمحبة الله تعالى لهم، وأما المتطهرون فهم التائبون من العامة سواء التائبون من المخالفات، ومن طلب الأعواض على الطاعات ونحوهما ، ومحبة الله تعالى للمتطهرين ؛ أي التائبين من العامة إنما هي ببركة التائبين الأولين ، وبالتبع لهم لاشتراكهم في المعنى الذي هو الرجوع وإن كان بين الرجوعين فرقان بعيد . إذ التوبة هي الرجوع الحقيقي وذلك بالتبرؤ من نسبة الرجوع الذي هو معنى التوبة الى العدم ونسبته الى الوجود ، كما هي توبة خاصة الخاصة . أو الرجوع به منه اليه كما هي توبة الخاصة ، وما عدا هذين الصنفين فتوبتهم بمعنى رجوعهم تطهير لا رجوع ؛ لأنهم ما رجعوا بعد إليه وإنما رجعوا من عدم الى عدم، ومن كون الى كون ، وما تاب أحد ولا تطهر بمعنى تاب الا بعد توبة الله تعالى عليه ، كما قال: تاب عليهم ليتوبوا ، فتوبتهم اليه فرع توبته عليهم، أي فهم محل بمعنى في اذ هم ظروف التوبة وهو فاعلها ليتوبوا أي لتنسب التوبة اليهم حيث أنهم ظروف وآلات لافعاله ؛ فهو الفاعل حقيقة والنسبة اليهم مجازا

(الموقف المائتان الثاني واربعون)

قال تعالى ، وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاَّ اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، الآية ؛ إعلم أنه لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يقول للناس ، ياأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا في آياتنا معاجزين

أولئك أصحاب الجحيم، أي أرسلت اليكم لتمييز أهل السعادة من أهل الشقاوة فلا بد أن يؤمن بي بعضكم فيسعد. وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية، ويكفر بعضكم فيشقى وهم الذين سعوا في آيات الله معاجزين الى آخر الآية . تنبيها له صلى الله عليه وسلم ، لئلا يصدر منه ما صدر من الرسل والأنبياء قبله من التمني. ترتب على ذلك أخباره صلى الله عليه وسلم بقوله ، وما أرسلنا من قبلك من رسول الى آخر الآية، ذلك أنه تعالى ما أرسل رسولا مستقلا بالدعوة ولا نبيا داعيا الى اتباع شريعة من قبله من الرسل، إلا ويحققه بصفة الرحمة الكاملة والرأفة الشاملة ، فيتمنى لذلك ويقول بلسانه لا بقلبه، لأن التمني ليس من أعمال القلوب ، وبتلفظ بقوله ليت الحق تعالى يهدي جميع من أمرني بدعوتهم اليه وهـذا التمني فهري طبيعي في كل رسول ونبي كسائر الأمور الطبيعية لما يغلب عليهم صلوات الله عليهم وسلامه ، من إرادة الخير لعباد الله وحب نجاتهم، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من هذا ، كما أخبر الحق تعالى عنه في غير ما آية غير أنه ما صدر منه من هـذا التمني قطعا ، مع أن كل رسول ونبي يعلم أنه تعالى ما أمرهم بدعوة الخلق إلا لتمييز القبضتين وتبيين أصحاب الشمال من أصحاب اليمين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وحيث كان هذا التمني وان كان خيرا بادىء الرأي ، فهو مناقض للعبودية المحضة التي هي القاء القياد بيد العليم الحكيم ، وعدم الاختيار لشيء معه تعالى ، مع أن التمني لا جدوى له ولا فائدة، لأن الشيء المتمنى حصوله لا يخلو إما أن يكون مقدوراً حصوله أو غير مقدور ، فان كان غير مقدور فهو معارضة القدر وان كان مقدورا فهو تضييع للوقت وبطالة ، ولما كانت مرتبتهم عند الحق تعالى أسمى المراتب

اقتضت أن الأولى بهم صلوات الله وسلامه عليهم تركه ، وإن كان هذا لا يقدح في مراتبهم العلية حيث أنه كالأمور الطبيعية الفطرية لهم ولكنه فيه شوب من عدم الوقوف مع العبودة المحضة التي تقتضيها مرتبتهم وذلك لما جبل عليه البشر من الغفلة ، فإنه أمر ذاتي لا يرتفع أبدا ولا عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذا تقرر في القرآن العزيز الأمر للرسل أن يقولوا لأممهم إنما نحن بشر ، وفي الصحيح إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني ولولا النسيان والغفلة ما حصل لهم هذا التمني مع علمهم بحقيقة الأمر وباطنه ولهذا نبه الحق تعالى حبيبه المخصوص بخصائص ما أدركها رسول قبله لئلا يفوته هذا الأدب الواحد الذي ما خلا عنه رسول ولا نبي إذ كل ما يقدح في مقام فإن صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي استحقه ذلك المقام وإن كان من الكمل . قال إمام العالمين بالله تعالى ، وبرسله عليهم الصلاة والسلام شيخ الشيوخ محي الدين الحاتمي ما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه على مقام العبودية المحضة ، فالملأ الأعلى قول أتجعل فيها من يفسد فيها ، والمصطفون من البشر يقولون ، لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، أن تهلك هذه العصابة لن تعبد بعد اليوم . ولما صدر منهم صلوات الله وسلامه عليهم ، هذا التمني أدبهم الحق تعالى ونبههم على ما فاتهم في هذا التمني بتسليط الشيطان والقائه تكذيبهم في نفوس جميع المتمنى تصديقهم وهو أنهم من يصدقهم بعد ومن لا يصدقهم أبدا ، وإن وجد فرد لم يتوقف ولم يتلعثم وهو الصديق فهذا نادر ولذا عظمت مرتبته كما قال ، ألقى الشيطان في أمنيته فالكل يرتاب ويتوقف ، كما قال ، كل ما جاء أمة رسولها كذبوه ، وقال ،

ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون، فينسخ الله ما يلقي الشيطان بإظهار المعجزات الخارقة، والآيات المتتابعة، فعرف الكل صدقه، فمن سبقت له سعادة أظهر ما عرف باطنا، ومن سبقت شقاوته جحد واستكبر كما قال، إنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين آيات الله يجحدون. وقال، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، ونعمة الله هي محمد صلى الله عليه وسلم؛ وقال. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا، أي جحدوا بها ظلما وعلوا مع إعلامهم انها من الله تعالى تصديقا لرسله، وقال، لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر، إلى أمثال هذه الآيات، ومن طالع كتب السير علم أن المشركين كانوا عالمين صدقه صلى الله عليه وسلم، ولكن جحدوا استكبارا وسبق شقاوة، وقد شهد الله تعالى أن اليهود كانوا يعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ثم يلقى الشيطان المكذبين، انكم خسرتم أنفسكم وسفهتم أحلامكم بعدم إظهار ما علمتم من صدقه، ثم يلقي اليهم الشك أيضا وهذا دأبهم ودأب الشيطان معهم تشككهم فى صدقه ثم يشككهم فى كذبه، وذا حال من كان فى زمانه من الكفار كما قال فهم فى ريبهم يترددون، وقال حكاية عنهم، وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب، ولهذا تكون معيشة الكافرين ضنكا كما قال، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا، أي فى الدنيا فهو فى ضيق مما يلقى الشيطان اليه فلا يستريح باطنا فى الدنيا أبدا، ثم يحكم الله آياته ويثبتها فى قلوب المسلمين ظاهرا وباطنا، فلا يبقى لهم تردد ولا وسوسة فى صدق الداعي إلى الله، وذلك بمخالطة بشاشة الايمان لقلوبهم فلا يسخطونه أبدا، والله عليم بما تقتضيه استعدادات مخلوقاته حالة ثبوتها

وعدمها ، حكيم بضع الأشياء مواضعها اللائقة بها بالاستحقاق من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يظلم ربك أحداً فى كل ما يفعل ويحكم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة ، بيان حكمة تسليط الشيطان بالإلقاء فى قلوب جميع أمة الدعوة والاجابة جميعا مع تنبيه الرسل والأنبياء على تمنيهم وإن ذلك فتنة ، فيقول المنافقون وهم الذين فى قلوبهم مرض ، لو كان هذا حقا ما توقف الجميع فيه قبل ، والكفار المجاهدون وهم القاسية قلوبهم ، عار علينا أن نظهر تصديقه بعد جحوده استكبارا وعنادا كما قال تعالى ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل : فى الأعراف وقال فى يونس : ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل : فاشدد يديك وعض بالنواجذ على ما سمعت فى هذه الآية ، ولا تلتفت إلى ماذكره كثير من المفسرين فيها فى قصة الغرانيق التى وضعها بعض الملاحدة ليدخل الشك فى الوحى والقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغى لهم وما يستطيعون ؛ وإنى لأسئل من الله العفو والسماحة للحافظ ابن حجر حيث صحح تلك القصة القذرة السيئة ، وأخذ طرق ورودها ورفع قوادحها ، والآية ما أخبرت أن هذا كان من محمد صلى الله عليه وسلم . وإنما قال تعالى ، وما أرسلنا من قبلك ؛ فهو إخبار له صلى الله عليه وسلم لا إخبار عنه . وهو نص صريح مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، فأين ذهب شرف النبوة والرسالة الذى لاشرف فوقه إلا شرف الربوبية لو صحت هذه القصة ، فأين العصمة إذا كان الشيطان يلقى الكفر على ألسنة الرسل والأنبياء جميعهم ويسمعه الناس من لسان كل

رسول وكل نبي ، فان صريح الآية إن هذا التمنى واقع من كل نبي ورسول أرسله الله تعالى ، والنطاق بقصة الغرانيق كفر ضرورة ، ولو وردت القصة بأن الشيطان القي في آذان السامعين هذا لربما كان له وجه الى القبول ، ولكن قالوا ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنا نعوذ بك من التلبيس ، ومن نزغات إبليس ، ومن ان نضل أو نضل

(الموقف المائتان الثالث وأربعون)

قال تعالى ، سبح اسم ربك الأعلى ، التسبيح التنزيه ، التنزيه التبعيد أي باعد نسبة إسم ربك إلى ذاته عن مماثلة نسبة أسماء المحدثات اليها ومشابهتها إياها ، والاسم هنا عام أريد به خاص وهو ما يوهم لفظه ومفهومه تشبيها وتمثيلا وذلك ان أسماءه تعالى قسمان ، قسم يدركه العقل وهو ما يقتضي الكمال والنزاهة فهو يدل على التنزيه بدلالة من الدلالات ولا يكون الأمر بتنزيه هذا الاسم فانه حاصل وتحصيل الحاصل محال وقسم لا يدرك العقل له كمالا ويتوهم أن التنزيه عنه هو الكمال ولولا أن الشارع سماه به ما سمى العقل الحق تعالى به ولا قبله في حقه وذلك كالضاحك والفارح ، والمتعجب والمحب ، والمتردد والناسي ، والمستحي والماكر ، والمستهزيء والمستوي والنازل ، ونحو هذا مما ورد في الكتاب والسنة فهذا القسم هو المأمور بتسبيحه وتنزيهه ، فليست نسبة هذا القسم الى ذاته تعالى كنسبته إلى غيره من ذوات المحدثات لأن ذاته تعالى غير معلومة لنا فالنسبة اليها مجهولة لنا وفي ضمن الأمر بتنزيه الاسم تنزيه الذات المسماه بهذا القسم وهي الاسماء الشرعية ولكن من جهتين فالاسم ينزه من حيث النسبة عن المشابهة والمماثلة لنسبته المخلوقات حيث كان اللفظ واحدا والمفهوم واحدا ، لكن النسبة مجهولة مختلفة الاشتراك

وأما تنزيه الذات المسماة بهذا الاسم فهو تنزيه التنزيه ، وهو ضد التنزيه العقلي ، فإن العقل بتنزيهه أحال اطلاق هذه الأسماء عليه تعالى ، تنزيها له تعالى ، وما قبلها إلا بضروب من التأويل والمجاز ؛ فأمر تعالى في كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام بتنزيهه عن هذا التنزيه العقلي وباثباتها له كما سمي نفسه ووصفها على المفهوم منها في اللسان العربي الذي خاطبنا الحق تعالى به ، وأرسل به رسوله ليبين لنا ما نزل علينا ، فانه من المحال أن يخاطبنا الحق تعالى بما لا نفهم عنه ، ولكن لما جهلنا الذات العلية ، جهلنا نسبة هذه الأسماء اليها فقط ، ألا ترى الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآيات التي كثر الخوض فيها والقيل والقال ما نقل عن أحد منهم أنه استشكلها وسأل عنها رسول الله عليه وسلم ، وما ذلك إلا لأن الأمر على ما ذكرناه فهو مذهب السلف الصالح ولكن الكثير من علمائهم المتكلمين ما فهموا مذهب السلف وقالوا عنهم أنهم يقولون لا نعلم ما خاطبنا الحق به ونكل علم ذلك إلى الله تعالى وإلى رسوله بمعنى أنهم لا يفهمون معاني الاسماء التي سمى الحق تعالى نفسه بها من أسماء المحدثات ، وهذا محال فتلك الاسماء أسماء الرب حقيقة لا مجازا وهو الرب الأعلى ، وهو التعين الأول منشأ جميع الاسماء المشار اليه بقوله ، وإن الى ربك المنتهى ، رب محمد صلى الله عليه وسلم وهو أول التعينات ، وحضرة الجمع الجامعة لجميع الأرباب أي لجميع الأسماء الربية التي تربي المخلوقات فالرب المضاف إلى ضمير محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الارباب وأجمعها ومع كون هذه الأسماء والنعوت التي تطلق على المحدثات أثبتها تعالى لنفسه حقيقة فهي من أسماء الأفعال لا نطلق منها ، ونسميه به تعالى إلا ما أطلقه الشارع فنحن معه حيث ما كان فما قال قلنا

وما سكت سكتنا ، فلا نقول يا قاتل وقد قال ولكن الله قتلهم ، ولا يا معذب وقد قال يعذبهم الله ، ولا يا مضل وقد قال يضل من يشاء ، ولا يا مستهزىء وقد قال الله يستهزىء ، ولا يا ماكر ، وقد قال ومكر الله ، ولا يا رامي ، وقد قال ولكن الله رمى ، ولا يا متقرب ، وقد قال تقربت منه ذراعا ، ولا يا مهرول ، وقد قال أتيته هرولة ، إلى غير هذا مما ورد فى الكتاب والسنة

(الموقف الخامس والأربعون)

قال تعالى ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وقال ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، يعني الجنة التي وعد بها عامة المؤمنين ، فيها ما ترغب فيه كل نفس من المشتهيات الحيوانية الطبيعية ، والمستلذات الجسمانية ، وأما الجنة التي وعد بها خاصة المؤمنين ، ففيها ما تشتهيه الارواح وترغب فيه الاسرار ، وليس إلا دوام الشهود على بساط القرب العلي الأعلى بالمظهر الأوضح الأجلى ، ويجدون فى تلك المشاهدة من اللذة كل ما يجده أهل الجنان من اللذات وأزيد : قال ، فى الآية الاولى للجنس والعهد ، وهي كل نفس انسانية باقية على أصل خلقتها ، والمخاطبون فى الآية الثانية هم الصحابة الكرام أصحاب النفوس الزكية التي ما خالطها شيء ولا اعتلت بعلل خارجية ، فالمراد فى الآيتين ان الجنة فيها ما تشتهيه كل نفس انسانية باقية على أصل خلقتها ، سليمة من الآفات ، ما طرأت عليها علل خارجية أخرجتها عن مجراها الطبيعي لها . وليس الطبيعي إلا ما هو مشتهى العموم ، ومستلذ الاذواق السليمة من الآفات : فان بعض النفوس طرأت عليها أمراض وأصابتها آفات ، بدلت صفاتها الطبيعية وجعلتها تشتهي ما هو

مستقذر عند الطبع السليم شنيع ، أو نكره ماهو مشتهي عنده مستلذ ، وهذا مشاهد عيانا فى الجهتين ، مشهور ، فمن دخل الجنة لا يشتهى اتيان الذكران فانها شهوة نشأت فى بعض النفوس فى الدنيا عن علة وآفة خارجه عن الطبع الحيوانى ، حتى الحيوانات العجم فانها لاتفعله ، وما فعله الاّ شرار الانسان لمرض ، وما فعله أحد من البشر قبل قوم لوط عليه السلام ، قال تعالى ، أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، وقال تعالى فيهم ، بل أنتم قوم عادون ، أي متعدون الحدود لا أعنى الحدود الشرعية فان الجنة لا تحجير فيها ، ولكن أعداء الحدود التى الأشياء وهى الحافظة الأشياء المميزة لها ، فلا يدخل محدود فى حد غيره ، ومن حد الذكر أنه فاعل كما أن حد الأنثى أنها منفعلة . فمن جعل الذكر منفعلا فقد اعتدي حد الذكر وقلب حقيقته وقال تعالي فيهم ، وتأتون فى ناديكم المنكر ، فشهوة اتيان الذكران منكر غير معروف فى العرف الانساني ، وقال فيهم ، بل أنتم قوم مسرفون ، متجاوزون الحكم الآلهية فى مخلوقاته تعالى ، وقال فيهم ، أنتم قوم تجهلون ، وليس فيمن يدخل الجنة جاهل بحكمة الله تعالى فيما يفعل فان الحق تعالى ما جعل الفاعل يطلب الفعل والمنفعل يقبل ، بل يطلب من الفاعل الفعل الاّ للانتاج وحصول فائدة للفاعل والمنفعل ، وهذا حاصل فى الأصل الذى وجدنا عنه فان الممكنات ما قبلت الفعل من الفاعل تعالى لما أرادوا إيجادها الاّ لما فى ذلك من الانتاج لمن يسبّح الله بحمده وحصول النفع للطرفين فاستفادت الممكنات ما نسب اليها من الوجود واستفادت الأسماء الآلهية ظهور سلطنتها بظهور آثارها وكذلك الأمر فى الأجرام السماوية مع العناصر والاركان ، تفعل الأجرام السماوية في

العناصر فتقبل فعلها فيها لما نتج من ذلك النكاح المعنوى من المولدات ، الحيوان وغيره ، وكذا الأمر فى الحيوان والانسان يفعل ذكرانه فى اناثه فينتج من ذلك كثرة المسبحين لله بحمده مع حصول الفائدة واللذة للطرفين ، فلو انتفت اللذة من أحد الطرفين مع عدم الانتاج ، ما قبل منفعل الفعل به طبعا ، كاتيان الرجال الرجال فهو خلاف الطبيعة الانسانية ومجارى الحكم الآلهية تقتضي الا يخلق الله تعالي لأهل الجنة أدبارا ونشأ الجنة غير معلوم فانه قال ، وننشئكم فيما لا تعلمون ، لأنه تعالى إنما خلق هذا المحل فى الدنيا لاخراج القذر والخبث لاغير وأهل الجنة لاقذر يخرج منهم إنما هو رشح يخرج من أعراضهم ، كما فى الصحيح وقد ورد فى الخبر ، أن أهل الجنة لا أسنان لهم ، كما ورد أيضا ، أن الرجال لالحي لهم ، وذلك لانتفاء الحاجه الي الاسنان واللحا فى الجنة بخلاف القبل فى الرجل والمرأة فانه لمصلحة النكاح الذى هو أعظم شهوة واللذة ولما فيه من الانتاج فقد ورد فى خبر أن أهل الجنه يولدون ففي كل دفعه من الرجل يخرج ولد كامل سوي يسبح الله حيث شاء الله تعالى

(الموقف المايتان الخامس والاربعون)

قال تعالى ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، أمر من الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكل من تبعه بتوليه وجوههم الباطنة تلقاء المسجد الحرام الباطني والمسجد الحرام هنا إشارة لا تفسيرا كناية عن الحضرة الجامعة لجميع الحضرات ، وهي حضرة الجمع والوجود فكما أمرهم تعالي بتولية وجوههم الجسمانية شطر المسجد الحرام الجسماني ، أمرهم بتوليه وجوههم المعنويه شطر المسجد الحرام

المعنوي ، حيث ما كنتم ، أي في أي مرتبة كنتم من مراتب الفرق ، فلتكن وجوهكم المعنويه متوجهة لمرتبة الجمع ، فان الجمع حقيقة والفرق حكمه ووجه كل شيء عينه وحقيقته التي هو بها هو ، وهذا الوجه هو لكل مخلوق من الحق تعالى وهي الوجوه التي عنت للحي القيوم في قوله ، وعنت الوجوه ، الآية وهذا الوجه هو الذي كان أصحاب الصفة رضوان الله عليهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون معرفته وهذا الوجه هو الباقي من كل شيء إذا هلك كل شيء قال تعالى ، كل شيء هالك الا وجهه ، وقال ويبقى وجه ربك ، فهو مقصود الحق تعالي من الأشياء فلا يفتقد ما غاب إذا حضر ولا يعبأ بما حضر اذا غاب هو ، فظاهر الامر يقتضي ان ثم مولي ومتولى مطاوع وليس الا واحدا هو المولي والمتولي ولشدة اعتناء الحق تعالي بهذ الوجه كرر في القرآن ذكره وكذا في السنة قال ، واقيموا وجوهكم ، وقال ، بلى من أسلم وجهه لله ، وقال ، ومن يسلم وجهه الي الله ، وقال ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله ، وقال حكاية عن الخليل عليه السلام ، وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، وفي الصحيح إن صلى الله عليه وسلم كان يقول عند النوم ، اللهم وجهت وجهي اليك ، وفي الصحيح في دعاء التوجه ، وجهت وجهي ، ونحو هذا والعامة لهم شعور بهذا الوجه ولا يعلمون ما هو وهذا من بقايا علم الخاصة في ألسنة العامة فانهم يقولون لمن يدعون له ، بيّض الله وجهك ، أبيض كان أو أسود ويقولون لمن يدعون عليه سوّد الله وجهك كذلك ، فليس المراد بهذا الدعاء الا الوجه المذكور ، لا العضو المعروف واليه يشير قوله ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فان من الوجوه الحاكمة على هذه الممالك الانسانية المتولية على رعايتها من تأتي رعيته ومملكته دنسة قذرة سوداء

بأقذار المخالفات وأنواع الشرك والمعاصي، فهذا هو سواد هذا الوجه عند من ولاّه وجعله حاكما ؛ ومن الوجوه من هو بالعكس وهذا هو بياض هذا الوجه عند من ولاّه وهو الاسم الجامع كمحاسبة العمال وعرض رعاياهم على الملك سواء بسواء يشير الى هذا قوله : تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، أي تعرف من معرفتك وجوههم الحاكمة عليهم أنهم سعداء أهل نعيم فإن من عرف الحاكم عرف حال رعيته ومملكته الحاكم عليها خيرا أو شرا

(الموقف المائتان السادس والأربعون)

قال تعالى : وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ، القول في الآية إشارة لا تفسير إنه تعالى أمر المحمديين أن يقولوا لكل طائفة من طوائف أهل الكتاب يهود ونصارى وصابئة وغيرهم آمنا بالذي أنزل أي تجلى الينا وهو الإله المطلق عن كل تقييد، المنزه في عين تشبيهه، في عين تنزيهه ، وهو هو المشبه في الحالتين وأنزل أي تجلى اليكم في صور التقييد والتشبيه والتحديد وهو هو المتجلي الينا واليكم فليس النزول والانزال والتنزيل والايتاء ، إلاّ ظهورات وتجليات سواء نسب ذلك إلي الذات أو إلى كلامها أو الى صفة من صفاتها ، فان الحق تعالى ليس في جهة فوق لأحد فيكون الصعود اليه ، ولا جهة لذات الحق تعالى وكلامه وأسمائه فيكون النزول منه اليناء وإنما النزول ونحوه باعتبار المتجلي له ومرتبته فالمرتبة هي سوغت التعبير بالنزول ونحوه والمخلوق مرتبته سافلة نازلة والحق تعالى رتبته عالية رفيع الدرجات، فلولا هذا ما كان التعبير بنزول ولا إنزال ولا صعود ولا عروج ولا تدل ولا تدان وإنما كان التعبير بالنبأ المجهول لأن

التجلي صادر من الحضرة الجامعة لجميع أسماء الألوهية ولا يتجلى منها إلاّ حضرة الآله وحضرة الرب وحضرة الرحمن قال ، وجاء ربك ، وقال ، ينزل ربنا ، كما ورد في الخبر وقال تعالى ، ألا ان يأتيهم الله ، وغير ممكن أن تتجلى حضرة من الحضرات بجميع ما اشتملت عليه من الاسماء فهي دائما تتجلى بالبعض وتستتر بالبعض مما اشتملت عليه فافهم ، فآلهنا وآله كل طائفة من الطوائف المخالفة انما واحد وحدة حقيقية كما قال في آي كثيرة ، وآلهكم آله واحد ، وقال ، وما من آله إلاّ الله وإن تباينت تجلياته ما بين اطلاق وتقييد وتنزيه وتشبيه وتنوعت ظهوراته ، فظهر المحمديين مطلقا عن كل صورة في حال ظهوره في كل صورة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، وظهر للنصارى مقيدا بالمسيح والرهبان كما أخبر تعالى عنهم في كتابه ولليهود في العزير والأحبار ، وللمجوس في النار وللثنوية في النور والظلمة ، وظهر لكل عابد شيء في ذلك الشيء من حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك ، فما عبد العابدون الصور المقيدة لذاتها ولكن عبدوا ما تجلى لهم في تلك الصورة من صفات الآله الحق تعالى وهو الوجه الذي لكل صورة من الحق تعالى فالمقصود بالعبادة واحد من جميع العابدين ولكن وقع الخطأ في تعيينه فآلهنا وإله اليهود والنصارى والصابئة وجميع الفرق الضالة واحد ، كما أخبر تعالى الا أن تجليه لنا غير تجليه في نزوله الى النصارى ، غير تجليه في نزوله لليهود ، غير تجليه لكل فرقة على حدتها ، بل تجليه في نزله للامة المحمدية متباين متخالف ، ولذلك تعددت الفرق فيها إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وفي نفس هذه الفرق فرق بينها تباين وتخالف كما لا يخفى على من توغل في علم الكلام وما ذلك إلا لتنوع التجلي بحسب المتجلى له واستعداده والتجلي تعالى واحد في كل تنوع وظهور ما تقدم من الأزل إلى

الا به ، ولكنه تعالى ينزل لكل مدرك بحسب إدراكه والله واسع عليم ، فانتفت جميع الفرق في المعنى المقصود بالعبادة ، حيث كانت العبادة ذاتية للمخلوق وإن لم يشعر بها إلاّ القليل من حيث العبادة المطلقة لا من حيث أنها كذا وكذا واختلفت في تعيينه ، فنحن للإله الكل مسلمون وبه مؤمنون ، كما أمرنا أن نقول وماشقي من شقي إلاّ بكونه عبده في صورة محسوسة محصورة ، وما عرف ماقلنا الاّ خواص المحمديين دون من سواهم من الطوائف ، فليس في العالم جاحد للإله مطلقا من طبائعي ودهري وغيرهما ، وإن فهمت عباراته غير هذا فانما ذلك لسوء التعبير فالكفر في العالم كله إذن نسبي ، وهنا نكته ان شعرت بها فمن لم يعرف الحق تعالي المعبود هذه المعرفه عبدربا مقيدا في اعتقاده ، محجرا عليه ان ينجلي لأحد بغير صورة اعتقادهذا المعتقد وكان المعبود الحق تعالى بمعزل عن جميع الارباب ، وهذا من جملة الاسرار التي يجب كتمها عن غير أهل طريقتنا وبكون مظهره من الفتانين لعباد الله تعالى فالحذر الحذر ، ولا ذنب على من كفر ، مظهره من العلماء ، أو نسبه الى الزندقة حيث لا تقبل منه توبه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الموقف المائتان السابع والأربعون)

قال تعالى ، وهل أتاك نبأ الخصم ، الى قوله وحسن مآب ، اعلم ان داوود عليه السلام كان انسانا كاملا وخليفة ظاهرا وباطنا وما نص الله تعالى في كتابه على خلافة أحد من الخلفاء الاّ عليه في قوله ، ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، وآدم عليه السلام في قوله للملائكة ، إني جاعل في الارض خليفة ، أي مسكنه بجسمه يكون في الأرض والاّ فالخليفه نافذ الحكم في العالم كله أعلاه وأسفله والانسان الكامل الخليفه له استعداد للظهور

بجميع الأسماء الآلهيـة على التمام ، ذاتية وصفاتية لأنه مخلوق على الصورة وذلك ممكن غير واقـع ، ولما ظهر داود عليـه السلام بالأسماء التسعة والتسعين المشار اليها بقوله صلى الله عليـه وسلم ، إن لله تسعة و تسعين اسما مائة الا واحد ، تعلقت همته بالظهور بكمال المائة وهو الاسم الذاتي الخاص بها ، غار الحق تعالى من المشاركة بالظهور باسم الذات فارسل تعالى الى داود عليه السلام ملـكين فى صورة رجلين متخاصمين ، أحدهما نائب الحق تعالى والآخر نائب عن داود عليـه السلام ، فقال نائب الحق تعالى نحن خصمان بغي بعضنا على بعض ، أي عدل عن خلقه وطلب غير مستحقه ، يريد داود عليه السلام فيما سمت همته اليه فاحكم بيننا بالحق وهو اعطاء كل مستحق حقه وليس لداود عليه السلام حق فى الظهور بالاسم الذاتي وان كان له استعداد لذلك إن هذا أخي ، يريد نائب داود عليه السلام وهو المدعى عليه ، ومن أسمائه تعـالى المؤمن ، وقد ورد فى الخـبر المؤمن أخو المؤمن ، وفى هـذا القول تسلية وتطييب لقلب داود عليه السلام ، حيث أنزل نائب الحق تعالى نائبه منزلة الأخ ، والغالب مشاركة الأخوين فيما لهما ، له تسع وتسعون نعجة كناية عن ظهور داود عليـه السلام بالتسعة والتسعين اسما ، ولى نعجة واحدة ، يريد ما تقدمت لأحد فيها شركة ولا طلب أحـد الشركة فيها قبله ، فقال أكفلنيها ، ضمها الى مع التسعة والتسعين نعجة ، ففهم داود عليـه السلام المثل المضروب له أول ما تـكلم به الخصم وهو نائب الحق تعالى ، ولذا حكم له ولم يتربص لـكلام المدعى عليـه ، ولا قال له أدل بحجتك ، بل ولا تـكلم المدعى عليه بشيء ، وبادر داود عليه السلام بقوله ، لقد ظلمك ، يريد داود عليـه السلام نفسه لا الملك الذي هو نائبه ، وظن

داود عليه السلام ، عند ذلك أن الوارد الذى ورد عليه بطلب الظهور بالاسم المكمل مائة ، انما هو فتنة واختبار من الحق تعالى له ، ثم راجع علمه فان المثل المضروب أذهله وأقلقه ، فاستغفر ربه من هذا الظن الذى صدر منه فلتة لا غير ، ولذا كان التعبير بالفاء ، فالاستغفار والانابة مفرعان عن الظن ، إذ ليس لكامل أن يظن بربه هذا ، فانه إنما يأتي ما يأتي بالالقاء آلهي أما بواسطة ملك ، أو من جهة الوجه الخاص به ، فهو على بصيرة وبيّنة فى كل ما يأتي ويذر ، وأمر الحق تعالى للكمّل لا تكون حبائل المكر ، ولكن الحق تعالى قد يأمرهم بأشياء فى بواطنهم ويعنهم منها ظاهر الحكم ، والحكمة هنا هي الا يطلب أحد من الخلفاء الكاملين بعد داود عليه السلام الظهور بالاسم الذاتي وهو المكمّل مائة ، فانه اذا منعه داود وهو المنصوص على خلافته في القرآن ، وهو الذى كمّل به ظهور الخلافة فانها من عهد آدم عليه السلام ، وهي تتزايد فى الظهور الي أن كمل ظهورها بداود عليه السلام، فغيره ممن لم ينص الحق تعالى على خلافته أولي بالمنع ، فاياك أن نسمع لخرافات القصاص وجهلة المؤرخين ومن قلدهم من بعض المفسرين المولعين بنقل أمثال هذا عن أهل الكتاب ، فان مقام النبوة أعلا من أن يتكلم فيه برأي أو قياس ، وأعز من أن يدرك لغير نبي فما علم العلماء من مقام النبوة الاسماء إلاّ ماعلمه الناس من النجوم عن ظهورها فى الماء ، فالحذر الحذر من الخوض فى النبوة والانبياء مطلقا ، فالله يعصمنا وإياكم من الزلل فى القول والعمل ، وبعد كتابتي لهذا الموقف بقليل ورد عليّ فى الواقعة قوله ، وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية

تم الجزء الأول ويليه الثاني

قد تم مقابلة هـذا الجزء على أصله على قدر الامكان فى يوم الثـلاثاء الموافق أول شهر صفر الخير لسنة ١٣٢٩ هجريه الموافق ٣١ ينايرسنه ١٩١١ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ونقل من نسخة بخط الشيخ عبد الرزاق البيطار وكان على هامش الأصل تصحيح بخط المؤلف رضي الله عنه ونفعنا به آمين

ظهرت بعض أخطاء مطبعية فى هذا الجزء ندرجها فى
هذا الجدول

الموقف	ص	خطأ	صواب
٨٨	١٩٢	السفسطائيين	السفسطائية
١٠٠	١٩٨	فتسمتد	فتستمد
١٠٨	٢١٣	مختلفين	مختلفتين
١٠٩	٢١٨	ساقطة	أو فى العالم
١٢٣	٢٤٥	مندمجة	مندرجه
١٤٠	٢٨٤	الي ملتنا	فى ملتنا
١٤٠	٢٨٥	راه	لما رأوه
١٤٧	٢٩٨	ساقطة	رؤيته
١٤٩	٣٠٣	فى	من
١٧٢	٣٤٣	ساقطه	الى
١٧٣	٣٤٤	ساقطه	بعضهم
١٨٤	٣٦٤	وأطاعهم	وأعطاهم
١٩٥	٣٨٣	ساقطة	أنه

DUE DATE

10 JUL 69			